سراج الملوك ، تأليف الطرطوشي ، محمد
ابن الوليد ـ ٥٢٠ هـ ، بخط علي بن أحمد
ابن علي بن ناصر المنابهي سنة ١٢٢٩ هـ
ج ١ ٢٠ (٢٠٢ + ١٠ ق) ٢١ س
١٥٫٥ x ٢١٫٥ سم
نسخة حسنة ، خطها مغربي ، ثم ينهيها
الناسخ ، طبع
كشف الظنون ٢ : ٩٨٤ معجم المطبوعات ٢ :
١٢٣٩
١ ـ الشعائر والتقاليد والاخلاق
الاسلامية أ ـ المؤلف ب ـ الناسخ
ج ـ تاريخ النسخ .



الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد

شيبت الذوبس قبل الشيب

يبلى الرجل للمتغير

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

الحمد لله

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

يا أخي الحاضر ... دون إخوانه وقومه

ان ... أمسى فلقد ... بنوح

... لعقلاء والطرح ...

اللهم صل الله على محمد

علي

عمل علي

أعنى الله

بلو قبل ... بكيت صبابة

بسعدى شقيت النفس قبل التندم

ولاكن بكت قبلي فهيج لي البكا

بكاها فقلت الفضل للمتقدم

تنبيه ... ومعطي ... العز بالتقى والادب ... ولعد در قايل

... ما الانسان الا ... على ما ... بومه ... امسيه

وما العز ... ذخل ... ينفي الجهل ...

الحمد لله وحده

استودع كاتبه عبد الله عنه

نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لكاتب
هذه الحروف اغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
منه بفضلك يا ارحم الراحمين يا رب العالمين

الحمد لله وحده استودع كاتبه عبد الله عنه
شهادة ان لا اله الا الله محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

استودع كاتبه عبد الله

مضى امسك الادنى شهيدا معدلا ... ويومك هذا بالفعال شهيد
فان كنت بالامس اقترفت اساءة ... فثن باحسان وانت حميد
ولا ترج فعل الخير يوما الى غد ... لعل غدا يأتي وانت فقيد
فيومك ان اعتبته عاد نفعه ... عليك وماضي الامس ليس يعود

اللهم انا نستعيذك من سوء الشهوات الى سوء الشبهات كما
نستعيذك من نقل الخطوات الى خطط الخطيئات ونستوهب
منك توفيقا قائدا الى الرشد وتحقيقا صارفا الى النقد
وقلبا متقلبا مع الحق ولسانا متحليا بالصدق
ولا تمنعنا ظلك السابغ ولا تجعلنا مضغة للماضغ
فقد مددنا اليك يد المسألة وتمسكنا بالاستكانة لك
والمسكنة واستنزلنا كرمك الجم ومننك العمم
بضراعة الطلب وبضاعة الامل مع التوسل
بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي البشر الشفيع المشفع في الامم
اللهم صل عليه وعلى آله الهداة واصحابه الذين نشروا
الدين واجعلنا لسيرتهم وهديهم متبعين وانفعنا بمحبته ومحبتهم
اجمعين انك على ما تشاء قدير وبالاجابة جدير

يا رب ان عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بان عفوك اعظم
ادعوك رب كما امرت تضرعا ... فاذا رددت يدي فمن ذا يرحم
ان كان لا يرجوك الا محسن ... فمن الذي يرجو المسيء المجرم
مالي اليك وسيلة الا الرجا ... وجميل ظني ثم اني مسلم

يا من اليه جميع الخلق يفتقر ... اغفر لعبد مسيء جاء يعتذر
اقله عثرته ودل حيرته ... لم يدر في الحال ما ياتي وما يذر
اللهم رشده وامنح يا كريم له ... نهج الهدى للذي ضل ويدكر
اصلح ظواهره طهر بواطنه ... من كل نقص وما يفضي له الكدر

رب سهل على فتاك فتاك ... ليتني هل سلا فتاها فتاها
علمته جفونها اني نسجي ... فلذاك هاج جسمها ما ثناها

اولا اذا والدموع تبينه ... ومن في بلطفك انفاق وفرقة
فلا تعذلوا من بان عنه حبيبه ... من بعد الاحباب يوما فقد بقي

الحمد لله وحده

[illegible] الفقير [illegible]
[illegible] رحمة الله وبعد [illegible]
[illegible] على محمد

بني اشتغل بالعود تنمى عروقه ... قويما وبعتاد اذا ما التوى التوى
ولا تقطع الخل بالمدل وجرمتي ... اذا التهبت احشاؤه بالهوى طوى
وعاص الهوى المردي فكم من محلق ... الى النجم لما ان اطاع الهوى هوى
واسعف ذوي القربى فيقبح ان يرى ... على من الى الخل اللبيب اشتوى ضوى
نبل وجاب الفلا معا يجوب اذا اقبل ... زمان ومن يرعى اذا ما النوى نوى
وان تقتدر فلا [illegible] فلا [illegible] ... اذا علقت الجبار بالنوى تشوى
وابك والشكوى فلا ترى ذا [illegible] ... فتحكي حال اخو الجهل اذا ما الزعوى عوى

فيه اخو الجهل ولا يذكيه ذو [illegible] ... من نار غيظك واصبح ان جنى جار
من العلم افضل ما ازدان اللبيب به ... الا اخو العقل اعلى ما جنى جار

وقيل مقطع

لا تقعدن على ضر ومسغبة ،، لكي يقال عزيز النفس مصطبر
وانظر بعينيك هل ارض معطلة ،، من النبات كارض حفها الشجر
فعد عما يشير الاغبياء به ،، فاي فضل لعود ما له ثمر
وارحل ركابك عن ربع ظمئت به ،، الى الجناب الذي يهمي به المطر
واستنزل الري من در السحاب فان ،، بلت يداك به فليهنك الظفر
وان رددت فما في الرد منقصة ،، عليك قد رد موسى قبل والخضر

6

كنزمن البعار وجنا النبار وبعث النعار لاجنى العرح
وخفت السيول ورضت العيول الجنى دبول الصبا والمرح
ومقت الوفار وبقا القفار لجسو العفار ورثى انقدح
ولولا الصلاح انى نثر راح لعل كان بارح جى بل لمكم
ولا كان دسان دها والرملة لارض العراق بحمل الشبح
بلا تعفين ولا تحمين ولا تعنتن بعقد وضح
ولا تعجبن لشيخ ابى بمعزاع وذر طمح
بلى المدام تغو العطاف وتنبى البقاء وتبعى الترح
واصبى السرور اذا ما الوفور املا ببستوز انميلا والمرح
وامل الغرام اذا المستهام ازال اكثار الهوى بل بيح
فبح بهواك وزد جنانك من تذ العدى بد قد فتح
وداو الكلوم وسل الهموم ببنت الكروم التي تنفتح
وخفر الغيوب ببدا ابسوق جلاء المشوق اذا ما الحمح
وقل دبنيبز بصوت نميز جبال العديد له ان مدح

وعلم النحو

4

وعلاه النعيم الزابيع وصال الطبيب اذا ما زهم
وحل في الجمال ولو بالجمال ودع ما بيال وخذ ما ملح
وبارد ابدا اذا ما ابدا ومد الشراب ومن ما نسح
وصار الخليل ونا ما النجما وأول الجميل ووالي المنح
ولد بالشراب اما الذهاب فمن ذوق باب كريم فتح

جاء الشتاء وعمير حوائجه فبع اذا الفطر عاجنا جمل
كرة وكيس وكلفون وكانون صلا بعد الكباء وكنز نا جم وكسا

أخي لتبغي حالك قال الحارث بن همام في بعض مقاماته لما أوفينا على نادٍ جمع الأخيار
والأشرار وحشر النبيه والخامل وفيه شيخ هالته ووقفنا أهلته تشيخ
قد تقوس واقعنسس وتقلس وتطلس وهو يهدج دوعا يتعجب
الصدور ويليّن الصخور فسمعته وهو يقول وقد اقتنت بعد العنوان
أبني أدع ما اغترك بما يعجبك واقتصر على ما يبلغك والعجل بما
يلطف بك واقتصر من بطر بك فعنى بما يغنيكم وتفصل ما يعنيك و
وتنزح في فوز تعديك وتنزه الحرص الذي يردي بك لا بالكفاف تقتنع
ولا من الحرام تشبع ولا للعظات تستمع وكأنه لو عجلت ثم تشوح
كذا بك أن تنقلب مع الأهواء وتخبط خبط العشواء وهلك أن تندم
من الاحترات وتجمع التراث للوراث بعين العكاز في الديك وما تدكر
ما يريد بك وتسعى أبدا الغارتك وما تبالي الذي أعلينا أقتطى
أن مشرك سدى وأن لا تحاسب غدا أم تحسب أن الموت يقبل الرشا
أم تميز بين الأسد والرشا كلا والله لن يدفع المنون مال ولا بنون
ولا ينفع أهل القبور سوى أهل المبرور فطوبى لمن سمع ووعى
وحقق ما ادعى ونهى النفس عن الهوى وعلم أن الفائز من ارعوى
وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم أنشد
انشادا وجل جهورة زجل ·· لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى ·· دد
إذا سكن المثرى الثرى وثوى به ·· فجد في مراضي الله بالمال راضيا
بما تقتني من أجره وثوابه ·· وبادر به صرف الزمان فإنه ·· مخالبه الأشغى أو الأعوج
المخشى مجهول ونابه ·· ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره ·· فكم خامل أخنى عليه ونابه ربيع الأول

وعاص هوى النفس الذي من أطاعه ·· أخوه تلظى لما هوى من عقابه
وحافظ على تقوى الإله وخوفه ·· لتنجو مما يتقى من عقابه
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه ·· بدمع يضاهي الوبل حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه ·· وروعة ملقاه ومطعم صابه الأول ·· تخ
وأن قصارى منزل الحي حفرة ·· سينزلها مستنزلا عن قبابه
بمولاها العمر سالاه هو في بعلته ·· وأبكي التلاعي قبل إغلاق بابه انتهى

فا

قال الراوي فقلت أخي كيف تجتلب أخلاقي بقطيع. وأنى تنشر وتتمر مع غيم.
ومتى أصفي ود بعتب. وأنى حررت في خطبة خشف ثم أنشد وسدد

جريت مع الغلبة ودولة ·· جرى من تبغي عمل الفسيد
وكلفنا للجمل الحمل كل الذي ·· على وكأني الكل أو تغشيه
ولم أخش ولا نشر الوري ·· من يوم الحشر والمسير
وكل من طلب عمل جني ·· بما له الأجر غير يسير
لا تنفع القبر والانقضى ·· بعقب المغنو في حسير
ولست بالموجب عقل من ·· لا يوجب المفعل نعيسير ·· المغنو
خالفي ورب مذاق الهوى علقني ·· أعدو فدا الود على كتب
وما درى من جهله أنني ·· أرفض غرضي الذي من جنسه
بل هم من استعبد هي العلى ·· ود عند كل الملحود في رمسه
والفتر لو في وصله لبسته ·· لبالدا من بر عن غير لبسه
ولا تمزج الود متى برى ·· أنك محتاج إلى ملبسه

الحمد لله وحده البيع الاول من سراج الملوك و الثاني
وكله ملك صحيح لسيدي [redacted]
[redacted]
[redacted] خار الله له دنيا
واخرى ولصحبه والعديه
وجميع احبته
الي العصمكي العلمي العلوي
ابن دنيا واخرى

داميش
داميش
داميش تبارك القلابس
هـ

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

السفر الأول من سراج الملوك

الحمد لله الذي لم يزل ولا يزال وهو الكبير المتعال
خالق الأعيان والآثار ومكور الليل على النهار والنهار
على الليل العالم بالخفيات وما ينطوي عليه الأرضون و
والسماوات سواء عنده الجهر والإسرار من هو مستخف
بالليل وسارب بالنهار ألا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير خلق الخلق بقدرته وأحكمهم بعلمه وخصصهم
بمشيئته ودبرهم بحكمته لم يكن له في خلقه معين
ولا في تدبيرهم مشير ولا ظهير وكيف يستعين من لم يزل
بمن لم يكن أو يستظهر من تقدس عن الأول بمن هو خلقه
تحت ذل التكوين ثم كلفهم معرفته وجعل علم العاجزين
لعجزهم عن إدراكه إدراكا لهم ومعرفة اعترافهم
بتقصيرهم عن شكره شكرا لهم كما جعل إقرار المعترفين
بوقوف عقولهم عن الإحاطة بحقيقته إيمانا لهم لا تلزمه لم
ولا تجاوره أين ولا تلاصقه حيث ولا تحله ما ولا تعده كم
ولا تحصره متى ولا تحيط به كيف ولا تناله أين ولا تظله فوق
ولا تقله تحت ولا يقابله حد ولا تزاحمه عند ولا تأخذه خلف
ولا تحده أمام ولا يظهره قبل ولم تفته بعد ولم تجمعه كل

شيء حي

ولم توجده كان ولم تفقده ليس ووصفه لا صفة له وكونه
لا أمد له لا تخالطه الأشكال والصور ولا تغيره الأيام والليالي
لا تجوز عليه المماسة والمقاربة وتستحيل عليه المحاذاة
والمقارنة فإن قلت لم يكن فيه سؤال لعلة لأنه ومن كان مع
معلول لا كان بغيره علة تماريه في الوجود وهو قبل جميع الأ
عيان بل لا علة لجميع أفعاله بقدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج
وصنعه للأشياء بلا علاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه
لصنعه فإن قلت أين هو ففيه سؤال المكان وجوده قبل الأ
الأين لم يتغير وجوده الذي أين هو بعد خلق المكان غني بنفسه
كما كان قبل خلق المكان وكيف يحل فيما منه بدأ أو يعود إليه ما
هو أنشأ فإن قلت ما هو فلا ماهية له وما موضوعة للسؤال
عن الجنس والقديم تعالى لا جنس له لأن الجنس مخصوص بمعنى داخل والقديم
تحت الماهية فإن قلت كم هو فهو واحد في ذاته منفرد في
صفاته فإن قلت متى كان ففيه سؤال الوقت كونه فإن قلت كيف
هو فمن كيف الكيف لا يقال له كيف ومن جازت عليه الكيفية
جاز عليه التغيير فإن قلت فهو باطن والأول وخلقه بل التزم
الكل الحدث كما قال بعض الأشياخ إن الفهم له مانع بلا في
جسم كظهور ما تعرض بين مده والنفي بلا ذات اجتماع في وقوف
وقوفها تمسكه والنفي بولعه وفيه يعرفه وقت والنفي بفهمه
غيره في الضرورة تقسمه والنفي الوهم يظفر به في التصور يرتقي
إليه ومراده محال إدراكه أين ومن كان له جنس كما لبسته كيف

وجوده لإثباته ومعرفته توحيده، وتوحيده لتنزيهه
من خلقه بما تصوره الأوهام فهو بخلاف ما تمثله
العيون ولا تخالطه الظنون ولا تتصوره الأوهام
ولا تحيط به الأفهام ولا يقدره الأنام ولا يحويه
مكان ولا يفارقه زمان ولا يحصيه أمد ولا يشفعه وتر
ولا يجمعه عدد فريد كرامته وبعده لا انه تقدّ علوه
من غير تنقل ومجيئه من غير تنزل هو الأول والآخر والـ
والظاهر والباطن القريب البعيد ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير واشهد له بالربوبية والوحـ
دانية وبما يشهد به لنفسه من الأسماء الحسنى
والصفات العلى والنعوت الأوفى لا إله إلا هو له الخلق والأمر تبارك
الله رب العالمين وآمن بالله وملائكته و كتبه ورسله
لا نفرق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون واشهد أن محمدا
عبده ورسوله المصطفى وأمينه المرتضى أرسله إلى كافة
الورى بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا صلى
الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين وأصحابه المنتخبين
أما بعد فإني لما نظرت في سير الأمم الماضية والملوك
الخالية وما وضعوه من السياسات في تدبير الدول والتزموه
من القوانين في حفظ النحل فوجدت ذلك نوعين أحكاما
وسياسات فأما الأحكام المشتملة على ما اعتقدوه من الحلال
والحرام والبيوع والأنكحة والإجارات والصلاة ونحوها والرسوم

الموضوعة

الموضوعة لها والحدود القائمة على من خالف شيئا منها
فأمر اصطلحوا عليه بعقولهم ليس على شيء منه برهان
ولا أنزل الله به من سلطان ولا أخذوه عن نبي يبروا ولا اتبعوا فيه
رسولا وإنما هو صادر عن خرافة البشر وسفه نفوس
الأصنام وعبدة الأنداد والأوثان وليس يجوز لأحد من خلق
الله تعالى أن يصنع من تلقاء نفسه مثالا لها وأشباهها وأما
السياسات التي وضعوها في التزام الملك للأحكام والذب
عنها والحماية لها وتعظيم من عظمها وإهانة من استهان
بها وخالفها فهي سياسة رائعة تحكي مبلغ العدل وحسن
السياسة وجمع القلوب عليها والتزام النصفة فيما بينهم
على ما توجبه تلك الأحكام وكذلك في تدبير الحروب وأمر السبل
وحفظ الأموال وصون الأعراض والحرم كل ذلك تجد سائرا
فيه بسيرة جميلة في نتائج العقول فتستنبط منها لو كانت الأصول
صحيحة والقواعد واجبة فكانوا في حفظ سيرتهم مع عطل
الأصول الفلسفية كمن زخرف كنيفا أو بنى على بيت قصرا
مشيدا ولولا ذلك لحماة فوق خبر لقال الناس بالأمر حيارى
فجمعت محاسن ما نصت عليه سيرتهم خاصة من ملوك
الطوائف وحكماء الدول فوجدت ذلك في ستة من الأمم وهم
العرب والفرس والروم والهند والسند والسند هند
وأما ملوك الصين وحكماؤها فلم يبلغ إلى أرض العرب
من كثير سياستهم شيء لبعد الشقة وطول المسافة وأما

من عاصرهم من الامم فلم يكونوا اهل حكم بارعة ولا
نافعة واهدار اثار فيه وانما صدر عنهم الشي اليسير من
الحكمة يتضمن ما اثبت في كتبهم من الحكم البالغة والسير
المستحسنة والكلمة اللطيفة والطريفة انما الموفقة والتنو
قبح الجهل والاثار النبيلة التي ما رويته وجمعته من سيرة الانبياء
صلى الله عليهم وفي اثار الاولياء ومراعات العلماء وحكمة
الحكماء ونوادر الخلفاء وما انطووا عليه القرآن العزيز
الذي هو بحر العلوم وينبوع الحكم ومعدن السياسات
ومغاصي الجواهر المكنونات لا اختص بلمحة دالة واشارة
خفية وان الكلام بالالفاظ بارعة وايات معجزة وهو
انقاذ من الضلالة والعماء فجاء بحمد الله نبيا وفضلا من الله
و[…] ترتيبا انيقا وترجمته تراجم بارعة […]
صدها وناطقة بحكمها ومضمونها فتح الباب من غير […]
وتشوق الناظر من غير ان يسئمه الالفاظ قوالب معانيها له
ليدرك الالفاظها الى السمع باسرع من معانيها الى القلب واسميت
الكتاب بحمد الله تعالى وعونه واحسانه […] باب […]
في فنونه واسبابه حقيقة المجمل كثير الفائدة لم تسبق الى مثله
اقلام العلماء ولا جالت فيه افكار الفضلاء ولا حوته خزائن
الملوك والرؤساء فلا يسمع به ملك الا استكتبه ولا وزير الا
استصحبه ولا رئيس الا استحسنه واستوسده عصمة لمن عمل
به من الملوك واهل الرياسة وجنة لمن تحصن به من الولاة والامراء

والسياسة

والسياسة وجمالا لمن تحلى به من اهل الادب والمحاضرة
وعنوانا لمن قام به من اهل العلم والسنة والمذاكرة
و[…] مراجع الملوك ليستغني الحكيم بما ادرجته
عن مباحثة الحكماء والملك عن مشاورة الوزراء واعلموا
وفقكم الله ان اهم ما اهديت اليه الحكم واوصلت اليه
النصائح وحملت اليه العلوم من ولاه الله سلطانا فنفذت
في الخلق احكامه وجازت عليهم قوله فان الحكم عصمة الملوك
والامراء ومعقل السلاطين والوزراء لانه يمنعهم من الظلم
ويردهم الى الحلم ويصدهم عن الاذاية ويعطفهم على الرعية
فمن حقهم ان يعرفوا حقه ويكرموا حملته ويستكتبوا
اهله وما توفيقنا الا بالله وهذه ابواب الكتاب وجعلتها
اربع وستون بابا الباب الاول في مراعاة الملوك
الباب الثاني في مقامات العلماء والصالحين
الباب الثالث فيما جاء في الولاة والقضاة
الباب الرابع في معرفة ملك سليمان بن داوود عليهما
السلام ووجه طلبه للملك وسؤاله ان لا ينبغي لاحد بعده
الباب الخامس في فضل الولاة والقضاة اذا عدلوا
الباب السادس في ان السلطان مع رعيته مغبون
غير غابن وخاسر غير رابح الباب السابع في بيان الحكمة
في كون السلطان في الارض الباب الثامن في منافع
السلطان ومضاره الباب التاسع في معرفة منزلة

السلطان من الرعية الباب العاشر في معرفة
خصال وردت الشرع بها فيها نظام الملك والدول
الباب الحادي عشر في معرفة الخصال التي هي
قواعد السلطان الباب الثاني عشر في معرفة الـ
الخصال التي زعم الملوك انها ازالت دولتهم وهدمت
سلطانهم الباب الثالث عشر في معرفة الصفا
ت التي زعم الحكماء انها لا تدوم معها مملكة في
الباب الرابع عشر في الخصال المحمودة من السلطان
الباب الخامس عشر في معرفة الخصال التي هي
ملاك امور السلطان الباب السادس عشر في معرفة
خير السلطان وشره الباب السابع عشر في معرفة خير
السلطان وشره الباب الثامن عشر في معرفة منزلة
السلطان من الغرباء الباب التاسع عشر في معرفة
خصال جامعة لامر السلطان الباب العشرون في معرفة
الخصال التي هي اركان السلطان الباب الحادي والـ
والعشرون في بيان حاجة السلطان الى العلم الباب
الثاني والعشرون في وصية امير المومنين علي بن ابي طالب
لكميل بن زياد في العلم الباب الثالث والعشرون
في معرفة العقل والدهاء والخب والمكر الباب الرابع
والعشرون في الوزراء وصفاتهم الباب الخامس والـ
والعشرون في الجلساء وادابهم الباب السادس
والعشرون

الباب الخامس عشر في معرفة الخصال التي هي بعز السلطان
الباب السادس عشر في معرفة الخصال التي هي ملاك امور السلطان

والعشرون في معرفة الخصال التي هي جمال السلطان
الباب السابع والعشرون في المشاورة والنصيحة
الباب الثامن والعشرون في الحلم ومحاسنه ومحمود
عواقبه الباب التاسع والعشرون فيما يسكن به الـ
الغضب الباب الثلاثون في الجود والسخاء الباب
الحادي والثلاثون في معرفة الشح والبخل وما يتعلق بهما
الباب الثاني والثلاثون في معرفة الصبر وجميل عواقبه
الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر ومحاسنه
الباب الرابع والثلاثون في بيان الخصلة التي هي بستان
الخصال الباب الخامس والثلاثون في بيان السيرة التي
يصلح عليها الامير والمامور وتسهل عليها صحبة ذوي
الخلائق اجمعين الباب السادس والثلاثون في معرفة
الخصلة التي هي جمال السلطان وشفاء الصدور وراحة غاية
القلوب وطيب النفوس الباب السابع والثلاثون في معرفة
الخصلة التي هي ملجأ الملوك عند الشدائد ومعقل السلا
طين عند اضطراب الامور وتغير الوجوه والاحوال الباب
الثامن والثلاثون في بيان الخصال الموجبة لذم الرعية
لسلطان الباب التاسع والثلاثون في مثل السلطان ن
الجائر والعادل الباب الاربعون فيما يجب على الرعية
اذا جار السلطان الباب الحادي والاربعون في كما تكو
نون يولى عليكم الباب الثاني والاربعون في بيان الـ

الخصلة التي بها تصلح الرعية الباب الثالث والاربعون
فيما يملك السلطان من الرعية الباب الرابع والاربعون
في التحذير من صحبة السلطان الباب الخامس والاربعون في صحبة
السلطان مع الجند الباب السادس والاربعون في سيرة السلطان
مع الجند في بيت المال الباب السابع والاربعون في سيرة السلطان
في استجباء الخراج والاموال الباب الثامن والاربعون في سيرة السلطا
ن في الدنيا ومن بيت المال الباب التاسع والاربعون في سيرة السلطا
ن في الدنيا ومن بيت المال وسيرة العمال الباب الخمسون في سيرة السلـ
السلطان في ذمته وبرائه واهل وفروض الخراج وسيرة العمال
الباب الحادي والخمسون في احكام اهل الذمة الباب الثاني
والخمسون في بيان الصفة المعتبرة في الولاة الباب الثالث
والخمسون في بيان الشروط والعهود التي توخذ على العمال
الباب الرابع والخمسون في هدايا العمال والرشا على الشفاعا
ت الباب الخامس والخمسون في معرفة حسن الخلق وحسن عواقبه
الباب السادس والخمسون في الظلم وشومه وسوء عواقبه
الباب السابع والخمسون في السعاية والنميمة وقبحهما
الباب الثامن والخمسون في القصاص وحكمته الباب التاسع
والخمسون في الفرج بعد الشدة الباب الستون في الشجاعة
وثمراتها الباب الحادي والستون في الحروب وتدبيرها الباب
الثاني والستون في القضاء والقدر واحكامهما الباب الثالث
والستون في الجامع الباب الرابع والستون مشتمل على حكم شتى

الباب الاول

الباب الاول في مواعظ الملوك نقولها من كلام حفظه من
الله تعالى الدنيا اعلم ايها العاقل وكلنا ذلك الرجل ان عقول
الملوك وان كانت كبارا مستغرقة بكثرة الاشغال فتستدعي من
الموعظة ما يتوجع عن تلك الافكار ويتغلغل في مكامن تلك الاسرار
فيرفع تلك الاستار ويجلي تلك الاكنة والاقفال ويصقل ذلك الصدا
والران قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل فوصف الله جميع الدنيا
بانه متاع قليل وانت تعلم انك ما اوتيت من ذلك الا قليلا من ذلك القليل
ان قنعت ثم نعت الله تعالى فهو لهو ولعب قال الله تعالى انما الحيوة
الدنيا لعب ولهو ثم قال عز من قائل وان الدار الاخرة لهي الحيوان
لو كانوا يعلمون فلا تتبع ايها العاقل لعبا قليلا يحول الا بقيا ما
لا تفنى وشبابا لا يبلى كما قال الفضيل لو كانت الدنيا ذهبا يفنى وكا
نت الاخرة خزفا يبقى لوجب ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف
وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى تامل بعقلك هل اتاك الله من الدنيا
ما اتى سليمان بن داود عليهما السلام حيث اتاه جميع ملك الدنيا
والجن والانس والطير والوحش والريح تجري بامره رخاء حيث اصاب
يعني حيث اراد ثم زاده ما هو اعظم منها فقال له هذا عطاؤنا
فامنن او امسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها
ولا حسبها رفعة ومنزلة كما حسبتموها بل قال عند ذلك هذا من فضل
ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبره ان يقول له ربه
تعالى في معرض المنة هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب ثم خاف
سليمان ان يكون استدراجا من حيث لا يعلم هذا وقد قال الخولاني

لهل الدنيا فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال
وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين تامل
بعقلك الى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كانت
الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة
ماء والق سمعك الى ما نزل به جبريل عليه السلام من عند الله
على محمد صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد ان الله تعالى يقول
لك عش ما شئت فانك ميت واحبب ما شئت فانك مفارقه واعمل ما
شئت فانك تجزى به فانظر الى ما اشتملت عليه هذه الكلمات
من سرعة الموت وفراق الاحبة والجزاء على الاعمال فلو لم ينزل
من السماء غيرها لكانت كافية انظر بعقلك الى ما رواه الحسن
البصري ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بمنزل قوم قد ارتحلوا منه
واذا الطابق مطروح فقال اترون هذا هان على اهله فقالوا من هوا
نه عليهم القوه فقال والذي نفسي بيده للدنيا اهون عند الله من
هذا على اهله فجعل الدنيا اهون على الله من الجيفة المطروحة
وقال ابو هريرة قال لي النبي صلى الله عليه وسلم الا اريك الدنيا
جميعا بما فيها فقلت بلى فاخذ بيدي واتى بي الى واد من اودية المد
ينة فاذا مزبلة فيها رؤوس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام
البهائم ثم قال يا ابا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص حرصكم وتا
مل امالكم ثم هي اليوم تصير عظاما بلا جلد ثم هي صائرة
رمادا وهذه العذرات الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبو
ها ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه

الخرق

الخرق البالية رياشهم ولباسهم ثم اصبحت والرياح تصفقها
وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها
اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا
حتى اشتد بكاؤنا وقال ابن عمر اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم ببعض جسدي فقال يا عبد الله كن في الدنيا كانك
غريب او كعابر سبيل واعدد نفسك في الموتى يا ايها الرجل ان كنت
لا تدري متى يفجاك الاجل فلا تغتر بطول الامل فانه يقسي القلوب
ويفسد العمل فقد عير الله تعالى اقواما مد لهم في الاجل فقست
قلوبهم فطال عليهم الامد فقال تعالى الم يان للذين امنوا ان
تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين
اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير
منهم فاسقون وانشدوا في المعنى
احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ... ولم تخف سوء ما ياتي به
القدر ... وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث
الكدر يا ايها الرجل الق الي سمعك وارعني لبك فان كنت لا تدري
فان كنت لا تدري ما الموت فاعلم انك لا تبقى الى اخر الدهر اين ادم
عليه السلام ابو الانام وليس الاخر اين نوح عليه السلام شيخ المر
سلين اين ادريس عليه السلام رفيع رتبة العليين اين ابراهيم عليه
السلام خليل الرحمن اين موسى عليه السلام روح الله وكلمته راس
الزاهدين وامام السائحين اين محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين
اين اصحابه الطاهرون اين الامم الماضية اين القرون السالفة

الكليم اين عيسى عليه السلام روح الله وكلمته راس

الخالية

أين القرون الماضية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان أين الذين
اغتروا بالجاه والسلطان أين أصحاب السطوة والولايات أين الذين
أين الذين خفقت على رؤوسهم الألوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش
والعساكر أين الذين عمروا القصور والدساكر أين الذين أعطوا
النصر في مواطن الحروب والمعارك أين الذين جابت لهم الفيافي والأد
والمغارب أين الذين تمتعوا بالملذات والمشارب أين الذين من ناهوا
عن الخلائق كبرا وعتيا أين الذين من راحوا في العز بكرة وعشيا أين الذين
اشتغلوا بالملاهي أثاثا ورئيا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم
أحسن أثاثا ورئيا أين الذين ملكوا ما بين الخافقين فخرا وعزا أين الذين
بنوا القصور حرزا وعزا أين الذين تضعضعت لهم الأرض هيبة
وهزا أين الذين استولوا قهرا ولزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع
لهم ركزا أفناهم مفني الأمم وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة
القصور وأسكنهم في ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فأصبحوا
لا ترى إلا مساكنهم فعاثت الدود في أجسادهم والخدود وبليت الأد
أبدانهم فسالت العيون على الخدود وامتلأت تلك الأفواه بالدود
وتساقطت الأعضاء وتمزقت الجلود وتناثرت اللحوم وتقطعت
البطون فلم ينفعهم ما جمعوا ولا أغنى عنهم ما كسبوا أسلمهم
الأحبة والأولياء وهجرهم الإخوان والأصدقاء وتنكر لهم الأقرباء والبعداء
فأصبحوا ولو نطقت لأنشدت قولها في سكان الثرى :.
:. مقيم بالحجون رهين رمس . وأهلي راحلون بكل وادي :.
:. تعرجوا أم السلام فإن أبيتم . فأدوا السلام على بعادي :.

فبان لكان العدا وصار خليل :. سوانا فلا تذكروا صبر الوداد في
وذا الحال إلا كان من خليل :. وأخره إلى يوم التناد في
فلو أنا بموقفكم وقفتم :. سقيتم الترب من دمع الفؤاد
وقال مكرم بن يوسف العابد أوحى الله تعالى إلى نبي من أنبياء بني
إسرائيل الرفق على العداوة والحصون بلغهم عني حرفين لا تأكلوا
إلا طيبا ولا تسلكوا إلا باطن وقال دخل يزيد الرقاشي على عمر بن
عبد العزيز فقال عظني يا يزيد فقال اعلم يا أمير المؤمنين أنك أول خليفة
تموت فبكى عمر فقال زدني فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم
إلا أب واحد ميت فبكى وقال زدني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس
بين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا عليه يا أيها الرجل لا تغفلن
عن ذكر ما تشتغل من خوف الفناء وتفضي البعاد وذهاب اللذات
وانقضاء الشهوات وبقاء التبعات وانقلابها حسرات وإن الدنيا
دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وبها يعادي
من لا علم عنده وعليها يحسد من لا فقه له من صح فيها سقم ومن سلم
فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب
وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب من طلبها فاتته ومن قعد
عنها أتته ومن نظر إليها أعمته ومن نظر فيها بصرته لا خيرها
يدوم ولا شرها يفنى وإنها لخلوق بفناء يا أيها الرجل لا تخدعن
كما خدع من كان قبلك فإن الذي أصبحت فيه من النعم إنما صارت إليك
إليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار إليك فلو بقيت
إليك بزائل الغالي لم تصل للجاهل ولو بقيت للأول لم تنتقل إلى الآخر

مغشيا

يا أيها الرجل لو كانت الدنيا كلها ذهبا وفضة ثم سلم عليك بها
بحلاوة والقيت إليك مقاليدها واملاكها بجمعها ثم كنت كهي في الموت
ما كان لك أن تهنأ بعيش وأنت فيها بزوال لا تغني فيها ولا يغني وهل
الدنيا إلا كما قال أزاور قد تغلى وكيف يغلي وكما قال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم ... فتبسمت عجبا ولم تبد بي
حتى مررت على الكنيف فقال لي ... أموالهم ونوالهم كل عندي

ولقد أصاب ابن السماك لما قال له الرشيد عظني وبيده إناء به
ماء فقال يا أمير المؤمنين أرأيت لو حبست عنك هذه الشربة أكنت
تفديها بملكك قال نعم فقال يا أمير المؤمنين فلو حبس عنك إخرا
جها أكنت تفديها بملكك قال نعم قال فما خير ملك لا يساوي شربة
ولا بولة يا أيها الشاب لا تغتر بمنشأ بدنك فإن أكثر من يموت الشباب كم
جدد في التنور أبو لهب وكم طفل في التراب وجده يحيى قال
علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأسقف في الإسلام عظني قال يا أمير
المؤمنين إن كان الله تعالى عليك غير خوف قال أحسنت زدني فقال
إن كان الله تعالى معك فمن تخاف قال أحسنت زدني قال أحسب أن
الله تعالى في عجزه ... اليسر وإنهم ثواب المحسنين قال
حسبي حسبي وبكى علي بها أربعين صباحا قال الحسين ...
صعصعة يعني عم الفرزدق على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه
يقرأ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال ...
حسبي لا أبالي أن لا أسمع آية غيرها وقال سفيان بن عبد الله لعمر
الصوفي عظني قال إن كنت عصيت الله تعالى تظن أنه يراك فلقد

اجترأت

فلقد

اجترأت على رب عظيم وإن كنت تظن أنه لا يراك فقد كفرت
برب كريم وكتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى سلمان
رحمه الله إنما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها ويقتل سمها فأعرض
عنها وما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما
تيقنت من فراقها وكن أسر ما تكون أحذر ما تكون لها فإن صاحبها كلما
اطمأن إلى سرور أشخص منها إلى مكروه وقال أبو العتاهية

هي الدار دار الأذى والقذى ... ودار الفناء ودار الغير
ولو نلتها بحذافيرها ... لمت ولم تقض منها الوطر
أيا من يؤمل طول الحياة ... وطول الحياة عليه ضرر
إذا ما كبرت وبان الشباب ... فلا خير في العيش بعد الكبر

ولقد بلغ من ذم الدنيا أفضل ما سمعت إليه همته وزفت إليه
أحسنه زينتها ونبذها وقال هذا سرور لولا أنه غرور ونعيم لولا
أنه عديم وملك لولا أنه هالك وغنى لولا أنه فتنة وجسيم لولا أنه
ذميم ومحمود لولا أنه مفقود ومنال لولا أنه علل وارتفاع لولا
أنه اتضاع وعلا لولا أنه بلا وحسن لولا أنه حزن وهو يوم لو
وثوله بعد يا أيها الرجل لا تكن كالمنخل يرسل ما فيه ويمسك
الحثالة واعلم أنه من قسا قلبه لا يقبل الموعظة وإن كثرت ولا بد له
قال الله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى
ويريكم آياته لعلكم تعقلون ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي
كالحجارة أو أشد قسوة ولذا كثرة الذنوب مانعة من قبول
الحق للقلوب وولوج المواعظ فيها قال الله تعالى كلا بل ران على

قلوبهم ما كانوا يكسبون أي غطا عليها وغشيها فلا تقبل الحق
ولا تصغي لموعظة جاء في التفسير إذا أذنب العبد نكت في قلبه
نكتة سوداء حتى يسود القلب وقال حذيفة القلب كالكف فإذا
أذنب العبد انقبض وقبض أصبعا ثم إذا أذنب انقبض وقبض
أصبعا آخر ثم كذلك الثالث والرابع حتى ينقبض الكف كله ثم
يطبع عليه فذلك الران وقال بكر بن عبد الله إذا أذنب العبد
صار في قلبه كوخز الإبرة ثم كلما أذنب صار فيه كوخز الإبر حتى يعود
القلب كالمنخل وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب
وقال ابن منبه إذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام وإذا كان
القلب مغرما بحب الدنيا لم تنفعه الموعظة وقيل فيه
إذا فسد القلب لم تنفعه موعظة كالأرض إن سبخت لم ينفع المطر
ويروى أن أبا العتاهية تزهد وكان الوزان فإذا كتب فيه بيت من الشعر
وهو: لن ترجع الأنفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر
فقال من هذا قيل أبو نواس فقال وددت أنه لي بنصف شعري قال ربما
صعقني أن النعمان بن امرئ القيس الذي بنى الخورنق أشرف على الخورنق
يوما فأعجبه ما أوتي من الملك والسعة من الدنيا ونفوذ الأمر وإقبال
الوجوه عليه فقال لأصحابه هل أوتي أحد مثل ما أوتيت فقال
له حكيم من حكمائه أهذا الذي أوتيت شيء لم يزل ولا يزول أم شيء
كان لمن كان قبلك زال عنه وصار إليك قال بل شيء كان لمن كان قبلي زال عنه
وصار إلي وسيزول عني قال فسررت بشيء تذهب عنك لذته وتبقى تباعته
عليك قال فأين المهرب قال إما أن تقيم وتعمل بطاعة الله تعالى وإما

وتلبس

وتلبس أمساحا وتخرج تجول في هذه الأرض وتعبد ربك حتى يأتيك
الموت قال فإذا فعلت ذلك فما لي قال حياة لا تموت وشباب لا يهرم
وصحة لا تسقم وملك جديد لا يبلى قال فأي خير فيما يفنى والله لأطلبن
عيشا لا يزول أبدا فانخلع من ملكه ولبس الأمساح وساح في الأرض
وتبعه الحكيم وجعلا يسيحان ويعبدان حتى ماتا وفيه يقول عدي
ابن زيد:

وتبين رب الخورنق إذ أشرف يوما وللهدى تفكير
سره ملكه وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه وقال فما غبطة حي إلى الممات يصير
أين كسرى كسرى الملوك أنوشروان أم أين قبله سابور
وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور
ثم بعد رب المنون فجاء الملك عنه فبابه مهجور

وفيهم يقول الأسود بن يعفر

ولقد علمت سوى الذي نبأتني أن السبيل سبيل ذي الأعواد
ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد إياد
أرض الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد
نزلوا بأنقرة يسيل عليهم ماء الفرات يجيء من أطواد
أرض تخيرها لطيب مقيلها كعب بن مامة وابن أم دؤاد
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد
فأرى النعيم وكلما يلهى به يوما يصير إلى بلى ونفاد

وقال وهب بن منبه أصاب على عهد داود في قصر سيف مرمى بين ما

فعل

اللهم صل على الحبيب محمد وآله

بأرض صنعاء اليمن وكان من الملوك الجلة مكتوب بالقلم المسند فترجم بالعربية فإذا هي أبيات جليلة وموعظة عظيمة

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم … غلب الرجال فلم تنفعهم القلل

واستنزلوا من أعالي عز معقلهم … فأسكنوا حفرا يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا … أين الأسرة والتيجان والحلل

أين الوجوه التي كانت منعمة … من دونها تضرب الأستار والكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم … تلك الوجوه عليها الدود تقتتل

قد طال ما أكلوا دهرا وما شربوا … فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

قرئ على القاضي ابن الربيع رحمه الله وأنا أسمع لبعض الشعراء

وعظتك أجداث صمت … ونعتك أزمنة خفت

وأرتك قبرك في القبو … ر وأنت حي لم تمت

...

وعظتك يا أصداء ما شاني … كان عقلي عقل نشوان

الموت هو في علمي نازل … فيستوي عندي الشيخ والشبان

قد كنت ذا مال وأولاد وأنتم … أعطاني المال وأغناني

ما فرق العمر به ساعة … لا تذكرن فأسيان

علمي بأن صابر للبلى … وفاقد أهلي وجيران

ونار حمل على حاله … نهبا للشيطان من شيطان

أما ترى في الصور فإنه … أجمع المال لأخوان

لزوجة ابنو ولزوج ابنتي … بالأمر غنم وخسران

وتالله أغبط من داود … ينعم فيه زوجة الثاني

يسعد بما لي وأشقى به … قوم ذوو أغلال وأشجان

أراهم سيروا كان لهم أجله … وخف من ذلك ميزان

ومما تشبه من أبناء الملوك في رفض الدنيا وفناها وتقضيها

وزوالها

طرخ

اللهم صل على الحبيب

اللهم صل على الحبيب

وزوالها إبراهيم بن أدهم بن منصور من أبناء ملوك خراسان من كورة بلخ ولما زهد في الدنيا زهده عرضها بين يدي أنا إبراهيم بن بشار سألت إبراهيم بن أدهم كيف كان بدء أمرك حتى صرت إلى هذا

قال غير هذا أولى بك فقلت يرحمك الله لعل الله ينفعني به يوما ثم سألته ثانية فقال اشتغل بالله سبحانه ثم سألته ثالثة

فقلت أرأيت يرحمك الله إن أخبرتني لعل الله ينفعني به فقال

كان أبي من ملوك خراسان وكان من الفتيان وكان حبب إلي الله الصيد فبينا أنا راكب فرسا وكلبي معي فأثرت ثعلبا أو أرنبا

فحركت فرسي فسمعت نداء من ورائي يا إبراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت يمينة ويسيرة فلم أر أحدا فقلت

في نفسي لعن الله الشيطان ثم حركت فرسي فسمعت نداء أقوى من ذلك

يا إبراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت فنظرت

أنظر يمينة ويسيرة فلم أر شيئا فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت

فرسي فسمعت من قربوس سرجي يا إبراهيم ليس لهذا خلقت ولا

بهذا أمرت فوقفت وقلت نبهت جاءني النذير من رب العالمين

والله لا عصيت ربي بعد يومي هذا فتوجهت إلى أهلي وخليت فرسي

وجئت إلى بعض رعاة أبي فأخذت جبته وكساءه وألقيت إليه

ثيابي فلم تزل أرض ترفعني وأرض تضعني حتى صرت إلى العراق

فعملت بها أياما فلم يصف لي شيء من الحلال فسألت بعض

المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت إلى مدينة

يقال لها المنصورية وهي المصيصة فعملت بها أياما فلم

ما عصيت

نعم صلى على الحبيب ...

يصيب شيئا من الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان
اردت الحلال فعليك ببحر سويس فان الصيادين به والعمل
كثير قال فبينا انا قاعد على باب البحر اذ جاءني رجل كهل
فاستأجرني ان انظر له بستانا فتوجهت معه فكنت في البستان
اياما كثيرة فاذا الخادم قد اقبل ومعه اصحابه ولو علمت
ان البستان للخادم ما نظرته فقعد في مجلسه ثم قال يا ناظورنا
فاجبته قال امض هات فاتنا برمان اكبر رمان تقدر عليه واطيبه
فاتيته برمان فاخذ الخادم رمانة فكسرها فوجدها حامضة
فقال يا ناظورنا انت منذ كذا وكذا في بستاننا تاكل
فاكهتنا ورماننا لا تعرف الحلو من الحامض قلت والله ما
اكلت من فاكهتكم شيئا ولا نعرف الحلو من الحامض فقال الخادم
لاصحابه اما تعجبوا من هذا ثم قال لو كنت ابراهيم بن
ادهم ما زاد على هذا فلما كان من الغد حدث الناس في المسجد
بالقصة فجاء الناس عنقا الى البستان فلما رايت كثرة
الناس اختفيت والناس داخلون وانا هارب منهم وكان ابراهيم
ابن ادهم ياكل من عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين والعمل
في الطين وكان يوما يحفظ كرما فمر به جندي فقال اعطنا من هذا
العنب فقال ما امرني به صاحبه فاخذ يضربه بالسوط وطأطأ
راسه وقال اضرب راسا طالما عصى الله فاعجز الرجل
ومضى وقال سهل بن ابراهيم صحبت ابراهيم بن ادهم
فمرضت فانفق علي نفقته فاشتهيت شهوة فباع حماره

وانفق

١٦

وانفق علي فلما تماثلت قلت اين الحمار يا ابراهيم قال بعناه
قلت فعلى ماذا اركب قال يا اخي اركب على عنقي قال فحملني ثلاثة
منازل وانشدوا

ايها القراء في بلاد الحجر هائج موجه فلا تأمنوها
وسبيل النجاة فيها مبين وخذوا الكفاف والقوت منها

وبلغني ان بلد تهنن يوما يخرج الناس فيه الى البرية فلا يبقى في البلد
بشر من صغير وشيخ كبير ومولود صغير وهذا اليوم يكون بعد انقراض
مائة سنة من يوم مشهود فاذا اجتمع الخلائق في صعيد واحد نادى
صاحب المملكة لا يصعد هذا الحجر المنصوب الا من حضر هذا — منادى
المجتمع الذي قبله قبل مائة سنة فيجاء بالشيخ الهرم الذي قد
ذهبت قوته وعمي بصره وفني شبابه او يجيء بالعجوز ... سنها
... وقد انحنى ظهرها عليها او بعالم يجرا اخذا وقد فني العمر
كاملا بالبلد فيصعد من بقي على الحجر ويقول الشيخ العالم حضرت الجمع
انا وعندي مائة سنة وانا طفل صغير وكان رئيس البلد فلانا ويصف الجيوش
الماضية واسماء الخالية وكيف تجتمع البلاد وصاروا تحت الطباق
الثرى ويقوم خطيبهم فيعظ الناس ويذكرهم بي عند الموت
وحسرة الفوت ويتوبون من المظالم ويكثرون الصدقات ويخرجون
النفقات ويطلبون ملة للامة وقال وهب من منبه ...
رجل بعض الرهبان سبعة ايام يستفيد منه شيئا فوجده مشغولا
عند ذكر الله تعالى والفكر لا يفتر ثم التفت اليه في اليوم السابع
ثم قال يا هذا قد علمت ما تريد حب الدنيا راس كل خطيئة

والزهد فيها رأس كل خير والتقوى مفتاح كل خير فاحذروا رأس كل
خطيئة وارغبوا في رأس كل خير وتضرعوا إلى ربكم في أن يهب لكم مفتاح
كل خير قال بعض الأعراب [illegible] قال كان جدي رجلا من الحكماء فشبه
الدنيا بسبعة أشياء شبهها بماء الملح يغر ولا يروي وبسحاب الصيف
تغر ولا تنفع وبظل الغمام يغر ويخذل وبزهر الربيع ينضر ثم ييبس
فتراه هشيما وبأحلام النائم يرى السرور في منامه فإذا انتبه فلا
يجد في يده شيئا إلا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الزعاف يغر ويقتل
فتدبرت هذه الأحرف السبعة سبعين سنة ثم زدت فيها حرفا واحدا
فشبهتها بالغول التي تهلك من أجابها وتترك من أعرض عنها فرأيت
جدي في المنام فقال يا بني أنت مني وأنا منك هي والله كالغول
التي تهلك من أجابها وتترك من أعرض عنها قلت فبأي شيء
يكون الزهد في الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر بالفكر
والفكر بالعبر ثم وقف الراهب فقال خذها مني ولا أراك تخلفني إلا
متحرجا الفعل [illegible] فكان ذلك آخر العهد به قلت فوصف
الله تعالى الدنيا وأهلها بصفة أعم من هذه الصفات فقال اعلموا
أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال
والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا
ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان والكفار هاهنا
الزراع يقول أولا تتخضر بالعطش [illegible] بعد الأرض بعد يبسها
[illegible] ما يكون ثم يهيج فتراه مصفرا ويبس وينتشر [illegible]
[illegible] ثم يدرس فيكون حطاما في [illegible] مكسرا منقطعا

وهذا مثل

وهذا مثل ضربه الله تعالى لبني آدم إذ كانوا أطفالا أو أولادا
في حال الطفولية فيكونون في أحسن صورة يعجبون الآباء ويبقون دون
الاحتلام والنهى ثم يكبرون ويصيرون شيوخا منكسة رؤوسهم معوجة
ظهورهم قد ذهب حسنهم ونعمتهم وفني شبابهم وجمالهم وذ
ذهب نضارتهم ونعمتهم واستولى عليهم الهرم واليبس ثم يموتون
فيصيرون حطاما في القبور كأن لم تغن بالأمس هذا معنى ما وصفها الله تعالى
بخمس صفات مذمومة لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر وكان
الصدر الأول يسمون الدنيا الخنزيرة ولو وجدوا اسما أقبح منها لسموها — يعني برّح
به وكانوا يسمونها أم دفر والدفر النتن وقال مالك بن دينار بلغني
أن ملكا من ملوك بني إسرائيل ركب يوما في زي عظيم فتشوف له الناس
ينظرون إليه أفواجا حتى مر برجل يعمل شيئا مكبا عليه ولا يلتفت
إليه ولا يرفع رأسه نحوه فوقف الملك عليه وقال كل الناس ينظرون
إلي إلا أنت فقال الرجل إني رأيت ملكا مثلك وكان على هذه القرية فمات
هو ومسكين في يوم واحد وكنا نعرفهما في الدنيا بأجسا
دهما ثم كنا نعرفهما بقبريهما ثم نسفت الريح قبريهما وكشف
وكشفت عظامهما فاختلطت عظامهما فلم أعرف الملك من
المسكين فلذلك أقبلت على عملي وتركت النظر إليك وروي أن
داود عليه السلام بينما هو يسيح في الجبال إذ وقف على غار فنظر
فإذا فيه رجل وهو خلق عظيم من بني آدم وإذا عند رأسه حجر مكتوب — حجر مكتوب
بكتاب [illegible] أنا [illegible] ملكت ألف عام وفتحت
ألف مدينة وهزمت ألف جيش وافترعت ألف بكر من بنات الملوك

ثم صرت الى ما ترى فصار التراب فراشي والحجر وسادي فمن رأى
داري فلا تغره الدنيا كما غرتني وقال وهب بن منبه خرج عيسى
عليه السلام ذات يوم مع أصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع
قد أمكن من الفرك فقالوا يا نبي الله إنا جياع فأوحى الله تعالى إليه أن ائذ
ن لهم في قوتهم فتفرقوا في الزرع يفركون ويأكلون
فبينما هم كذلك إذ جاء صاحب الزرع وهو يقول زرعي وأرضي ور
ورثتها عن آبائي فبإذن من تأكلون يا هؤلاء قال فدعا عيسى
عليه السلام ربه تعالى فبعث الله سبحانه جميع من ملك تلك الأرض
من لدن آدم عليه السلام الى ساعته فإذا عند كل سنبلة أو ما
شاء الله رجل أو امرأة كلهم ينادي زرعي وأرضي ورثته
عن آبائي ففزع الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى عليه
السلام وهو لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة إليك يا رسول
الله إني لم أعرفك زرعي ومالي لك حلال فبكى عيسى عليه
السلام فقال ويحك هؤلاء كلهم قد ورثوا هذه الأرض و
عمروها ثم ارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس
لك أرض ولا مال وقال أبو العتاهية

وعظتك أجداث صُمُتْ ... ونعتك ألسنة خُفُتْ
وتكلمت عن أوجه تبلى ... وعن صُوَرٍ سُبُتْ
وأرتك قبرك في القبور ... وأنت حي لم تمت
يا شامتا بمنيتي ... إن المنية لم تفت
ولربما انقلب الشمات ... فحل بالقوم الشُّمُت

وروى

[illegible] عيسى

ورُوي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما زار قبر فاطمة
رضي الله عنها مسحها بثوبه وبكى حتى رثا له ثم قال

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وإن الذي دون الممات قليل
أرى علل الدنيا علي كثيرة ... وصاحبها حتى الممات عليل
وإن افتقادي واحدا بعد واحد ... دليل على أن لا يدوم خليل

وقال رضوان الله تعالى عليه

ألا أيها الموت الذي ليس تاركي ... أرحني فقد أفنيت كل خليل
أراك بصيرا بالذين أحبهم ... كأنك تنحو نحوهم بدليل

ولما نفض يده من تراب قبرها تمثل يقول رضي الله عنه

أقول وقد فاضت دموعي جمة ... أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب
أخلاي لو غير الحمام أصابكم ... عتبت ولكن ما على الموت معتب

وقال بعضهم رحمه الله

وما غنا الحذار ولا اشفاق ... ونشايب دمع المهراق
فلئن للعرفة من والي تلق ... سوف افنا جد على الافاق
إنما ما بعثنا ويتيسر من ... بين شخصيكما بسهم الفراق
غرض هذا أن يعوق المناضل ... وعراها فلا يني الاغلاق
نحن صنفين فنعا باجتماع ... ثم صار فيه بين وافتراق
لو يدوم البقاء للخلق لكن ... لم يدم وافر البقاء للخلاق

وأنشد بعض الأدباء رحمه الله تعالى

أيسعدني يا أخي سلوان ... وإن تبدل من ربه هذا الزمان
وأعلم أن بقيتما أن تجملا ... سوف يلقاكما فتعترفان

وفاة الاسكندر قال ارسطاطاليس ايها الملك لقد حركنا بسكونه وقال بعض الحكماء من اصحابه كان الملك امس انطق منه اليوم وهو اليوم اوعظ منه امس نظمه ابو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم اني ... نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات ... وانت اليوم اوعظ منك حيا

ووجد على قبر مكتوب

وقفنا بعزنا من قبلنا ... ثم صرنا للناظرين اعتبارا

وقال عبد الله بن المعتز رحمه الله تعالى

نسير الى الآجال في كل ساعة ... وايامنا تطوى وهن مراحل
ولم ار مثل الموت حقا كانه ... اذا ما تخطته الاماني باطل
وما اقبح التفريط في زمن الصبا ... فكيف به والشيب في الراس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك ايام تعد قلائل

وقال ابو الدرداء لاهل الشام قال يا اهل الشام اسمعوا قول اخ ناصح فاجتمعوا عليه فقال ما لي اراكم تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون ان الذين من قبلكم بنوا مشيدا واملوا بعيدا وجمعوا كثيرا فاصبح املهم غرورا وجمعهم بورا ومساكنهم قبورا وروي عن الحافظ قال وجد مكتوب في حجر ابن آدم لو رايت يسير ما بقي من اجلك لزهدت في طول ما ترجو من املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت عن حرصك وحيلك

وانما

وانما يلقاك غدا ندمك وانصرف عنك اهلك وحشمك وتبرا منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا انت في عملك زائد ولا الى اهلك عائد وقال ابن الجوزي بلغني ان الحواريين قالوا لعيسى ابن مريم عليهما السلام فقالوا يا روح الله ادع الله لنا ان يخرج لنا احدا قد هلك ونحن نسال عنه فقال تعرفون قبره قالوا نعم فذهب معهم فاتينا قبره فقالوا هذا هو فدعا الله سبحانه فاخرج كهلا فاذا هو لم يزد على قبره ثم دلوه على قبر آخر فدعا ان يخرج فاذا هو قائم فلزمناه وسلمنا عليه ثم قلنا يا نبي الله يا معلم الخير ادع الله تعالى ان يصحبه معنا قال كيف ادعوا ولم يبق له رزق يعيش به ثم رده وانصرف وانشد بعض الادباء

واسمعني من وراء قوم ... هم القطا بيع والحصون
والعز والعد والنوالة ... والامر والخفض والسكون
لم تنقض بنا الليالي ... حتى توفتهم المنون
فكل قبر لنا قلوب ... وكل ماء لنا عيون

وروي ان النعمان بن المنذر خرج متنزها ومعه عدي بن زيد فمروا بشجرة فقال عدي ايها الملك اتدري ما تقول هذه الشجرة قال لا قال انها تقول

من رآنا فليحدث نفسه ... انه موف على قرن الزوال
وصروف الدهر لا يبقى لها ... ولما تاتي به صم الجبال
رب ركب قد اناخوا حولنا ... يمزجون الخمر بالماء الزلال
والاباريق عليها فدم ... وجياد الخيل تجري بالجلال

عمرو القوم بعيش حسن امنوا هم غير عجلان
عقب الكرام عليهم فتوا وكذا الكرام هم حلوا بعدهم ال
قال ثم جاوز الشجرة فمررنا بمقبرة فقال له عدي ابن المطلب اتدرون
ما تقول هذه المقبرة فقلنا لا قال انها تقول
ايها الركب المخبتون على الارض المجدونا
كما انتم كذا كنا كما نحن تكونونا
وقال الشعراء قد علمت ان الشجرة والمقبرة لا تتكلمان وعلمت انه
انما اراد موعظتي فجزاه الله عني خيرا فما السبيل التي تدرك بها
النجاة قال تدع عبادة الاوثان وتبتهل بوحدانية واخرج الى جا
جنتها وقال عبد الله بن المعتمر خرجنا من المدينة حجاجا
فلما كنا بالروثية نزلنا فوقف بنا رجل عليه ثياب رثة له منظر
وهيبة فقال من يطعم جائعا فاسمعنا فقلت دونك هذه الفرنة قال
خذها فانطلق فلم يلبث ان يسير حتى اقبل وقد امتلات اثوابه نبقا
فوضعها لي العسر وانطلق ثم قال انتم غيرها افلقاها والحمنا الا
فرطا بارك الله فيك وحمد الله سبحانه وشكره ثم اعتزل وقعد يأكل الاكل
جائع وقد ركبني عليه الرافة فبعثت اليه بطعام كثير فقلت قد علمت
انه لم يقع منك الفرص بموضع فدونك فنظر وجهي وتبسم وقال
يا عبد الله انما هي جوزة جوع فما ابالي باي شيء رددتها عني
فرجعت عنه فقال لي رجل الى جنبي اتعرفه قلت لا قال انه رجل من
بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب كان يسكن البصرة فتاب
فخرج منها فقد عرفه لما زهد فوقع به على خير ما عنى قوله ثم تبعته به

وانشده

وانشده وقلت هل لك ان تعاودني فما زدني فيما من اجلنا خيرا انه
خيرا وقال الواردات هذا الكلام بعد ثم انشر التي وجعل يحدثني فقال
انا رجل من ولد العباس كنت اسكن بالبصرة وكنت ذا كبر شديد وبذخ
وانه امرت خادما لي ان يحشو لي فراشا من حرير ومخدة من ورد نيس
ففعلت فبينا انا نائم اذ بقمع وردة قد اغفلته الخادم فقمت
اليها فاوجعتها ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج القمع من
المخدة فاتاني ات في منامي في صورة فظيعة فهزني وقال افق
من غشيتك ابصر من حين ذلك ثم انشا يقول

يا خد انك ان توسد لينا وسدت بعد الموت صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت فزعا مرعوبا فخرجت من ساعتي هاربا الى ربي كما ترى
فاعجبني قوله وقال عبد الواحد بن زيد ان في خراب الابلة دار
رابه مجنونة تنطق بالحكمة فلم ازل اطلبها حتى وجدتها بخربة
جالسة على حجر وعليها جبة صوف وهي محلوقة الراس فلما نظرت
الي قالت مرحبا ان اكلمها مرحبا بك يا عبد الواحد فقلت لها رحب
الله بك وعجبت من معرفتها بي ولم ترني قبل ذلك وقالت ما الذي جاء
بك ها هنا فقلت جئت لتعظيني فقالت واعجبا الواعظ يوعظ ثم
قالت يا عبد الواحد اعلم ان العبد اذا كان في كفاية ثم مال الى الدنيا
سلبه الله تعالى حلاوة الزهد ويظل حيرانا والها فان كان له عند الله
نصيب عاتبه في سره فقال عبدي اردت ان ارفع قدرك عند ملائكتي
وحملة عرشي واجعلك دليلا لاوليائي واهل طاعتي في ارضي

بورجه
مضجعي
الجندل
اثوابه

جملت التي عوض من اعراض الدنيا فورثتها بعزة لذا الوحشة بعد الانس والذل بعد العز والفقر بعد الغنا عبرة ارجع الى ما كنت عليه ارجع الى ما كنت تعرفه من نفسها قالت ثم تركتني ووليت عني وانصرفت عنها وبقلبي حصرة منها وانشدوا

انما الدار لها مدة ... يفعل فيها عمل العامل
اما ترى الموت محيطا بها ... يقطع فيها امل الامل
وتعجل الذنب لما تشتهي ... وتامل التوبة من قابل
والموت ياتي بعد ذا غفلة ... ماذا بفعل الحازم العاقل

ولما نزل سعد بن ابي وقاص الحيرة قيل له هاهنا عجوز من بنات الملوك يقال لها الحرقة بنت النعمان بن المنذر وكانت من اجمل عقائل العرب وكانت اذا خرجت الى بيعتها نشرت عليها الف قطيفة خز وديباج ومعها الف وصيف ووصيفة فارسل اليها فجاءت كالشن البالي وقالت يا سعد كنا ملوك هذا المصر قبلك يجبى الينا خراجه ويطيعنا اهله مدة من المدة حتى صاح بنا صائح الدهر فشتت ملا ملكنا والدهر ذو نوائب وصروف فلو رايتنا ايامنا لارعدت فرائصك فرقا منا فقال لها يا سعد ما انعم ما تنعمتم به قالت سعت الدنيا علينا وكثرت الاصوات اغاثة عونا ثم انشأت تقول

فبينا نسوس الناس والامر امرنا ... تقلبت تارة بها وتنصرف
فتبا لدنيا لا يدوم نعيمها ... اذا اغرتهم سوفه تتنصف

ثلاثات

ثم قالت يا سعد انه لم يكن اهل بيت بحيرة الا والدهر يعقبهم غيرة حتى باتوا امر الله على الغرتين فاكرمها سعد وامر بردها فلما ارادت الـ

القيام

القيام فقالت يا سعد لا ازال الله عليك نعمة ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا ازال عن كريم حرمة ولا نزع عن عبد صالح نعمة الا جعلك سببا الى ردها عليه وبعضهم

من كان يعلم ان الموت مدركه ... والقبر مسكنه والبعث مخرجه
وانه بين جنة تسعده ... يوم القيامة او نار ستنضجه
فكل شيء سوى التقوى به سمج ... وما اقام عليه منه اسمجه
ترى الذي اتخذ الدنيا له وطنا ... لم يدر ان المنايا سوف تزعجه

وروي ان عيسى عليه السلام كان مع صاحب له يسيحان فاصابهما الجوع وقد اتيا الى قرية فقال عيسى عليه السلام لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وقام عيسى عليه السلام يصلي فجاء الرجل بثلاثة ارغفة وابطا عليه انصراف عيسى عليه السلام فاكل رغيفا فانصرف عيسى عليه السلام فقال اين الرغيف الثالث فقال ما كانا الا رغيفين فمرا على وجوههما حتى مرا بظباء فدعا عيسى عليه السلام ظبيا فذبحه فاكلا منه ثم قال عيسى عليه السلام قم باذن الله الذي يحيي الموتى واذا هو يشتد فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذي اراك هذه الاية من صاحب الرغيف قال ما كانا الا اثنين فمضيا على وجوههما فمرا بنهر عجاج عظيم فاخذ عيسى عليه السلام بيده فمشيا به على الماء حتى جاوزا الماء فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذي اراك هذه الاية من صاحب الرغيف قال ما كانا الا اثنين فخرجا حتى اتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب

مثقال من ذهب ثلاث فقال الرجل هذا المال فقال عيسى عليه
السلام اجعل هذا المال اجعل واحدة لك وواحدة لي وواحدة
لصاحب الرغيف فقال الرجل انا صاحب الرغيف فقال عيسى
عليه السلام هي لك كلها وفارقه فاقام هو عليها ليس معه من
يحملها عليه فمر به ثلاث نفر فقتلوه واخذوا اللبن فقال اثنان
منهم لواحد منهم انطلق الى القرية ايتنا بطعام فذهب وقال
احد الباقين للاخر تعال نقتل هذا اذا جاء ونقسم المال بيننا
قال الاخر نعم وقال ايضا الذي جاء في نفسه اجعل في الطعام سما
فاقتلهما واخذ المال كله فجعل فلما جاء قتلاه واكلا ذلك
الطعام فماتا فمر بهم عيسى عليه السلام وهم ثلاثة حولها
مصروعون فقال هكذا تفعل الدنيا باهلها وقال عبد الملك
ابن عمير رايت في هذا القصر عجبا رايت راس الحسين بن علي رضوان الله
عليهما على ترس مصنوع بين يدي زياد ثم راس ابن زياد بين يدي المختار
المختار ثم رايت راس المختار بين يدي مصعب ثم رايت راس مصعب ابن
الزبير بين يدي عبد الملك بن مروان وقال ابن الاصمعي لما زخرف الرشيد
محل السند وتخير فيها وزينها وصنع فيها طعاما كثيرا ارسل الى ابي
العتاهية وقال صف لي ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال

عش ما بدا لك آمنا ... في ظل شاهقة القصور
يسعى عليك بما اشتهيت ... لدى الرواح وفي البكور
فاذا النفوس تقعقعت ... في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا ... ما كنت الا في غرور

فبكى

فبكى هرون الرشيد عند ذلك حتى كاد يموت وحتى رحمه
من كان حوله فقال الفضل بن يحيى بعث اليك امير المومنين
لتسره فاحزنته فقال هرون دعوه فانه راءانا في عمى فكره
ان يزيدنا عمى ويروى ان سليمان بن عبد الملك لبس افخر ثيابه
ومس الطيب ونظر في المراة فاعجبته نفسه وقال
انا الملك الشاب وخرج الى الجمعة وقال لجارية كيف ترين فقالت

انت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير ان لا بقاء للانسان
ليس فيما بدا لنا منك عيب ... عابه الناس غير انك فان

فاعرض بوجهه ثم خرج فصعد المنبر وصوته يسمع اخر المسجد
فركبته الحمى فلم يزل صوته ينقص حتى ما يسمعه من حوله فصلى
ورجع بين اثنين يسحب رجليه فلما صار على فراشه قال للجارية
ما الجارية ما التي قلت في صحن الدار وانا خارج فقالت ما رايتك
ولا قلت لك شيئا واذن لي بالخروج الى اهلي فقال انا لله
وانا اليه راجعون نعيت والله الي نفسي ثم عهد عهده واوصى
وصيته فلم تات عليه الجمعة الا وهو في قبره وجد مكتوبا
على باب قصر سيف بن ذي يزن

من كان لا يطا التراب برجله ... يطا التراب بصفحة الخد
من كان بينك في التراب وبينه ... شبران كان بموضع البعد
لو بعثرت للناس اطباق الثرى ... لم يعرف المولى من العبد

وروي ان الاسكندر مر بمدينة قد ملكها سبعة املاك وبادوا
فقال هل بقي من نسل الملوك الذين ملكوا هذه المدينة احد

قالوا رجل يكون في المغاير يتعبد فاتاه الملك فقال له ما الذي الجاك
الى لزوم المغاير فقال اني رايت ان اعزل عظام الملوك من عظام
عبيدهم فوجدتها سواء لا تتميز فقال اهل الدار تتبعني
فاحبيك بشرف الدنيا ابدا ان كانت لك همة قال ان همتي لعظيمة
ان كانت بغيتي عندك قال ما بغيتك قال حياة لا موت فيها
وشباب لا هرم معه وغنى لا يتبعه فقر وسرور لا يتبعه مكروه
قال الاسكندر لا اقدر على هذا قال فامض لشانك
وخلني اطلب بغيتي ممن هي عنده فقال الاسكندر هذا
احكم من رايت وقال الهيثم بن عدي وجدوا في غار في جبل
لبنان زمن الوليد بن عبد الملك رجل مسجى على سرير من ذهب
وعند راسه لوح من ذهب مكتوب بالرومية انا سبا بن نواس
خدمت عيصو ابن اسحاق ابن ابراهيم خليل الرحمن [illegible] الاكبر
وعشت بعده دهرا طويلا ورايت عجائب كثيرة فلم ار في كل
ما رايت اعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع ابائه
ويقف على قبور احبابه ويعلم انه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد
علمت ان الاجال والجهات تسير بالمرء عن سريره ويتبدل له
ذو ذوجين يفني الزمان ويتلف الصبيان ويبتر الحدثان فمن ادرك هذا
الزمان عاش قليلا ومات ذليلا ويروى في الاسرائيليات ان عيسى
ابن مريم عليه السلام بينما في بعض سياحته اذ مر بجمجمة
عظيمة نخرة فامرها ان تتكلم فقالت يا روح الله انا بلوم
ابن حفص ملك اليمن عشت الف سنة وولدت الف ولد وا

وافتضضت

لزوج

وغنى

بجمجمة

تجريب القلم تجريب القلام

وافتضضت الف بكر من بنات الملوك وهزمت الف عسكر
وقتلت الف جبار وفتحت الف مدينة فمن رآني فلا يغتر بالدنيا
الدنيا فما كانت الا كحلم نائم فبكى عيسى عليه السلام
وجد مكتوب على باب قصر بعض الملوك ببلاد الهند وافقرت
بالهندية
هذه منازل اقوام عهدتهم يرفلون في العيش مرتاحا ونائلا
لهم [illegible] تبكي عليهم ديار قد تحكم نحبها ترثيهم التجريبين
الحلم والكرم وقال عبد الله بن شريح
نزل حي من العرب شعبة من شعاب اليمن فتنشأ هواهم واحد
واختلفوا فيه والشعر واللفظ قال ابطال يصيح بهم الا
على سدكم على القتال فمن هو الله لعنه ملكني صعود اعوز كل
اعود اسمه عمرو فصل يا ايها الرجل اعتبر بمن مضى
من الملوك والاقيال وخلا من الامم والاجيال وكيف سكنت
لهم الدنيا وانسئت لهم الاجال وفسح لهم في المنازل ونالوا الامال
واصروا بالكثرة والعدة والاموال كيف محقتهم بكلكلة
المنون واخذتهم بزخرفة الدهر الخئون واسكنوا بعد القصور
سعة القصور بين الجنادل والصخور وعادت العين اثرا والملك
خبرا فاتتهم اليوم فقد ذهب صفو الزمان وبقي كدره فالموت اليوم
تحفة لكل مسلم كان الخير اصبح خاملا واصبح الشر ناظرا واصبح
الخير غريبا وكان العقل اصبح مدفونا والجهل منشورا وكان اللوم
اصبح بالسفلة والكرم ذاويا وكان الود اصبح مقطوعا والبغضاء

أفوام

موصولة وكان الكرام قد سلبت من الصبر وترخى بها الاشرار
والفاسقون وكان الخير اصبح مستيقظا والوفاء نائما وكان الكذب
اصبح منتشرا والصدق مختفيا وكان الانتي ان اصبحوا ابناء امور الصلحاء
واصبح الاخيار في بطن الثرى اما ترى الدنيا تقبل اقبال الطالب
وتدبر ادبار الهارب وتصل وصال الملول وتفارق فراق العجول
فخيرها يسير وعيشها قصير واقبالها خديعة وادبارها فجيعة
ولذاتها فانية وتبعاتها باقية فاغتنم غفوة الزمان وانتهز
فرصة الامكان وخذ من نفسك لنفسك ولا تنافس اهل الدنيا في خفض
عيشهم ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء
منقلبهم وقال الشاعر

رب مغروس يعاش به ... عدمته عين مغترسه
وكذا الدهر مأتمه ... اقرب الاشياء من عرسه

وقال الشقاعي

تنافس في الدنيا غرورا وانما ... قصار اغتنامها ان يؤول الى الفقر
وانا لفي الدنيا كركب سفينة ... نظن وقوفا والزمان بنا يجري
تروح لنا الدنيا بغير الذي غدت ... وتحدث من بعد الامور امور
وتجري الليالي باجتماع وفرقة ... وتطلع فيها انجم وتغور
فمن ظن ان الدهر باق سروره ... فذاك محال لا يدوم سرور
عفا الله عمن صير الهم واحدا ... وايقن ان الدائرات تدور

وقال وهب بن منبه قرأت في بعض كتب الانبياء عليهم السلام
ان المسيح عليه السلام اجتاز بقرية بالية عظيمة نخرة فقال

له الصالحين يا روح الله لو سألت الله تعالى ان يسخر لنا هذه
الجمجمة فتخبرنا بما رأت من العجائب فجعل ما نطقها
الله فقالت يا روح الله عشت الف عام واستولدت الف ولد ذكر
وافتتحت الف مدينة وهزمت الف جيش وقتلت الف جبار وجربت
هذا الدهر واختبرته وامتحنت تقلبه وانقلابه فلم ار شيئا اقوى
من ظالم في امر صالح ولم ار لهذا الدهر شيئا انفع من الصبر ومسالمة
اهله ولم ار هلاك اهله الا في الحرص والطمع ووجدت العز في الرضى
بالقسم وقال ابو العتاهية هذه اخر شعر قاله في مرضه
الذي توفي فيه

الهي لا تعذبني فاني مقر ... بالذي قد كان مني
فما لي حيلة الا رجائي ... وعفوك ان عفوت وحسن ظني
وكم من زلة لي في الخطايا ... وانت علي ذو فضل ومن
اذا فكرت في ندمي عليها ... عضضت انامل وقرعت سني
اجن بزهرة الدنيا جنونا ... واقطع طول عمري بالتمني
وبين يدي ميقات عظيم ... كأني قد دعيت له كأني
ولو اني صدقت الزهد فيها ... قلبت لاهلها ظهر المجن

وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما قدم وفد عبد القيس على رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ايكم يعرف قس بن ساعدة قالوا كلنا نعرفه
يا رسول الله قال لست انساه بعكاظ على جمل احمر وهو يخطب الناس
ويقول ايها الناس اجتمعوا فاذا اجتمعتم فاسمعوا فاذا سمعتم
فعوا فاذا وعيتم فقولوا فاذا قلتم فاصدقوا من عاش مات ومن مات فات

وكل ما هو آت آت، إن في السماء لخبراً وإن في الأرض لعبراً، مهاد
موضوع وسقف مرفوع ونجوم تغور وبحر لا يغور، أقسم قس قسماً
بالله قسماً حقاً لا كذب فيه ولا إثم، وليس كان في الأرض رضى ليكونن
سخطاً، إن لله ديناً هو أحب إليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه، ما لي
أرى الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا
على حال النهر فناموا، ثم قال أبيات من شعره فأنشدوه:

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر موارداً
ورأيت قومي نحوها يمضي الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقين غابر
سكنوا البيوت فرهنوا أن البيوت هي المقابر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

ثم قال الراهب لقد رأيت منه عجباً أقحمت وادياً فإذا أنا
بعين خرارة وروضة مدهامة وشجرة عادية فإذا أنا بقس بن ساعدة
عند أصل الشجرة وبيده قضيب وقد وردت على العين سباع
كثيرة فكلما ورد سبع على طبعه ضربه بالعصا وقال تنح حتى
يشرب الذي ورد قبلك فلما رأيت ذلك ذعرت ذعراً شديداً فإذا
التفت التوقال لا تخف فالتفت فإذا بقبرين بينهما مسجد
فقلت ما هذان القبران فقال هذان قبرا أخوين كانا يعبدان الله
تعالى في هذا الموضع وأنا أعبد الله تعالى بينهما حتى ألحق بهما
فقلت أفلا تلحق بقومك فتكون في خيرهم فقال ثكلتك أمك أما ثكلتك

علمت

اللهم صل على الحبيب

علمت أن ولد إسماعيل تركت دين أبيها واتبعت الأضداد
وعظمت الأنداد ثم تركني وأقبل على القبرين وقال

خليلي هبا طال ما قد رقدتما أجدكما لا تقضيان كراكما
أرى النوم بين الجلد والعظم منكما كأن الذي يسقي العقار سقاكما
ألم تعلما أني بسمعان مفرد وما لي فيه من حبيب سواكما
مقيم على قبريكما لست بارحاً طوال الليالي أو يجيب صداكما
أبكيكما طول الحياة وما الذي يرد على ذي لوعة إن بكاكما
كأنكما والموت أقرب غاية بروحي في قبريكما قد أتاكما
فلو جعلت نفس لنفس وقاية لجدت بنفسي أن تكون فداكما
سلام وتسليم وروح وراحة ومغفرة المولى على سكنيكما

وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنه يبعث أمة وحده يعني
أن كل أمة آمنت بنبيها تبعث وحدها لا يخالطها غيرها ويبعث أيضاً
قس وحده أمة ليس معه أحد وروى أن المهدي نام يوماً فانتبه فقال

كأني بهذا القصر قد باد أهله وأوحش منه ركنه ومنازله
فلم يبق إلا ذكره وحديثه تنادي بليل معولات ثواكله

فما أتت عليه عشرة حتى مات رحمه الله. وأنشدني القاضي أبو
العباس الجرجاني بالبصرة

بالله ربك كم قصر مررت به قد كان يعمر باللذات والطرب
طارت عقاب المنايا في جوانبه فصار من بعده للويل والحرب عقاب
أجمل بك طالباً للرزق في دعة فلا وربك ما الأرزاق بالطلب

وأنشد لنا ببغداد

ايها الرابع البناء رويدا لن تخلو مع المنون عن المبان

ان هذا البناء يبقى وتبقى كل شيء ابقى من الانسان

وقال الحكيم بن عمرو وقال ابو جعفر المنصور عند موته اللهم ان

كنت تعلم اني ارتكبت الامور العظام جراءة علي فانك تعلم اني قد

اطعتك في احب الاشياء اليك شهادة ان لا اله الا الله منا منك لا منا

عليك وكان سبب خروجه من الخضراء انه كان نظر ما فاتاه ان يمنا

مد فقال

كان بهذا القصر فجاه اهله واوحش منه اهله ومنازله

وصار عمير القصر بعد بهجة الى تربة تسفي عليه جنادله

فما استيقظ من نومه اشرفا فانشد

ابا جعفر حانت وفاتك وانقضت سنوك وامر الله لا بد واقع

فهل كاهن عنه ذا او منجم ابا جعفر عنك المنية دافع

فقال يا ربيع ابنتي تحضره فقام واغتسل وتجهز للحج ثم قال يا ربيع

انا في جوار الله تعالى وانشد القاضي ابو العباس الجرجاني بالبصرة

ان كنت تسمو الى الدنيا وزينتها او تطلب السلطان بالتشديد واللبس

حتى ان الحرال لا شيء غالبه جانظر الى ماله الا حال الا هارون

ذم الامور بما عكسه مقادتها وسخر الناس بالتشديد واللبس

حتى اذا الحران لا شيء غالبه ومكنت في ماله اي تعكس

راحت عليه المنايا بالرحمة زكي ذا الملك والعز تحت الماء والطين

وانشدنا ابو محمد التميمي ببغداد

لم ابنوا من السمر العطايا ثم استانفوا الشي الحجيدا

اذا ما صار

اذا ما صاروا اخوانا رفاتا وصن لفقدهم فرد اوحيدا

لعابر معشار انهم شكول واشكالي قد اعتنقوا اللحودا

ومن زهد في الدنيا وابصر عيوبها امراء الملوك ابو عقال علوان بن الحسن

من بني الاغلب وهم من ملوك العرب وكان ذا نعمة وملك كانت له فتوت

قتالا الى ربه ورجع عن غيه رجوعا فاق نظراءه فرفض الاموال واهل وهجر

النساء والوطن وبلغ من العبادة مبلغا اربى فيه على المجتهدين وعرف

باجابة الدعوة وكان عالما الدنيا فصحب عدة من اصحاب سحنون وسمع

منهم ثم انقطع في بعض سواحل البحر فصحب رجلا يكنى ابا هارون

الاندلسي فتنبنا الله تعالى فلم ير منه كبير اجتهاد في العمل فبينا ابو عقال

يتهجد في بعض الليالي وابو هارون نايم اذ غلبه النوم فقال لنفسه هذا

عابر جليل ينام الليل كله وانا اسهر الليل كله فلو ارحت نفسي فوضع

جنبه فراى في منامه شخصا يتلو عليه ام حسب الذين اجترحوا السيئات

ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما

يحكمون فاستيقظ فزعا وعلم انه المراد فايقظ ابا هارون وقال له سالتك

بالله هل انت كنت فيه قال لا يا ابن اخي ولا صغيرة عن عمري والحمد لله فقال ابو

عقال لهذا انت انت ولا يصلح لمثلي الا الكرو الاجتهاد ثم رحل الى مكة

ولزم بيت الله الحرام وحج مرارا وبنى على عبادة المشرق وكان يعمل بالقر

به على ظهره لقوته ومات بمكة وهو مجاور في المعرفة في المسجد الحرام

ست عشرة وتسعين وماتين وقال له رجل كان يخدمه يوما ان البلد حار

قال بعد الجهد منه ان كانت لك شهوة اخبرني فقال نعم اشتهي اكل

راس واشتهيت راسين وبعثهما رفاقه وبعثته بهم ثم سالته بعد ايام هل

من النشاة

يتهجد

كان له الرأسان قال إنما هو الظلمان فتحتهما فإذا هما مع شوارب دوده
البيض فجمعها البتة إلا الدودة فأتيت الرواس فأخبرته فأظهر متعجبا
ثم قال ما كنت أظن أن أحدا في زمننا يحمي عن الحرام هذه الحماية تلك
الرؤوس كانت من غنم انتهبها بعض العمال ثم أعطاني الرأسين من
غير تلك الغنم فأتيت بهما أبا عفان فأكلهما فأخبرته بما قال الرواس
فبكى وقد يروى أنه ما كان يسمى عبد الله أبو عفان مثل هذه الحماية ولا
كنه فضله ذكره فلا يا رب إلا أكل طعاما اشتبه حتى ألقاه الموت
وكانت له أخت متعبدة فعلمت أن حفت قبره بمكة فكتبت هذه الأبيات
أبيات على قبره

ليت شعري ما الذي غال بنيه ... تفرده في الصوم مع نفي الوسن
مع غروب النفس عن أوطانها ... والتخلي عن حبيب وسكن
يا شقيقا الدين وجريء به ... عدة تغنيني من الحزن
وكما تبلى وجوه في الثرى ... وكذا يبلى عليهن الحزن

وروى أن رجلين نشأ زعامة في أرض فانقطعوا الله تعالى لبنية من جدار تلك الأرض
قال إذ كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم مت وصرت
رميما أربع سنة فأخذت خزافا فاتخذت خزفا ثم قضيت لبنا فأنا ألقاني
الجوار منه كذا وكذا سنة فلم تنشأ زعامة في هذه الأرض ولبعضهم

إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة ... تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا
حسنة الليالي بعد ما كنت مدة ... سوى العظم لو كنت يبغيرها قبلا

ومن أعجب ما روي في الإسراء بليلات أن ابنة من بنات الملوك زهدت
في الدنيا ثلاث وخرجت من ملكها وفقدت فلم يسمع لها خبر ولا علم ل

لها أثر

لها أثر وكان هذا أمر للمتعبدين فلحق بهم شاب متعبد فأبصروا
له من الجد والاجتهاد ومن كثرة الأوراد ومواصلة العمل ما فاق به
جميع من في الخبر فأقام على ذلك ما شاء الله إلى أن انقضت أيامه
ووافى حمامه فقضى الفتى نحبه فحزن له أهل الخبر من العباد وا
والزهاد والمنقطعين وأذروا عليه الدموع ثم أخذوا في غسله
فإذا هو امرأة فتحصوا عن فعله فإذا هو ابنة الملك فزاد هو ذلك
إعجابا بدو تعظيما له وتشاوروا فيما يجب أن له من الكرامة
فأجمعوا أمرهم على أن لا يدفنوه تحت الثرى وأن يجعلوه فوق الكهف
فغسلوه وكفنوه وجهزوه وصلوا عليه ثم أقبلوا يحملونه على الأكتاف
والسواعد كلما عجز واحد منهم جاء آخر فجاء مع من حمل وكل من انقطع
في الثغور للعبادة رب جبل يحل معهم إلى أن بلغوه فقطعت أوصال لمع طول
الزمان في حينه وكان في بلاد الروم فعاد بلحي الأندلس رجل نصراني
قد بلغ من التخلي عن الدنيا واعتزال الخلق ولزوم تلك الجبال والسياحة
في الأرض الغاية القصوى فورد على المستعين بن هود في بعض أيام محمد
محمد بن هود واختبره وجعل يعرض عليه ذخائر ملكه وخزائن أمواله
وما حواه من الحمراء والبيضاء والأحجار الياقوت والجواهر وبعد بين الا
علا والجواري والحشم والأجناد والكراع والسلاح فأقام مواجهة له
أياما فلما انقضى قال له كيف رأيت ملكي قال رأيت ملكا ولكنه يعوز له
منه خصلة واحدة إن أنت قدرت عليها تم انتظام ملكك وإن لم تقدر عليها
فهذا الملك يشبه لا شيء قال وما تلك الخصلة قال تعمد فتصنع غطاء
عظيما حصينا قويا ويكون مساحته قدر البلد ثم تكبه على البلد حتى لا يجد

صح

مثل الموت فقال المستعين سبحان الله او يقدر الشيء على هذا فقال العجم
بان هذا المنجم ما من شركه غدا وهذا من يفتخر بمن يعني كشف امر يفتخر بها
يراه في النوم **ويروى** ان ملكا من الملوك بنى قصرا وقال انظروا من عاب
منه شيئا فاصلحوه واعطوه دراهم فاتاه رجل فقال ان هذا القصر فيه عيب
قالوا وما هو قال يموت الملك ويخرب القصر فقال صدقت ثم اقبل على نفسه
وترك الدنيا **ومن عجايب** الخضر عليه السلام قالوا قيل للخضر عليه السلام
ما اعجب شيء رايته في الدنيا فقد سحت في اقطار الارض وكنت في خلواتها وقطعت
القفار والفلوات فقال العجب ما رايته اني مررت على مدينة لم ار على
وجه الارض احسن منها فسالت بعضهم متى بنيت هذه المدينة فقالوا
سبحان الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا متى بنيت وما زالت كذلك من عهد
الطوفان ثم غبت عنها نحوا من خمس مائة سنة وعبرت عليها بعد ذلك
فاذا هي خاوية على عروشها ولم ار احدا اسأله ورايت راعي غنم
قد دنوت منه فقلت اين المدينة التي كانت ها هنا فقالوا سبحان الله ما
يذكر اباؤنا ولا اجدادنا انه كانت في هذا المكان مدينة قط وغبت عنها نحوا
من خمس مائة سنة ثم انتهيت اليها فاذا موضع تلك المدينة بحر واذا
غواصون يخرجون منها شبه الحلية فقلت لبعض الغواصين منذ كم كان
البحر ها هنا فقالوا سبحان الله ما يذكر اباؤنا ولا اجدادنا انه كان
ها هنا الا البحر من بعد الطوفان وغبت عنها نحوا من خمس مائة سنة
ثم انتهيت اليها فاذا البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيضة ملتفة
بالقصب والبردي والسباع فيها واذا صيادون يصيدون السمك في زوارق
صغار فقلت لبعضهم اين البحر الذي كان ها هنا فقال سبحان الله ما يذكر

ها هنا

٢٨

اباؤنا ولا اجدادنا انه كان فيه بحر وغبت نحوا من خمس مائة عام ثم
اتيت الى ذلك الموضع فاذا هو مدينة على حالتها الاولى والحصون والقصور
والاسواق فقلت لبعضهم اين الغيضة التي كانت ها هنا ومتى بنيت هذه
المدينة فقال سبحان الله ما يذكر اباؤنا ولا اجدادنا الا ان هذه على حالها
منذ بعث الله الطوفان فغبت عنها نحوا من خمس مائة عام ثم انتهيت اليها
فاذا اعاليها اسافلها وهي قد خربت خاوية وقد صار اهلها اشلاء ثم
رايت راعيا فسالته اين المدينة التي كانت ها هنا ومتى حدثت هذه الاطلال
فقال سبحان الله ما يذكر اباؤنا الا ان هذا الموضع كان هكذا منذ كان **فصل**
اعجب شيء رايته في سياحتي في الدنيا فصيحا يبيد البلاد ويفنى العباد
ووارث الارض ومن عليها وانشد بعضهم

قف بالديار وصل دار اثارهم ... تبكي ذا احبة سلفوا وتشوقوا
كم قد وقفت بها اسايل مخبرا ... عن اهلها او صادقا او مشفقا
فاجابني داعي الهوى في رسمها ... فارقت من تهوى فعز الملتقى

وسمعت باعرابي ينشد

ايها الربع قد دثرا ... كان عيشي فيك اضحى اثرا
اين سكانك ماذا فعلوا ... خبرني عنهم بعثت المطرا
ولقد نادى منادٍ لهم ... رحلوا واستودعوني عبرا

ومن الشعر المستحسن في هذا الباب

ورب ورقاء هتوف بالضحى ... ذات شجو صدحت في فنن
ذكرت الفا ودهرا صالحا ... فبكت حزنا فهاجت حزني
فبكائي ربما ارقها ... وبكاها ربما ارقني

شجو

وإذا تسعرت أسعرها ... وإذا أسعرتها تسعرن
ولقد تشكوا فما أفهمها ... ولقد أشكوا فما تفهمن
غير أني بالجوى أعرفها ... وهي أيضا بالجوى تعرفن

ونظر رجل من العباد إلى باب ملك من الملوك قد شيد له واحكمه ووثقه فقال باب جديد وموت عتيد ونزع شديد وسفر بعيد ومما نقل عن عبد الملك بن مروان أنه لما اغتسل رأى غسالا بيده يلوي ثوبا فقال وددت أني أكون غسالا لا أعيش إلا بما كسبت يدي يوما فيوما فبلغ ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه ولا نتمنى عنده ما هم فيه وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع هل تتوقع أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا والدجال فالدجال شر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر وقال عيسى بن مريم عليه السلام أوحى الله تعالى إلى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه وفي بعض الأخبار إنك على أوليائي ولا تغري لهم فتفتنيهم وهذا المعنى يروى بكسر الميم وقال مروان العجلي ابن آدم في كل يوم تؤتى رزقك وأنت تحزن وينقص أمدك وأنت لا تحزن تطلب ما يطغيك وعندك ما يكفيك لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع وقال النبي صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه أيها الناس إن الأعمار تطوى والأيام تفنى وإن البدن في الثرى تبلى وإن الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد يقربان البعيد ويخلقان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ورغب في الباقيات

الصالحات

اللهم صل على الحبيب

٢٩

الصالحات وقال بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبه شربا ازداد عطشا وكالكأس من العسل في أسفله السم فللذائق منه حلاوة عاجلة وله في أسفله موت ذعاف وكأحلام النائم التي يفرح بها في منامه فإذا استيقظ انقطع الفرح وكالبرق الذي يضيء قليلا ويذهب وشيكا ويبقى راجيه في الظلام مقيما وكدودة الإبريسم التي لا يزداد الإبريسم على نفسها لفا إلا ازدادت من الخروج بعدا فأنشد

كدود كدود القز ينسج دائما ... ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

ومثل من يستعجل زهرة الحياة الدنيا ويعرض عن الدار الآخرة مثل رجلين لقطا من الأرض حبتي عنب فأما أحدهما فجعل يمص الحبة التي أخذها ثم بلعها وأما الآخر فزرع الحبة فلما كان بعد زمان التقيا فإذا الذي زرع الحبة قد صارت له كرما وكثرت ثمرته وذكر الآخر صنيعه بالحبة فوجدها قد صارت عذرة عنده ليس عنده منها إلا الحسرة على تفريطه والغبطة لصاحبه وقال وهب بن منبه أوحى الله تعالى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل إن أردت أن تسكن معي حظيرة القدس فكن في الدنيا فريدا وحيدا مهموما وحشيا بمنزلة الطير الوحشي يطير في الفلوات ويأكل من الشجر ويشرب من ماء العيون فإذا كان الليل أوى وحده ولم يأو مع أحد استئناسا بربه تعالى [illegible] حمدا لله

كم للحوادث من صروف عجائب ... ونوائب موصولة بنوائب
ولقد تقضى من شبابي والصبا ... ما لقيت [illegible]

يبغي من الدنيا الكثير وانما يكفيك منها مثل زاد الراكب
قال مالك بن انس بلغني ان عيسى ابن مريم عليهما السلام انتهى
الى قرية قد خربت حصونها وجفت انهارها ويبست اشجارها
فنادى يا خراب اين اهلك ثم نادى يا خراب اين اهلك فلم يجبه احد
ثم نادى يا خراب اين اهلك فنودي يا عيسى ابن مريم عليه السلام
يا روح الله بادوا وتضمنتهم الارض وعادت اعمالهم قلائد في
اعناقهم الى يوم القيامة يا عيسى فجد قال مالك فبلغني ان امرأة من بقية عيسى ابن مريم
قوم عاد فقيل لها اي عذاب الذي رايته اشد قالت على عاد
اشد شيء وسلام الله ورحمته ليلة لا ريح فيها فلقد رأيت الريح تحملها
الريح بين السماء والارض قال مجاهد كان طعام يحيى بن زكريا
عليهما السلام العشب وان كان ليبكي من خشية الله تعالى ما لو كان
القار على عينيه لخرقه ولقد كان الدمع اتخذ مجرى في وجهه
ومر بعض الملوك بشيخ من الحكماء وهو نائم في ركن بيته فقال
قم فقام غير مرتاع منه ولا ملتفت اليه فقال [illegible] الملك اما تعرفني
قال لا ولكني ارى صفة طبع الدواب فهي تركب بارجلها فغضب
الملك وقال اتقول هذا وانت عبدي فقال له بل انت عبد عبدي
وكيف ذلك قال لان شهوتك ملكتك وانا ملكت الشهوات قال فانا
عبد الملك من املاك الشام املك من البلاد كذا وكذا ومن الرجال
كذا وكذا ومن الاموال كذا وكذا فقال اراك تفخر علي بما ليس من
جنسك وانما ينبغي ان تفخر علي بنفسك ولكن تعال نخلع ثيابنا
ونلبس جميعا ثوبا ثم ننزل هذا النهر ونتكلم فيتبين الفاضل من

المفضول

المفضول فانحرف الملك خجلا ومما هنا احسن ما امر الله نبي نبعث
له عقلي وتبلبل حزمي وفتح بابا في ولا تزال مرارته حتى يواريني
التراب وذلك اني كنت يوما بالعراق وانا اشرب ماء فقال لي صاحب لي
وكان له عقل يا ابا فلان لعل هذا الكوز الذي تشرب فيه الماء قد كان
انسانا يوما من الدهر فصار ترابا فاتخذ الفخار من تراب القبر
فصنع خزفا وشوى في النار فصار كوزا كما ترى وصار آنية تنتهي
في البيوت وتستخدم بعد ما كان يخدم سويا بالكل ويشرع ويغدو ويروح
جاء النهي فانه من الجائزات ان الانسان اذا مات عاد ترابا كما
كان في النشأة الاولى ثم قد يتفق ان يجمع بحركة ويعجن بالماء ترابا فيه
فيتخذ منه آنية تستعمل في البيوت او لبنة في الجدار او تبقى
بها سطوح البيوت او تدير في الجدار فتكون بابا او فداما او يجعل حجرا
على الجدار وقد يجوز ان تحرث عند قبره فيزرع فيه فيتغذى من تراب القبر
شجرة او ورقا وثمرة فترعى البهائم اوراقها ويأكل الانسان ثمرها فيثبت
منها لحمه وينشأ عظمه او تأكل تلك الثمرة الحشرات والبهائم فيسيل
كان يغتذي طيرا فوقها او يأكل طير ما كولا ثم يعود في بطن
الارض جميعا يغذي به في بيت الرهافة او بعد ان تنبت بالعراء ويجوز
اذا احفر قبره ان يحمل الريح ترابه فيتفرق اجزاؤه في بطون الاودية
والخلوات والوهاد في هذا ما اذهب العقول وطيش الحلوم ومنع والتلول
اللذات وهانت عند مفارقة الاهلين والاموال وهجر الاوطان والديار
والجلوس بقنن الجبال والانس بالوحش حتى ياتي امر الله تعالى في
هذا ما صغر الدنيا وما فيها في هذا ما حقر الملك عند من عظمه و

واما ان عقل من فقده البري عند الموت هرب الثوان وسلى من الشهو
ات وقال منعركم مستقبل يوما لا بعيد مشكله ومتنكر غير وليس
من اجله انكم لو ابصرتم الاجل ومسيره لابغضتم الامل
وغروره وتمثلوا بنو الحامر في خرق النون فصل وكان من ملوك الا
ندلس وانفق فيه بيوت الاموال فجاء على الجمل بنيان في الارض
وكان من عجائبه ان صنع فيه بركة ماء كانها بحيرة وبنا في وسطها
قبة ماء ويسبق الماء الى راس القبة على تدبير احكمه المهندسون وكان
الماء ينزل من اعلى القبة حولها محيطا متصلا بعضه ببعض فكا
نت القبة في غلالة من ماء مسكوبا لا يفتر والمامون قاعد فيها فبينما هو
نائم اذ سمع منشدا ينشد

اتبني بناء الخالدين وانما ... بقاؤك فيها لو عقلت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية ... لمن كل يوم يقتضيه رحيل

قال فلم يلبث بعدها الا قليلا حتى انقضى نحبه ووجد مكتوب على
قصر قد باد اهله

هذا منازل اقوام عهدتهم ... في خفض عيش نفيس ما له خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا ... الى القبور فلا عين ولا اثر

وللكاتب عفا الله عنه

ولقد مررت على ديارهم ... وطلولها بيد البلى نهب
فوقفت حتى ضج من تعب ... نضوي وضج بعذلي الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت ... عني الطلول تلفت القلب

ولو فيه ياصاحبي نفعت ما عدت هذا الابيات

ومن باب

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض على الماء خانته فروج الاصابع
وروي ان الحجاج قال في خطبته ايها الناس فما بقي من الدنيا اشبه من
الماء بالماء فوالله لو اعطيت ما مضى من الدنيا بما بقي منها لما قبلته
فكيف آسى على ما بقي منها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب
مثل الدنيا والمرء عند الموت فمثل رجل له ثلاثة اخلاء فلما حضره
الموت قال لاحدهم قد كنت لي خليلا مكرما وقد حضرني من امر الله تعالى
ما ترى فماذا عندك فيقول هذا امر الله تعالى غلبني عليك لا استطيع
ان انفس كربتك ولكن ها انا ذا بين يديك فخذ مني زادا ينفعك ثم
يقول للثاني قد كنت اكرم الثلاثة وقد نزل بي من امر الله تعالى ما ترى
فماذا عندك فقال هذا امر الله غلبني عليك ولا استطيع ان انفس
كربتك ولكن سأقوم عليك في مرضك فاذا مت اتقنت غسلك وجودت
كفنك وسترت جسدك وعورتك وقال للثالث قد نزل بي من امر
الله ما ترى وكنت اهون الثلاثة علي فماذا عندك فقال انا قرينك تعلى
وخليلك في الدنيا والاخرة ادخل معك قبرك حين تدخله واخرج منه
معك حين تخرج ولا افارقك ابدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم منه
الاول ماله والثاني اهله والثالث عمله ولقي ميمون بن
مهران الحسن البصري فقال له قد كنت احب لقاءك فعظني فقرا
الحسن البصري افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون
ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون فقال عليك السلام يا ابا سعيد فقد
وعظت احسن موعظة واعجبها فالعجب لشاك في قدرة الله
تعالى واعجب من العجب للمكذب بالنشأة الاخرى وهو يرى الاولى

واعجبا كل العجب لشاك في قدرة الله تعالى عز وجل وهو يرى خلقه
واعجبا كل العجب لمكذب بالنشور وهو يموت كل يوم وليلة ويحيى
واعجبا كل العجب للعامل لدار الفناء وهو يسعى لدار الغرور وا
واعجبا كل العجب للمختال الفخور وانما خلق من نطفة ثم يعود جيفة
وهو بين ذلك لا يدري ما يفعل به ويروى ان الله سبحانه اوحى الى داود
عليه السلام فقال جماع الحكمة في اربع واحدة لي وواحدة
لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الناس فاما التي لي فان
تعبدني ولا تشرك بي شيئا واما التي لك فما عملت من شيء فانا
اجزيك به واما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي الاجابة واما
التي بينك وبين الناس فتحب لهم كما تحب ان يكونوا لك وقال سليمان
ابن داود عليهما السلام اوتينا مما اوتي الناس ومما لم يوتوا
وعلمنا مما علم الناس ومما لم يعلموا فلم نجد شيئا افضل من
خشية الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الغضب والر
ضى والقصد في الفقر والغنى وكتب معاوية الى عائشة رضي
الله عنها ان اكتبي الي كتابا توصيني فيه ولا تكثري علي فكتبت
اليه عائشة رضي الله عنها سلام عليك اما بعد فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضى الناس بسخط
الله وكله الله الى الناس والسلام ولما ضرب ابن
ملجم عليا رضي الله عنه ادخل منزله فعرته غشية ثم افاق ودعا
الحسن والحسين فقال اوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة في الا
خرة والزهد في الدنيا ولا تاسفا على شيء فاتكما منها اعملا الخير

وكونا

وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا فقال اما
سمعت ما اوصيت به اخويك قال بلى قال فاني اوصيك به وعليك ببر ا
خويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع امرا دونهما ثم اقبل
عليهما فقال اوصيكما به خيرا فانه شقيقكما وابن ابيكما وانتما تعلمان
ان اباكما يحبه فاحباه يا بني اوصيكما بتقوى الله في الغيب والشـ كان
والشهود وكلمة الحق في الغضب والرضى والقصد في الغنى والفقر وا
والعدل على الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل والرضى
عن الله في الشدة والرخاء يا بني ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده
بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية
يا بني من ابصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ومن رضي بقسم الله لم
يحزن على ما فاته ومن سل سيف بغي قتل به ومن حفر لاخيه بئرا وقع
فيه ومن هتك حجاب اخيه كشف عورات نفسه ومن نسي خطيئته
استعظم خطيئة غيره ومن اعجب برايه ضل ومن استغنى بعقله زل
ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط الانذال احتقر ومن دخل مع اهل
السوء اتهم ومن جالس العلماء وقر ومن مزح استخف به ومن احب
من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر خطاؤه ومن كثر خطاؤه قل حياؤه
ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل
النار يا بني راس الحكمة خوف الله وحسن الخلق خير رفيق يا بني العافية
عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت الا عن ذكر الله وواحدة في
ترك مجالسة السفهاء يا بني زينة الفقر الصبر وزينة الغنى الشكر
يا بني لا شرف اعلى من الاسلام ولا كرم اعز من التقوى ولا معقل احرز من

الورع ولا تشبع الجيع من التوبة ولا تياس من أجل من العافية فإنه الحرص
مفتاح التعب ومطية النصب إنه ينبغي قبل العمل يتزود منه من التقوى
بئس الزاد للمعاد العدوان على العباد طوبى لمن أخلص لله تعالى في
عمله وعلمه وبغضه وحبه وأخذه وتركه وكلامه وصمته وقوله
وفعله وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما طعن دعا بلبن
فشرب فخرج من طعنته فقال الله أكبر فجعل جلساؤه يثنون
عليه فقال وددت أني أخرج منها كفافا كما دخلت فيها لو أن
لي اليوم ما طلعت عليه الشمس وغربت لافتديت به من هول
المطلع قال ابن عمر لما احتضر عمر رضي الله عنه غشي عليه فأ
خذت رأسه فوضعته في حجري فقال دع رأسي بالأرض فعل الله
يرحمني فمسح خديه بالتراب وقال ويل لعمر وويل لأمه إن لم يغفر له
فقلت وهل حجري والأرض إلا سواء يا أبتاه فقال ضع رأسي بالأرض
لا أم لك كما أمرتك فإذا قبضت فأسرعوا بي إلى حفرتي فإنما هو خير
تقدموني إليه أو شر تضعونه عن رقابكم ثم بكى فقيل له ما يبكيك
قال خبر السماء لا أدري إلى جنة ينطلق بي أو إلى النار ولما حضرت
عمر بن عبد العزيز الوفاة قال اللهم إنك أمرتني فقصرت ونهيتني
فعصيت وأنعمت علي فأفضلت فإن عفوت فقد مننت وإن عاقبت
فما ظلمت إلا أني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا
عبدك ورسولك ثم قضى رحمه الله ولما حضرت هشام بن عبد الملك
الوفاة نظر إلى أهله يبكون حوله فقال جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم
عليه بالبكاء ترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما حمل ما أعظم ما

يكون

يكون منقلب هشام إن لم يغفر الله له ودخل على المأمون في مرضه
الذي مات فيه فإذا هو قد أمر أن يفرش له جل الدابة ويبسط عليه
الرماد وهو راقد عليه يتضرع ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من
يزول ملكه وروي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه مر على طائر واقع
على شجرة فقال طوبى لك يا طائر تطير فتقع على الشجرة وتأكل من
الثمر وليس عليك حساب ولا عقاب فيا ليتني كنت مثلك والله
لوددت أني شجرة إلى جنب الطريق فمر علي بعير فأخذني فأدخلني
فاه فلاكني ثم ازدردني فأخرجني بعرا ولم أكن بشرا وقال عامر بن عبد
الله أخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه تبنة من الأرض فقال يا ليتني
مثل هذه التبنة يا ليت أمي لم تلدني يا ليتني كنت نسيا منسيا
وقال ابن مسعود وددت أنه طار في منكبي بشر وسمع رجلا
يقول يا ليتني من أصحاب اليمين فقال ابن مسعود يا ليتني إذا مت لم
أبعث وقال عمران بن حصين لوددت أني رماد تسفيني الرياح في يوم
عاصف وقال أبو الدرداء يا ليتني كنت شجرة تعضد ويؤكل ثمري
ولم أكن بشرا

الباب الثالث في مقامات العلماء
والصالحين عند الأمراء والسلاطين

دخل الأحنف بن قيس على معاوية وعليه شملة ومدرعة صوف فلما
مثل بين يديه اقتحمته عينه فأقبل عليه وقال ثم فقال الأحنف يا أمير
المؤمنين أهل البصرة عدد يسير وعظم كسير مع تتابع من المحول واتصال
من المحول فالمتريث فيها قد أطرق والمقتر قد أملق وبلغ به المخنق فإن

رأى أمير المؤمنين أن ينعش الفقير ويجبر الكسير ويسهل العسير ويصفح
عن الجهول ويداوي الضعيف ويأمر بالعطاء ليكشف البلاء و
ويزيل اللأواء وأن السير من بعد ولا يختص ويعم عن الحجاب ولا يدع
المتظلم دار الحضر إليه يشكو وأن يسمع إليه عن من يكون من وراء الرعية
عمادا يدفع عنهم المظالم ويكشف عنهم المعضلات فقال
معاوية هاهنا يا أبا بحر ولنعم منهم في مثل هذا القول. وقال سفيان
الثوري لحاجب المهدي قال لا يدخل من سفيان عن ضعفاء الرجال حول
البيت فأخذوه بالباب فلما مثلت بين يديه أدناني ثم قال لي لأي شيء
لا تأتيني فنستشيرك في أمورنا فما أمرتنا بشيء صرنا إليه وما
نهيتنا عن شيء انتهينا عنه فقلت له كم أنفقت في سفرك هذا
قال لا أدري لي أمناء ووكلاء فقلت فما عذرك غدا إذا وقفت بين ووكلاء
يدي الله تعالى فسألك عن ذلك لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال لغلامه كم أنفقت في سفرتنا هذه قال يا أمير المؤمنين ثمانية عشر
درهما قال ويحك أجحفنا ببيت مال المسلمين. وقال الزهري ما
سمعت أحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبد الملك فقال
يا أمير المؤمنين اسمع مني أربع كلمات فيهن صلاح دينك وملكك
وآخرتك ودنياك قال ما هن قال لا تعد أحدا بعدة وأنت لا تريد
إنجازها ولا يغرنك مرتقى سهل إذا كان المنحدر وعرا واعلم أن للأ المنحدر
عمال جزاء واحذر العواقب وللدهر تارات فكن على حذر. ودخل
ابن السماك على هارون الرشيد فقال له عظني فقال يا أمير المؤ
منين إن الله تعالى لم يرض لخلقه فيك أحدا فلا ترض لنفسك إلا بمرضى

به عنه

به عنه وأنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى الناس بذلك
يا أمير المؤمنين من طلب فكاك رقبته في مهلكة من أجله كان خليقا أن
يجتهد بنفسه يا أمير المؤمنين من ذا وفقه الله بها حلا وتهيأ يركبون منه
البعد إذا وفقه الأخرة مرادتها يتجافى عنها يا أمير المؤمنين ناشل
ثمن الله تعالى أن تقوم على جنة عرضها السموات والأرض فزهدت
فيها وليس لك منها نصيب يا أمير المؤمنين إنك تموت وحدك وتبعث
وحدك وإنك لا تقدم إلا على نادم مشغول ولا تخلف إلا على
مفتون مغرور وإنك وأبناء في سفر وجهاز ضعيف. وحج سليمان
ابن عبد الملك فاستحضر أبا حازم فقال له تكلم يا أبا حازم فقال
فيم أتكلم قال في المخرج من هذا الأمر قال يسير إن أنت فعلته
قال فعلته قال وما ذاك قال لا تأخذ الأشياء إلا من حلها ولا
تضعها إلا في أهلها قال ومن يقوى على ذلك قال من قلده الله تعالى
من الأمر ما قلدك قال عظني يا أبا حازم قال يا أمير المؤمنين إن هذا
الأمر لم يصل إليك إلا بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل
ما صار إليك ثم قال يا أمير المؤمنين نزه ربك وعظمه عن أن يراك حيث
نهاك أو يفقدك من حيث أمرك يا أمير المؤمنين إنما أنت سوق فما
نفق عندك حمل إليك من خير أو شر فاختر لنفسك أيهما شئت
قال فما لك لا تأتيني قال وما أصنع بإتيانك إن أدنيتني فتنتني
وإن أقصيتني أحزنتني وليس عندك ما أخافك عليه ولا عندي ما
أرجوك له قال فارفع إلي حوائجك قال قد رفعتها إلى من هو أقدر
منك عليها فما أعطاني منها قبلت وما منعني منها رضيت بقول الله تعالى

وراى امير المومنين ان ينعش الفقير ويجبر الكسير ويسهل العسير ويصفح
عن اهل الخول ويداوي المجروح ويامر بالعطاء ليكشف البلاء و
ويزيل اللاوا فان السبب من بعد ولا يخص ويعفو عن الجهلاء ولا يدعو
المتمرد الا احسن اليه شكرا وان اسيء اليه عفا عن يكون من وراء الرعية
عمادا يدفع عنهم الملمات ويكشف عنهم المعضلات فقال
معاوية ها هنا يا ابا بحر ولتعرفنه في هذا العفو وقال سفيان
الثوري حججت مع المهدي فا ١٦٦ بذلك من شعبان في صحوات الرحمن
البيت فاخذوه بالابل فلما مثلت بين يديه ادناني ثم قال لا ...
لا تاتينا فنستشيرك في امورنا فما امرتنا بشيء صرنا اليه وما
نهيتنا عن شيء انتهينا عنه فقلت له كم انفقت في سفرك هذا
قال لا ادري امنائي ووكلائي قلت فما عذرك غدا اذا وقفت بين ووكلائي
يدي الله تعالى فسالك عن ذلك لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال لغلامه كم انفقنا في سفرنا هذا قال يا امير المومنين ثمانية عشر
درهما قال ويحك اجحفنا ببيت مال المسلمين وقال الزهري ما
سمعت احسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبد الملك فقال
يا امير المومنين اسمع مني اربع كلمات فيهن صلاح دينك وملكك
وآخرتك ودنياك قال ما هن قال لا تعد احدا بعدة وانت لا تريد
انجازها ولا يغرنك مرتقى سهل اذا كان المنحدر وعرا واعلم ان للا المنحدر
عمال جزاء فاحذر العواقب وللدهر تارات فكن على حذر ودخل
ابن السماك على هارون الرشيد فقال له عظني فقال يا امير المو
منين ان الله تعالى لم يرض احدا فوقك فلا ترض لنفسك الا بان ترضى

به عنها

به عنها وانا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم واولى الناس بها
يا امير المومنين من طلب فضلا رغبته في مهلكة من اجله كان خليقا ان
يحتو بنفسه يا امير المومنين من ذي وقفته انه بنا اجلا وفيها يركون منه
اليها اذا فنيت الاخرة مما رايتها يتجافيه عنها يا امير المومنين ان شاء
الله تعالى ان تقوم على جنة عرضها السموات والارض فوق عينيك
اليها وليس لك منها نصيب يا امير المومنين انك تعرف وجه لك وفيها
ثب وحرك وانك لا تقوم الا على ناد مشغول ولا تغلب الا كل
مفتون مغرور وانك وابانا في سفر وجيران تضعن وتناجي سليمان
ابن عبد الملك استحضر ابا حازم فقال له تكلم يا ابا حازم قال
بم اتكلم قال في المخرج من هذا الامر قال يسير ان انت فعلته
قال وما ذاك قال لا تاخذ الاشياء الا بحلها ولا
تضعها الا في اهلها قال ومن يقوى على ذلك قال من قلده الله تعالى
من الامر ما قلدك قال عظني يا ابا حازم قال يا امير المومنين ان هذا
الامر لم يصل اليك الا بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل
ما صار اليك ثم قال يا امير المومنين نزه ربك وعظمه عن ان يراك حيث
نهاك او يفقدك من حيث امرك يا امير المومنين انما انت سوق فما
نفق عندك حمل اليك من خير او شر فاختر لنفسك ايهما شئت
قال فما لك لا تاتينا قال وما اصنع باتيانك ان ادنيتني فتنتني
وان اقصيتني اخزيتني وليس عندك ما اخافك عليه ولا عندي ما
ارجوك له قال فارفع الينا حوائجك قال قد رفعتها الى من هو اقدر
منك عليها فما اعطاني منها قبلت وما منعني منها رضيت بقول الله تعالى

نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة ورفعنا بعضهم فوق بعض د
د لا يستطيع أن ينقص من كثير ما أقسم الله تعالى ويزيد في قليل ما أقسم الله
تعالى قال فبكى سليمان بكاء شديدا فقال له رجل من جلسائه أسأت
إلى أمير المؤمنين قال أبو حازم اسكت فإن الله أخذ ميثاق من أوتوا الكتب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه فلما وصل إلى منزله بعث إليه بمال فرده و
قال للرسول قل له يا أمير المؤمنين والله ما أرضاه لك فكيف أرضاه لنفسي
وقال الفضل بن الربيع حج هارون الرشيد فبينا أنا نائم ذات ليلة إذ
سمعت قرع الباب فقلت من هذا قال أجب أمير المؤمنين فخرجت مسرعا
فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك فقال ويحك قد حك في نفسي شيء
لا يخرجه إلا عالم فانظر لي رجلا أسأله قلت هاهنا سفيان بن عيينة
قال امض بنا إليه فأتيناه فقرعنا عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب
أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك فقال خذ
لما جئناك له فحادثه ساعة ثم قال أعليك دين قال نعم قال يا عباس اقض دينه
ثم انصرفنا فقال ما أغنى عني صاحبك شيئا فانظر لي رجلا أسأله قلت
عبد الرزاق بن همام قال امض بنا إليه فأتيناه فقرعنا
عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا و
فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك قال خذ لما جئناك له فحادثه
ساعة ثم قال أعليك دين قال نعم قال يا عباس اقض دينه ثم انصرفنا
فقال ما أغنى عني صاحبك شيئا فانظر لي رجلا أسأله قلت هاهنا
الفضيل بن عياض قال امض بنا إليه فأتيناه فإذا هو قائم يصلي في غرفته
يتلو آية من كتاب الله سبحانه يرددها فقرعت الباب فقال من هذا آية

فقلت

فقلت أجب أمير المؤمنين فقال ما لي ولأمير المؤمنين فقلت سبحان الله
أما عليك طاعة قال أوليس قد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال ليس للمؤمن أن يذل نفسه ثم نزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة
فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بأيدينا
فسبقت كف الرشيد كفي إليه فقال آه من كف ما ألينها إن نجت من
عذاب الله تعالى فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب
تقي قال خذ لما جئناك له رحمك الله قال وفيم جئت حملت على نفسك
وجميع من معك أحملتهم عليك حتى لو سألتهم عن كشف الغطاء عنك وعد
وعنهم أن يحملوا عنك شقصا من ذنب ما فعلوا ولكان أشدهم حبا لك
أشدهم هربا منك ثم قال إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن
عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم إني ابتليت بهذا
البلاء فأشيروا علي فعد الخلافة بلاء وعددتها نعمة أنت وأصحابك
فقال له سالم بن عبد الله إن أردت النجاة غدا من عذاب الله سبحانه ف
صم عن الدنيا وليكن إفطارك فيها الموت وقال محمد بن كعب إن
أردت النجاة من عذاب الله تعالى فليكن كبير المسلمين لك أبا وأوسطهم
وأوسطهم عندك أخا وصغيرهم ولدا فوقر أباك وارحم أخاك و
وتحنن على ولدك وقال له رجاء بن حيوة إن أردت النجاة من عذاب له
الله تعالى فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك
ثم مت متى شئت وإني لأقول لك هذا وإني لأخاف عليك أشد الخوف
يوم تزل الأقدام فهل معك رحمك الله مثل هؤلاء من يأمرك بمثل هذا
فبكى هارون الرشيد بكاء شديدا حتى غشي عليه فقلت ارفق

يا امير المؤمنين فقال يا ابن ام الربيع قتلته انت واصحابك وانا ارفق به
انا ثم اقبل وقال زدني فقال يا امير المؤمنين بلغني ان عاملا لعمر بن
عبد العزيز شكي اليه فكتب اليه عمر يا اخي اذكرك سهر اهل النار
وخلود الابد وان ذلك يطرد بك الى ربك نائما ويقظانا واياك ان تزل
قدمك عن هذه السبيل فيكون اخر العهد بك ومنقطع الرجا منك
فلما قرا الكتاب طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما اقدمك
فقال له خلعت قلبي بكتابك لا وليت لك ابدا حتى القى الله سبحانه
فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال زدني فقال يا امير المؤمنين
ان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاءه فقال يا رسول الله امرني
على امارة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي نفس
تنجيها خير من امارة لا تحصيها ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة
فان استطعت ان لا تكون اميرا فافعل فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال ز
دني فقال يا حسن الوجه انت الذي يسالك الله تعالى عن هذا الخلق
يوم القيامة فان استطعت ان تقي هذا الوجه من النار فافعل واياك
ان تصبح وتمسي وفي قلبك غش لرعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من اصبح غاشا لرعيته لم يرح رائحة الجنة فبكى هرون الرشيد
بكاء شديدا ثم قال له عليك دين قال نعم دين لربي لم يحاسبني عليه فالويل
لي ان سالني والويل لي ان ناقشني والويل لي ان لم يلهمني حجتي قال انما اعني
دين العباد قال ان ربي لم يامرني بهذا امرني ان اصدق وعده واطيع امره فانه قال
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما
اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال هرون هذه

الف

الف دينار خذها وانفقها على عيالك وتقو بها على عبادة ربك فقال
سبحان الله العظيم انا ادلك على النجاة وتكافيني بمثل هذا سلمك
الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا ثم خرجنا من عنده فقال هرون
اذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا هذا سيد المسلمين اليوم
فقد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال تفرجنا به
فقال انما مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير ياكلون من كسبه
فلما كبر نحروه فاكلوا لحمه موتوا يا اهلي جوعا ولا تذبحوا فضيلا
فلما سمع الرشيد ذلك قال ادخل فعسى ان يقبل المال فلما دخلنا
فلما علم بنا الفضيل خرج فجلس على التراب على السطح فجاء هرون
الرشيد فجلس الى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينا نحن كذلك اذ خرجت
جارية سوداء فقالت يا هذا قد اذيت الشيخ هذه الليلة فانصرف
يرحمك الله ووعظ شبيب بن شيبة المنصور فقال يا امير المؤمنين ان الله
تعالى لم يجعل فوقك احدا فلا تجعلن فوق شكره شكرا ووعظ عمرو بن عبيد
الله على المنصور فقرا والفجر وليال عشر والشفع والوتر حتى بلغ ان
ربك لبالمرصاد لمن فعل مثل فعالهم فاتق الله يا امير المؤمنين فان ببابك نارا
تتاجج لا تعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وانت
مسؤول عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم
بفساد اخرتك اما والله لو علم عمالك انه لا يرضيك منهم الا العدل
لتقرب به اليك من لا يريده فقال له سليمان بن مجالد اسكت فقد
غممت امير المؤمنين فقال عمرو ويلك يا ابن مجالد اما كفاك ان خزنت
نصيحتك عن امير المؤمنين حتى اردت ان تحول بينه وبين من ينصحه اتق الله يا امير

المومنين اما علمت انه كان بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جر
يدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد
ما هذه الجريدة التي معك اكسرتها لا تملأ قلوبهم رعبا وكيف بمن يسفك
دماء المسلمين ويشقق ابشارهم وينتهب اموالهم ان المغفور له ما
تقدم من ذنبه وما تاخر بعد ان القصاص من نفسه بخدش خدشها
اعرابيا من غير عمد فقال له جبريل عليه السلام ان الله لم يبعثك جبارا ولا
تكسر قرون رعيتك يا امير المومنين لو ان ثوبا من النار صب على من في الارض
لاحرقه فكيف بمن يتقمصه ولو ان حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبال الد
نيا لذابت فكيف بمن يتسلسل فيها ويرد بعضها على عاتقه ودخل بعض
العباد على سلطان فقال له ان احوج الناس الى الاحسان من احسن الله اليه وادوم
الانصاف من بسطت يداه بالقدرة فاستدم ما اوتيت من النعم بتادية ما
عليك من الحقوق وروي ان اعرابيا قام بين يدي هشام بن عبد الملك فقال

صح الحقوق

يا امير المومنين اتت على الناس سنون ثلاث اما الاولى فاكلت الشحم واما
الثانية فاكلت اللحم واما الثالثة فهاضت العظم وعندكم فضول اموال

الثانية

فان كانت لله فاقسمها بين عباد الله وان كانت لهم فلم تحصرها عنه
م وان كانت لك فتصدق فان الله يجزي المتصدقين فامر هشام بمال
فقسم بين الناس وامر للاعرابي بمال فقال اكل المسلمين مثل هذا فقال لا يقوم
بذلك بيت المال قال فلا حاجة لي فيها تبعث لائمة تعميم الناس على امير
المومنين وقال رجل لعمر بن عبد العزيز يا امير المومنين اذكر بمقامك هذا
مقاما لا يشغل عنه كثرة من يخاصمك من الخلق يوم القيامة بلا ثقة من العمل
ولا براءة من ذنب فبكى عمر بكاء شديدا ثم استرده الكلام فجعل يرده وعمر

يبكي

٢٦

يبكي وينتحب ثم قال حاجتك قال عاملك بارد بجابر اخذ مني
اثني عشر الف درهم قال اكتبوا له حتى يرد عليه وحمل دخل زياد
على عمر بن عبد العزيز فقال يا زياد اما ترى ما ابتليت به من امر امة محمد
صلى الله عليه وسلم فقال زياد والله يا امير المومنين لو ان كل شعرة
منك نطقت ما بلغت كنه ما انت فيه فاعمل لنفسك في الخروج مما انت
فيه يا امير المومنين كيف حال رجل له خصم الد قال سيء الحال قال فان
كان له خصمان الدان قال اسوا حالا قال فان كان له ثلاثة قال لا يهنيه
عيش قال فوالله ما احد من امة محمد صلى الله عليه وسلم الا وهو خصمك
قال زياد فبكى حتى تمنيت اني لو قلت له شيئا وقال محمد بن كعب
لعمر بن عبد العزيز يا امير المومنين انما الدنيا سوق من الاسواق فمنها
خرج الناس بما ينفعهم وبما يضرهم وخرجوا بما يضرهم وكم قوم غرهم
مثل الذي اصبحنا فيه حتى اتاهم الموت فخرجوا من الدنيا مرملين لم
ياخذوا من الدنيا للاخرة فاقتسم مالهم من لا يحمدهم وصاروا الى من لا
يعذرهم فانظر الذي تحب ان يكون معك اذا قدمت فابتغ البدل حيث
يجوز البدل ولا تذهبن الى سلعة قد بارت على غيرك ترجو جوازها عندك
يا امير المومنين افتح الابواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم ودخل

وانصح الابواب

رجل من بعض الملوك واغلظ له السلطان فقال له الرجل
انما انت كالسماء اذا ارعدت وابرقت فقد قرب غيثها فسكن ما به
واحسن اليه وتشفع الحجاج المنصور بن ابي عامر في امرأة له لتسرى
بالخزار ضا مخيفة ويعاوض عنها اخر منها فاستفتى الفقهاء في ذلك
فافتوا بانه لا يجوز فعجب السلطان فارسل اليهم رجلا من الوزراء

مشهوراً بالجراءة والعجلة فقال لهم يقول لكم الامير يا مستغرقي الشهوة
يا مستحلي اموال الايتام ويا اكلي اموال الناس ظلما يا شهداء اموال
الزور يا اخذي الرشا وملقني الخصوم وملقمي الشرور وملبسي
الامور وملتمسي الروايات لاجل اتباع الشهوات نبئ الكم لا رايكم
فهو اعوذ الله وافق على قصور فكم فيما خضتم الا ما فات
مغض عنه طالب عليه ثم احتاج اليه فتقدم نظركم في حاجة مرة واحدة
بعد هم فلم تسعفوا اراحته ما كان هذا حقه بعد والله ليقارضنكم
وليكشفن ستوركم وليباعدن الاصلاح بينكم واخشن عليهم بذلك و
تخوله فاجابه شيخ منهم ضعيف منهم لما نبئنا فقال نتوب ضعيف
الى الله تعالى فاله الامير وقسّله الافاقتد ورد عليه زعيم القوم محمد
ابن ابراهيم بن حنونة وكان جلدا صارما فقال للمتكلم معا نتوب
يا شيخ السوء ونحن برءا الامر قيل بل اثم اقبل على الوزير فقال يا وزير
بيس المبلغ انت وكلما تسند الينا عن الامير فهو صفتكم معاشر خدمته
فانتم الذين تاكلون اموال الناس بالباطل وتستحقون ظلمهم بلا خلاف
وتخيفون معايشهم بالرشا والمصانعة وتبغون في الارض بغير الحق
فاما نحن فهذه صفتنا ولا كرامة ولا يقولها لنا الا منهم فاذ نحن
منحن اعلام الهدى وسرج الظلماء بنا يتحصن الاسلام ونفرق بين
الحلال والحرام ونفتذ الاحكام وبنا تقام الفرائض ونثبت الحقوق
وتحقن الدماء وتستحل الفروج فهلا اذ عتب علينا سيدنا الامير
في شيء ولا ذنب فيه علينا وقال بالمعصية ما قاله قلت له لا ملا غنا الا الله وصالله
وصانتنا بما هو من المجانسة وعرضت لنا بالذكا لا ليعفنا عنه

واجنادنا

واجنادنا بصالح الجواب به فكنت تدور على السلطان ولا تعنتنا
وتستحيينا فيسيل دم على ما استقبلتنا به فنحن نعلم ان الامير لا ينقاد في
على هذا الراي فينا ولا يعتقد هذا المعتقد في صفاتنا [illegible] بمراجع
بديهته ايثارنا وتعززنا فلو كنا عندك على هذه الحال التي وصفتها
وصفتنا عنا والعياذ بالله من ذلك لبطل عليه كل ما صنعه وعقده
من اول خلافته الى هذا الوقت فلا يثبت له كتاب من هبة ولا من ملك
ولا من شراء ولا من بيع ولا حبس ولا صدقة ولا هبة ولا عتق الى غير ذلك
الا بشهادتنا هذا ما عندنا والسلام ثم قاموا منصرفين يكادوا
يبلغون باب القصر الا والرسل تنادي بهم ارجعوا الى القصر فتلقاهم
الوزير له بالاعتذار ورفعوا منازلهم واعتذروا عما كان من حاجبهم
وقالوا لهم الامير يعتذر اليكم عن جرعه من جراءته ويستعيذ الله من الشيطان
الرجيم ونزغته انني حملتني على الجفاء عليكم وبعثكم انه خادم على ما
كان مستبصرا في تعظيمكم وقضاء حقوقكم وفي ان يكن رجل منكم بما تنزود
من كسوته وصلته علامة لرضاه عنكم بعد عوا له ويتصوا لما امر لهم به وا
وانصرفوا غالبين بهم حسبهم نسوة ولقد فطن ما الجارحين الى له
المهلب بن ابي صفرة يعز اذ بالدو ويتخترع اثواب خيلاء بعد خادم ان
ارفع من ثيابك فقال له المهلب او ما تعرفني قال بلى اني
اعرفك اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت فيما بين ذلك
تحمل عذرة ويروى ان رجلا قال لعبيد الله ابن عمر في هذا هرون الاكبر
ع الخراج وفي اجلى له المسعى فقال له لا جزاك الله عني خيرا كلفتني
امرا كنت عنه غنيا ثم جاءه اليه فقال له يا هارون [illegible] البيد قال الله

تسيل منديلا

يا عمر فقال كم ترى هاهنا من خلق فقال لا يحصيهم الا الله تعالى فقال
اعلم ايها الرجل ان كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه وانت وحدك
وحدك تسأل عنهم كلهم فانظر كيف تكون قال فبكى هارون الرشيد
بكاء شديدا فجعلوا يعطونه المنديل للدموع ثم قال والله ان الرجل
ليسرف في ماله فيستحق الحجر عليه فكيف بمن اسرف في مال المسلمين
ويقال ان هارون الرشيد كان يغزو سنة ويحج سنة اذ لا احب ان احج في كل سنة
فما يمنعني من ذلك الا سبيل الله العمري ويروى ان الحسن بن محمد بن الحسن
الحسن دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له يا عمر ثلاث من كن فيه فقد
استكمل الايمان فقال عمر ايه يا ابن بيت النبوة ومعدن الرسالة
وجثا على ركبتيه فقال الحسن من اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل ومن
اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ومن اذا قدر لم يتناول ما ليس له
ومما ولي عمر بن عبد العزيز وفد عليه الوفود من كل بلد فوفد
عليه الحجازيون فتقدم غلام منهم للكلام وكان حديث السن فقال
عمر ليتكلم اسن منك فقال الغلام اصلح الله امير المؤمنين انما المرء با
صغريه لسانه وقلبه فاذا منح الله تعالى العبد لسانا لافظا وقلبا
حافظا فقد استحق الكلام وعرف فضله من سمع خطابه من الانام
ولو ان الامر يا امير المؤمنين بالسن لكان في مجلسك هذا من هو احق
به منك فقال له عمر صدقت قل ما بدا لك فقال الغلام اصلح الله انا
نحن وفد تهنئة لا وفد مرزئة وقد اتينا لنحمد الله تعالى الذي من علينا
بك لم تقدمنا عليك منا رغبة ولا رهبة اما الرغبة فقد اتتنا منك الى
بلادنا واما الرهبة فقد امنا جورك بعدلك فقال له عمر عظني يا غلام

فقال له

فقال له اصلح الله امير المؤمنين ان ناسا من الناس غرهم حلم الله تعالى
عنهم وطول املهم وكثرة ثناء الناس عليهم فزلت اقدامهم فهووا
في النار فلا يغرنك حلم الله تعالى عنك وطول املك وكثرة ثناء الناس عليك
فتزل بك قدمك فتلحق بالقوم لا جعلك الله منهم والحقك بصالحي هذه
الامة ثم سكت فسأل عمر الغلام عن سنه فاذا هو ابن احدى عشرة سنة
ثم سأل عن نسبه فاذا هو من ولد الحسين بن علي رضي الله عنهم اجمعين
فتمثل عمر بهذين البيتين يعرض له

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس اخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده ... صغير اذا التفت عليه المحافل

وفي مثل هذا قيل للعتابي وكان لا يبالي بما لبس ما لك لا تغير الملبوس فقال
انما يرفع المرء ادبه وعلمه وعقله لا حليته وحلته فقبح الله امرا يرضى ان
يرفعه هيئته وجماله لا ادبه حتى يشهد اصغراه لسانه وقلبه ويقولوا
بأكبريه هيئته ولبسه ومثله خبر ضمرة بن ابي ضمرة على المنذر وهو ملك
وكان ضمرة ذا راي وعقل فاحتقره حين نظر اليه لدمامته فقال لا تسمع بالمعيدي
لا ان تراه فقال ضمرة ابيت اللعن ان القوم ليسوا بالجزر انما
المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا نطق نطق ببيان واذا قاتل قاتل بجنان
والرجال لا تكال بالقفزان ولا توزن بالميزان فاعجب المنذر كلامه
وروي ان روح بن زنباع كان في طريق مكة في يوم شديد الحر مع
اصحابه فنزلوا وضربت لهم الخيام والظلال وقدم لهم الطعام الى
الجفون والشراب المبرد فبينما هم كذلك اذ مر بهم راع فدعاه الى الطعام
فابى وقال اني صائم فقال له روح في مثل هذا اليوم الحار فقال الراعي ايامي

ضمرة

له روح

تقضي بها فقال عنترة له روح لقد ضننت بها ما بدا لي إذ جاد
بها روح بن زنباع وروي أن أعرابيا قام بين يدي سليمان بن عبد الملك
فقال يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله إن كرهته فإن وراءه ما
تحب إن قبلته فقال هات يا أعرابي قال إني سأطلق لساني بما خرست عنه
الألسن عظة لله وحق إمامك إنه قد اكتنفك رجال أساءوا الاختيار
لأنفسهم فابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في
الله تعالى ولم يخافوا الله فيك فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم
الناس غبنا يوم القيامة من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان
أما أنت فقد نصحت وأرجو أن الله سبحانه يعين على ما قلدنا وقد
جردت لسانك وهو سيفك فقال الرجل يا أمير المؤمنين هو لك لا عليك وقال جردت
ابن أبي عمرو بن حج الحجاج فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة ودعا
بالغداء وقال لحاجبه انظر من يتغدى معي وأسأله عن بعض الأمر فنظر
نحو الجبل فإذا أعرابي بين شملتين نائم فضربه برجله وقال له ائت الأمير فأتاه
فقال له الحجاج اغسل يديك وتغد معي قال قد دعاني من هو خير منك فأ
جبته قال ومن هو قال الله سبحانه دعاني إلى الصيام فصمت قال في الحر
الشديد قال نعم صمت ليوم هو أشد حرا منه قال أفطر وتصوم غدا
قال أو ضمنت لي البقاء إلى غد قال ليس ذلك إلي قال فكيف تسألني عاجلا
بآجل لا تقدر عليه قال إنه طعام طيب قال لم تطيبه أنت ولا الطباخ وإنما
طيبته العافية ومما جرى لهارون الرشيد بعث إلى مالك بن أنس بكيس فيه
خمسمائة دينار فلما قضى نسكه وانصرف وقدم المدينة بعث إلى مالك أن
أمير المؤمنين يحب أن تنتقل معه إلى مدينة السلام فقال للرسول قل له إن الكيس

بختمه وقال الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة خير لهم لو كانوا
يعلمون وقال وهب بن منبه إن ملكا أراد أن يفتن الناس ويحملهم
على أكل لحم الخنزير فأتي برجل من أفضل أهل زمانه فأعظم الناس مكانه وهالهم
أمره فقال له صاحب شرطة الملك إني آتيك بجدي تذبحه مما
يحل لك أكله وإذا دعا الملك بلحم الخنزير أتيتك بالجدي فكل ثم
أتي به الملك فدعا بلحم الخنزير فأتاه صاحب الشرطة بذلك الجدي فأمره
الملك أن يأكله فأبى أن يأكله فأمر الملك صاحب الشرطة أن يقتله فلما
ذهب به قال ما منعك أن تأكل وهو اللحم الذي أتيتك به قال قد علمت
أنه هو ولكن خفت أن يفتتن الناس فإذا رأوني أكلت لحم الخنزير فأبوا
لو اقتدى بي أحد هلك ويستغني بي فأكون فتنة لهم فقتل رحمه الله ويروى
أن ملكا أتى بعض الغزاة بالذبائح للأصنام فقيل إن في مملكته رجلا لا يرى
رأيك ولا يذبح للأصنام فأمر به فأحضر فقال له قرب ذبيحة بين يدي هذا
الصنم ولو بقرة فأبى فقيل له قرب كبشا فأبى فقيل له قرب ديكا فأبى
فقيل له قرب دجاجة فأبى فأمر به فقتل رحمه الله تعالى ويروى أن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب يا كعب خوفنا فقال أوليس فيكم
كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى ولكن
خوفنا يا كعب فقال يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت يوم القيامة
بعمل سبعين نبيا لازدريت عملك مما ترى فبكى عمر وأطرق مليا
ثم أفاق فقال يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم
قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلا دماغه حتى يسيل من حرها
فنكس عمر ثم أفاق فقال يا كعب زدنا فقال يا أمير المؤمنين إن جهنم لتزفر

لتتزود يوم القيامة فما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا هو جاث حتى ابراهيم
خليل الرحمان على ركبتيه يقول يا رب لا اسألك الا نفسي نفسي وان الذي
ابوه هما على بعض الامراء فحجبه ثم اذن له فلما دخل قال ان هذا الامر الذي
صار اليك قد كان في يد غيرك فماتوا والله حديثا فان جئت ان تحجب او تنشر
فتنشر فتحبب الى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب وتسهيل الحجاب
فان حب عباد الله موصول بحب الله تعالى وبغضهم ببغضه لانهم
شهداء الله على خلقه ودخل محمد بن واسع سيد العباد في زمانه
على بلال بن ابي بردة امير البصرة وكان ثوبه الى نصف ساقيه فقال له بلال ما هذه
الشهرة فقال له ابن واسع انتم شهرتمونا هكذا كان لباس من مضى وانما
وانتم طولتم ذيولكم فصارت السنة بينكم بدعة وشهرة ولما دخلت
انا على ملك مصر وهو الافضل بن امير الجيوش قلت له السلام عليك ورحمة الله
وبركاته فرد علي السلام على نحو ما سلمت عليه فقلت له ايها الملك ان
الله سبحانه قد احلك محلا عاليا شامخا وانزلك منزلة شريفة وملكك
بلادا وملكا لا ينبغي لمن ملكه واشركك في حكمه ولم يرض ان يكون امر احد
فوق امرك فلا ترضى ان يكون احد اولى منك بالشكر وان الله تعالى قد
الزم الورى طاعتك فلا يكن احد اطوع منك له وليس الشكر باللسان
وانما هو بالعمل والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا
فاعلم ان هذا الذي اصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان
قبلك وهو خارج عن يدك بمثل ما صار به اليك فاتق الله فيما خولك من
هذه الامة وان الله تعالى سائلك عن النقير والقطمير والفتيل قال الله
تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال سبحانه وان

وان كان

وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين واعلم
ايها الملك ان الله تعالى قد اتى ملك الدنيا بحذافيرها سليمان بن
داود عليهما السلام فسخر له الانس والجن والطير والوحش والبهائم
وسخر له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب والشياطين ثم رفع
عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير
حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة
كما حسبتموها بل خاف ان يكون استدراجا من الله تعالى ومكرا فقال
هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر فافتح الباب وسهل الحجاب
وانصر المظلوم اعانك الله على ما قلدك وجعلك كهفا للملهوف
واماناً للخائف وكتب حكيم الى حكيم انه ما بك غنى عن ثلاث
اشياء ان اجتنبت عنها اضرت بك لا تنقطع الى الناس اولى بالحمد و
ومتى تضيع امور الناس وبما تتلقى النعمة من الله وكتب اليه
اولا انه ليس يد رحمة الملك يكون سلطان الباغي فهو الدهر حزين
خائف ويتسع ملك العادل يكون بيد الجاهل فهو الدهر متعب (الباغي)
مغبون والكريم يحتاج الى اللئيم فهو الدهر خاضع له ذليل وتضيع
امور الناس اذا كان الرأي عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله
والمال عند من لا ينفقه وتتلقى النعمة من الله بكثرة شكره ولزوم
طاعته واجتناب معاصيه فطال ذلك الى ان مات قال يحيى
ابن سعيد حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز فلما
اشرفا على عقبة عسفان نظر سليمان الى السرادقات قد ضربت له فقال (عقبة)
يا عمر كيف ترى قال ارى دنيا يأكل بعضها بعضا وانت المسؤول

[illegible] صل على الحبيب محمد وآله

المسئول عنها والماخوذ بها فبينما هم كذلك اذ طار غراب
من صراح وسليمان في منقاره كسرة فصاح فقال سليمان ما تقول
هذا الغراب قال عمر لا ادري ما يقول ولكن شئت اخبرتك بعلم قال
اخبرني قال هذا غراب قد طار من صراح فما وقع منقاره كسرة اكل بها
ماخوذ وعنها مسئول من اين اخذها ومن اين خرجت قال اني لاعجب
بالعجب قال فهلا اخبرك باعجب من هذا قال بلى قال من عرف الله كيف
عصاه ومن عرف الشيطان كيف اطاعه ومن ايقن بالموت كيف يهنيه العيش
قال لقد غصت علينا ما نحن فيه ثم ضرب من شده وتساور وروى
ان بلال ابن ابي بردة خرج في جنازة وهو امير على البصرة فنظر الى جماعة
فوقها فقال ما هذا قال ملك بن دينار يذكر الناس قال لوصيف
له اذهب الى ملك بن دينار فقل له يتنفع البناء الى القبر فجاء الوصيف
فادى الرسالة الى ملك فصاح ملك ما لي اليه حاجة فاجبته فيها
فان تكن له حاجة فليجئني في حاجته فمضى فصار وهنوا منتفخ قال
بلال بعض معه الى حلقة فجعل دنا منها نزل ونزل من معه ثم جاء يمشي
الى الحلقة فلما دنا منها حتى جلس فيها رواه ما له بن دينار رسكت
فاطال السكوت فقال له بلال يا ابا يحيى ذكرنا فقال ان نسيت
شيئا فاذكر لي قال محدثنا قال اما هذا فنعم قوم علينا امير من قبلك
البصرة فمات فدفناه في هذه الجبانة ثم اتينا ابن يحيى قدفناه الى جنبه
فوالله ما ادري ايهما اكرم على الله تعالى فقال له بلال يا ابا يحيى
اخو رب ما انتم جرا علينا وما ذي سكتني عنك لانكم لا تاخذون درا
هكذا فيها اخوة الله لو اخذتم من دراهمنا فتبسلوا ما اجترات علينا

هذه

41

هذه الجزالة قال فما اعواننا الخبيث عليه اربا فانقرادراهمهم
ودخل ابن شهاب على الوليد بن عبد الملك فقال يا ابن شهاب ما
ما حديث يحدثنا به اهل الشام قال وما هو يا امير المومنين قال حدثونا
ان الله تعالى اذا استرعى عبدا رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب
عليه السيئات قال كذبوا يا امير المومنين انبي خليفة اقرب الى
الله تعالى ام خليفة ليس بنبي قال بل نبي خليفة قال فانا احدثك
بلام لا تشك فيه قال الله تعالى يا داوود انا جعلناك خليفة في الارض
فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله الى اخر
الاية يا امير المومنين فهذا وعيد الله تعالى لنبي خليفة فما ظنك
بخليفة ليس بنبي فقال الوليد ان الناس ليغروننا عن ديننا وروى
زياد عن مالك بن انس قال بعث الي ابو جعفر المنصور والى ابن طاوس
فدخلنا عليه فاذا هو جالس على فرش قد نضدت وبين يديه انطاع
قد بسطت وبين يديه جلاوزة بايديهم السيوف يضربون الاعناق
فاومى الينا ان اجلسا فجلسنا فاطرق عنا مليا ثم رفع راسه
ونظر الى ابن طاوس وقال حدثنا عن ابيك قال سمعت ابي يقول قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس غدا يوم القيامة رجل
اشركه الله في ملكه فادخل عليه الجور في حكمه فامسك ابو جعفر
ساعة قال مالك فضممت ثيابي مخافة ان يملاني من دمه فامسك ساعة
حتى اسود ما بيننا وبينه ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه
الدواة فامسك عنه ثم قال ناولني الدواة فامسك ثم قال وما
يمنعك ان تناولنيها قال اخشى ان تكتب بها معصية فاكون شريكك

منقار

المشغول عنها والماخوذ بها فبينما هم كذلك اذ كان غراب
من صراة وسليمان في منقاره كسرة فصاح فقال سليمان ما يقول
هذا الغراب قال علم لا اعرف ما يقرا ولا كلام شيت اخبرتك بعلم قال
اخبرني قال هذا غراب قد كان من صراة فلما وقع منقاره كسرة انت بها
ماخوذ وعنها مشغول من اين دخلت ومن اين خرجت قال الذي يجيء
بالعجب فقال اولا اخبرك باعجب من هذا قال بلى قال من عرف الله كيف
عصاه ومن عرف الشيطان كيف اطاعه ومن ايقن بالموت كيف تهنيه لذة
العيش قال لقد عيب علينا ما نحن فيه ثم ضرب في صدره وتسار وروى
ان بلال بن ابي بردة خرج في جنازة وهو امير على البصرة فنظر الى جما
عة فوقف فقال ما هذه قال ملك من حمير يذكر الناس قال لوصيف
له اذهب الى ملك من حمير رفقك الله ينفع الينا الى القصر فجاء الوصيف
فلما دنا الوصيف ناداه فصاح ملك ما لي اليه حاجة فان جئته فيها
فان تكن له حاجة فليجئني في حاجته تقضى فيها وهو متنحي قال
بلال يمر بعد الى الحلقة فعندما منها نزل ونزل من معه ثم جاء يمشي
الى الحلقة فلما دنا منها تنحوا جانبا فجلس مالك بن دينار سكن
ما كان السكون فقال له بلال يا يحيى اذكرنا فقال ان نسيت
شيئا فذكرني قال محدثنا قال اما هذا فنعم قدم علينا امير من قبلك
البصرة فمات فجئنا به هذه الجبانة ثم اتينا ابن يحيى فقعدنا الى جنبه
فوالله ما ادري ايهما اكرم على الله تعالى فقال له بلال يا ابا يحيى
اتدري ما الذي جرأك علينا وادناني بسكتني عندك ثم لا تاخذ من دارنا
هنا شيئا والله لو اخذت من دارنا هنا شيئا ما اعتذرت علينا

هذه

هذه الجرأة قال واما لولا الحديث عمراه انا فانقوادا هم
ودخل ابن شهاب على الوليد بن عبد الملك فقال يا ابن شهاب ما
حديث يحدثنا به اهل الشام قال وما هو يا امير المؤمنين قال حدثونا
ان الله تعالى اذا استرعى عبدا رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب
عليه السيئات قال كذبوا يا امير المؤمنين انبي خليفة اقرب الى
الله تعالى ام خليفة ليس بنبي قال بل نبي خليفة قال فانا احدثك
بكلام لا تشك فيه قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض
فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله الى اخر
الاية يا امير المؤمنين فهذا وعيد الله تعالى لنبي خليفة فما ظنك
بخليفة ليس بنبي فقال الوليد ان الناس ليغروننا عن ديننا وروى
زياد عن مالك بن انس قال بعث الي ابو جعفر المنصور والى ابن طاوس
فدخلنا عليه فاذا هو جالس على فرش نضدت وبين يديه انطاع
قد بسطت وبين يديه جلاوزة وبايديهم السيوف يضربون الاعناق
فاومى الينا ان اجلسا فجلسنا فاطرق عنا مليا ثم رفع راسه
ونظر الى ابن طاوس وقال حدثنا عن ابيك قال سمعت ابي يقول قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة رجل
اشركه الله في ملكه فادخل عليه الجور في حكمه فامسك ابو جعفر
ساعة قال مالك فضممت ثيابي مخافة ان يملأني من دمه فامسك ساعة
حتى اسود ما بيننا وبينه ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه ا
الدواة فامسك عنه ثم قال ناولني الدواة فامسك ثم قال وما
يمنعك ان تناولنيها قال اخشى ان تكتب بها معصية فاكون شريكك

فيها فلما سمع ذلك قال قوما عني فقال ابن كعب ومن حوله ما كنا نبغي
منذ اليوم قال ما لك فما زلنا نبركها ومن فضله قال احمد بن الحواري
سمعت رجلا يحدث عن امير الشام انه قال بعث الي الرشيد فلما انتهيت
الى باب القصر اخذهم بينا يضعون ما يحملاني به دهليز القصر فلما
انتهيت الى باب القاعة لقيني خصيان فحملاني فادخلاني فاعدت
القصر فانتهيت الى البهو الذي هو فيه فلقياني خصيان اخر فحملاني
فاخذاني فادخلاني في البهو فقال لهما اقعداه واوقفا الشيخ
فلما وقفت بين يديه قلت يا امير المؤمنين ما مر بي يوم منذ ولدت
امي كنت فيه اتعب من يومي هذا فاتق الله تعالى في خلقه
واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في امته وانصح لنفسك
واعلم انك غدا بين يدي الله تعالى انك اذل فيه من مقامي
هذا بين يديك فاتق الله واعلم انك ان اخذ الله تعالى وسطوته
كيف وكيف ما اصبحت فيه فوالله حتى نزل الى المصلى بين يدي فراشه
فراشه فقلت يا امير المؤمنين هذا اذل فكيف لو رايت ذل المقام
فقال فكادت نفسه تخرج فقال يحيى للخصي اخرجاه فقد
ابكى امير المؤمنين ودخل عليه في مجلس اخر فقال له عظني
واوجز فقال يا امير المؤمنين ان الله اكرمك فما اكرمك به فحقيق
عليك ان تحب ما احبه وتبغض ما ابغض فوالله لقد احب الله
دارا فابغضتها وابغض دارا فاحببتها كانما اردت خلافه
وبلوا رغبت سوال اعلم يا امير المؤمنين ان الذي في يديك
لو بقي على من كان قبلك لم يصل اليك وكذلك لا يبقى لك كما لم

بمو

بمو تغير ما نوال الله في خلافته واحفظ وصية محمد صلى الله عليه
وسلم في امته ودخل بعض ولاة الشيع على الفضيل بن عياض فسلم
عليه فقال وعليك السلام ايها الملك ثم قال له ايها الملك في
الله فلم تطع قال اتعصيه قال نعم قال فقد كذبت والله في
حبك اياه لو احببته اذا ما عصيته ثم انشد

تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع
في كل يوم يبتديك بنعمة منه وانت لشكر ذاك مضيع

وروى زيد بن اسلم عن ابيه قال قلت لجعفر بن سليمان انهما تسمي
والي المدينة اخشى ان ياتي رجل الى المدينة غدا ليس له في
شلل نسب ولا اب فيكون اولى برسول الله صلى الله عليه وسلم
كما كانت امراة فرعون اولى بنوح ولوط من زوجتيهما وكما كا
نت زوجة لوط ونوح اولى بفرعون من زوجته من لم ينفعه عمله لم
يسرع به نسبه وقال الشعبي بينا الحجاج في المجلس
اذ دخل عليه رجل من اهل اليمن فجعل يطوف فوكل به بعض من
معه وقال اذا فرغ من طوافه ايتني به فلما اتاه به قال ممن انت
قال من اهل اليمن قال اخبرني عن محمد بن يوسف قال نعم فانه
عنده قال لقد تركته ابيض بضا سمينا قال فالعريض قال وليس
ليس عن هذا اسالك قال عن سيرته وصحبته قال يا جورا نيئ
واخبث المضجع واعدى العدوان على دين الله تعالى واحكامه قال
فغضب الحجاج وقال وبلك اما علمت انه اخي قال بلى وانت

اما علمت ان الله ربي والله هو اعلم بي منه واكثر منه لا خبط وقال
وقال ابو صعصعة حدثني رجل من اهل المدينة قال سمعت
محمد بن ابراهيم يحدث قال شهدت ابا جعفر بالمدينة وهو
ينظر فيما بين رجل من قريش واهل بيت من اعرابها جرى بينهما فقالت قريش
فقالوا لابي جعفر اجعل بيننا وبينهم ابن ابي ذئب فقال ابو
جعفر فما تقول في بني فلان فقال اشرار من بيت اشرار فقالوا
اصلحك الله يا امير المؤمنين عن الحسن بن زيد وكان عامله على المدينة
قال ما تقول في الحسن قال يأخذ بالاحنة ويقضي بالهوى
قال الحسن والله يا امير المؤمنين لو سألته عن نفسك لرماك بداهية
وتكذبه بما تشترون ما تقول فيَّ قال اعفني قال لا بد ان
تقول قال ان كان لا بد فانك لا تعدل في الرعية ولا تقسم با
لسوية قال فتغير وجه ابي جعفر فقام ابراهيم بن محمد بن علي
صاحب الموصل فقال طهرني منه يا امير المؤمنين فقال ابن ابي
ذئب اقعد يا بني ليس يطهرك رجل يشهد ان لا اله الا الله
طهور ثم تحول الى ابن ابي ذئب الكلام فقال يا امير المؤمنين دع
عنا ما نحن فيه فلعمري انك رزقت ولو اصبحنا بالعراق
يعني المهدي قال ابن الخال قلت ذلك انه لصوام اليوم البعيد
ما بين الطرفين ثم قام ابن ابي ذئب فخرج فقال ابو جعفر اما
والله ما هو مستوثق نعمه ولقد خاطر بنا بذات نفسه د
ودخل ابو النضر سالم مولى عمر بن عبيد الله على عامل
الخليفة فقال له يا ابا النضر انه تأتينا كتب من عند الخليفة

فيها

فيها وفيها ولا نجد بدا من انفاذها فما ترى قال ابو النضر
قد اتاك كتاب الله قبل كتاب الخليفة فلايهما اتبعت كنت
من اهله

الباب الثالث فيما جاء في الولاة
والقضاة وما يجب عليهم من العدل والحكم

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس
بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله جاء في التفسير من
اتباع الهوى ان يحضر الخصمان بين يديه فيود ان يكون الحق
له منهما خاصة وبهذه الخصلة سلب سليمان بن داود عليهما السلام
ملكه قال ابن عباس كان الذي اصاب سليمان بن داود عليهما
السلام ان اناسا من اهل جرادة امراته من اكرم نسائه اليه تحا
كموا اليه مع غيرهم فاحب ان يكون الحق لاهل جرادة فيقضي لهم
فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحدا او مزيد ذكر اية الملوك
التي انزلها الله تعالى في النساء تخبر بما اقتضته من السياسة
العامة التي فيها بقاء الملك وثبوت العدل قال الله سبحانه
ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز ثم سمى المنصورين
واوضح شرائط النصر فقال عز من قائل الذين ان مكناهم في الارض
اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن
المنكر فضمن الله تعالى النصر للملوك وشرط عليهم اربع شرائط
كما ترى فمتى تضعضعت قواعدهم وانتقض عليهم شيء
من اطراف مملكتهم وخرج عليهم عدو او باغي فتنة او مانع

اللهم صل على الحبيب

نعمة او اضطرت عليهم الامور واو الاسباب التي يلجؤوا
الى الله ويستجيروا من سوء فوزك باصلاح ما بينه وبينهم باقامة
الميزان التي شرعه الله تعالى لعباده وركوب سبيل العدل والحق
التي به قامت السموات والارض والمصار شرايع الاسلام ونصر
المظلوم والاخذ على يد الظالم وكف يد القوي عن الضعيف ومن
اعانة الفقراء والمساكين ملاحظة ذوي الخصاصة والمستضعفين
وليعلموا انهم قد اخلوا بشيء من الشروط الاربع التي شرطهن في
النص وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا كلكم
راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالامام الذي على الناس راع
وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع على اهل بيته وهو مسؤول
عن رعيته والمراة راعية على اهل بيت زوجها وهي مسؤولة
عنه الا وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والمراة راعية
على اهل بيت زوجها وولدها وهي مسؤولة عنهم والعبد
الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه الا وكلكم راع و
ومسؤول عن رعيته فجعل النبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك
في هو تحت راع باله والكلمة ماخوذة من الرعاية والمراعات
فاذا الفقوم لرعاية تحرج من يا كله فهو الهلاك كما قال الشاعر
وراعي الشاة يحمي الذيب عنها فكيف اذا الرعاة لها ذئاب ∴
وروى مسلم في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما
من امير يلي امر المسلمين ثم لا يجهد لهم ولا ينصح الا لم يدخل
معهم الجنة وقال معقل بن يسار سمعت النبي صلى الله عليه

امير

وسلم

وسلم يقول ما من عبد يسترعيه الله تعالى رعية فلم يحطها
بنصيحة الا لم يجد رائحة الجنة وروى عبد الرحمن بن سمرة قال
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الا
مارة فانك ان اعطيتها من غير مسألة اعنت عليها وان ا
عطيتها عن مسألة وكلت اليها وروى ابو هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال تحرصون على الامارة وستكون
ندامة يوم القيامة فنعمت المرضعة وبيست الفاطمة و
وقال ابو ذر قلت امرني يا رسول الله فقال انها امانة وان
انها حسرة وندامة يوم القيامة وروى البخاري ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال تجدون خير الناس اشد كراهية
في هذا الامر حتى يقع فيها يوم القيامة الا من اخذها وادى
الذي عليه فيها وفي الحديث من ولي من امر المسلمين شيئا
ثم لم يحطهم بنصيحة كما يحوط اهل بيته فليتبوأ مقعده
من النار وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى
عاصم ليستعمله على الصدقة فابى قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالي
فيوقف على جسر جهنم فيامر الله سبحانه فينتفض به انتفا
ضة يزول كل عضو من مكانه ثم يامر الله تعالى العظام التي
كنها ثم يبسط يلبه فان كان لله مطيعا اخذ بيده واعطاه
كفلين من رحمته وان كان لله عاصيا خرق به الجسر
فيهوي في جهنم مقدار سبعين خريفا فقال عمر رضي الله

ان يستعمله

من

عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حالم اسمع قال نعم وكان
سلمان وابو ذر حاضرين فقال سلمان اي والله يا عمر
مع السبعين بسبعين خريفا في واد من نار تلتهب التهابا فقال
عمر بين كتفيه وجبهته انا لله وانا اليه راجعون من ياخذها بما فيها
فقال سلمان من سلب الله انفه والصق خده بالارض وروى
ان العباس قال امرني يا رسول الله فاصيب واستنثر منه فقال له
يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها الا
احدثكم عن الامارة اولها ملامة واوسطها ندامة واخرها
حسرة يوم القيامة وروى ابو داود في السنن قال جاء
رجل فقال يا رسول الله ان ابي كان عريفا على الماء واني اسئلك
ان تجعل لي العرافة من بعده فقال النبي صلى الله عليه وسلم
العرافة في النار وروى النسائي عن ابي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم
القيامة الامام الجائر وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليس من وال ولا قاض
الا يوقف به يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله تعالى على الصراط
ثم تنشر الملائكة سيرته فيقرؤونها على رؤوس الخلائق فان كان
عدلا نجاه الله بعدله وان كان غير ذلك انتفض به انتفاضة
صار بين كل عضو من اعضائه مسيرة سنة ثم ينخرق به الصراط
فما يلقى قعر جهنم الا بوجهه وجبينه وروى معاذ بن جبل ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان القاضي ليؤتى به من الفزع يعرق من هو

العرافة واجبة ومعرو بتعريفها السنن

في جهنم

في جهنم وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول يوتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة
الحساب ما يود انه لم يقض بين اثنين في عمره وروى الحسن البصري ان النبي صلى
الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة يستعمله فقال يا رسول الله
خر لي فقال اقعد في بيتك وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
ليودن اقوام يوم القيامة لو وقعوا من الثريا ولم يكونوا امراء
على شيء وكم متخوض في مال الله ومال رسوله له النار غدا
وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صنفان من امتي
لا تنالهم شفاعتي امام ظالم غشوم وغال في الدين مارق
منه وقال الحسن يعني مولانا من اقتراب الساعة ان يكون امراء
فجرة ووزراء كذبة وامناء خونة وعلماء فسقة وقال
عمر بن عبد العزيز ما ازداد رجل من السلطان قربا الا ازداد من
الله تعالى بعدا ولا كثرت اتباعه الا كثرت شياطينه ولا كثر ماله الا
كثر حسابه وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما من امير يومر
على عشرة الا جيء به يوم القيامة مغلولا لا يحله الا عدله او
اهلكه وقال طاوس لسليمان بن عبد الملك هل تدري يا امير
المومنين من هو اشد الناس عذابا يوم القيامة من اشركه الله
في ملكه فجار في حكمه فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكي
فما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه وفي الحديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة
رجل قضى بغير علم فهو في النار ورجل قضى بعلم وجار فهو في النار

ورجل قضى بالحق فهو في الجنة رواه بريدة له ولما يليه عن النبي صلى وسلم
الله عليه وسلم وقال ابن هبيرة جاء صبيان الى عبيدة السلماني يتخا
يرون اليه في الواحهم فلم ينظر فيه وقال هذا حكم لا اتولى حكما
ابدا او تخايروا عند الحسن فجعل ينظر فيه كما يحكم فقال اوهذا حكم
ولا بد من النظر والتصفح ومن يسلمون في كتبهم حديث مرفوع رواه
ابو داود في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قدم للقضاء
فقد ذبح بغير سكين وفي اخبار القضاة ان قاضيا قدم الى بعض ولاة
وجاء له عقل ودين وتقدمه فقال له ايها القاضي أبلغك قول النبي
صلى الله عليه وسلم من قدم للقضاء فقد ذبح بغير سكين قال نعم قال
فبلغك ان فهود سببين ببلدنا ضاعت فجئت تجرها قال لا قال
اما كره هذا السلطان عزمه له قال لا قال فاشهد اني لا اصلح لهم
مجلسا ولا اولي عنزا شهادة ابدا وروي ان ابا بكر الصديق
رضي الله عنه قال في بعض خطبه ان الملك اذا ملك زهده الله
في ماله ورغبه فيما بيد غيره واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد
على القليل ويسخط الكثير يجزل الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت
نفسه ونضب عمره وضحا ظله حاسبه الله فاشتد حسابه واقل
عفوه وذكر اعرابي السلطان فقال والله لئن عز في الدنيا
لقد ذل في الاخرة بالعدل ويقلب بالرضوان حين يلقى والفتنة
يكون النوم حيث لا ينفع النوم قال ابو بكر بن ابي مريم حج قوم
فمات صاحب لهم بارض فلاة فلم يجدوا ماء فاتاهم رجل فقالوا
دلنا رحمك الله على الماء فقال احلفوا لي ثلاثا وثلاثين يمينا انكم

يكن

يكن صرافا ولا مكاسا ولا عريفا ولا بريدا ويروى ولا عوانا وانا ادلكم
على الماء فحلفوا له ثلاثا وثلاثين يمينا فدلهم على الماء ثم قالوا اعنا
على غسله قال احلفوا لي ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم ذكره فحلفوا
له فاعانهم على غسله ثم قالوا له تقدم وصل عليه بين يدي الله قال لا
حتى تحلفوا لي اربعا وثلاثين يمينا كما تقدم ذكره فحلفوا له فصلى عليه
ثم التفتوا فلم يروا احدا فكانوا يرون انه الخضر عليه السلام و
وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس
عذابا يوم القيامة رجل قتله نبي او قتل نبيا وامام ضلالة وممثل
من الممثلين وقال ابو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ستة ايام اعقل يا ابا ذر ما اقول لك فلما كان في اليوم السابع قال
اوصيك بتقوى الله العظيم في امر سرك وعلانيتك واذا اسأت فا
حسن ولا تسألن احدا وان سقط سوطك ولا تؤوين امانة ولا تقومن
بينهما ولا تقضين بين اثنين وقال ابو ذر ايضا قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اني احب لك ما احب لنفسي واني اراك أحب لك
ضعيفا فلا تأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم وروى ابو ذر ايضا قال
قلت يا رسول الله الا تستعملني فضرب بيده على منكبي وقال يا ابا ذر
انك ضعيف وانها امانة وانها يوم القيامة خزي وندامة الا من
اخذها بحقها وادى الذي عليه فيها وروي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن وانا
حديث السن فقلت يا رسول الله تبعثني الى قوم شيوخ ذوي اسنان
ولا علم لي بالقضاء فقال ان الله سبحانه سيهدي قلبك ويسدد لسانك فاذا

جلس الخصمان بين يديك فلا تقض للأول حتى تسمع كلام الآخر فإنك
إذا سمعت كلامه عرفت كيف تقضي فإن قيل كيف نهى
عن القضاء أبا ذر وأمر عليًا بالقضاء مع ما فيه من التغرير وما روي
أن من تقدم إلى القضاء فقد ذبح بغير سكين وفيه البعد عن حضرته
والتشرف بمشاهدته وتعلم سننه وشرائع دينه والتخلق بأخلاقه
وشيمه وأيضًا فضل المثول بين يديه والكون بحضرته
ومشاهدته والصلوة خلفه والقضاء في غيبته والبعد عنه
قلنا إنما نهى أبا ذر عن القضاء لمعنى فيه يقصر به عن رتبة القضاء
مما كان ضده في علي رضي الله عنه من استجماع شرائع
القضاء وقوته عليه ألا تراه قال لا بأس أراك ضعيفًا ثم قال وإنها
خزي إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها فاستند للنهي
لأجل أن من استجمعت فيه شروط القضاء وكان قويًا على إنفاذه
إنفاذه لم يتوجه إليه النهي ومن يعرف ضعفًا عن القضاء وطلبه
إياه لم يأمن عواقبه وقد وصف الله تعالى المتسرع إلى الأمانة
بالجهل والظلم فقال عز من قائل إنا عرضنا الأمانة
على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها
وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا أي ظلومًا لنفسه
جهولًا بعاقبة أمره والدليل على صحة هذا التأويل قول النبي
صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة
رجل عرف الحق وقضى به فهو في الجنة ورجل عرف الحق ولم يقض
به وجار في الحكم فهو في النار ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس على

جهل

جهل فهو في النار قلت فهذا الرجلان ضعيفان عن رتبة
القضاء أحدهما بفسقه وظلمه والآخر بجهله وقد عاب جهلة
بني إسرائيل فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم
يؤت سعة من المال فعابوه بخصلتين الفقر وأنه ليس من بيت
المملكة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفاه
عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم فبين شروط الولاية
والعدالة وأنها تفتقر إلى العلم الذي به يحكم وإلى القوة التي
ينفذ الأحكام ... ما طلبته بنو إسرائيل وأما قوله أيضًا
فضل القضاء في غيبته والحضور بين يديه والكون في حضرته
فالجواب أن نقول إن أوامره فرض يعصي بتركها والكون بحضرته
مستحب بعد الهجرة فلا يعصي بتركه وعلمنا بهذا أنه إنما بعثه
الله تعالى به بعض خليفته في ذلك يدل على هذا أنه أوجب
الجنة لمن قضى بالحق.

الباب الرابع في بيان معرفة ملك سليمان
ابن داود عليهما السلام ووجه طلبه لملك
و... الله

لا يؤتى لأحد من بعده ونفي البخل عنه صلى الله عليه وسلم فإن
قال قائل ليس سليمان بن داود عليهما السلام قال هب لي
ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ثم زاد على ذلك بأن
لا يؤتى أحد مثله من بعده وهذا هو يؤذن بالبخل فالكلام على هذه
الآية من وجوه أحدها إنما سأل هذا بعد أن سلبه الله ملكه

ثم اعاده الله عليه فحبب اليه طلب الملك فكانه قال هذا الملك
الذي عوقبت بذهابه عني هبه لي لا اعصيك فيه فتسلبنيه بالمرة
فيدل عليه انه بدأ بالمغفرة فقال رب اغفر لي وهب لي ملكا
لا ينبغي لاحد اي لا اعصيك فيه فتاخذه واني تبت عن ذلك فقوله
سبحانه هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فكانه اجاب
دعاءه فقال تصرف كيف شئت فلا حساب عليك فيه وقيل ان
اعطيت اجرت وان امسكت فلا تباعة عليك فيه ~~وقيل ان عصيت~~
وهذا خصيصا لسليمان بن داود عليهما السلام لم يخص بها
احد من ولد ادم سواه لان الله قال للخلق اجمعين فوربك
لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون واما قوله لا ينبغي لاحد من
بعدي فقال عطاء معناه لا اسلبه في باقي عمري فيصير الى غيري
كما سلبته في ماضي عمري وقيل لا تسلط علي فيه شيطانا مثل الذي
سلطته علي وقيل انما سال ذلك ليكون علما على المغفرة وقبول
التوبة فاجاب الله دعاءه فعلم انه قد غفر له وقيل انما سال ذلك لان
يكون اية لنبوته وعلما على معجزاته عليه السلام وقال مقاتل
كان سليمان ملكا ولكنه اراد بقوله لا ينبغي لاحد من بعدي تسخير
الرياح والطير يدل عليه ما بعده قوله فسخرنا له الريح الى
اخر الايات وقيل ان سليمان عليه السلام كان ملكه في خاتمه فلما
اذهب ملكه بذهاب خاتمه على ما سنذكره في باب ابلقيس بعد ان
نذكره ان شاء الله تعالى فقال لا ينبغي لاحد من بعدي يقول اجعل
ملكي في نفسي لا في خاتمي حتى لا يملكه غيري فان ابليس لما اخذ خاتم

سليمان

سليمان عليه السلام تحول ملك سليمان الى ابليس وقعد على
ملك سليمان يحكم فيه حتى انكر بنو اسرائيل احكامه وكان قد
القي عليه شبهه وقال عمر بن عثمان انما اراد به ملك النفس
وقهر الهوى يدل عليه ما روى سلمان الشعبي قال بلغني ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ارايتم سليمان وما اتاه الله
من ملكه فانه لم يرفع طرفه الى السماء تخشعا لله حتى قبضه
الله تعالى وزاد غيره انما اراد ملك النفس وقهرها لئلا يغتر بالله
بالمملكة ولهذا قدم سؤال المغفرة على طلب المملكة
وقال بعض الوعاظ انما اراد حتى لا ينقصه كادم عليه
السلام من اجل نعيمه رتبته حيث كان سببا لاخراجه وابعاده من
الجنة وروي ايضا في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان عفريتا من الجن جاءني فجعل يتفلت علي البارحة ليقطع
علي صلاتي وان الله سبحانه امكنني منه فطرحته فلقد هممت
ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى يصبح فتنظرون
اليه كلكم فذكرت قول سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من
بعدي فرده الله خاسئا فان قيل فما معنى قول يوسف عليه
السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فلنا
يستشهد من الايات من حصل منه في ملك لا يعرف قدره وانه لا
يعرفون فضله فخاف على نفسه ضرار سبيلهم على مكانته وما
يحسنه فجعل يثني على نفسه وجيه فلا دلالة اخرى وهو انه اذا
راى الامور جيدة الخونة واللصوص ومن لا يؤدي الامانة ونعلم

يعلم

من نفسه الاهلية والامانة مع الكفاية جاز ان ينبه السلطان على كفا
يته وامانته ونحو ذلك قال بعض العلماء من اصحاب الشافعي من
كملت فيه الات الاجتهاد وشروط القضاء جاز ان ينبه السلطان
على كفايته بل يجب طلبه القضاء وقال بعضهم بل يجب ذلك
عليه اذا كان لا يوجد من يقوم به غيره والله اعلم

الباب الخامس في فضل الولاة
والفضائل الداعية للسلطان

قال الله سبحانه ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الارض يعني لولا ان الله تعالى اقام السلطان في الارض يدفع
القوي عن الضعيف وينتصف للمظلوم من الظالم لاهلك القوي الضعيف
وتواثب الخلق بعضهم على بعض فلا ينتظم لهم حال ولا يستقر
لهم قرار فتفسد الارض ومن عليها ثم امتن الله تعالى على الخلق با
قامة السلطان فقال ولكن الله ذو فضل على العالمين يعني في اقامة
السلطان فيأمن الناس به ويكون فضله على الظالم بكف يده و
فضله على المظلوم امانه وكف يد الظالم عنه وروى ابو
هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا ترد دعوتهم
الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم وروى
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل
الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ورجل قلبه
متعلق بالمسجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا
ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله

ورجل تصدق

ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل
ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه وروى كثير بن مرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم السلطان ظل الله في الارض يأوي اليه
كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر
واذا جار كان عليه الاصر وعلى الرعية الصبر وروى ابو هريرة
رضي الله عنه قال العامل العادل في رعيته يوما افضل من عبادة العابد في
اهله مائة سنة او خمسين سنة وقال قيس بن سعد ليوم من امام
عادل خير من عبادة رجل في بيته ستين سنة وقال مسروق لان
اقضي يوما بالحق احب الي من ان اغزو سنة في سبيل الله وروى ان نفرا
من ابراهيم وابا سلمة ابن عبد الرحمن ومحمد بن مصعب بن شرحبيل
ومحمد بن صفوان قالوا لسعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت لقضاء
يوم بحق افضل عند الله تعالى من صلاتك عمرك وستعلم صحة هذا
القول اذا وقفت على ما يناله الرعية من الصلاح لصلاح السلطان
واعلم ارشدك الله ان الانسان اذا عرف جواهر الدنيا واعلاها قدرا
واشرفها منزلة وجد السلطان صلاح الانس وهو ايضا اعز اعلاق
الدنيا واعمها بركة وكذلك خلق الله تعالى جواهر الدنيا
وما اعلاها رتبة ثم كان السلطان العادل صلاح الدنيا فما خلق
بشخص يعم نفعه البلاد والعباد وبصلاحه تصلح الدنيا والاخرة
ان يكون قدره عند الله عظيما كما كان قدره في العقول جسيما
ومكانه عند الله كريما كما كان نفعه للبلاد والعباد عميما وعلى
قدر عموم المنفعة تتفاوت الاعمال وعلى قدر النعمة تكون المنة

ألا ترى أن الأنبياء عليهم السلام أعم خلق الله نفعا فهم أجل خلق
الله قدرا لأنهم تعاطوا إصلاح الظاهر وإخراجهم من الظلمات
إلى النور وكذلك سلطان الله تعالى في الأرض وهو خليفة النبوءة
في إصلاح الظاهر ودفع ظلمهم ودعائهم إلى عبادة الرحمن وإقامة
بينهم وتقويم أودهم وليس فوق السلطان العادل منزلة إلا
نبي مرسل أو ملك مقرب فلا تجد عظيم قدر السلطان عندك حجة
على نفسك وتقتصد على قدر ما تفعله وليس تبعه مقصورا على عجا
لذمر حكام الله فيما يجب لربها وإلا كرضيه لذ حجمته وحفظ
حريمها وحراسته ما لم عن البغاة أعم نفعا لأنه إن غفلت وليس له
تعالى في الأرض سلطان إلا وقد أهل عليه شرائع العدل ومواثيق
الإنصاف وشرائع الإحسان وكما أنه ليس فوق رتبة السلطان العا
دل رتبة كذلك ليس دون رتبة السلطان الشرير رتبة لأن شره يعم
كما أن خير العادل يعم وكما أن السلطان العادل يصلح البلاد والعباد
وينال الزلفى إلى الله تعالى والفوز بجنة المأوى كذلك السلطان
الجائر يفسد البلاد والعباد ويقترف المعاصي والآثام ويورث
دار البوار وذلك أن السلطان إذا عدل انتشر العدل في رعيته فأ
قاموا الوزن بالقسط وتعاطوا الحق فيما بينهم ولزموا قوانين
العدل فمات الباطل وذهبت رسوم الجور وانبعثت قوانين الحق
فأرسلت السماء غيثها وأخرجت الأرض بركاتها ونمت تجا
راتهم وزكت زروعهم وتناسلت أنعامهم فكثرت أرزاقهم و
رخصت أسعارهم وامتلأت أوعيتهم فواسى البخيل وأفضل

الكريم

الكريم وفضلت الحقوق وأعيرت المواعين وتهادوا فضول الأ
طعمة والتحف فهان الحطام لكثرته وذل بعد عزته فيما سكن
على الناس مرواتهم وانعطفت عليهم إرادة بأنهم وبهذا تبين لكان
أولا مأجورا على ما يتعاطاه من إقامة العدل ومأجورا على ما يتعاطاه
الناس بسببه وإذا جار السلطان انتشر الجور في البلاد وعم العباد
فرقت أديانهم واضمحلت مروءاتهم فنشأت فيهم المعاصي وذهبت
أماناتهم فضعفت النفوس وقنطت القلوب فمنعوا الحقوق وتعاطوا
الباطل وبخسوا المكيال والميزان وروجوا البهرج فرفعت منهم
البركة وأمسكت السماء غيثها ولم تخرج الأرض زرعها ونبا
تها فقل في أيديهم الحطام فقنطوا وأمسكوا الفضل الموجود وتنا
جزوا على المعقود فمنعوا الزكاة المفروضة وبخلوا بالمواساة
المسنونة وقبضوا أيديهم عن المكارم وتنازعوا المفقود إن الطبيعة
وتجاذبوا القوت الخسيس فنشأت فيهم الأيمان الكاذبة والغش في
البيع والخداع في المعاملة والمكر والخديعة في القضاء والاقتضاء
فلا يمنعهم من السرقة إلا العار ومن الزنا إلا الحياء فيتحمل أحدهم عارا لا
من معاصيه فيجره أعن جلباب مروءته لكن همه قوت يوم بليلة وأعظم
ضررا أنه أعظم من هذا الحطام ومن عاثر كذلك فبطن الأرض خير له من
ظهرها وقال وهب بن منبه إذا هم الوالي بالجور أو عمل به أ
دخل الله النقص في أهل مملكته في الأسواق وفي الزرع والضرع
وكل شيء وإذا هم بالخير والعدل أو عمل به أدخل الله البركة في
أهل مملكته كذلك وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لهلال

العامة بذنوب الخاصة ولا تهلك الخاصة بعمل العامة والخاصة
هم الولاة وفي هذا المعنى قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة وقال الوليد بن هشام ان الرعية لتفسد
بفساد الوالي وتصلح بصلاحه وقال سفيان الثوري لابي جعفر
المنصور اني لاعلم رجلا ان صلح صلحت الامة قال ومن هو قال انت
وقال ابن عباس ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته مستخفيا
في مكانه فنزل على رجل له بقرة فراحت البقرة فحلبت له قدر ثلاثين فعجب
الملك من ذلك وحدث نفسه باخذها فلما راحت من الغد حلبت
على النصف فقال له الملك ما بال حلابها نقص اراعت في غير مرعاها
بالامس قال لا ولكن اظن ملكنا هم باخذها فنقص لبنها فان
الملك اذا ظلم او هم بالظلم ذهبت البركة فعاهد الله الملك
في نفسه انه لا ياخذها فراحت من الغد فحلبت حلاب ثلاثين فتاب
الملك وعاهد الله لا عدلن ابدا ومن المشهور في ارض الغرب
ان السلطان بلغه ان امراة لها حديقة فيها القصب الحلو وان
قصبة منها تعصر قدحا فعزم على اخذها منها ثم اتاها وسالها
عن ذلك فقالت نعم ثم عصرت قصبة فلم تبلغ نصف القدح فقال
اين الذي كان يقال فقالت هو الذي بلغك الا ان يكون السلطان قد
عزم على اخذها منه فارتفعت البركة فتاب السلطان واخلص لله
تعالى نيته ان لا ياخذها ابدا ثم امرها فعصرت قصبة فجاءت
ملء قدح وحدثني بعض الشيوخ ممن كان يرود الاخبار بعض
قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة ارادب تمرا ولم يكن في الزمان

نخلة

وحلب له

ونبه

الا لا ياخذها

نخلة تحمل مثلها فغصبها السلطان فلم تحمل في ذلك العام
ولو تمرة واحدة وقال لي شيخ من شيوخ الصعيد انا اعرف هذه
النخلة في الناحية الغربية تحمل عشرة ارادب نيشوريه وكان
صاحبها يبيعها في سني الغلاء كل ويبة بدينار وشهدت
انا بالاسكندرية والصيد في الخليج مطلق للرعية والسمك
فيه يعلو الماء به كثرة ويصيده الاطفال بالخرق ثم حجره السلطان
ومنع الناس من صيده فذهب السمك منه حتى لا يكاد يوجد فيه
الا الواحدة بعد الواحدة الى يومنا هذا وهكذا تتعدى سرائر الملوك
وعزائمهم ومكنون ضمائرهم الى الرعية ان خيرا فخير وان شرا
فشرا وروى اصحاب التواريخ قالوا كان الناس اذا اصبحوا
في زمن الحجاج تلاقوا يتساءلون من قتل البارحة ومن صلب البا
رحة ومن جلد ومن قطع وما اشبه ذلك وكان الوليد صاحب ضياع
واتخاذ مصانع فكان الناس في زمانه يتساءلون عن البنيان والمصانع
والضياع وشق الانهار وغرس الاشجار ولما ولي سليمان وكان
صاحب نكاح وطعام فكانوا يتحدثون في اصناف الاطعمة الرفيعة
ويتوسعون في المنكحة والتسري ويعمرون مجالسهم بذكر ذلك
ولما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان الناس يتساءلون
كم تحفظ من القرآن ومتى تختم وكم تصوم من الشهر
في امثال ذلك.

الباب الثامن في ان السلطان مع رعيته مغبون غير غابن وخاسر غير رابح

ن

اعلم ارشدكم الله ان خطر السلطان عظيم وبليته عامة وقد
تكرر قدر من الآفات وتغشيه من الامور المهلكات ما يجب على كل
ذي لب ان يستعيذ بالله من حمله ويتوكل على ما عصمه لا يهدأ
فكره ولا تسكن خواطره ولا يصفو قلبه ولا يستقر لبه لحوادث
تشغل عنه وهو مشغول بجميعهم والرجل يخاف عدوا واحدا وهو يخاف
الف عدو والرجل يضيق بتدبير اهل بيته وضيعته ونفسه ومعيشته
معيشته وهو مدفوع لسياسة جميع مملكته بكل ما رتق فتقا من
هول شق مملكته انفتق آخر وكلما رتق منها شعبا انشعب آخر
وكلما قمع عدوا ان صول له اعداء الى ما يحاربه من اخلاء والي
الناس ويقاصيه من خصوماتهم ونصب الولاة والقضاة وبعث
الجيوش وسد الثغور واستجباء الاموال ورفع المظالم ثم من العجب
العجاب ان له بعضا وزهرة وانما يبرزا من الجنة فوقها امثال بين واحد
الرعايا ثم يسأل غدا عن جميعهم ولا يسألون عنه فبالله وبالعجب
من رجل رضي ان ينال رغيفا ويحاسب منها على الالاف الالف ويأكل
به معا واحدا ويحاسب على الف الالف وعن هذا المعنى جميع اخ
احواله يحمل اثقالهم ويردع اشرارهم ويجاهد عدوهم ويسد
ثغورهم ويدافع عن اهلهم وينام بينهم ويعض ربه فيهم ويخاف
امره ومركبه تخيفه من احوالهم ويقتحم جرائمهم جهنم على وجه فيهم
ثم يحشرهم له فانبر ومنه غيرا صبر وحق ان الله يحول بين المرء
وقلبه لم يرض بهذا عاقل منزلة ولم يختر هذا لبيب لنفسه مرتبة
وكان ما ذكرته في هذا الباب احكمه النبي صلى الله عليه وسلم في كلمة

بهم

فقال

فقال ما اتكرو لا مراء لكم صفوا امورهم وعليهم كدرها وشأن
السلطان مع الرعية كالسراج مع الذبالة عليه العناء ولهم الهناء
وعليه الحر ولهم الفضل لطلب القوم الراحة فخصوا على التعب كما
القوم الراحة والنعيم فاخصوا النصر المستقيم وعن هذا قالوا
سيد القوم اشقاهم وفي الحديث ساقي القوم آخرهم شربا وكان
بعض السلاطين يسير يوما ويسير بين يديه الوزعة اذ نظر الى جماعة من
التجار فقال للوزير ان اعجب ان ارى ثلاثة يحوا ما يغنيه لهم الدنيا
الدنيا والآخرة وما يغنيه لهم دنيا بلا آخرة وما يغنيه لا دنيا لهم
ولا آخرة قال وكيف ذلك ايها الملك اما الذين لهم الدنيا و
والآخرة فهؤلاء التجار يكتسبون اقواتهم ويصلون صلاتهم وه
يوما واحدا واما الذين لا دنيا لهم ولا آخرة فهؤلاء الشرط وا
والخدمة الذين بين ايدينا واما الذين لهم الدنيا بلا آخرة فانا
وانت وسائر السلاطين محو على جميع الورى ان عدو السلطان فيما
لمنا صار وخصوه بالاعوان ويبعثونه بسائر العمال وكونوا
له اعينا ناظرة وايديا باطشة وجننا واقية والسنة ناطقة
وقواعد تنحفظ وقوانين تعقد وهيهات منه السلامة واني له با
لسلامة وعن هذا قال بعض السلاطين يوما لاصحابه اعلموا ان
السلطان والجنة لا يجتمعان وحدثني رجل له قدر قال ارسل
الي السلطان ان كلوا امراته وقد اراد بها بعض اصحابه فابيت
ذلك وراجعت الرسول غير مرة وقال في خلال كلامه فانه لا خير
لا بان السلطان لا خير في الدنيا عار ولا في الاخرة نار وروي

اللهم صل على الحبيب محمد

عن عبد الملك بن مروان انه لما ولي الخلافة اخذ المصحف ووضعه
في حجره ثم قال هذا فراق بيني وبينك ويقال ان هارون الرشيد كان يقول
والله اني لاحب ان احج في كل سنة وما يمنعني الا رجل من ولد عمر يسمعني
ما اكره وفي ان خالد بن برمك قال قرات في بعض الكتب القديمة يقول
الله تعالى من احمق من السلطان ومن اجهل ممن عصاني ومن اغر ممن اغتر بي
يا راعي السوء دفعت لك غنما سمانا صحاحا فاكلت اللحم وشربت
اللبن وائتدمت السمن ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع ولم
تأو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم لها منك

الباب الثاني فيما جاء من الحكمة في كون السلطان في الارض

اعلم وفقنا الله ان في وجود السلطان في الارض حكمة لله عظيمة ونعمة
على العباد جزيلة عظيمة لان الله تعالى جبل الخلق على حب الانتصاف
وكراهة الانتصاف ومثلهم بلا سلطان مثل الحوت في الماء يزدرد الكبير
الصغير فمتى لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم لهم امر
ولم تستقر لهم معايش ولم يتهنوا بالمعيشة ولهذا قال بعض
القدماء لو رفع السلطان من الارض ما كان لله في اهل الارض من حاجة
ومن الحكم التي كانت في اقامة السلطان انه من حجج الله سبحانه على وجو
ده ومن علاماته على توحيده لانه كما لا يمكن استقامة امر العالم
واعتداله من غير مدبر ينفرد بتدبيره كذلك لا يتوهم وجود
نبيه وما فيه من الحكمة ودقائق الصنعة بغير خالق خلقه وعالم
اتقنه وحكيم دبره وكما لا يستقيم سلطانان في بلد واحد لا يستقيم

الاهان

الاهان في العالم والعالم بأسره في سلطان الله عز وجل كالبلد الواحد
في سلطان الارض ولهذا قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه امران
جليلان لا يصلح احدهما الا بالتفرد ولا يصلح الاخر الا بالمشاركة وهما
الملك والراي فكما لا يستقيم الملك بالمشاركة لا يستقيم الراي بالتفرد وشان
السلطان العادل لرعيته ورعيته بلا سلطان مثال بيت فيه سراج منير
وحوله اقوام من الخلق يعملون صنائعهم فبينما هم كذلك اذ طفئ
السراج وقبضوا ايديهم في الوقت وتعطل جميع ما كانوا فيه فتحرك
الحيوان الشرير وخشخش الهوام الخسيس فدبت العقرب من مكمنها وخشخش
وتبعت الفارة من جحرها وخرجت الحية من معدنها وجاء اللص
بحيلته وهاج البرغوث مع حقارته فتعطلت المنافع واستطالت
فيهم المضار كذلك السلطان اذا كان قاهرا للرعية كانت المنفعة
به عامة وكانت الدماء في اهبها محقونة والحرم في خدورها مصو
نة والاسواق عامرة والاموال محروسة والحيوان الضعاف ظاهرة
والمرافق حاصلة والحيوان الشرير من اهل الفسوق والدعارة
خامل اذا اختل امر السلطان دخل الفساد على الجميع ولو
جعل ظلم السلطان حولا في كفة ثم جعل فساد الرعية وتظالمهم
وهرجهم في ساعة اذا اختل امر السلطان في كفة كان هرج السـ
ـلطان ساعة اعظم واكثر واربح من ظلم السلطان حولا وكيف لا
وفي زوال السلطان او ضعف شوكته سوق اهل الشر ومكسب
الجهلة وتعلو اهل العداوة والسرقة واللصوص والفتاكة والسرقة
فصل قال الفضيل بن عياض جور ستين سنة خير من هرج ساعة

ولا يتمنى زوال السلطان الا جاهل مغرور وفاسق يتمنى كل محذور ويجب
على كل رعية ان ترغب الى الله تعالى في صلاح السلطان وان تبذل له نصحها
وتخصه بصالح دعائها فان في صلاحه صلاح العباد والبلاد وفي فساده
فساد البلاد والعباد وكان العلماء يقولون ان استقامت لكم
امور السلطان فاكثروا حمد الله وشكره وان جاءكم منه ما تكرهون
وجهوه الى ما تستوجبونه من ذنوبكم وتستحقونه بالاثام وان
وافتهموا عذر السلطان لانتشار الامور عليه وكثرة ما يكابده من
ضبط جوانب المملكة واستيلاف الاعداء وارضى الاولياء وقلة
الناصح وكثرة المدلس والطامع وفي كتب التاج هموم الناس صغار
وهموم الملوك كبار والباب الملوك مشغولة بكل شيء والباب
السوقة مشغولة بايسر شيء والجاهل منهم يعذر نفسه على ما هو
عليه من قلة المؤونة ومن هذا يجب الله تعالى سلطانا تدوم هيبته ونهيه
وعن هذا قالت حكماء العجم لا يستوطن الا بلد فيه سلطان قاهر وقا
ض عادل وسوق قائمة وطبيب عالم ونهر جار

الباب الثامن في منافع
السلطان ومضاره

قالت حكماء العرب والعجم مثل مطر السلطان في خصب منافعه مثل
الذي هو سقي الله تعالى وبركات السماء وحياة الارض ومن عليها وقد
يتاذى به المسافر ويتداعى به البنيان ويكون فيه الصواعق وقد
سيوله فتهلك الناس والدواب والامتعة ويموج به البحر فتشتد
بليته على اهله فلا يمنع ذلك الخلق اذا نظروا الى اثر رحمة الله تعالى في

ويموج
والاثار

في الارض

اللهم صل على الحبيب محمد

في الارض التي احياها والنبات الذي اخرج والرزق الذي بسط
والرحمة التي نشر ان يعظموا نعمة ربهم ويشكروها ويلغوا
ذكر خواص الاذاية التي دخلت على خواص الخلق ومثاله ايضا
مثل الرياح التي يرسلها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته فيسوق بها
السحاب ويجعلها لقاحا للثمرات وارواحا للعباد يتنسمون
بها ويتقلبون فيها وتجري بها مياههم وتوقد بها نيرانهم
وتسير بها في البحر افلاكهم وقد تضر بكثير من الناس في برهم
وبحرهم ويخلص الى انفسهم فيشكرها الشاكرون وقد يتاذى
بها كثير من الناس فلا يزيلها ذلك عن منزلتها من فوائد عباده ونمام
نعمته ومثاله ايضا مثل الشتاء والصيف الذي جعل الله تعالى
حرهما وبردهما صلاحا للحرث والنسل ونتاجا للحب والثمرة
يجمعهم البرد باذن الله تعالى ويخرجهم الحر باذن الله تعالى فتصلح
على اعتدال الى ما يجد له من منافعهما وقد يكون الاذاية في حرهما
وبردهما وسمائمهما وزمهريرهما وهوامهما لذلك لا ينسيان
ذو النهى والصلاح وقد عم صلاحهما اذا ابتهما ومثاله ايضا
مثل الليل الذي جعله الله تعالى سكنا ولباسا ونوما وراحة وقد
وسباتا وقد يستوحش له اخو القفر ومسافر فيه اهل الدعارة
والفساد وتعدو فيه السباع وتنتشر فيه الهوام وذوات
الحمة والسموم القاتلة ثم لا ينسى العبد نعم الله تعالى عليهم
به ولا يعد ذلك صغير ضرر يكفي نفعه ومثاله ايضا مثل النهار
الذي جعله الله تعالى ضياء ونشورا واكتسابا وانتشارا وقد



والشخوص

يكون فيه الحروب والاغارات والتعب والنصب والشخوص والخصو
مات فيشتغل الخلق فيه الى الليل ثم لم ينشر الحصاد نعمة الله تعلى
عليهم فيه وهكذا كل شيء من امور الدنيا يكون ضررة
عاما فهو بلاء عام ولو كانت نعم الدنيا وميسورها من غير
معسور لكانت الدنيا هي الجنة التي لا نصب فيها ولا تعب
قال الشاعر

لا فرح شيئا خالدا نفعه فالتعب لا يخلو امر العبث

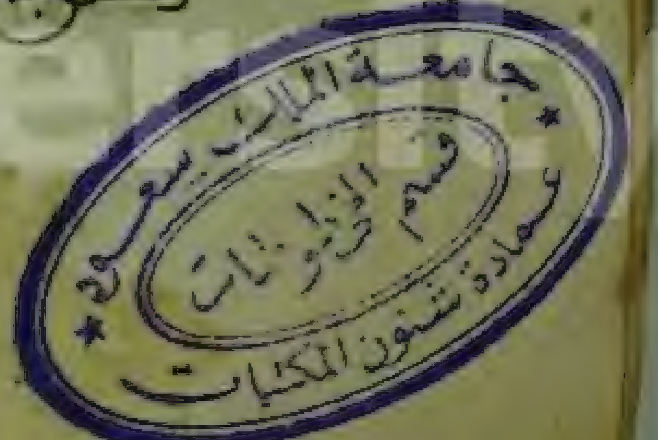
الباب التاسع في معرفة منزلة السلطان من الرعية

اعلموا ان منزلة السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد
فاذا اصفت الروح من الكدر سرت الى الجوارح سليمة فقرت في جميع
اجزاء الجسد فامن الجسد من الغم والسقامات الجوائح والحوادث
واستقام امر الجسد وان تكدرت الروح او فسد مزاجها فافي
الجسد فتسري الى الحواس والجوارح كدرة منحرفة عن الاعتدال فا
خذ كل عضو منها قسطه من الفساد فمرضت الجوارح وتعطلت
فتعطل نظام الجسد وجر الى الفساد ومثال السلطان مثل النار
ومثل الخلق مثل الخشب فما كان منها معتدلا لم يحتج الى النار وما
كان منها مائلا احتاج الى النار ليقام اوده ويعتدل عوجه وان قصر
النار لم يلن الخشب لقبول الاعتدال فيبقى مائلا واذا كانت النار
معتدلة اعتدل الخشب كذلك السلطان في اهوال الدنيا ان امر اهل
الخلق فان تركهم لم يستقيموا وان اعتدل اعتدلوا ومثاله ايضا مثل

عين

عين خرارة في ارض خوارة فان حلا مشربه وعذب مطعمه و
سلمت من الكدر والفساد واصابه مخلج الارض وابتلعته فاو
صلها الى اصولها ثم شربته عروق الاشجار فاغتذت به كذلك فغلظت
سوقها وتفرعت اغصانها وامتدت افنانها ثم اخرجت اوراقها
وابرزت ازهارها ثم تولت ثمارها فجاءت على اتم صلاحها
كثرة وطعما ولونا ورائحة فينتفعون به العباد واكلت حظوظها
البهائم والحشرات ونشفت عليها الطير فاحرز منها قوته والس
واستقام النظام واكل الحوائر الارض ما يرفع عن الابدان وا
والنفع ويكون على الزكوة والربيع وكان فيه من الشيء ما ينور
ويفضل بعد كل ذلك الغذا بنمو بقليه واطلع ماءه فواله ولم يغادر
مسكنا الا وبلغه وان كان في الحجر كدرا وفسادا او ملح شربته
الاشجار كذلك فيفسد مزاجها واضر الجزء الفاسد بالطيب و
فوقت سوقها وضعفت اغصانها وتغيرت اوراقها وقلت ازها
رها وثمارها ودخل الفساد على جميع ذلك فجاءت الثمرة فو رافد
رها ردي طعمها كاسف لونها فدخل بذلك من النقص على جميع ا
الحيوان مثل ما دخل من المنافع عليهم في الاول وبهذا
قال الرسول عليه السلام ان الحيتان ليلعن حتى في جحرها من ذنب
ابن ادم يعني اذا كثرت المعاصي في الارض حبست السماء غيثها
ومنعت الارض نباتها فهلكت الهوام والحشرات والدواب

الباب العاشر في معرفة خصال
زر الشرع بصاحبها نظام الملك والدين



وهي ثلاث الكبر وترك المفاوضة والمشاورة وان لا يستعمل على الا
عمال والولايات راغبا فيها ولا طالبا لها ولقد علم الله سبحانه
ما فيها من امر انتظام الملك واستقامة الامر نص عليها الله ورسوله
اعلم ان هذه الخصال من اسباب الملك وقل من يعمل بها من الملوك
لتنشا وذكرته من السعادة وواحدة قالها الرسول صلى الله عليه وسلم
فاما الالاهية فقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم
وشاورهم في الامر وفي الاية اشارة الى ان الفظاظة تنفر
الاصحاب والجلساء وتفرق الجموع والحشم وانما الملك في
تجليل ابيه واصحابه وحشمه واتباعه واخلق خصلة تنفع الا
ولياء ويجمع بها الاعداء فيجمع كلهم في سلطان ويرضها وان اخر
حتى ان معيشتها ولكن كما قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من
المومنين وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع الصحابة
فجاء رجل فقال ايكم ابن عبد المطلب فقالوا هذا الابيض المتكئ
فقال الرجل يا ابن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد
اجبتك وفي ذلك دليل على انه ما كان يتميز في المجلس ولا بلباسهم بزي ولا
مقعد وقد يبلغ باللين ما لا يبلغ بالغلظة الا ترى ان الرياح تهول
اصواتها فتنتهي اعلى الشجر وفي القوة بكسر الاغصان والماء يلين
في اصول الشجر فيقلعها من اصولها وان كانت الحية مع سمها و
صعوبتها وتغيبها في جحرها ترقى بالكلام حتى تستخرج
فتخرج وللانسان احرى ان يستمال بلين القول وحسن التملق واذا

اردت ان تتفقد معرفة ما في النفوس فكل كلمة سيئة فالها الكلمة
وحسن ثناء عليه واما المشاورة فالثانية انه قال وشاورهم في الامر
فلولا فضيلة التزكية بقوله وشاورهم وهو نبيهم وامامهم وواجب عليهم
مشورته وان لا يعطلوا امرا دونه فلنفس هذا ادب ادب الله به
نبيه صلى الله عليه وسلم وجعله مادة يقتدي بها الملوك والسلاطين
والامراء لما علم الله تعالى ما في المشورة من فضل الادب مع الجليس
ومشاركته في الامور وان يعتبر الجلساء والنصحاء والوزراء فتصلح عليه
وتقبل اليه وتخفف عنه ويرجع به فقد شرعه للنبي صلى الله عليه وسلم
ولغيره من الامراء من بعده الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزاة
فامرهم بالنزول فقال سعد يا رسول الله ان كان هذا بامر فسمعا
وطاعة وان يكن عن غير ذلك فليس بمنزل فسمع النبي صلى الله عليه
وسلم منه وقال ارحلوا ومن اقبح ما يوصف به الرجل ملوكا كانوا
او سوقة الاستبداد بالراي وترك المشاورة وسخف المستشار وذكرنا
بابا ان شاء الله تعالى واما الخصلة الثالثة فانه ما روى البخاري ومسلم
وغيرهما ان رجلا قال يا رسول الله استعملني فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا لا نستعمل على عملنا من اراده والسر فيه ان الولايات
امانات وتصرف في ارواح الخلائق واموالهم والتدرج الى الامانة
دليل على الخيانة وانما يخطبها من يريد اكلها واذا اوتمن خان
من على موضع الامانات كان كمن استرعى الذئب الغنم وفي هذه الخصلة
تعسر قلوب الرعايا على ملوكها لانه اذا انتقضت حقوقهم و
واهلكت اموالهم فسدت نياتهم واطلقوا السنتهم بالدعاء

وذكروا ان امان الملوك بالعدل والاحسان وكذا قول البيت الذي
انتشد الى اولاد

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها ... فكيف اذا الرعاة لها ذئاب

واذا اخذ الحق للامانات وفسد اهل الولايات
كان الامر كما قيل

فاذا يا ابن كان لنا نقيب ملون ... احلال لاجنبي الكلها في المروءة
واخر: بالملح يصلح ما يخشى تغيره ... فكيف بالملح ان حلت به الغير
وقد واخر: ذئب تراه مصليا ... فاذا مررت به ركع
يدعو وجل دعائه ... ما للعريسة لا تقع
عجل بها يا ذا العلى ... ان الفؤاد قد انقطع

ومن اشراط الساعة الحرص على الامانة والتصدي لها وخطبة
الولاية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اشراط الساعة
ان تكون الزكاة مغرما والامانة مغنما فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تزال امتي صالحا حالها ما لم تر الفيء مغنما والصدقة مغرما وقد
علق رسول الله عليه بلاء على الناس زمان لا يعرف فيه الا الباطل ولا يكون
فيه الا الفاجر ولا يصحب فيه الا المنصب يتخذون الفيء مغنما والصدقة
مغرما وصلة الرحم منة والعبادة استطالة على الناس معنوذ له
يكون سلطان النساء ومشاورة الاماء وامارة الصبيان فحينئذ دعا
عليه الضعيف واهل الصلاح وفعل له بلا ما عاد الشيء وقام عليه
القوي وقبح ثناؤه عند الجماعة وتمنوا الراحة منه وتطاولوا من
يصلح لها سوى الله ... مغني

الباب الحادي عشر

الباب الحادي عشر في بيان معرفة
الخصال التي هي قواعد السلطنة والاركان
له دونها

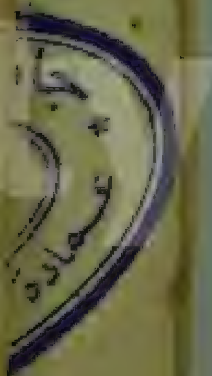
فاول الخصال واصلها العدل الذي هو قوام المملكة ودوام الدول واس
كل مملكة سواء كانت نبوية او اصطلاحية اعلم ارشدك الله ان الله
تعالى امر بالعدل ثم علم سبحانه انه ليس كل النفوس تصلح على العدل
بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال عز من قائل ان الله يامر
بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ولو وسع الخلق العدل ما
قرن الله به الاحسان فمن لم يصلح حتى يزاد على العدل فكيف يصلح
اذا لم يبلغ به العدل والعدل ميزان من الله تعالى في الارض فيه يوخذ
به للضعيف من القوي وللمحق من المبطل وبين موضع الميزان من
الرعية فكذلك بين السلطان والرعية ايضا فمن ازال ميزان الله
تعالى الذي وضعه من القبائل بالقسط فقد تعرض لسخط الله سبحانه
واعلم ايها الوالي ان الملك بمنزلة رجل من الناس انت وقلبه وزيره
وزبره ويده المعوان ورجلاه رعيته وروحه عدله فاذا تقلبه
جسد بلا روح واعلم رعيتك ان العدل انما على الرعية ثلاث
انفس كبير ووسط وصغير فاجعل كبيرهم ابا ووسطهم اخا
وصغيرهم ابنا فبر اباك واكرم اخاك وارحم ابنك فان ذلك واصل
بذلك الذي يد الله تعالى وكرامته ورحمته عدل العدل موجب الاجتماع
عليه وجوره يوجب الافتراق عنه عدل العادل حياة رعيته و
منشور الحكمة ... اخر ... اغدواكم

اللهم صل على الحبيب محمد واله

من نهار اذا عدل السلطان فيما فرض منه صلح له ما بعد وقد فضل
الملوك في الاعطاء وشرب الماء في العيد وعز هابه العدول عن السلطان
ثلاثة اشياء مشاورة النصحاء وتبدل الاعوان واقامة سوق العدل
افضل الازمنة ازمنة ابتداء العدل ثم العدل ينقسم قسمين قسم الاهي
جاءت به الانبياء والرسل عليهم السلام عن الله سبحانه والثاني
ما يشبه العدل وهي السياسة الاصطلاحية التي هم عليها الكبير
ونشأ عليها الصغير ويعتبرونها يعني سلطان او نقضهم رعية في
حال ابعاد او كبر بلا عدول فانهم لا يهتدون للامور ثابتة ونحو ذلك لا يجوزونه
ولا ينكر وقد ذكر في اول الكتاب ان سليمان بن داود عليهما السلام
سلب ملكه حين جلس الخصمان بين يديه وكان لاحدهما خاصة بسليمان عليه
السلام فقال في نفسه وددت ان يكون الحق لخاصتي فافضى له
فسلبه الله تعالى ملكه وفعل الشيطان على كرسيه ما فعل بعد ان
... تشتد فتفكك عند جميع الاديان العادلة للسياسة وتقوم
لجميع الشرائع التي تقوم بها المملكة قال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه امام عادل خير من مطر وابل واسد حطوم خير
من سلطان ظلوم وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم وقال ابن
مسعود اذا كان الامام عادلا فله الاجر وعليه الشكر وان كان جائرا فعليه
الوزر وعليك الصبر وقال سليمان بن داود عليهما
السلام الرحمة والعدل يعمران الملك واتفقت حكماء العرب والعجم
على هذه الكلمة فقالوا الملك بناء والجند اساسه فاذا قوي الاساس
دام البناء واذا ضعف الاساس انهار البنيان فلا سلطان الا بجند ولا جند

الا بمال

الا بمال ولا مال الا بجباية ولا جباية الا بعمارة ولا عمارة الا بالعدل
فصار العدل اساس الاساس كلها فان قيل ما القول النبوي في هذه
القول فيه ان يجمع السلطان الى نفسه حملة العلم الذين هم حفظته
ورعاته وفقهاؤه وهم الادلة على الله تعالى والفقهاء القوام بامره والحافظون
لحدود الله والناصحون لعباد الله وروى ابو هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة
قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين
وعامتهم فاذا خلت بها المملكة من العلماء ... الصالحين ... ودوم
المملكة بين ... العلماء ودعوات الصلحاء والخلق ... و
عموده بين ما بين الخليقتين بقوم عموده ويكون امره ...
ولقد قرن الله سلطانه واصطفاهم في الصف معه فقال
شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط
فيه ابتدأ بنفسه سبحانه وتعالى وثنى بالملائكة وثلث باولي العلم و
هم ورثة الانبياء عليهم السلام لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما
ورثوا العلم فيجب تعظيمهم وتوقيرهم امتثالا لامر الله تعالى وتعظيما لمن
اثنى الله عليه ويجب ترفيع مجالسهم وتمييز مواضعهم على من سواهم
قال الله سبحانه يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات فوجب ... الرعية وخصوص فاقتهم لسلطانهم واحتياجهم
على ... وتوقيرهم واجب على السلطان ان لا يقطع امرا دو
نهم ولا يفصل حكما الا بمشاورتهم لانه ملك الله تعالى ...
يتصرف واقل الواجبات على السلطان ان يقرن نفسه مع ...



الله سبحانه متى الهوى فتبعه اذا خالفه والبه امره ومارس من
لما هكل له عزله ولم يامن سطوته واذا امتثل امره وازدجر عن زوا
جره حل منه محل الرضى فوا عجبا لمن يغضب على من يبه اذا خالفه ثم
لم يغضب لشهوته بمعصيته اذا خالفه فهل الطريق الا اقامة العدل
الشهي على البا سنة الا سلامية الجامعة لوجوه المصلحة الاخروية الازمة
الشاملة من العيوب الصهونية لا سيما مذ اله نيا والدين وكمال السلطان
الحازم لا ينبغي حزمه الا بمشاورة الوزرآء الا خيار وكذا لا يتم عدله الا بالاه
بالاستيلاء العلماء الابرار وقد وقع المامون في قلبه متظلم من عرض
مسعدة بالعراق عمر يعتذر بالعدول فان الجوز هو مها في الاعتدال
العدول قوة القلب وطيب النفوس ولزوم اليقين وامارة العدو وقد
استشاطوا ثم مزق علي عمر رضي الله عنه لم يجر عند حاجبا ولا بوابا بل قيل
هو في المسجد واتى الى المسجد فوجده مستلقيا مترسدا كدما من الحصباء
ودرته بين يديه فقال له عدلت فأمنت ونمت وقال الحسن ابن
عثمان بن عفان وقد جمع الحصباء في مسجد رسول الله صل الله عليه وسلم
عند راسه وقد وضع احد جانبي ردائه عليه وهو يومئذ امير المومنين
ما عندك احد من الناس ودرته بين يديه وكتب عامل حمص الى عمر بن عبد
العزيز رضي الله عنه ان مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت الى الصلاح فكتب
اليه عمر حصنها بالعدول ونق طرقها من الجور والسلام وقالت الحكماء
من جرى العدل فلا خطر له ولا للناس في سلطانه وقال يحيى بن اكثم ما شبهت
المامون في بستانه والشمس عن يمينه ودخل والمامون في الظل فلما رجعته وقد
وقعت الشمس ايضا عنى فقال لي تحول مكانك واقول مكانك حتى تكون

في الظل

في الظل كما كنت واكون كما كنت فان اول العدل ان يعدل الرجل على
بطانته ثم الذين يلونهم حتى يبلغ العدل الى الطبقة السفلى
فعزم علينا فتحولت وكان يقال ليس شيء اسرع من مثل الغاضب وقيل
للاسكندر لو اكثرت من النساء حتى يكثر نسلك ويحيى ذكرك فقال انما
يحيى الذكر بالافعال الجميلة والسير المحمودة النبيلة ولا يحسن ممن يغلب
الرجال ان يغلبه النساء وقال الحكيم من اتخذ العدل جنة كان
له احسن جنة ومن استشعر حلة العدل استكمل رتبة الفضل وقال
وقال الحكيم لا يزال السلطان معظما حتى يتخطى الى اركان العما
رة وطباع الشريعة فحينئذ يرمي الله سبحانه منه وقالوا لا
تظلمن الضعفاء فتكون من شرار الاقوياء وقال بعض الحكماء ام
بلا عدل كغيم بلا مطر وعالم بلا ورع كارض بلا نبات وشاب بلا تو
بة كشجرة بلا ثمرة وغني بلا سخاء كقفل بلا مفتاح وفقر بلا
صبر كسراج بلا ضوء وامراة بلا حياء كطعام بلا ملح وقال بعضهم
اتفقت ملوك العجم على اربع كلمات ان الطعام لا يوكل الا على الشهوة
والمراة لا تنظر الا الى زوجها والملك لا تصلحه الا الطاعة والرعية
لا يصلحها الا العدل واحوال الناس باختيار تجلسه على العدول الملوك
الذين يعدلون بعدل من دونهم وانهم اذا مالوا مالوا فجعلوا الذنب على
غير موجود وقالت الحكماء ثم ما شيء بلا انصاف وانما نعيم الدنيا الكفر
بدوا لظلم اعون شيء الى تغيير نعمة وتعجيل نقمة وقال الحكيم شر
الزاد الى المعاد الذنب بعد الذنب وشر من هذا العدو ان على العباد
السلطان ارادة بعد القبيح وخير انه كره فيقع سوف العدوان

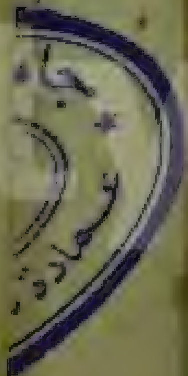
بمشاورة

فتمنت

القوم صل على الحبيب

احب الخلق الى الله واشرف المنزلة عنده فليعدل وان احب هذا
جميعا فليعدل الخصلة التي يخلد بها ذكر الملوك على غابر الدهور
والازمان عجما او عربا مسلمين او كفارا غير هذا يوجب له الرحمة وهذا
يوجب عليه اللعنة **فصل** واما القسم الثاني من العدل فهو
السياسة الاصطلاحية وان كان اصلها على الجور فيقوم بها امر
الدنيا وكانها تتناول مراتب الاتعاب على نحو ما كانت عليه
ملوك الطوائف في ايام الجاهلية وكانوا كفارا بالله تعالى يعبدون النيران
ويتبعون هواجس الشيطان فتواضعوا بينهم سننا وانتسبوا بينهم
احكاما واقاموا لهم مراتب في النصفة من الزعماء واستيفاء الخرا
جات وتوظيف المكوس على التجارات كانوا يعقدونهم على وجوه ما
انزل الله بها من سلطان ولا نصب عليها برهانا ولا بين اللهم ما جاءت
الشريعة من عند الله تعالى على لسان رسوله صاحب المعجزات محمد صلى الله
عليه وسلم فمنها ما اقرته في نصابه ومنها ما نسخته وابطلت حكمه
فجاءت الحكمة البالغة ان امر الله سبحانه والحكم بما انزل الله
سبحانه وبطل ما سواه فكان ملكهم محفوظا وامرها بينهم ليتفوا ليس
انما توقفه بينهم فانقطع بذلك حال الدهر فكانوا يقيمون بها واجب
الحقوق ويتبعا محوة بها ما لهم وعليهم **وبهذا** يقوم السلطان
الكافر الجائر لشرائط السياسة الاصطلاحية اقوى من السلطان
المومن العادل في نفسه المضيع للسياسة النبوية العدلية والجور
المرتب من العدل المهمل لانه لا شيء اصلح لامر السلطان من ترتيب الامور
ولا شيء اجهر له من اهمالها **واعلم** ان ذهاب دولتهم من ازمنة على

وجه



وجه ذهابها الى الفرق وان كان عدلا افسد فلو بعضها من عشرة
يوخذ منه بسياسة على نظام معروف ورسم مالوف وان كان جورا
فلا يقوم سلطان لا بحال الايمان ولا الكفر الا بعدل ما فاما العدل النبوي
وما يشبه العدل من الترتيب الاصطلاحي **وقال** ابن المقفع الملوك
ثلاثة ملك دين وملك حزم وملك هوى فاما ملك الدين فانه اذا اقام لاهل
المملكة دينهم كانوا راضين وكان الساخط فيهم بمنزلة الراضي واما
ملك الحزم فيقوم به الامر ولا يسلم من الطعن والسخط ولن يضره طعن الذ
ليل مع حزم القوي ولا يسلم من الطعن **واما** ملك الهوى فلعب
ساعة ودمار دهر **وبلغنا** ان ملكا من ملوك الهند ثقل سمعه
صمم فاصبح مسترجعا مهموما بامور المظلومين وانه لا يسمع
استغاثتهم فامر مناديه الا يلبس احد في مملكته ثوب احمر الا مظلوم
ثم قال لئن ذهب سمعي لم يذهب بصري فكان يجلس فكل من يلبس ثوبا
احمر ووقفه تحت قصره فيكشف عن ظلامته **واخبرني** ابو ال
عباس الحجازي وكان قد دخل الصين مرتين بحكاية غريبة لملوكها
في سياستهم وذلك ان البيت الذي يكون فيه الملك فيه ناقوس مو
صول بسلسلة وطرف السلسلة في خارج القصر وعليه امناء
السلطان وحفظته فياتي المظلوم ويحرك السلسلة فيسمع ا
لملك صوت الناقوس فيامر بادخال المظلوم وكل من حرك السلسلة
تمسك الوليد العفطة حتى يدخل على السلطان

الباب الثاني عشر في التنبيه على الخصال
التي زعم الملوك انها ازالت دولتهم وهدمت

سلطانهم ان يعطا الملك امرهم كل الحرص لم يكن جوا
بامور عما الطبار التعيس فيعرف من جزيه به فقد ان تصيبه عقوبة او
وان يحسن فيستبشر بمعرفته به فلا وبا تيه ثوابا قال ابو جعفر
المنصور ما زال امر بني امية مستقيما حتى افضى امرهم الى ابنا
يهم المترفين فكانت همتهم من عظيم شان الملك وجلالة قدره قصد
الشهوات وايثار اللذات والدخول في معاصي الله تعالى ومساخطه
جهلا منهم باستدراج الله تعالى وامنا لمكره فسلبهم الله تعالى
العز ونقل عنهم النعمة قال عبد الله بن مروان ومروان هذا هو
المعروف بمروان الحمار وهو اخر ملوك بني امية فقدم ارض
في كورة [illegible] فقال لما زال ملكنا وهربنا الى ارض النوبة فيمن
اتبعني واصحابي فسمع ملك النوبة بخبري فجاءني وقعد على الارض
ولم يقعد على فراش افترشته فقلت الا تقعد على ثيابنا فقال لا فقلت ولم
قال اني ملك وحق على كل ملك ان يتواضع لامر الله تعالى اذ رفعه الله
فقال لي لم تشربون الخمر وهي محرمة ولم تطؤون الزرع بدوابكم
والفساد محرم عليكم ولم تستعملون الذهب والفضة وتلبسون
الحرير والديباج وهو محرم عليكم فقلت زال عنا الملك فقل
انصارنا بقوم من الاعاجم دخلوا في بلادنا ولنا عبيد واتباع فعلوا ذلك
على كره منا فاطرق مليا يقلب كفيه وينكت في الارض ثم قال ليس
كما ذكرت بل انتم قوم استحللتم ما حرم الله تعالى عليكم وظلمتم
فيما ملكتم فسلبكم الله العز بذنوبكم ولله فيكم نقمة لم تبلغ
غايتها واخاف ان يحل عليكم العذاب وانتم ببلدي فيصيبني معكم

وانما

وانما الضيافة ثلاثة فتزودوا ما احتجتم اليه وارحلوا عن بلدي
وقيل لبزرجمهر ما بال ملك ساسان صار الى ما صار اليه بعدما كان
فيه من قوة السلطان وشدة الاركان فقال لانهم قلدوا كبار
الاعمال صغار الرجال وعن هذا قالت الحكماء موت الف من العلية
اقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة وفي الامثال زوال الدول
باصطناع السفل وقال الشافعي رحمه الله تعالى اظلم الناس
لنفسه اللئيم اذا ارتفع جفا اقاربه وانكر معارفه واستخف بالا
شراف وتكبر على ذوي الفضل وقيل لبعض الملوك بعد زوال ملكه
ما الذي سلبك ما كنت فيه فقال دفع عمل اليوم الى غد والتماس عدة
بتضييع عدد وقيل لملك بعد ذهاب ملكه ما الذي سلبك ما كنت
فيه فقال ما عطاينا من بطر وشغل ودفع عمل اليوم الى غد وقيل
لبعض الملوك بعد ان سلبوا ملكهم ما الذي سلب عزكم وهدم
ملككم فقال شغلتنا لذاتنا عن التفرغ لمهماتنا ووثقنا بكفاتنا
فاثروا مرافقهم علينا وظلم عمالنا رعيتنا ففسدت نياتهم لنا
وتمنوا الراحة منا وحمل على هذا خراجنا فقل دخلنا وبطل عطاء
جندنا فزالت الطاعة منهم لنا وقصدنا عدونا فقل ناصرنا وكان
اعظم ما زال به ملكنا استتار الاخبار عنا وقالت الحكماء اسرع
الخصال في هدم السلطان واسرعها في فساده وتفريق الجمع عنه
اخطار المحابات لقوم دون قوم والميل الى قبيلة دون قبائل وعتق
اعتني بقبيلة فقد تولد من قبائل وقد يا قبيل المحابات بفساده ود
وقال بهرج المؤبذان من زوال السلطان تقريب من ينبغي ان يباعد

وجماعة ممن ينبغي أن يعرف وجه زوال الأمور فقيل لملك بعد ذهاب ملكه ما الذي أذهب ملككم قال ثقتنا به ولين والتبد أي بمعرفتنا واستغولنا اشتغالنا وإعجابنا بفقد تدبيرنا وأضاعتنا الحيلة في وقت حاجتي والثالث عشر محلتي وحكي أن الحيك بمروان الجعدي وهو آخر ملوك بني أمية قال بعد هجائه عوض ولته ما نصرتي وكعما طعنت ونعمة ما تذكرت فقال له خادم معه فقيل وكلوا من أنزلت أولاد الزوم من أغفل الصغير حتى يكبر والقليل حتى يكثر والخفي حتى يظهر أصابه ما ترى وقيل لبعض الحكماء ما الذي ذهب بملك بني مروان فقال تحاسدوا إذ تعادوا وانقطاع الأخبار عنهم لأن يزيد بن عمر كان يحب أن يدفع من نصر بن سيار وكان لا يمده بالرجال ولا يرفع إلى السلطان ما يرد عليه من أخبار خراسان فلما رآه لا نصر بن سيار قال:

أرى خلل الرماد وميض نار … ويوشك أن يكون لها ضرام

وإن النار بالعودين تذكى … وإن الحرب أولها الكلام

فقلت تجاهلا بالية شعري … أأيقاظ أمية أم نيام

فكان بنو العباس يسيرون ويسرون ولا تصل أخبارهم إلى بنيا حتى فني أمية

الباب الثالث عشر في الصفات التي زعم الحكماء أنها لا تدوم معها مملكة

ومن أعجب العجائب دوام المطالع الكبر والإعجاب اعلموا أن الكبر والإعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل الكبر يكون بالمنزلة والعجب يكون بالفضيلة والمتكبر يجل نفسه عن رتبة المتعلمين والعجب

يستكثر

يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين وحسبك من رذيلة تمنع من استماع النصح وقبول التأديب والكبر يكسب المقت ويمنع من التآلف وكلاهما كره الله تعالى في القرآن مقرون بالشرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس أنهاكم عن الشرك بالله والكبرياء فإن الله سبحانه يحتجب منهما وقال أزدشير بن بابك ما الكبر إلا فضل حمق لم يدر صاحبه أين يذهب به فيصرفه إلى الكبر وقال الأحنف ما تكبر أحد إلا من ذلة يجدها في نفسه ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتأنف منه قال الشاعر:

فتى كان عذب الروح لا من غضاضة … ولكن كبرا أن يقال به كبر

ونظر أفلاطون إلى رجل جاهل معجب فقال وددت أني مثلك في ظنك وأن أعدائي مثلك في الحقيقة وقالت الحكماء قد يدوم الملك مع معظم النقائص ورب بغير ساد قومه ورب أحمق بن عتبة قد منهم لما فرع من جلسته الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الأحمق المطاع فلا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب السيادة وأعظم من ذلك أن الله سبحانه حرم الجنة على المتكبر فقال سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وأما العلو فلا يكاد أحد يسلم منه قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد ومنعهما من دخول الجنة وقال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا إلا تحول دائه بي أي التعبي عليه واعلم أن الكبر يوجب المقت ومن مقته رجاله لم تستقم حاله ومن أبغضه بطانته كان كمن غص بالماء ومن كرهه الحماة تطاولت

اليه الاعداء واما الاعجاب فيحمله على الاستبداد وترك المشورة
للرجال ومن الصفة التي لا تقوم معها مملكة الكذب والغدر
والخب والجور والسخف وقالت حكماء العرب والعجم ست خصال
لا تغتفر من السلطان الكذب والخلف والحسد والجور والبخل والجبن
فانه اذا كذب لم يوثق بوعده ولا بوعيده فلم يرج خيره ولم يخف
سطوته ولا بقاء لسلطان لا يرهب وقالت الحكماء خراب البلاد
وفساد العباد مقرونان بالكذب والوعد والوعيد من الملوك والكذب
اسقط الاخلاق واغلب شيء على صاحبه واحرى ان لا يقع عند الضرورة
قيل لاعرابي لا تكذب قال لو تغررت به ما تركته وهو نوع من الفحش
وضرب من الحماقات واصل يستعذب المثل وهو اضغاث افكار الحمقاء
ومن بليته انه يحمل على صاحبه ذنب غيره فاذا سمعت كذبة طالحة
نسبت اليه قال الشاعر

حسبنا الكذاب من بهتانه ... بعض ما يحكى عليه
واذا سمعت بكذبة ... من غيره نسبت اليه
في حيلة فيمن يتهم ... وليس في الكذاب من حيلة
من كان يخلق ما يقول ... فحيلتي فيه قليلة

قال الله سبحانه انما يفتري الكذب الذين لا يومنون بآيات الله واما
الحسد فانه اذا كان حسودا لم يبشر احدا واذا ظعن الامناء هلك
الاتباع ولا يصلح الناس الا على اشرافهم قال الشاعر

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة اذا جهالهم سادوا

واما البخيل فانه اذا كان بخيلا لم ينصف احدا ولا تصلح الولاية الا بالبذل

صحة

صحة وليس يمانعه ان يبخل لان جبوب الاموال ميسرة واما
الجبن فانه اذا كان جبانا اجترأ عليه عدوه وضاعت ثغوره
واذا الجور جد به اغضب او من ورائه الغدر هلكت رعيته
ويجب للملك ان يغضب لان الغدر من ورائها جنده ولقد دخل ابن
نجران على مصعب بن الزبير ضرب وجهه بالقضيب فادماه فقال يا مصعب
ان شاء الامير اخبرته بما انزل الله تعالى على عيسى عليه السلام قال
لا ينبغي للامام ان يكون سفيها ومنه يلتمس الحلم ولا جائرا ومنه
يلتمس العدل قال الاوزاعي يهلك السلطان بالاعجاب والاحتجاب
واما الاعجاب فقد تقدم ذكره واما الاحتجاب فهو لو هي الخلل في
هدم السلطان واسرعها اخرابا للدول فانه اذا احتجب السلطان
فكانه قد مات لان الحجبة من حكمه وتعبث بما تقدم به ارواح الد
خلاء وجر بعضهم واموالهم لان الظالم قد امن ان يصل المظلوم
الى السلطان ومعظم ما رايناه في اعمارنا وسمعنا ممن سبقنا في
حول الفساد على الملوك فمن حجبتهم عن مباشرة الامور ولا تزال الر
عية في سلطان واحد ما وصلوا الى سلطانهم فاذا احتجب فهنالك
سلاطين كثيرة يا ايها الملك المغرور احتجبت عن الرعية بكثرة الحجاب
والابواب وجعلت دونهم جبالا مشيدة وحكاما بالحجارة والطين
مانعة دافعة وباب الله تعالى مفتوح لعباده ليس لهن هنالك حاجب
ولا بواب قال الله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وقال معاوية
ليس بزان بالملك السلطان الرعية او يملكه الا الحزم والتوالي وكفى
له امران شهوة في غير اوانه وبذل في غير امنه وقيل لبزرجمهر

إلى الملوك أحزم وقال من ملك جده هزله وقهر لبه هواه
وأعرب عن ضميره فعله ولم يختدعه رضاه عن حظه ولا غضبه عن
كيده وقال بعض الحكماء زوال الدولة باصطناع السفل من كان
عدو الله زال سلطانه وقالوا من لم يستظهر باليقظة لم ينتفع
بالحفظة وقال يحيى بن خالد الرضا وجهين يكون الحكم من
البلاغة التفرد بالجهل مع التواضع خير من العلم والتجمل مع الكبر
فيا لها حسنة غطت على سيئتين ويا لها سيئة غطت على حسنتين

الباب الرابع عشر في الخصال
المحمودة والمذمومة في الإنسان

وقد اتفق الحكماء والعلماء عليها فقالوا أيها الملك اصرف
همتك عن عدوك مشغولا بالأخلاق الجميلة التي ليس لعدوك مثلها
فإنها أنكا فيه من الغارة الشعواء وقال معاوية لصعصعة بن
صوحان صف لي عمر بن الخطاب فقال كان عالما برعيته عادلا في قضيته
عاريا من الكبر قابلا للعذر سهل الحجاب مصون الباب متحريا
للصواب رفيقا بالضعيف غير محاب للقوي ولا جاف للغريب قالوا
والنصيحة توجب المحبة والفحش يوجب البغضة والبغضة توجب
العداوة والمتابعة توجب الألفة والصدق يوجب الثقة والأمانة
توجب الطمأنينة والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب
الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق يوجب المباعدة
والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة والكبر
يوجب المقت والتواضع يوجب المحبة والجود يوجب الحمد والبخل يوجب

المذمة

المذمة والتواني يوجب التضييع والجد يوجب رخاء الأعمال
والهوينا توجب الحسرة والحزم يوجب السرور والتغرير
يوجب الندامة والحذر يوجب العذر وإصابة التدبير يوجب
بقاء النعمة وبالتأني تسهل المطالب وبلين الكنف المعاشرة تدوم
المودة وبخفض الجانب تأنس النفوس وبسعة خلق المرء يطيب
عيشه والاستهانة توجب التباعد وبكثرة الصمت تكون الهيبة
وبعدل المنطق تجب الجلالة وبالنصفة تكثر المواصلة وبالإفضال
يعظم القدر وبصلاح الأخلاق تزكو الأعمال وباحتمال المؤن
يجب السؤدد وبالحلم عن السفيه يكثر الأنصار وبالرفق والتؤدة
يستحق اسم الكرم وشرط ما لا يعنيه يفوته الفضل السياسة
تكسوا أهلها المحبة الفضفاضة تخلع عن صاحبها ثوب
القبول من صغر الهمة الحسد لصديقه على النعمة النكت في
العواقب من لم يعلم فلا ومن صبر غنم ومن سكت سلم
ومن خاف حذر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم
ومن أطاع هواه تردى مع العجلة الندامة ومع التأني السلامة
مثل زارع البر يحصد السرور ومصاحب العاقل مغبوط صديق
الجاهل تعب إذا جهلت فسل وإذا زللت فارجع وإذا أسأت
منعت فأجمل وإذا أعطيت فأجزل وإذا غضبت فاحلم من بر الله
يبره يقوى شغله بشكره المروءات كلها تبع للعقل والرأي
تبع للتجربة العقل أصله التثبت وثمرته السلامة والتوفيق
أصل العقل وثمرته النجاح والتوفيق والخذلان زوجان

النجح

بالاجتهاد تسبب والتوفيق يجي بالاجتهاد قال الله تعالى و
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقد كنت شرعت
كثيرا في ان التوفيق هل هو كسب للعبد وهل الى الفتنة ضد سبيل
ام لا والاعمال كلها تابع للقدر واختارت العلماء اربع كلمات
من اربع كتب من التوراة من قنع شبع ومن الزبور من سكت سلم
ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن القرآن ومن يعتصم بالله فقد
هدي الى صراط مستقيم الحلم شرف والصبر ظفر والعلم وجه
كنز والجهل بعد والايام دول والدهر عبر والمرء منسوب
الى فعله وماخوذ بعمله اصطنع المعروف تكسب الحمد اكرموا
الجليس يعمر ناديكم انصفوا من انفسكم يوثق بكم اياكم والاخلاق
في الدنية فانها تضع الشرف وتهدم الفخر فهذه نهاية المجا
هيل الهون من جر برته راس العشيرة حمل اثقالها واجمعت
حكماء العرب والعجم على اربع كلمات فقالوا لا تحمل بطنك ما
لا يطيق ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا تغتر بامراة ولا تثق بمال وان كثر

الباب الخامس عشر في بيان التي يعز بها السلطان وهي الطاعة

قال ملك فارس لموبذ موبذان ما شيء واحد يعز به السلطان
قال الطاعة قال فما ملاك الطاعة قال التودد الى الخاصة و
والعدل على العامة قال صلى الله عليه وسلم الامانة معقل الطاعة واد
والطاعة زينة الملة وكان يقال طاعة السلطان على اربعة او
جه على الرغبة والرهبة والمحبة والديانة وتقال وقال

شعر

اللهم صل على سيدنا محمد

٦٥

بها
شعر العشيرة على بعض ملوك العجم فقال له شعر ما صلاح الملك
قال المعرفة مثل طاعة وهيبة وارعة ورعية كطاعة جا
المعرفة جيات الامانة وبالرهبة نفي الكلام وبالطاعة
الرعية التألف والامتنان بطاعة الائمة فرض على كل الرعية
طاعة السلطان مقرونة بطاعة الله تعالى اتقوا الله في
والسلطان بطاعته من اجلال الله تعالى اجلال السلطان على
ذلك كل امر جائر ان الطاعة توجب شمل الجمع وتنظم امر المسلمين
عصيان الائمة هدم اركان الملة الطاعة ملاك الدين الطاعة
معقل السلامة واربع منازل السعادة الطاعة للخليفة الا
المثلى والعروة الوثقى وقوام الامة وقيام السنة بطاعة
الائمة الطاعة عصمة من كل فتنة ونجاة من كل شبهة طاعة
الائمة عصمة لمن لجا اليها وحرز لمن دخل فيها ليس على الرعية
ان تعرض للائمة في تدبيرها وان سولت لها انفسها بل عليها
الانقياد وعلى الائمة الاجتهاد بالطاعة تقام الحدود وتؤدى
الفرائض وتحقن الدماء وتامن السبل ومن الناس بطاعة السلطا
ن ومنا ما قلت اهل الدين والنعم والعروان ان لا يقوم الدين الا
بسلطان ولا تكون النعم والحرم محفوظة الا به الامانة عصمة
للعباد وحبال للبلاد اوجب الله من خصه بعضها وحمله
عنقها الطاعة فقرنها بطاعته وطاعة رسوله فقال يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
طاعة الائمة هدى لمن استبصر بنورها ومن يهمها فهو عليها

ح
بالسلطان

الخارج من الطاعة منقطع العصمة بريء من الذمة مبذولة
بالكفر النعمة طاعة امامه حبل الله المتين ودينه القويم
وجنته الواقية وكفايته الكافية اياكم والخروج من انس
الطاعة الى وحشة المعصية ولا تضمروا غش ائمتكم وعليكم
بالاخلاص والنصيحة ما مشى قوم الى السلطان ليذلوه الا اذلهم
الله تعالى قبل ان يموتوا الطاعة مقرونة بالمحبة طاعة المحبة
افضل من طاعة الهيبة. حق الرعية على السلطان الاستصلاح
لهم والتفقد لامورهم وحسن النظر فيهم والعدل عليهم
والتعديل بينهم وحق السلطان عليهم الطاعة والاستقامة
والشكر والمحبة. الرعية من الحاجة الى الراعي ما الغنم بالراعي
من الحاجة اليهم لولا الرعاة هلكت الرعية ولولا السيم
هلك السوام

الباب السادس عشر في معرفة الخصال التي هي ملاك امور السلطان

قال سليمان بن داود عليهما السلام الرحمة والعدل
يحرزان الملك وقال زياد السلطان ملاكه ثلاثة اشياء الشدة
على المذنب والمجازاة للمحسن وصدق القول ولما غزا
سابور ذو الاكتاف ملك الروم واخرب بلاده وقتل جنوده
وافنى ابطاله فقال له ملك الروم اذ قتلت واخربت فاخبرني
ما الامر الذي سست به حتى فزت على ملكي وبلغت هذا
السياسة التي بالجد ملك الا ركب زمامها بضبط الامر وسياسة ادب

الخراج وحرث لبعض الرعية في الطاعة لك فقال له سابور
اني لم ازد في السياسة على ثمان خصال لم اهزل في امر ولا نهي
ولم اخلف في وعد ولا وعيد ووليت اهل الكفاية واثبت على
الغناء لا على الهوى وضربت للادب لا للغضب واودعت قلوب
الرعية المحبة من غير جرأة والهيبة من غير ضغينة وعممت
بالقوت ومنعت الفضول واعزل له واحرى له الخراج وكتب
الوليد الى الحجاج ان يكتب اليه بسيرته فكتب اليه اني
ايقظت رايي وانمت هواي وادنيت السيد المطاع في قومه
ووليت الحرب الحازم في امره وقلدت الخراج الموفر لامانته
وقسمت لكل خصم من نفسي قسما يعطيه حظا من
نظري ولطيف عنايتي وصرفت السيف الى النطف المسيء
فخاف المذنب صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب
وقال ابو عبيدة اذا كان الملك محضا لسيرته بعيدا من ان يعرف
ما في نفسه متخيرا للوزراء مهيبا في انفس العامة مكافيا
لحسن البلاء لا يخافه البريء ولا يامنه المجرم كان خليقا
ببقاء ملكه

الباب السابع عشر في خير السلطان وشره

افضل الملوك من كان منزلته بين الرعايا كل واحد منهم
فيه قسطه ليس احد احق من احد لا يطمع القوي في حيفه
ولا ييأس الضعيف من عدله وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم

النطف

تاخذ بيده الامة من اماء المدينة تكون به على سكك المدينة
حتى يقضي حاجتها وفي حكم الهند افضل السلاطين من امنه
البريء وخافه المجرم وشر السلاطين من خافه البريء وامنه
المجرم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للمغيرة لما ولاه
الكوفة يا مغيرة ليامنك الابرار وليخفك الفجار وفي حكم
الهند ايضا قالوا شر المال ما لا ينفق منه وشر الاخوان الخا
ذل وشر السلاطين من خافه البريء وشر البلاد ما ليس
فيه خصب ولا امن وخير السلاطين من اشبه النسر حوله
الجيف لا من اشبه الجيفة حولها النسور وعن هذا المعنى
قالوا سلطان تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها
وفي امثال العامة رهبوت خير لك من رحموت وكان يقال شر
خصال الملوك الجبن عن الاعداء والقسوة على الاولياء الضع
الضعفاء والبخل عند الاعطاء وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ثلاثة من الفواقر جار مقام ان راى حسنة
سترها وان راى سيئة اظهرها وامراة ان دخلت عليها
لسنتك وان غبت عنها لم تامنها وسلطان ان احسنت اليه
لم يحمدك وان اسات قتلك وقال رجل لبعض العلماء متى
اضل وانا اعلم قال اذا ملكتك امراء ان اطعتهم اضلوك
وان عصيتهم قتلوك وقال ابو حازم لسليمان بن عبد الملك
السلطان سوق ما نفق فيه اتي به اليه وفي كتب الهند
المقيم للناس على الدين السلطان الا القليل فلا بد للبر والمروة

عمل

عمل به فيكسد فيه لا الا الفجور والدناءة في افاق الارض
وسمع زياد رجلا يذم الزمان فقال له لو كان هذا يدري ما
الزمان لعاقبته انما الزمان هو السلطان وقال معاوية لابن الكوا
صف لي الزمان فقال انت الزمان ان تصلح يصلح وان تفسد
يفسد والمثل السائر في كل زمان وعلى كل لسان الناس على دين
الملك وقال بعض الحكماء ان احق الناس ان يحذر العدو الفا
جر والصديق الغادر والسلطان الجائر وقال ابن جعفر
ادوم التعب صحبة السلطان الشيء الخليقة وقال بعض
الحكماء اذا ابتليت بصحبة السلطان لا يريد صلاح رعيته
فقد خيرت بين خصلتين ليس فيهما خيار اما الميل مع الوالي على
الرعية فهو هلاك الدين واما الميل له الا الموت والهرب
منه وقالوا الملك العادل كالنهر العظيم ينتفع به الا
شرار والاخيار ولا يضر احدا والملك القسوة مثل الجيفة
يسرع اليها شرار الحيوان ويتحاماها الناس

الباب الثامن عشر في منزلة
السلطان من القرآن

روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى ليزع
بالسلطان ما لا يزع بالقرآن معناه الخليفة وقال كعب مثل
الاسلام والسلطان والناس مثل الفسطاط والعمود والاو
تاد والاطناب فالفسطاط الاسلام والعمود السلطان
والاطناب والاوتاد الناس لا يصلح بعضهم الا ببعض وقال

ازدشير لابنه يا بني ان الملك والدين اخوان لا غنى لاحدهما
عن الاخر فالدين اس والملك حارس وما لم يكن له اس فمهدوم وما
لم يكن له حارس فضائع يا بني اجعل حديثك مع اهل المراتب
وعطيتك لاهل الجهاد وبشرك لاهل الدين وسرك لمن عناه
ولتكن من اهل العقل وكان يقال الدين والسلطان توءمان

:. الباب التاسع عشر في خصال :.

:. جامعة لامر السلطان :.

قالوا ظفر السلطان بعدوه على قدر عدله في رعيته ونكا
يته في عدوه على حسب جوره في عساكره واصلاح الرعية
انفع من كثرة الجنود وقالوا تاج الملك عفافه وحصنه انصا
فه وسلاحه كفاته وماله رعيته وقالت حكماء الهند لا ظفر
مع بغي ولا صحة مع نهم ولا ثناء مع كبر ولا شرف مع سوء
ادب ولا بر مع شح ولا اجتناب محرم مع حرص ولا بدوام
دولة ولا حكم مع عدم فقه ولا سؤدد مع انتقام ولا ثبات
ملك مع تهاون وجهالة الوزراء ولما ولي ابو بكر الصديق
رضي الله عنه خطب فقال ايها الناس انه لا احد اقوى
عندي من المظلوم حتى اخذ له بحقه ولا اضعف من الظالم
له حتى اخذ الحق منه وقيل للاسكندر بم نلت ما نلت
قال باستمالتي الاعداء وتعاهدي الاصدقاء وقال
ابن جمهور سوسوا احرار الناس بمحض المودة والعامة
بالرغبة والرهبة واستعبدوا السفلة بالمخافة وقال المؤيد

ان السياسة

٦٨

ان السياسة التي فيها صلاح الملك الرفق بالرعية واخذ الحقوق
منهم في غير مشقة وسد الفروج وامن السبل وان ينصف
المظلوم من الظالم ولا يحمل القوي على الضعيف وقالوا الوالي من
الرعية بمنزلة الروح من الجسد لا حياة له الا به وكالراس
من الجسد لا بقاء له الا به وبقدر الوالي من اصلاح الرعية مع
جسامة نفسه كقدر الجسد من البقاء بعد ذهاب راسه
والسلطان حقيق ان يعرف تفسير النصح على من قاله رايه
من قصد النصيحة والتبرع لمرارة قولهم ولا ينبغي ان يحمل
الولاة الا على حسن النية يبروا ان لا يعجلوا لاحد الا بعد على
انكارهم وان لا يغضب لان الغضب والقدرة لقاح الندم
والندامة ولا يبخل لانه اقل الناس عذرا من العفو وانما يعفو لان
فوقه من هو اقدر على مجازاته ولا ينبغي للوالي ان يستعمل سفيها
فيما يحتاج فيه الى السوقة ولا سوقة فيما يحتاج فيه الى الفطن
ولا جبانا فيما يحتاج فيه الى الجراءة والتوكل وقال معاوية
اني لا اضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا سوطي حيث يكفيني
لساني ولو ان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت اذا ارخوها
خليتها واذا خلوها مددتها ونحو هذا قال الشعبي كان
معاوية كالجمل الطب والجمل الطب هو الحاذق بما يمشي
لا يضع يده الا حيث يبصر وينبغي ان يعلم رعيته انه يطلب
خيرها الا بالمعونة له على الخير ولا ينبغي له ان يدع تعنيفه من
الرعية اذا كان منه على الظلم في جنبها فان التعنيف موقعا

ينتفع به وقد دعى الله تعالى ملك الدنيا سليمان بن داوود
عليهما السلام ثم تفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد هذا
وكان التجاوز فيه يسيرا لما من الوقوع في الكبير وقال الشاعر
لا تحقرن صغيرا كم جزيرة من سبب ∴ وقالوا اصل
الاشياء كلها واحد ولا يضع مما شرف جسيم اموره فللجسيم
موضع ان يفعل عنده تعاظم ولا يلزم نفسه مباشرة الصغير ابدا
فيضيع الكبير وقال زياد لحاجبه ولّيتك حجابتي وعزلتك
عن اربع المؤذن للصلوة وصاحب الطعام فان الطعام اذا
اعيد تسخينه فسد وطارق الليل لشيء دهى وصاحب
البريد فالتهاون بالبريد ساعة يخرب عمل سنة وقال ابو
العباس السفاح لا عطلن الحلم حتى لا ينفع الا الشدة ولا كرمن
اهل الخاصة ما امنتهم على العامة ولا اغمدن سيفي حتى يسله
الحق ولا عطين حتى لا ارى للعطية موضعا وقال ازدشير
ما اكمل ملكه واباد اعداءه اني لم احكم حاكم على العقول
كالعبر ولم يحكمها محكم كالتجربة وليس شيء اجمع للعقل
من خوف وحاجة فتامل بهما صحيحات عقله وكان عمر بن ا
الخطاب رضي الله عنه يقول ان هذا الامر لا يصلح له الا اللين
في غير ضعف والقوة في غير عنف وقال الاصمعي قال لي الرشيد هل تعرف كلمة جامعة لمكارم الاخلاق يقل لفظها
ويسهل حفظها تكون لاغراضها تفقد لمقاصدها وقفا تشرح
المتشبه وتوضح المستعجم قلت نعم يا امير المؤمنين دخل اكثم

ابي

ابن صيفي حكيم العرب على بعض ملوكها فقال له اني سائلك عن
اشياء لا تزال مختلجة بصدري وما تزال الشكوك عليها زائغة
فانبئني بما اشترط فيها قال بيت الشعر سالك خبيرا والسنان
بصيرا والجواب يشفع الصواب فسل عما بدا فقال فما الله
السود قال اصطناع المعروف واحتمال الجريرة قال فما
الشرف قال كف الاذى وبذل الندى قال فما المجد قال حمل
المغارم وابتناء المكارم قال فما الكرم قال صدق الاخاء في
الشدة والرخاء قال فما السماحة قال بذل النائل وحب السائل
قال فما الغنى قال الرضى بما يكفي وقلة التمني قال فما
الراي قال لب تعينه تجربة فقال له الملك اوتيت زنادا بصيرا
اذ كنت نارا خبيرا فاحتكم قال لكل كلمة هجمة قال هي لك قال
الاصمعي فقال الرشيد لك بكل كلمة بدرة فانصرفت بالثماني
الف وكتب قيس بن ساعدة يقعد على قيص وبكر مستعفا له
يوما ما افضل العقل قال معرفة الرجل بنفسه قال فما افضل
العلم قال وقوف الرجل عند علمه قال ما افضل المروة قال
استبقاء ماء وجهه قال فما افضل المال قال ما قضي به الحقوق

الاذى

∴ الباب العشرون في معرفة
الخصال التي هي اركان السلطان ∴

قال ابو جعفر المنصور ما كان احوجني ان يكون على بابي
اربعة لا يكون على بابي اعف منهم قيل من هم يا امير المؤمنين
قال هم اركان الملك ولا يصلح الملك الا بهم كما ان السرير

لا يصلح إلا بأربع قوائم فإن نقص قائمة واحدة عابه فاض
لا تأخذه في الله لومة لائم والآخر صاحب شرطة ينصف
الضعيف من القوي والثالث صاحب خراج يستقصي
ولا يظلم الرعية فإني غني عن ظلمهم ثم عض على إصبعه
السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة آه آه قيل من هو يا أمير المؤ
منين قال صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة وقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه لا يصلح الوالي إلا بأربع خصال إن نقصت
واحدة لم يصلح له أمر قوة على جمع المال من أبواب حله و
ووضعه في حقه وشدة لا جبروت فيها ولين لا وهن فيه

الباب الحادي والعشرون في
حاجة السلطان إلى العلم

قال ابن المقفع إن أكرم ما للناس يطالب به السلطان علم ابعد
يحصل ذلك فإن زوال الأكرام بزوالهما ولا يكون يحصل
أن أكرم مولد لعلم أو أدب أو دين واعلم أرشدك الله
أن أحوج الناس إلى النفقة أكثرهم عيالا وأتباعا و
وحشما وأصحابا والخلق كلهم يستمدون من السلطان
الخلائق السنية والمراتب العلية ويعترفون إليه في كل
حكم أو قطع التشاجر وفصل الخصوم فهو أحوج خلق
الله إلى معرفة العلوم وجمع الحكم والتخصص بالعلم لحاجة
بالعلو وفضل السلطان خصوصا وفي الناس عموما محبة
العلم والتحلي به والتشوق إلى سماعه والتعظيم لأهل

التشاجر

أهل

لحملته

لحملته فإن العلم دليل على قوة الإنسانية فيه وبعده
وبعده من البهيمية ومضاهاته للعالم العلوي وهو
من أوكد ما يتحبب به إلى الرعية وإذا كان الملك خاليا من
العلم اتبع هواه واضر بعقبته كالدابة بلا رسن تخبط في
غير الطريق وقد تتلف ما تمر عليه واعلم أن زهد أبعد
العقلاء وحسن المذاهب وبهاء الصحف والإضافة للأمر مع
المثالب ومحض الذي أبلى كل ذلك لا يكمل عليها وحظ منه
بقدرها أو ثبته من علو المنزلة وشرف الحظوة ويكون
حسنها أحسن كما يكون قبحها أقبح وليس أحد من أهل
الدرجات السنية والمراتب العلية أحوج إلى مجالسة
العلماء وصحبة الفقهاء وسير الحكماء من السلطان لأن
وإنما كان كذلك لوجهين أحدهما أنه قد نصب نفسه لمعاناة
رياسة أخلاق الناس وفصل خصوماتهم وتعاطى حكومات
بينهم وكل ذلك يحتاج إلى علم بارع ونظر ثاقب وبصيرة
بالعلم قوية ومراسة طويلة فكيف يكون حاله إن لم يعز
هذه الأمور عقلها ولم يقم لها أهبتها والثاني أن
من سواه من الناس لا يعدمون من يكثر عليهم ويعارضهم
ويذكر لهم مساويهم ويخالفهم في مذاهبهم فيكون
ذلك معينا لهم على رياضة أنفسهم ويعلمهم مرارة الحق و
ومناظرة الأكفاء ومعاشرة النظراء تلقيح للعقول و
وتهذيب للنفوس وتدريب بمآخذ الأحكام بخلاف السلطان

لان ارتفاع درجته يقطع عنه جميع ذلك اذ لا يلقاه الا مجلا
لنفسه او معظما لقدره ويجل لشانه وسنه عن مساواته وما حجه له
بما ليس فيه وانما جوابهم له صدق وربما يهون على قدر علو المنزلة
يكون قبح السقطة كما ان على قدر ارتفاع الحائط يكون صوت
الوقعة فصل يا ايها الملك ليس احد فوق ان يومر بتقوى
الله العظيم ولا احد دون ان يومر بتقوى الله العظيم ولا
احد اجل قدرا من ان يقبل امر الله تعالى ولا ارفع خطرا من ان
يتعلم حكم الله تعالى ولا اعظم شانا من ان يتصف بصفات الله
تعالى ومن صفات الله تعالى جل ذكره العلم الذي وصف به
نفسه وتمدح بسعته فقال عز وجل وسع كرسيه اله
السموات والارض ولا يؤوده حفظهما اي كرسيه العلم والكرا
سي هم العلماء واذا كان العلم فضيلة فرغبة الملوك والاشرا
ف وذوي الاقدار والتبريز فيها اولى لان الحظ منهم اقبح واذا
ينالوا الفضيلة فضيلة حكي ان ابراهيم بن المهدي دخل
على المامون وعنده جماعة يتكلمون في الفقه فقال يا عم ما
عندك فيما يقول هؤلاء فقال يا امير المومنين شغلونا في الصغر
واشتغلنا في الكبر فقال المامون لم لا تتعلم اليوم فقال او
يحسن لمثلي طلب العلم فقال نعم والله لان تموت طالبا للعلم
خير من ان تعيش قانعا بالجهل قال والى متى يحسن بي طلب
العلم قال ما حسنت بك الحياة وروي ان شيخا من الحكماء
راى شيخا يحب النظر في العلم ويستحيي ان يكون في اخر عمره ا

افضل

افضل مما كان في اوله لان الصغير اعذر وان لم يكن في الجهل
عذر ولكن منشورا لعلكم جهل الشباب معذور وعلمهم مشكور وما
في الكبير فالجهل به اقبح ونقصه عليه افضح لان علو السن اذا لم
يكسبه فضلا ولم يفده علما كان الصغير افضل منه لان الامل
فيه اقوى وحسبه نقيصة في رجل يكون الصغير المساوي له في
الجهل افضل منه ولكن ما ذكرنا من حاجة الشيخ الى العلم مجادة
حثه السلطان اليه اكثر ودواعيه الى اكتسابه اشد لان من في
عداه انما تختص نقيصته بذاته فيقرب عليه تحصيل ما يفو
ته به والملك منتصب لسياسة اهل مملكته وتعهدهم
وتقويم اودهم فهو الى العلم احوج وقد قال الشاعر

اذا لم يكن مر السنين مترجما ... عن الفضل في الانسان سميته طفلا — قسميته
ارى الدهر من سوء التصرف مائلا ... الى كل ذي جهل كان به جهلا
وما الفضل للانسان الا شبيهه ... كذا الدر ابنا البحر ابقى البغلا — ود
وما تنفع الاعوام حين تعدها ... ولم تستفد فيهن علما ولا فضلا

وقال بعض الحكماء كل عز لا يوطده علم مذلة وكل علم لا يوطده
عقل مضلة وكيف يستنكف منه او ذو مرتبة علية على طلب العلم
وهذا موسى عليه السلام ارتحل من الشام الى مجمع البحرين في طلب
الخضر على بعد المسافات الى لقاء الخضر عليه السلام ليتعلم منه
علما خصه به فقال له هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا
وهو نبي الله تعالى وكليمه وهذا عمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصفوته من جميع خلقه قد اوطاه زيد بسما نده وعلمه كيف يستنزل

يستنزل

ما يحتاج إليه فقال تعالى وقل رب زدني علما فلو كان شيء أ
نبه أشرف من العلم لنبهه عليه وهذا آدم عليه السلام لما
فخرت الملائكة بتسبيحها وتقديسها لربها فخر آدم عليه ال
سلام بالعلم فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين فلما
عجز القوم أمرهم بالسجود له وأخلق بخصلة تستدعي السجود
عالمها أن يتنافس فيها كل طالب وهذا فصل الخطاب لمن
تدبره ولا ينصرف له عذر أبدا وروي في بعض الأخبار مثل الذي يتعلم
العلم في الصغر كالرقم على الحجر والذي يتعلمه في الكبر كالذي
ينقش على الماء وقد سمع الأحنف رجلا يقول التعلم في الصغر كا
لنقش في الحجر فقال الأحنف الكبير أكبر عقلا ولكنه أشغل قلبا
فيحصل على المنا وينبه على العلة وقد كان أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم يتعلمون شيوخا وكهولا وكانوا يتعلمون العلم
والقرآن والسنن وهم بحور العلم والهداة الحكمة ومعادن
الفقه غير أن المتعلم في الصغر أرسخ أصولا وأبسق فروعا وليس
إذا لم تدركه كله تتركه كله وقال رجل لأبي هريرة أريد أن أتعلم
العلم وأخاف أن أضيعه فقال أبو هريرة كفى بتركك له أن
تضيعه وبعض الخير خير من كل الشر وإنما مثل الجهل عند
الجهل مثل الحمار يحمل ثقيلا فإن هو كل ما أعيى نقصه
قليلا قليلا يوشك أن ينقصه كله فيستريح منه وإن هو لم يطرح
القليل حتى يطرح الكثير فيما أوشك أن يسرع هلكه وكذلك
الجاهل إن تعلم قليلا يوشك أن يأنف على نفسه وإن لم يتعلم في الكبر

لما جاته

لما جاته في الصغر فأوشك أن يموت تحت عبء الجهل وقال الشاعر

ولا خير في من راح ليس بعالم ... بصير بما يأتي ولا متعلم
تعلم فإن العلم أفضل زينة ... من المرء الحسناء عند التكلم
فما الجهل بالعلم غير عار بسير ... ثم يعد في مذهبه يترجم
فيا طالبا هو دون العلم بعينه ... لا مرحبا بالجهل لا مرحبا
وأقبح الجاهل لو لقيته ... فحد بلد المشرق والمغربا

التكلم

اخ

وقال بعض الحكماء إنا لم نطلب العلم لنحيط به ولكن لنستكثر
من الصواب ونستقل من الخطأ

الباب الثاني والعشرون في وصية
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

رضي الله عنه لكميل بن زياد بالعلم وأهله قال كميل بن زياد
خرجت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الجبانة فلما أصحر
تنفس الصعداء ثم قال يا كميل بن زياد القلوب أوعية فخيرها أوعاها
للخير احفظ عني ما أقول لك الناس ثلاثة فعالم رباني ومتعلم على
سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم
يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق العلم خير من
المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الإنفاق
والمال تنقصه النفقة والعلم حاكم والمال محكوم عليه
ومحبة العالم دين يدان به يكسبه الله تعالى حياته الطاعة
وجميل الأحدوثة بعد وفاته مات خزان المال وهم أحياء
والعلماء باقون ما بقي الدهر أشخاصهم مفقودة وأمثالهم

في القلوب موجودة هاهنا واشار الى صدره علما جما لو
لو اصبت له حملة بلى قد اصبت لقنا غير مامون عليه
يستعمل الة الدين للدنيا فيستظهر بحجج الله تعالى على كتابه او كما قال
وبنعمه على عباده او منقادا لاهل الحق لا بصيرة له في احنائه
ينقدح الشك في قلبه باول عارض من شبهة لا الى ذا ولا الى ذاك او
منهوما باللذات سريع الانقياد للشهوات او مغرما
بجمع الاموال والادخار ليس من رعاة الدين في شيء اقرب شبها بهما
الانعام السائمة البهيمة وكذلك يموت العلم بموت حامليه ولا
لكن لا تخلو الارض من قائم لله تعالى بحجته لئلا تبطل حجج الله
وبيناته رس اولئك وابن اولئك الاقلون عددا الاكبرون وزنا
عند الله قد اودعوا الحكمة في قلوبهم حتى يزرعوها في
صدور نظرائهم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا
روح اليقين فاستلانوا ما استخشنه المترفون وانسوا
بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا باجساد ارواحها
معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في بلاده وامناؤه على
عباده ودعاته الى دينه هاه شوقا الى رؤيتهم د. د.

الباب الثالث والعشرون في آلة العقل
والعقل والغضب والعكس قد ذكرت في كتاب

الاسرار حقيقة العقل واقسامه واحكامه ومحله بما لا مزيد
عليه ونذكر هاهنا منافعه ومداركه ولباب ما يجوز
فيه من القول انه الاستشهاد بالشاهد على الغائب فمن كان

في طوقه

في طوقه ان يستدل بما شاهد على ما غاب كان له عقل وسمي
عاقلا عند المراد من ربه يتوجه التكليف عليه ومثله
ان من نظر الى قصر قد تكامل بنيانه وحصنت اركانه وجعلت
فيه من الالات ما يكتفي به ساكنه فاشرف عليه ما شيد
عليه انسان رءاه بيوتا مفروشة وابوابا منصوبة وعروشا
معروشة وزرابي مبثوثة ونمارق موضوعة وصحافا مصفوفة
واواني منضودة ومجالس مسندة ولذة وكذلك رءا بيوتا وبيوت
ماء وبلاليع وميازيب لصب الماء وتغيبها بلاليع لتغيض الماء
وكوات للضياء والنوافع ومداخل ومخارج ومنافس
للرياح والاهوية التي قد يستعملها العقلاء للانتفاع ثم
فكر هل هذا القصر بما حواه صنعه صانع قادر عالم حي مدبر
او اتفق بنفسه وتركب على صورته بلا صانع فيستفرغ عقله
بالضرورة استحالة وجوده من غير صانع وانه مفتقر الى صا
نع صنعه وهذا علم يهجم على العقول لا يفتقر الى نظر
واستدلال وانما كثرت له هذه الامثلة لان في الانسان من ا
لحنايا والعظام والعصب الصنعة والعجائب اكثر مما في
القصر باضعاف مضاعفة فاذا نظر الى نفسه وجد من فيها
من العجائب والتركيب ومنفعة كل عضو وتخصيصه اما بجلب
نفع او دفع ضر فيمعن نظره في عضو واحد مثلا وهو فيه فيرى
في ولد الانسان تشبيهه بالعاطش لتقطع وفي الاخرى يحور في
نظرة نصح للبحر وشق فيه كذا فقطع الاتصال الى ما بعد الان

والعجائب

ان ينهض الصحابي الى خارج ولما ان يرد ما انقلب من الطعام على
الجوارح ثم يلي ذلك الحلقوم بصلح للازدراد بهذا التحسين علم
بادني تامل ان هذه السلسلة ما اتفقت بنفسها اتفاقا بل هي
مجزوفة الى قصد قاصد وجعل جاعل **على** هذا النمط نزده
هيهنا ذكر منفعة كل عضو لوقفت على كل عجب ولكن تزنيها
كراهة التطويل فمعرفة الصانع للخلق تعلم بلا شك لدلائل
والنظر المرتب على الضروري وعلى هذا المعنى نبه الكتاب
المبين بقوله وفي انفسكم افلا تبصرون وهذه العبرة تشغل
تشتغل العقول باثبات الصانع وتستغني عن النظر في الجواهر
والاعراض والعلم المفيد لاثبات الصانع في الشاهد مثل البناء
والنجار والخياط واشباههم بعد النظر في صنائعهم علم
اضطرار **و** العلم المثبت لصانع سبحانه عند النظر في حدوث
العالم علما يتصور لان الاعتبار للغائب بالشاهد لانه لا فرق في
العقول بين صنعة وصنعة في اقتضاء صانع **وانما** كان العلم في
الشاهد ضروريا لان الانسان لم يزل يرى البناء يبني والخياط
يخيط والنجار ينجر الخشب ولم يجوز العقل الا ان سبحانه
يخلق ويخترع وانما استبعادك من النظر في الشاهد **فان قيل**
اي العالمين اقوى في النفوس واثبت في العقول عند النظر في الشي
والنظر به للتحرر ام العلم بالله سبحانه عند النظر في السماوات
والارض وما بينهما **فالجواب** ان هذا يستدعي
تفصيلا وتدقيقا وليس هذا الكتاب موضعا لذلك تحبير

نعلم

نعلم ان له عقلا غريزيا ونصبه على الوجوب التكليفي
عليه وهو العقل التكليفي واذا ثبت هذا فاعلم ان الله
سبحانه خلق الحيوان على ثلاثة انحاء فالملائكة ذوو عقول
وشياطين وبهائم **فاما** الملائكة فعقل بلا شهوات ولا هوى
يعارضه **واما** البهائم فشهوات بلا عقل **واما** الشياطين والجن
فركب الله تعالى فيهم العقول والشهوات والهوى **و** هكذا
ركب الله تعالى في بني ادم العقل والهوى والشهوات وغلبت
شهوة الشياطين وهواهم عقولهم فضعفوا ووافقتهم
باخلاق المذمومة بالكبر والعجب والمقت والبغي والعدو
والحسد ونسا من اخلاق المهلكة **واما** البهائم فغلبت
او وافقتها في شهوات البطن والفرج **واما** ادميين فركب
الله تعالى فيهم عقول الملائكة واخلاق الشياطين وشهوات
البهائم فمن غلب عقله هواه منهم فكانه من عالم الملائكة
كالانبياء والرسل عليهم السلام والاولياء والاصفياء وقليل
ما هم **واما** من كان عقله مغلوبا بهواه وشهواته جاز كان
في تناول المباحات من المطاعم والملابس والمراكب والنساء والخيل
المسومة والانعام والحرث بالاكل والتمتع بعد ان كسبه من حله
فهذا من عالم البهائم وانما الحقناه بعالم البهائم لانه لا تكليف
عليها ولكنه هذه المباحات لا حرج في الاستمتاع بها بعد
ان يكون كسبها من حلها **وان كان** الغالب عليه اخلاق الشيا
طين من الكبر والعجب والحسد والغش التي هي من اخلاق المذمومة

بعالم

فهذا من عالم الشياطين وان اجتمع في الشخص الواحد اجزاه
الشهوات واتباع الهوى والاخلاق المذمومة فيكون ادميا
في صورته شيطانا في اخلاقه فلا يصلح للصحبة فاذا ثبت
هذا فاعلم ان العقل الغريزي في الكهول ارفع منه من الصبي واخرج
الى الشيخ من الشيب **فصل** فاما العقل المكتسب فهو
نتيجة العقل الغريزي فهو نهاية المعرفة واصابة الفكر وليس
له حد ينتهي اليه لانه ينمو ان استعمل وينقص ان اهمل ونماؤه
يكون باحد وجهين اما ان يقارنه من صغر النشوة ذكاء وجودة
وحسن فطنة كالذي قال الاصمعي **قلت** لغلام حدث من
اولاد العرب كان يحادثني فامتعني والله بفصاحته وملاحته
أيسرك ان تكون لك مائة الف درهم وانك احمق قال لا والله
قلت ولم قال اخاف ان يجني علي حمقي جناية تذهب بمالي
ويبقى علي حمقي فانظر هذا الصبي بذكائه ما يغني
على من هو اكبر منه سنا **وقيل** لبعض الصبيان اذا ادب قال كانه
عيسى ابن مريم **وقد قالت** الحكماء العقل سرعة الفهم
وغايته اصابة الوهم وليس للذكي غاية ولا لجودة الفكر
نهاية الا ترى ان اياس بن معاوية الذي يضرب المثل بذكائه
قال لابيه وهو طفل وكان ابوه يوثر اخاه عليه يا ابت تعلم
ما مثلي ومثل اخي مثل فرخ الحمام اقبح ما يكون كلما كبر
ازداد ملاحة وحسنا فيبنى له العلالي وتتخذ له المرقعات
وتستحسنه الملوك **ومثل** اخي مثل الجحش الصغير اصلح ما يكون

أصغر

اصغر ما يكون كلما كبر قبح وصار للقصر انما يصلح لحمل الزبل
والتراب **و**الوجه الثاني ما يحصل من الحنكة وصحة الروية
بطول معالجة الامور وكثرة التجارب ومرور العمر على اسماعهم
وتقلب الايام وتصرف الحوادث وتناسخ الدول وقد مرت
على عيونهم وجوه العبر ونصوص منه على اسماعهم انواع الاخبار
واثار الغير **قال** بعض الحكماء كفى بالتجارب تاديبا وبتقلب
الايام عظة **وقالوا** التجربة مراة العقل والغرة ثمرة الجهل
ولذلك يدخصون اراء الشيوخ حتى قالوا المشايخ اشجار الوقار
ومنابع الاخبار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم
وعليكم باراء المشايخ فانهم ان فقدوا ذكاء الطبع فقد
اعانتهم الايام حنكة وتجربة **وقال الشاعر**
الم تر ان العقل زين لاهله ولكن تمام العقل طول التجارب واخر
اذا طال عمر المرء في غير افة افادت له الايام في كرها عقلا
غير ان للعقل افات كما قال بعض الحكماء وكيف يرجو العاقل
النجاة والهوى والشهوة قد اكتنفاه والهوى ابعد ان تنجح به
جبلة الحازم المحتال وهو اغمض مسلكا في الجنان من الروح
في الجثمان واملك للنفس من النفس والمالك للشيء ولهذا قيل كم
من عقل اسير في هوى امير فمن اختار ان يكون حرا فلا يهوى وان صار
عبدا كما قال علي بن الجهم رحمه الله تعالى
انفس حرة ونحن عبيد ان رق الهوى لرق شديد
واختلف الناس في العقل المكتسب اذا تناهى وزاد في الانسان هل

اللهم صل على الحبيب محمد

فضيلة

يكون فضيلة إلا أن لا يقال معظم العقلاء أنه فضيلة لأنه إذا كان مجموع
ما أحوال أعلاه فضائل فلا شك أن كثرة الفضائل فضائل وإنما الشيء
المجموع تكون الزيادة فيه نقصا من الحدود كالتهور في الشجاعة
والتبذير في الكرم فأما الزيادة في العقل المكتسب فزيادة علم بالأمور
وحسن الإصابة بالظنون ومعرفة ما لم يكن بما كان وروي أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا يفضل الناس إلا بعقل الناس وقال عليه الصلاة
والسلام العقل حيث كان ألف مألوف وقال القاسم بن محمد من لم
يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حتفه في أغلب الخصال عليه
ألا ترى أنه لما مات بعض الخلفاء جيشت الروم واجتمعت ملوكها
وقالوا الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فتمكننا الغرة منهم
والوثبة عليهم فعقدوا لذلك المشاورات وتراجعوا فيها بالمنا
ظرات وأجمعوا على أنه فرصة الدهر وثغرة النحر وكان رجل
منهم من ذوي المعرفة والرأي غائبا عنهم فقالوا من الحزم عرض
الرأي عليه فلما أخبروه بما أجمعوا عليه قال لا أرى ذلك صوا
با فسألوه عن علة ذلك فقال غدا أخبركم إن شاء الله فلما أصبحوا
غدوا عليه فقالوا الوعد قال نعم فأمر بإحضار كلبين عظيمين قد
أعدهما ثم حرش بينهما وألب كل واحد على الآخر فتواثبا وتهارشا
حتى سالت دماؤهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده
وأرسل منه على الكلبين ذئبا قد أعده فلما أبصره الكلبان
تركا ما كانا عليه وتألفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذئب
فنالا منه ما أحبا ثم أقبل الرجل على أهل الجمع فقال لهم مثلكم مع

المسلمين

١٧٦

المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب لا يزال الهرج والقتل بينهم
ما لم يظهر عدو من غيرهم فإذا ظهر لهم عدو من غيرهم تر
كوا العداوة بينهم وتألفوا على العدو وما استحسنوا رأيه وتعر
فوا عن رأيهم وإن العقلاء يدوم في هذا الباب صرف العقل إلى الد
هاء والمكر قال الشعبي وقعت الفتنة ودهاة العرب ستة
معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد
ابن أمية وقيس بن سعد بن عبادة وعبد الله بن بديل بن ورقاء وقال الشعبي
كان معاوية يقول أنا للأناة وعمرو للبديهة وزياد للصغار
والكبار والمغيرة للأمر العظيم قال قبيصة بن جابر ما رأيت أع
طى لجزيل مال بغير سؤال من طلحة بن عبيد الله ولا رأيت أثقل
حلما ولا أطول أناة من معاوية بن أبي سفيان ولا رأيت أغلب للرجال
ولا أبذل لهم حين يجتمعون من عمرو بن العاص ولا أشبه سرا بعلانية
من زياد ولو أن المغيرة كان في مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب
منها إلا بالمكر لخرج من أبوابها كلها وقال أبو الدرداء قال النبي
صلى الله عليه وسلم يا عويمر ازدد عقلا تزدد من الله قربا فقلت بأبي
وأمي ومن لي بالعقل قال اجتنب محارم الله وأد فرائض الله تكن عاقلا
ثم تنفل صالح الأعمال تزدد في الدنيا عقلا وتزدد من ربك قربا وعليه
عز الغالب هواه واصنع ما شئت وأنشد

إذا ما دعتك النفس يوما لشهوة ... وكان عليها للخلاف طريق
فخالف هواها ما استطعت فإنما ... هواك عدو والخلاف صديق

وروي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال إن المكارم أخلاق مطهرة

∴ بالعقل أولها والدين ثانيها ∴
∴ والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والعرف سادسها ∴
∴ والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين عاشرها ∴
∴ والنفس تعلم أني لا أصدقها ولست أرشد إلا حين أعصيها ∴
∴ والعين تعلم في عيني محدثها إن كان من حزبها أو من أعاديها ∴

وقال بعض الحكماء العقلاء العاقل من عقله في إرشاد ومن
رأيه في إمداد فقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله
في إغواء فقوله سقيم وفعله ذميم فأما من صرف فضله إلى الدهاء
والمكر والشر والختل فغير يعد كالحجاج وزياد وأشباههم فقد
موم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لست بالخب والخب
لا يخدعني وقال المغيرة كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل
من أن يخدع وأعقل من أن يخدع والموصوف بالدهاء والمكر مذموم
وصاحبه ممقوت ورغاب عن إبله ويحذر رعوا قبله وقدم عمر بن
الخطاب رضي الله عنه أبا موسى الأشعري أن يعزل زيادا عن عمله
فقال زياد عن موجدة أو خيانة يا أمير المؤمنين قال لا عن
واحدة منهما ولكني كرهت أن أحمل على الناس فضل عقلك وكتب
زياد إلى معاوية رضي الله عنه أن العراق في يميني وشمالي فا
رغة فولني الحجاز فبلغ أهله فبلغ ذلك ابن عمر فقال اللهم
اكفه فطعن في أصبعه بعد أيام فمات وتحروا أن كنا مرغب
على أهل الدهاء والمكر بما فاتر غب في الحيلة ونوه بها ولا تسارع
في الحيلة فيما تواصي به العقلاء فيها وحده ولا يبين شيء

من امور

٧٧

من أمور الدنيا الطالب الرفعة وباغي الوسيلة ومن تناهى أو أمر
كان رأى أوجل حظ من الحيلة وأضعف الحيلة خير من كثير من الشدة
وقالت الحكماء ملاك العقل الحيلة والثلاث النشب القوي وا
الضعيف من الأمور وروي أن رجلا وقف بكسرى الملك فقال
إني أصنع ما تعجز الحيل عنه قال نشده برجلي حبلا ونشده
طوقه برقبة الفيل وبرجلي الآخر كذا ونشده طوقه برقبة ال
الفيل ثم نساق الفيلة بالضرب والزجر فلا أتزحزح من مكاني
فيعلم أنه قد تمت له حيلته ثم تعاطى أن يعمل له بأربعة
من الفيلة فحرن بعزتها فقسمه شطرين وقال كسرى من
لم يكن أكثر ما فيه عقله هلك بأكثر ما فيه ونظمه بعض الشعراء فقال بعض
∴ من لم يكن أكثره عقله أهلكه أكثر ما فيه ∴
وسمعت أستاذنا الفقيه أبا الوليد يحكي أن رجلا استأذن
على هرون الرشيد وقال إني أصنع ما يعجز الخلق عنه فقال
ائتني هات فأخرج أنبوبة فصب منها إبرا عدة ثم وضع وا
حدة في الأرض وقام على قدميه وجعل يرمي إبرة إبرة فتقع
كل إبرة في ثقب الإبرة الموضوعة حتى فرغ ... قام الرشيد
فضربه مائة سوط ثم أمر له بمائة دينار فسئل عن جمعه بين
الإهانة والكرامة فقال وصلته بجودة ذكائه وأدبته كي
لا يصرف فكره في ما لا يجدي في الفضول ومن زعم أن العقل المكتسب
إذا تناهى لا يكون فضيلة قال لأن الفضائل هيئات متوسطة
بين فضيلتين ناقصتين فما جاوز التوسط خرج عن حد الفضيلة

خـ دينار

كالكرم الذي هو متوسط بين البخل والتبذير والشجاعة وسط
بين التهور والجبن وقالت الحكماء للاسكندر ايها الملك عليك
بالاعتدال في كل الامور فان الزيادة عيب والنقصان عجز وفي
الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الامور اوسطها وقال
علي رضوان الله عليه خير الامور النمط الاوسط اليه يرجع الغالي وبه
يلحق التالي فان قالوا لان الزيادة في العقل تفضي بصاحبها الى الدها زيادة
والمكر وذلك مذموم قلنا هذا كله باطل لا فائدة فيه لا نسلم ان
العقول الاول وهو منقوض في العقل الغريزي وبالعلوم وسا
ير الفضائل واما قولهم انه يفضي بصاحبه الى الدهاء والمكر
قلنا الدهاء والمكر كسب معان واخر غير العقل العاقل لا يختا
ره وليس عقله اوقعه فيه بل انما اوقعه فيه قلة عقله
وكان ابن جعيص لما فرغ من كتاب امثاله وفتش كل باب
على حياله يقول ليس العجب ممن جمع هذه الامثال فصار
عالما وانما العجب ممن حفظها ولم يصر عالما قال الشيخ
رحمه الله وانا اقول ليس العجب ممن قرأ كتابي هذا فصار به
كاملا وانما العجب ممن قرأه ولم يصر به كاملا

الباب الرابع والعشرون في الوزراء وصفاتهم

قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي فلو كان السلطان يستغني عن
الوزراء لكان احق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران

عليهما

عليهما السلام ثم ذكر حكمة الوزراء فقال اشدد به ازري وا
شركه في امري دلت الاية على ان موضع الوزارة ان تشد قواعد
المملكة وان يفوض السلطان اليه يحمله ويحمل اعباء استكملت به
الخلال المحمودة ثم قال كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا دلت هذه
الكلمة على ان صحبة العلماء والصالحين واهل الخير والمعرفة تنتظم
مصلحة الدنيا والاخرة وكما ان الشجاع من الناس يحتاج الى السلاح
وكذلك اجل الملوك يحتاج الى الوزراء كما تحتاج اعزة الخيل الى
السوط واحد الشفار الى السن يحتاج اجل الملوك واعظمهم واعلمهم
الى الوزير وروى ابو سعيد الخدري قال ما بعث الله نبيا ولا است
خلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تامره بالمعروف
وتحضه عليه وبطانة تامره بالشر وتحضه عليه والمعصوم
من عصمه الله سبحانه وانما اشتقت الوزارة من الوزر وهو
الثقل يريد انه يحمل من اصول المملكة واعبائها اثقالا وزار
امعر الملوك ملك له وزير صالح فصالح ان نسي ذكره وان ذكر
اعانه واعلم ان اول ما يستنجد الملك من الوزراء امران عفو ما يستبد
كان يجهله ويقوي عنده علم ما كان عنده فيزول الشك به وقال
وهب بن منبه قال موسى عليه السلام لفرعون اسلم ولك الجنة و
لك ملكك قال حتى استشير هامان وزيري فشاوره في ذلك فقال هامان
بينا انت اله تعبد اذ صرت تعبد رب واستنكف ان يرجع امره ما
كان وعلى هذا انكشف كان وزير الحجاج يزيد بن ابي مسلم لا يا
لوه خبالا وليس الوفا شرف بن شرف من واشرف منازل الادبين

النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة الوزير عون على الأمور وشريك في
التدبير وظهير على السياسة ومفزع عند النازلة الوزير من الملك عشر
بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه وفي الأمثال أنفعهم نعم الله
الوزير أول ما يحتاج إليه السلطان قوة تمييزه وجودة عقله في انتقاء
الوزراء واستنفاء الجلساء ومحادثة العقلاء بهن ثلاثة تدل على
كمال الدولة بعزة الخلال يحصل في الخلوة كرامة ويجل في العيون ذكره و قدرة
وترسخ في النفوس عظمته والمرء موسوم بقرينه وكان يقال حلية
الملوك وزينتهم وزراؤهم وفي كتب كليلة لا يصلح السلاطين إلا با
لوزراء والأعوان ولا الوزراء والأعوان إلا بالمودة والنصيحة ولا المودة
والنصيحة إلا بالرأي والعفاف وأعظم الأشياء ضررا على الناس عامة و
وعلى الولاة خاصة أن يحرموا صالح الوزراء والأعوان فيكون أعوانهم غير
ذي مروءة وغناء ويحذر الملك أن يولي الوزارة غير المجرب كي لا
تضيع الأمور كما يحذر أن يتطبب بغير طبيب بصير بالأمور قال شهريم
ابن عيسى لم يكن في بني إسرائيل ملك إلا ومعه رجل حكيم فإذا رآه غضبا
ذكر إليه صحائف في كل صحيفة ارحم المساكين واخش الموت واذكر صحيفة
الآخرة فكلما غضب الملك قرأ له صحيفة حتى يسكن غضبه
وقال أزدشير يجب على الملك الصعب ما يكون نحرا أعظم ما يكون حلما
ولا يذهب حسن أثره في رعيته حتى يبدلها ولا يستغني بتدبير اليوم عن
تدبير غد وأن يكون حذره للملا فيزا أكثر من حذره للعشاعد بيزوا ن ينفي
بكفاية السوء أشد من اتقائه العامة ولا يضعف في إصلاح العامة إلا
بالخاصة وقال أزدشير لكل ملك بطانة حتى يجمع لها جميع

المملكة

المملكة فإذا أقام الملك بطانته على حال الصواب أقام كل واحد
منهم بطانته على مثل ذلك حتى تجتمع على الصلاح عامة الرعية وقال
الملك الجميل والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من
الدنو منه كالماء الصافي فيه التمساح فلا يستطيع المرء دخوله
أن كان سابحا وكان إلى الماء محتاجا ومثال السلطان مثال الطبيب
ومثال الرعية مثال المرضى ومثل الوزير كمثل الشفيع بين المرضى والأطباء
فإن كذب الشفيع بطل التدبير وكما أن الشفيع إذا أراد أن يقتل أحدا
من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه فإذا استعمل الطبيب على صفة
الشفيع هلك العليل كذلك الوزير ينقل للملك ما ليس في الرجل فيقتله
الملك بغير ما جنى فلهذا اشترطنا أن يكون الوزير صادقا في لسانه عدلا في دينه
مأمونا في الخلافة بصيرا بأمور الرعية وتكون بطانة الوزير أيضا
أيضا من أهل الأمانة والبصيرة ويحذر الملك أن يولي الوزارة لئيما
فإن اللئيم إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالأ
شراف وتكبر على ذوي الفضل والأنساب وقد أراد سليمان بن عبد
الملك أن يستكتب كاتب الحجاج يزيد بن أبي مسلم فقال له عمر بن
عبد العزيز أنشدك بالله يا أمير المؤمنين ألا تحيي ذكر الحجاج بأن
تستكتب كاتبه فقال يا أبا حفص إني لم أجد عنده خيانة في درهم
ولا دينار فقال عمر أنا أوجد لك من هو أعف منه في الدينار والدرهم
قال ومن هو قال إبليس ما مس دينارا ولا درهما وقد أهلك هذا
الخلق ودخل رجل له عقل وأدب على بعض الخلفاء فوجد عنده
رجلا ميلا كان الخليفة يقبل إليه وينظر به فقال

يا ملكاً كل ما عنه عصمة ... وحبه مفترض واجب
أن الذي تشرف من أجله ... يزعم هذا أنه كاذب

وأشار إلى الذي قصده بأمير المؤمنين عن خالد فبسط له فيهم يحيى يداً
من يقول صادق فما عثرت بلا إسلام لا يحب وزير الملك أن يدع
وما عليه حتى يراعي من صاحبه الوثوق به ما يراعيه أهل التشوف الغيور
من المعشوقة المتمنعة وكان بعض الملوك قد كتب له ثلاث رقاع
وقال للوزير إذا رأيتني غاضباً فادفع إلي التي رفعته في الواحدة إنك
لست بإله وإنك ستموت وتعود في التراب فيأكل بعضك بعضاً
وفي الثانية ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء. وفي الثالثة اقض الثانية
بين الناس بحكم الله فإنهم لا يصلحهم إلا ذلك إذا كان الوزير يساوي
الملك في المال والهيبة فليصرعه الملك فإن لم يفعل فليعلم أنه
مصروع وفي الأمثال إذا أمكنت الدهما خافت الوزراء ولما
أمور المملكة ما يدل إلى الوزراء وأزمة أيدي الملوك في أيدي الوزراء
سبق فيهم بين العقلاء المثل السائر فقالوا لا تغتروا بمودة الأمراء إذا
غشك الوزير وإذا أحبك الوزير فلا تخش الأمير ويقال الخرق
وقتال عنيد الوزير مما فعل السلطان زمان الدار والوزير بابها فمن أتى
الدار من بابها ولج ومن أتاها من غير بابها ارتج كاتب الملك مستقر
أسراره ولسانه الناطق عنه في أطراف مملكته والمخصوص بقربه
ونزهه دون نظرائه كظهير الأمير ووزيره وزينة صاحبه ولسانه الذي
قيده ورسوله عنه الكتابة قوام الخلافة وقرينة الرياسة وعمود
المملكة لذلك قيل على الملك ثلاث يرفع الحجاب عنه ويتهم الرسالة

عليه

عليه ويعطي سره إليه وقال أنوشروان لا ينبغي للملك أمر لا حتى
يرفع نفسه عن كل عيب ويكون له جليس يأمن العيب وخادم
ناصح الجيب. وموقع الوزارة من المملكة كموقع المرآة الآمن البصر
كما أن من لم ينظر في المرآة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه كذلك
السلطان إذا لم يكن له وزير لا يعلم محاسن دولته وعيوبها وفي
قالت الحكماء لا يصعد ذو الكبر في الثناء ولا الغني في كثرة
الصديق ولا السبق الأدب في الشرب ولا الشجيع في البر ولا الحريص
في قلة الذنوب ولا الملك المتهاون الضعيف الوزراء في بقاء الملك
وكما أن المرآة لا تريك وجهك إلا بصفاء جوهرها وجودة صقلها
ونقائها من الصدا كذلك الوزير لا يكمل أمره إلا بجودة عقله و
صحة فهمه وصفاء نفسه ونقاء قلبه ومن شروط الوزير أن يكون
مكين الرحمة للخلق ليسوا رحمته ما يجرحهم السلطان بغلظته
ومن شروطه أن يكون نقي الجيب لا يفشي فيفتضح ولا يكتم نصيحته قال
بعض الملوك لوزيره لا تكن إلي ما تسرني به أسرع منك مبادرة بما تكره
كما تعطي من أقام بما تحب فإن من أنزل لكم من شرطه ومن شروطه
أن يكون عنده لا كليل لا حزن لا هذر وموقع الوزير من الملك موقع الملك
من العامة وكما أن السلطان إذا أصلح صلحت الرعية وإذا فسد فسدت
فسدت كذلك الوزراء إذا فسدوا فسد الملك وإذا صلحوا صلح ا
الملك وكان يقال آفة العقل الهوى وآفة الأمير مخالفة الوزير
وقال المقتدر بالله لوزيره علي بن عيسى اتق الله يعطفني عليك
ولا تعصه فيسلطني عليك وقال المأمون لمحمد بن يزداد إياك أن تعصي

فيما تتقرب به الى

الله فيسلطني عليه واعلم انه ليس للوزير ان يكتم السلطا
ن نصيحة وان استغشه وموقع الوزير من المملكة كموقع الة
العين من الانسان وانه من فانه اذا صح فبصحتها وضعفها ضعف البد
ن واذا استفاد دخل النقص على الجسد ولا تصلح الوزارة ان تكون
في غير اهلها كما لا يصلح للملك ان يكون في غير اهله وشر الوزراء من كان
له الاشرار ابطانا وزراء وبطانة وخلانا واوصت امراة ابنها وكان
ملكا فقالت يا بني ينبغي للملك ان يكون له اشياء ستة وزير يثق برايه
ويفضي اليه باسراره وحصن يلجأ اليه اذا افزع وسيف اذا نازل
الاقران لم يخف عليه ان يخونه وذخيرة خفيفة المحمل اذا نا
بته نائبة كانت معه وامراة اذا دخلت عليه اذهبت همه
وطباخ اذا لم يشته الطعام صنع له طعاما يشتهيه .

الباب الخامس والعشرون
في الجلساء وادابهم

قال الله سبحانه الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا
المتقين وقال سبحانه يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد
اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا
وقال سبحانه يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا وكل خليلين
وصاحبين او متواخيين اجتمعا على معصية فهما الا عداوة خلا
عداوة وينبغي للملك ان يجالس اهل العقل والادب وذوي
الراي والحسب وذوي التجارب والعلم فمجالسة العقلاء
لقاح العقل ومادته وثلاث حمقات ذا راء الشيوخ فقال الحما

المشايخ

المشايخ فيهم الوقار وينابيع الحكمة والاخبار لا يطيش لهم
سهم ولا يسفه لهم وهم وقالوا عليكم بآراء الشيوخ فانهم
ان فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت على اعينهم وجوه العبر وتصدت
لاسماعهم آثار الغير وقالوا راي الشيخ خير من مشهد الغلام و
وقال عبد الملك بن مروان لجلسائه جنبوني ثلاثا لا تطروني
فاني اعرف بنفسي منكم ولا تكذبوني فانه لا راي لمكذوب ولا تغتابوا
عندي فتفسدوا قلبي عليكم وقال بعض الحكماء كفى بالتجارب
تأدبا وبتقلب الايام عظة وقالوا التجربة مرآة العقل والغرة
ثمرة الجهل وقد قال هرم بن قطبة وهو احد حكماء العرب حين نافر
اليه عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة عليكم بالحديث السن الح
ديد الذهن وقال كثير من حكماء العرب عليكم بمشاورة الشباب
فانهم ينتجون رايا لم يطله طول القدم ولا استولت عليه رطوبة
الهرم والمذهب الاول اصح وعليه العقول وقال عمر بن عبد العزيز بن زرا
رة لمعاوية يا امير المؤمنين عليك بمشاورة الالباء اعداء كانوا
او اصدقاء فان العقل يقع على العقل وقال ابن عباس مجالسة
العلماء تزيد في الشرف وقال سفيان بن عيينة ان الرجل ممن كان قبلكم
ليلقى الرجل العاقل فيكون بعقله عاقلا اياما وقال مالك بن انس مر
سليمان بن داود عليهما السلام بقصر بارض مصر فوجد فيه
مكتوبا .

غدونا من قرانا فاصبحنا للقصر فقلناه
فمن سال عن القصر فمبنيا وجدناه

يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه
وفي الشيء على الشيء دلالات وأشكال
وفي العجز على الضعف دليل حين يلقاه
فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى حليما حين آخاه

ووجد عليه نسرا او فقدوا عاله فقال من بني القصر قال ح احد به قال لكم الحمد وفعلت عليه فاذا مكتوب تسعماية سنة وفي الامثال يغض المرء ما يغض بخليله ولما حج عبد الله بن جعفر نزل مكة ليلا فلما اصبح قال يا اهل مكة عرفنا خياركم من شراركم في ليلة واحدة قالوا كيف ذلك قال نزلنا ومعنا خيار واشرار فنزل اخيارنا على اخياركم واشرارنا على اشراركم فعرفناكم واعلم انه ليس الدخان على النار بادل من الصاحب على الصاحب وقال الاوزاعي الصاحب للصاحب كالرقعة في الثوب ان لم يكن مثله شانه وانشدني شيخي الاستاذ ابو محمد عبد الله بن ابراهيم بن سعيد العبدي:

وما صاحب الانسان الا كرقعة على ثوبه فليتخذه مشاكلا

وقال عبد الله بن طاهر المال غاد ورائح والسلطان ظل زائل والاخوان كنوز وافرة وقال الاصمعي تناظر رجلان من اعراب جاهلية فقال لاحدهما ما نظرة مثلك في الادب من وضوء الاستماع منك لادب ومجالسة ذي من ومعرفة عن ومن اكثر تلقيح العقول ونتيجة واخلاق شرف ومجد وقال تسجست نفسه تفارق بين يدي المامون حمد الله

واني لمشتاق الى وصل صاحب يروق ويصفو ان كدرت عليه

عنه

ما عندي من الانسان من جعفرته صعاليك والارض لهم به فجرى المامون وقال ليحيى يا ابا زكريا خذ مني نصف الخلافة واعطني هذا الانسان واحسن من الجميع قول الاخر

حقيق بظل الود ان يتاسف كدنيا بنتنا خلقا خير سجوله
اذا غفل الناس المنفسون انها اغار على فريد او حيدا
بلون كحا ملك في النائبات ولم ابن منهم الا حميدا

زادت

وقال سعيد بن مسيح لاحنف بن قيس يا ابا بحر ما تقول في الغايب اخو حضرته ولا تنتفع بحاضر اخفيت اخذ له ابراهيم بن العباس الكاتب فنظمه فقال:

وانت هي النفس من بينهم وانت الحبيب وانت المطاع
وما بك ان يفقدوا واحدا وما معهم ان يفقدوك اجتماع

وقالت الحكماء النظر في العواقب تلقيح للعقول وقالوا العاقل لا ينقطع عن اخوانه ولا عن مودته فانه من نعماء العيش مرة الصبا بعد وكما ان لوجه المراة الجميلة فانها الى الصلاح كما يحتاج الى تحسين صورتها وقال المامون للحسن بن سهل نظرت في اللذات فوجدتها كلها مملولة ما خلا سبعا قال وما السبع يا امير المؤمنين قال خبز الحنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطي والنظر الى الحسن من كل شيء قال فاين انت يا امير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت وهي اولاهن وقال هشام بن عبد الملك قد قضيت الوطر من كل شيء فاكلت الحلو والحامض حتى لا اجد لواحد منهما طعما وشممت الطيب حتى لا اجد له رائحة واتيت الن

اللهم صل على سيدنا محمد

النسآء حتى لا ابالي امراة انت ام حجر حاجبك فما وجدت شيئا انفع
من حبيب تسقط بيني وبينه مؤونة التكلف وقال عبد الملك بن مروان
قد قضيت الوطر من كل شيء الا من محادثة الاخوان في الليالي الزهر
على التلال العفر وقال عبد الملك من قرب السفلة وادناهم
وباعد ذوي العقل واقصاهم استحق الخذلان ومن منع المال من الحمد
ورثه من لا يحمده ومن الكلام الذي يدق فوق الحكماء ما احوج ذا القدرة
الى حلم يخمد غضبه وعقل يعدله والى تجربة تهديه وعلم
يعرفه والى اعوان تسرع اليه واخلاق تسهل الامور عليه والى
جليس رفيق ورائد شفيق والى عين تبصر العواقب وعقل يغالب
الغير ومن لم يصبر على اخوانه لم يجد زمن سطوة الدهر ولم يتجنب
من فلتات الزلل ولم ينفعا صحبة نب وان عظم ولا ثنآء وان سمع واذا
رايت من حبيبك ما تكرهه وخلة لا تحمدها وصدر منه كلمة
عوراء وهفوة عجراء فلا تقطع حبله ولا تصرم مودته ولكن داو
كلمه واستر عورته فان رجع فاشكره وابرا من عمله قال الله سبحانه
فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون فلم يامره بقطعهم وانما امره
بالبراءة من عملهم السوء وقال الشاعر

اذا رابني منه خليل بعتبه ... بقيت ومالي في النهوض به اجل
ولا كدر اذا هو فارقني سرني ... وان هو اعيا كان فيه تحامل

واتى رجل الى بعض الحكماء فشكى اليه صديقه وعزم على قطعه والانتقام
منه فقال له الحكيم اتفهم ما اقول لك فاجابه ام بك من بوادر
الغضب ما يشغلك عنه فقال اني لما تقول واع قال اسرورك بمودته

كان

كان الحول ام غضبه في نفسه قال بل هو في فقال الحكمة عندنا اكثر
ام سيئاته قال بل حسناته قال فلا تمح بصالح اياتك عن سيئته وهب
للمرء جرمه واحرم مؤونة الغضب ولذة الانتقام منه ولعلك لا تنال
ما املت فتكون مصاحبة الغضب وانت بابن ما تحب

الباب السادس والعشرون في بيان الخصال التي هي جمال السلطان

قد ذكرنا الخصال التي تجري من المملكة مجرى الاساس من البناء
والبنيان ونذكر الان التي تجري من المملكة مجرى التاج والكمال
وحسن الهيئة والكمال واصلها وقاعدتها العفو قال الله تعالى خذ
العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فلما نزلت هذه الاية
على النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما هذا قال لا ادري حتى
اسال العالم فذهب جبريل عليه السلام ثم عاد فقال يا محمد ربك يامرك
ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك اعلموا ارشدكم الله ان الله
سبحانه امر بالعفو وندب اليه وذكر فضله وحث عليه ووعد
فاعله به فقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله
يحب المحسنين وقال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
وعزايم الامور من صفات المصطفين من الرسل قال الله سبحانه فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال سبحانه واذا ما غضبوا هم
يغفرون وقال عز من قائل وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر
الله لكم فما استعطف الخلق وندبهم الى ان يعفوا عن الجناية
والغاصبين كما يحبون ان يفعل الله بهم وقال بعض الحكماء

ظلمه ولم يعف ولكن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل
برفع الحرج من المنتصر والمنتقم وهو موجب له فضيلة لم تكن للعفاة
وأراح النفوس وصرح في تفضيل العافين على المنتصرين والواهبين عفو
فهم على المنتقمين فقال وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وهذا نص لا يحتمل التأويل وتخفيف العقو
بعد ذلك أن الانتصار عدل والعفو فضل وفضل الله تعالى أحب إلينا من عدله
لأنه إن عدل علينا فأخذنا بحقه هلكنا وإن عفا عنا برحمته تخلصنا
ولو كان العدل يسع الخلائق لما قرنه الله بالإحسان فيما أمر الله
سبحانه لأن في العدل المضاغطة ومناقشة وذلك مما تضيق عليه النفو
س وتحرج به الصدور فعطف الإحسان فقال تعالى إن الله يأمر بالعدل
والإحسان فإن الانتصار انتقام وعذاب بلا امتنان والعفو محبة من الله
تعالى وإحسان وأيضا فإن الانتصار سيئة والعفو حسنة وقد قال الله
تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة والدليل على أن الانتقام يسمى
سيئة قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وإنما سميت سيئة لما
كانت نتيجة سيئة لأنه لا يجوز الانتصار وإنما هو كقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه بن كلثوم

ألا لا يجهلن أحد علينا … فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فسمى الجزاء على الجهل جهلا وإن لم يكن في الحقيقة جهلا وعن هذا روت
عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا
من مظلمة ظلمها قط غير أنه كان إذا انتهك شيء من محارم الله سبحانه
فلا يقوم لغضبه شيء وروي أيضا أنه قال ينادي مناد يوم القيامة من كان

له على الله أجر فليقم فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا فإن عفوت أيها
الطالب كان أجرك على الله وإن لم تعف كان حقك قبل من ظلمك وكان
أجرك في ضمان الله تعالى أوثق أن يكون على مخلوق وأيضا فإنه إن لم تعف
نلت حقك بلا زيادة عليه وإن عفوت كانت حسنة أضعفها إلى عشر
والله سبحانه يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وقد دخل
عيينة بن حصن على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أحد المؤلفة
قلوبهم فقال له يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا با
لمعروف فغضب عمر وهم أن يوقع به فقال ابن أخيه يا أمير المؤمنين
إن الله تعالى يقول خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإن
هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافا
عند كتاب الله تعالى وقال النبي صلى الله عليه وسلم ارحموا من في
الأرض يرحمكم من في السماء وقال ارحم ترحم وكان يقال أولى الناس
بالسلطان أحقهم بالرأفة والرحمة وقيل لا تعجل اتباع أهل الرحمة لأ
نهم يسترحمون وقال سليمان بن داود عليهما السلام لقد أبغض
الله المستكبرين إلى حد الدماء وإلى حد الدهاء تنتهي القسوة
والغلظة والتباعد من الرحمة ولما تمكن داود عليه السلام
من قتل جالوت أبقى عليه وهو يومئذ عدوه وطالبه فقال رب أعظم
في أعين أعدائي كما أعظمت في عيني عدوي وتقول لا تخلصني
من جميع الهموم وقالت الحكماء من حكمة الدهر ألا تسود مع انتقام
ولا رياسة مع عزة نفس وعجب وقالت الحكماء ليس لما هواك في الشيء
أجود منه في العفو ولا جوهر شيء أنجع منه في العفو ويكون لذا النقص

منه موقع بها العصر عفو في العفو منه كان تقطيع العقوبة الى
فضيلة خير من ان تقضي في العقوبة في فضيلة واحدة وقال معاوية
اني لارفع بنفسي ان يكون ذنب اعظم من عفوي وجهل اكبر من حلمي
وعورة لا اواريها بستري وقال المامون ليس علي في الحلم مؤونة
ولوددت ان اهل الجرائم علموا رأيي في العفو ليذهب الخوف منهم
فيخلص لي قلوبهم وقال رجل للمنصور يا امير المؤمنين ان الانتقام
انتصاف والتجاوز فضل والمتفضل قد جاوز حد المنتصف ونحن
نعيذ امير المؤمنين ان يرضى لنفسه باوكس النصيبين وان لا يرتفع الى
الى اعلى الدرجتين فاعف عنا يعف الله عنك فعفا عنهم وقال
بعضهم لمسلم بن قتيبة لما عفا عنه والله ما ادري ايهما [illegible]
يومك الشريف ابيوم ظفرك او بيوم عفوك قال الشاعر

ما زلت في العفو للذنوب واطلاق لجان بجرمه علق
حتى تمنى البراء انهم عندك امسوا في القد والحلق

آخر

واذا بغى باغ عليك بجهله فاقتله بالمعروف لا بالمنكر

ورفع الى انوشروان ان العامة تعاتب الملك في معاودة الصفح عن
المذنبين مع ثقتنا بعصمتهم في الذنوب فوقع المذنبون مرضى ونحن اطباء
وليست معاودة ايد لنا اياهم بما نعلنا من معاودة العلاج لهم وقال
عمر بن عبد العزيز ما قرن شيء الى شيء افضل من حلم الى علم ومن عفو
الى قدرة وشفع الاحنف بن قيس في محبوس الى السلطان فقال ان
كان ذنبا وسعه العفو وان كان بريئا وسعه العدل وقيل لبعض فه نبلا
الحكماء ابلغ امير المؤمنين امر سوء فقال اني لا ابالي فيما له [illegible] قال ان كان

حقا

٢٦٥

حقا او سعنا عفوه وان كان كذبا وسعنا عدله وقال رجل
لعبد الملك بن مروان لما ظفر بالمهلب ما رايت احدا يا امير المؤمنين
ظلم ظلمك ولا نصر نصرك ولا عفا عفوك وقال بعض الكتاب [illegible] المعا
قب مستدع لعداوة اولياء الذنوب والعافي مستدع لشكرهم او مكا
فاتهم ايام قدرتهم ولان يثنى عليك باتساع الصدر خير من ان تنسب الى
ضيقه واقالة العثرة موجبة لاقالة عثرتك من ربك وعفوك عن الناس
موصول بعفو الله تعالى عنك وعقابك لهم موصول بعقاب الله تعالى
والله تعالى يحب العافين وقال المنصور عقوبة الاحرار التعريض
وقال المامون رحمه الله

لما رأيت الذنوب جلت عن المجازاة بالعقاب
جعلت فيها العقاب عفوا امضى من الضرب للرقاب

وقال الاحنف لا تزال العرب بينة الفضل ما لم تعد العفو ضيما والذل
شرفا وقال الحكماء اذا انتقمت فقد انتصفت واذا عفوت فقد تفضلت
وقال بعض الحكماء اقبل العذر وان كان مصنوعا الا ان يكون مقرا وجنبة
المروءة تعطيه او يكون في قبول عذره تشجيعه على التوبة او عونه على
الشر فان قبول العذر ريبة اشراكا في المنكر ولما دخل الفيل دمشق
حشر الناس لرؤيته وصعد معاوية في علية له متطلعا فبينما هو
كذلك اذ ابصر في بعض حجر قصره رجلا مع امرأة من حرمه فاتى الحجرة
ودق الباب فلم يكترث من بها ووقعت عينه على الرجل فقال له
يا هذا في قصري وفعلت هذا في هتكها حرمتي وانت في قبضتي واحملك
على هذا فبهت الرجل وقال حلمك او فعني فقال له معاوية دا عفوت

عنده فقترها علي قال نعم فضلا لسيد وهذا من الدهاء العظيم و
والعقل الواسع ان يطلب الستر من الجاني وهو يعارض قول الشاعر
اذا امرضنا اتيناكم نزوركم ... وتذنبون فناتيكم ونعتذر
والتو مرتي الهاجي برجل قد جنا جناية فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده
فقال الرجل ان اعتذاري مما تقرعني به رده عليك واقراري بما ذكرت
ذنب ولاكن اقول
فان كنت ترجو في العقوبة راحة فلا تزهدن عند المعافات في الاجر
جام بالكافة وقال المهلب لا شيء ابقى للملك من العفو فان الملك اذا
وثقت منه رعيته بحسن العفو لم يوحشها الذنب وان عظم واذا
خشيت منه العقوبة اوحشها الذنب وان صغر حتى يضطرها ذلك
الى المعصية ومن الحكمة البالغة هذا قول سابور وقد جمع
اولاده فقال يا بني ان عجزكم ان تملكوا قلوب الرعية حبا فاملكوها
خوفا واحسبه لا بان تحملوها العقوبة على من لا يستحقها
ولاكن تحملها نفسها مستحقها وفي هذا المعنى فان الله سبحانه فيه
فشرد بهم من خلفهم وهذا معنى قوله المستحق او على ما به ذنبه
اعوا بركوب امثاله فهاهنا يكون العفو مفسدة يا ايها المعاقب
اذا اقدرت على مذنب عقوبته فلا تكن لمشتفي الملتذ بعذابه لا تدعه
وا باله اخوان لام واب في اخر وحوا عليهما السلام لمن نعضه بعوله
وقرنه بل ينها فضله الله به تطوولا عليك فاذكر لو كنت في مقامه
بم يود من لا يرحم ولا ينظر في العواقب فاحذر التعدي والتقصير وانما
نعسك منه بما اقيم للعقوبة وليكن عفوا بغير مغفور وليكن عقابه

للتفويض

للتفويض لا للانتقام وللزجر لا للهوى وعن هذا قال ابن زحيم لا ينبغي
للملوك ان يكرموا احدا بهوان من ليس للهوان اهلا ولا يهينوا احدا
بكرامة من ليس للكرامة اهلا لا تكن على الاساوة اقوى منك على الاحسان
ولا الى البخل اسرع منك الى البذل وقال الشاعر
صفوح عن الاجرام حتى كانه ... من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالي ان يكون به الاذى ... اذا ما الاذى بالكرام لم يغش مسلما
وقال سليمان بن داود عليهما السلام التنكيل والعقوبة امنة
فينبغي للملك ان يكون له غضب او رضي الا ثواب او عقاب وقال ازدشير
فضل الملك على السوقة انما هو بقدرته على اكتساب المحامد والتعالي
المكارم وكلما اشتكت منها بانت فضيلته واستحقاقه لموضعه من الولا
ية عليهم وكلما انقص منها قرب من السوقة وقال بطليموس الاجر
العقوبة لذة اعظم من لذة الانتقام واعلم انه اذا عاقب الملك و
واهان على ظن يغير يقين فقد ادخل على نفسه من قبح الخطاء الراي اعظم ما
ادخل على صاحبه من العقوبة وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
الغالب بالشر مغلوب وما ظفر من ظفر بالاثم وقيل لا تكونن اي
شيء من افعال الناس تفعل تشبه افعال الله تعالى فان الاحسان الى الناس
وقال بعض الحكماء العلم قوام الشيء والعفو زكاة العقل وقال بعض
الحكماء السبعة انه لا يشين حسن الظفر بقبح الانتقام وخير مناقب
الملوك العفو وكان يحيى بن معاذ يقول سبحان من اذا العبد به
الذنب وادى الذنب بل العفو اللهي ان عفوت فخير راحم وان عاقبت
فغير ظالم اللهي ان كنت لا ترضى الا عن اهل الطاعة فكيف يصنع اهل

الخاطئون وإن كان لا يرجو إلا الله وبيده فيمن يستغيث إلى
المستغيثين وقال الشاعر

وإن لله ذو حلم ولكن بغير الحلم ينتفع الحليم

وروي أن الحجاج لما أتي بأمر النجات فقال لا فتلطف قال ولم قال لخروج
أخيه علي فقال إن معي كتاب أمير المؤمنين أن لا تأخذني بذنب أخي قال هاته
فإن معي أوكد منه قال الله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى فتعجب من جوابه
وخلا سبيله ونقل أن عقيل بن أبي طالب وفد على معاوية فأمر له بمائة
ألف درهم فلما أراد الانصراف رأى في الكرسي جارية بأربعين ألف
درهم فرجع إلى معاوية فأخبره فقال وما تصنع بها قال تلد لي غلاما
إذا أغضبتني يضرب عنقك بالسيف فأمر له بها فابتاعها فولد
له مسلم بن عقيل ثم قدم مسلم الشام فابتاع منه معاوية ضيعة
فبلغ الحسين بن علي الخبر وكتب إلى معاوية أنه لا يجيز بيع مسلم فأرسل
فأرسل معاوية إلى مسلم فقال هذا كتاب الحسين يأمر برد المال
فقال مسلم أما دون أن أضرب عنقك بالسيف فلا فضحك معاوية
وقال والله لقد قالها لي أبوك قبلك فبلغ ذلك الحسين فشق عليه أمره وسوغه
المال فقال الحسين هي بعد علينا معاوية حلما وجودا

الباب السابع والعشرون
في المشاورة والنصيحة

وهذا الباب مما تعرفه الخلفاء من أساس المملكة وقواعد الـ
السلطانية ويفتقر إليه الرئيس والمرؤوس وقد ذكرنا في باب
الخصال العرفانية ونذكر هنا فوائدها ومحاسنها وما يتعلق بها

اعلموا

اعلموا أرشدكم الله أن المستشير وإن كان أفضل رأيا من المستشار
فإنه يزداد برأيه رأيا كما يزداد النار بالسليط ضوءا فلا يغرك من وعظ
أنك إذا استشرت الرجل ظهر للناس منك الحاجة إلى رأي غيره فيقطعك
ذلك عن المشاورة فإنك لا تريد الرأي للفخر به ولكن للانتفاع به وإن
أردت الذكر كان الذكر لك والحسن عندك وفي آداب لبيد السند
أن يقول لا ينبغي للمرء أن يكتفي برأيه دون ذي الرأي من إخوانه فلا يستغني عن رأيه
على انفراد رأيه وظهور صوابه لك عن الاستشارة لأنه روي أن إبراهيم
عليه السلام أمر بذبح ابنه عزمة لا مشورة فيها فجعله حسن الأدب
وعمله بموقعه من النفوس عن الاستشارة فيه فقال يا بني فانظر ماذا
ترى وهذا من أحسن ما يرسم في هذا الباب وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الرأي الفرد كالخيط السحيل والرأيان كالخيطين والثلاثة
الثلاثة أثلاثة لا تكاد تنقطع ويروى أن رومية وفارسية تفاخرا
فقال الفارسي نحن لا نملك علينا من يشاور وقال الرومي نحن لا نملك علينا
من لا يشاور وقال ابن جعفر إذا أشكل الرأي على الحازم كان بمنزلة
من أضل اللؤلؤة فجمع ما حول مسقطها فالتمسها فوجدها كذلك
الحازم يجمع وجوه الرأي للأمر المشكل ثم يضرب بعضها ببعض حتى
يخلص له الصواب وكان يقال من كثرت استشارته حمدت آراؤه وفي
حكم الهند قال بعض الملوك إن الملك الحازم يزداد برأي الوزراء الحزمة
كما يزداد البحر بمواده من الأنهار وينال بالحزم والرأي ما لا ينال بالـ
القوة والجنود ولم تزل حزمة الرجل يستحسن من رأيه فوق النصحاء كما
يستحلي الجاهل المشاعر على الهوى وقال المأمون للطاهر بن الـ
الحسين صف لي أخلاق المخلوع يعني أخاه الأمين فقال كان واسع

النصح وضعف الرأي يمنع من نفسه ما تأنفه همم الأحرار ولا يصغي
إلى نصيحة ولا يقبل مشورة يستبد برأيه فيرى سوء عاقبته فلا يرد
عنه إذ عاينه مع ما قال عتبة لابنه عمرو به قال كان يجمع للكتا
ب بالتدبير ويعرفها منه والتدبير فقال العاملون له لا نعلمه إلا أهل محلة
أما والله لو أنه اتخذ النصائح واختار مشورات الرجال وملك
نفسه عن شهواتها ما يحفز به وقال بعضهم إنفاذ العمل للأ
مور بغير مشورة كعبادة بغير نية ولم يزل العلماء على اختلاف هذه الأ
هيئتهم يستهدون العيوب ويستشيرون صواب الرأي من كل أحد حتى
الأمة الوكعاء هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول رحم الله امرءا
أهدى إلي عيوبي وكان يقال من أعطي أربعا لم يمنع أربعا من أعطي
الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول ومن أعطي الا
ستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب وقال
بعضهم في الرأي خير من فطيره وتأخيره خير من تقديمه وذكر صاحب
كتاب صاحب التاج أن بعض ملوك العجم استشار وزراءه فقال
أحدهم لا ينبغي للملك أن يستشير منا أحدا إلا خاليا فإنه أموت
للسر وأحزم للرأي وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة
بعض وكان بعض ملوك العجم إذا شاور أمراء دولته فقصروا في الرأي
دعا الموكلين بأرزاقهم فعاقبهم فيقولون تخطئ أمراء دولته
فتعاقبنا فيقولون نعم لم يخطئوا إلا لتعلق قلوبهم بأرزاقهم وإذا
اهتموا أخطأوا وكانوا إذا أهموا بمشاورة رجل بعثوا إليه
بقوته وقوت عياله لسنة ليتفرغ لذلك وكان يقال إذا أحرزت
النفس قوتها اطمأنت وإذا شاورت فاصدق إلى نصح فذاك

عشر

المشورة

المشورة ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك وقال بعض ملوك العـ
جم لا تنفعك شدة بأسك ما لم تعلم ولا علم لك إلا بنفسك من تتبع
الروابط ورأي غيرك فإن أصبت أجبت وإن أخطأت عذرت فإن جاء له
خطأ منه أن وافق برأيه رأي غيره أو زاده أو رأيه لشدة عقله وإن جاء
لعدو عرضه على عقله فإن رآه معتدلا على ما رآه قبله وإن رآه بعيدا
متضعا عنه استغنته وذلك أنه يحصل له النصيحة ممن شاوره وإن
أخطأ ويحصل له موعظة وإن قصر ولو لم يكن من فضيلة المشاورة
إلا أنه إن أصبت مشيئته استسلمت وإلا ذمته أما ضالته بالسنة الحسنة
وقال زياد لا يظن قلوبهم مجدوز وإن أخطأت حملت الجماعة خطأها
لا أتهم عن نفسهم بكد يحوز واعلم أن القول الغليظ يستمع لفظ على
فتنة كما يتكاره على شرب الدواء المر لبعض منفعته قال أعرابي ما
غبنت قط حتى غبن قومي قيل له وكيف قال لا أفعل شيئا حتى أشاورهم
وقيل لرجل من عبس ما أكثر صوابكم يا بني عبس فقال نحن ألف رجل
وفينا حازم واحد ونحن نطيعه فكأنا ألف حازم وكان ابن هبيرة
أمير البصرة يقول اللهم إني أعوذ بك من صحبة من غاية نفسه ورأيه
خطأه دون مستشيره وفي حكم الهند من المخلص من الإخوان أن رفع
عنك المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة أعطاك
الرأي وازداد مرضا وقالت الحكماء لا تشاور معلما ولا راعي غنم ولا
كثير القعود مع النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائفا ولا من
يرهقه أحد الشيئين وقالوا لا رأي لحاقن ولا حازق ولا حاقب ولا تشاور
من لا قوت عنده والحازق الذي ضغطه الخف الضيق والحاقب الذي يجد

خلاصة

[illegible]

في حكمه ان توقف الوا من شكا الى عاجز اعاول عجز وامه من جزعه
ومن الحكم ما جراه ان استشاره زياد من عبيد الله استشار عبيد الله
ابن عمر في اخيه ابي بكرة ان يوليه القضاء فاشار به فبعث الى ابي بكرة فامتنع
عليه فبعث زياد الى عبيد الله يستعين به على ابي بكرة فقال ابو بكرة لعبيد
الله انشدك الله اترى لي القضاء قال اللهم لا فقال زياد سبحان الله
استشرتك فاشرت علي به ثم اسمعك تنهاه فقال يا ايها الامير استشرتني
فاجتهدت لك الراي ونصحت للمسلمين واستشارني فاجتهدت له الراي
ونصحته ويروى ان الحجاج بعث الى المهلب يستعجله في حرب الازارقة
فكتب اليه المهلب ان من البلاء ان يكون الراي لمن يملكه دون من يبصره

فصل في النصيحة اعلم ان النصح للمسلمين والخلائق اجمعين
من سنن المرسلين قال الله تعالى ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم
ان كان الله يريد ان يغويكم وقال شعيب عليه السلام ونصحت لكم
فكيف آسى على قوم كافرين ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين و
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة
الله فله اجره مرتين وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة
قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم
فالنصح في الجملة فعل الشيء الذي به الصلاح والملاءمة والنصح
ماخوذ من النصاحة وهي السلوك التي يخاط بها ونصغرها النصيحة
تقول العرب هذا قميص منصوح اي مخيط ونصحته نصحا اذا خطته
ويختلف النصح في الاشياء لاختلاف احوال الاشياء فالنصح لله سبحانه
هو

هو وصفه بما هو اهله وتنزيهه عما ليس له باهل عقدا وقولا وا
والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة في محابه
والبعد من مساخطه وموالاة من اطاعه ومعاداة من عصاه وا
والجهاد في رد العصاة الى طاعته قولا وفعلا وارادة وبث ما ذكرناه
في عباده والنصيحة لكتابه اقامته في التلاوة وتحسينه عند القراءة   جميع
وتفهم ما فيه واستعماله والذب عنه من تاويل المحرفين وطعن
الطاعنين وتعليم ما فيه للخلائق اجمعين قال الله تعالى كتاب انزلناه
اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولو الالباب والنصيحة للائمة
معاونتهم على ما تكلفوا القيام به وتنبيههم عند الغفلة و
وارشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوه وتحذيرهم ممن يريد
بهم السوء واعلامهم باخلاق عمالهم وسيرهم في الرعية وسد
خلتهم عند الحاجة ونصرهم في جمع الكلمة ورد القلوب النافرة
اليهم والنصيحة لجماعة المسلمين والشفقة عليهم وتوقير
كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتفريج كربهم ودعوتهم الى ما يسعدهم
وتوقي ما يشغل خواطرهم وفتح باب الوسا ودر عليهم ومن
النصيحة للمسلمين رفع مؤونة يده ونفسه وهو ابعد عنهم
قال الاصمعي نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى نواة مطروحة
ومسكها بيده حتى مر بدار قوم فالقاها في دارهم وقال ياكلها دا
جنهم والنصح لجميع الكفار الرغبة في اسلامهم ودعوهم الى الايمان
وتحذيرهم سوء عاقبة الكفر وان يشير ان كان اماما مسلما ان يكفوا عن
قتال المسلمين فيكف مؤاخذته واما قبل القتل فيعطلهم لاخافة امر فيهم و

وروى معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لا يغل
عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة
المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم وقال جرير بن عبد
الله بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فلقنني فيما
استطعت والنصح لكل مسلم وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وقال أبو الدرداء
العلم يبلغه البر والفاجر والحكمة ينطق بها البر والفاجر والنصيحة
لله لا تثبت إلا في قلوب المحبين أنه من صحت عقولهم وصدقت نيا
تهم واعلم أن من رد النصيحة مرة لا يقبلها إلا أولو العلم كان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي
وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز رحمه الله قل لي في وجهي
وجهي ما أكره وقال بلال النصيحة لله في أرضه هي التي بعث الله
بها الأنبياء عليهم السلام ومن أمارات سلامة القصد والنصيحة في أمورهم
فالنفس مستثقلة للنصح نافرة عن أهله ما يحتاج إلى هواها وفي منثور
الحكمة ود من نصحك وقلا من مدحك هواك وكان يقال أخوك من احتمل
ثقل نصيحته وبعضهم

عرضت نصيحة مني ليحيى ... فقال غششتني والنصح مرّ
وما أنّ أكون أعيب يحيى ... ويحيى طاهر الأخلاق برّ
ولكن قد أتاني أن يحيى ... يقال عليه في نعلاء شرّ
فقلت له تجنب كل شيء ... يعاب عليك إن الحر حرّ
وعلى النصح يحنو وعلى عيبان النصيح

ويروى أخر
وروى الفات

ومعصية

ومعصية النصح عليك مغرية تريد لامرئة منه استماعها
وغير الأمر ما استثقلت منه وليس بأن تتبعه اتباعها
لغو نصحت لأقوام وقلت لهم إنما الله ومن قبلا يغرو كم أحد
لا تثقة حتى ترى ينقضي بهنا فتنة لا ألاله ويودي الملال والولد
لم تغن عنهم من يوم ما اختر بنه والقلو فيه حاولت عادية خلد
وقال وهب بن منبه إنما يحسن أن يخبأ ربعه من يحسن أن يخبأ لنفسه
ولا خير لمن لا خير له في نفسه وقالت الحكماء لا ينصح امرؤ لا ينصح
نفسه وقال بعضهم رأى ورابط في العلم في أمثال لنعسه من زل يحيا لأنه
خلق من هواه وقال أبو الدرداء إن شئتم لأقسمن لكم أن أحب
عباد الله إلى الله تعالى الذين يحببون الله إلى عباده ويعملون في الأرض
نصحاء وروى أن رجلا شتم إبراهيم بن أدهم فرفع رأسه إلى السماء
وقال إلهي أنا أعلم أنما تشتمني وتعاقبه فلا تشتمني ولا تعاقبه
ومن الخصال التي تجري مجرى الجمال والكمال الحلم.

الباب الثامن والعشرون في الحلم
وما يتسنه ومحمود عواقبه

قال الله سبحانه إن إبراهيم لحليم أواه منيب وقال تعالى فاصفح
الصفح الجميل وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الصفح الجميل
الرضى بلا عتاب وقيل الصفح الجميل الرضى بلا توبيخ ولا حقد بعد
وفي أمثال الحكمة جاء الحليم أن يكون نبيا وروى أن رجلا
قال يا رسول الله علمني كلمات أعيش بهن ولا تكثر علي فأنسى قال
لا تغضب واعلم أن الحلم أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب

ولو رفقه بن نوا

تعالى فيه من راحة البشر واجتلاب الخير واحق الناس به السلطان
لانه منصوب لاقامة [illegible] الخلايق ومعاد رشد اخلاقهم ولا ينبغي
به في حال سلطتهم وانما يغضبون بما به حين تنازعهم وخصوماتهم
وشرورهم وتكبر انفسهم وضيق اخلاقهم فان لم يكن معه حلم يرد [illegible] نفوسهم
به بوادرهم وان وقع تحت حمل ثقيل وكان انو شروان ذا حلم واناة
واناة وكان يقول هما خصلتان لولا انهما ظاهرتان عند الرعية لصفت
لهما اذ رعاية هي الحلم والاناة ويروى ان يحيى بن زكريا لقي عيسى
عليهما السلام فقال يا روح الله تعالى ما يبعد من غضب الله تعالى
قال ترك الغضب قال يا روح الله كيف يبدوا الغضب قال التعزز
والتكبر والتجبر على الناس وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال وجبت محبة الله على من اغضب فحلم والذي يحمله نظيره للامثال
في هذا الباب قصة اسحاق قال له ابراهيم عليهما السلام يا بني اني ارى
في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني
ان شاء الله من الصابرين ثم تله للجبين وامر على حلقه السكين فلم يقل
لا اجرا فقال الله تعالى فيه فبشرناه بغلام حليم وفي الاخبار يقول له
ابليس لعنه الله ان العجب من الرجال لم ييأس منه وان كان يحيى الموتى
بدعائه لانه تاتي عليه ساعة تحتد فيها فيصير منه الى ما يريد
ويروى ان جعفر بن محمد دخل على الرشيد وقد استشعر الغضب فقال
له يا امير المؤمنين انك انما تغضب لله فلا تغضب له باكثر من غضبه
لنفسه اعلم ارشدك الله ان هذه الكلمة لا قيمة لها والله اعلم
حيث يجعل رسالته فهذا فحواها والشد فحوها واعظم شأنها

لاخ

٩١

لا خطأ اذا كنت ايها السلطان انما تنصره في ملك الله تعالى بامر الله فالله
سبحانه قد حد حدودا وشرع شرائع واقام فرائض وسننا ونهى عن حدود
ورسوم ثم فوض [illegible] حدود او نهي ان تجاوز
ذلك الحد فلا يقتل من استحق العقوبة والادب والحد ولا يقطع من استحق
القتل والادب ولا يحبس بغير من استوجب الحبس وكانت الخلفاء يؤدبون
يؤدبون الناس على قدر منازلهم فمن عثرت به المروءة اقيلت عثرته [illegible] المروات
شيء لقول النبي صلى الله عليه وسلم اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم ومن سواهم
كان يقابل على قدر منزلته وهفوته وكان يقام فانما فيما يفعل فيه نظرا
فتكون هذه عقوبته وآخر يشتم بحضرته وآخر تنزع عمامته من راسه
وآخر يتكلم بالكلام الذي فيه بعض غلظة قال الشعبي كانت القضاة
في زمن عمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم اجمعين اذا اخذ الرجل بشهادة زور نزعت
عمامته وكتب به في المسجد وقيل هذا اخذ بشهادة زور [illegible]
ونزع عمامة بعضهم فقتلها [illegible] مصعب بن الزبير حلق مع الضرب رؤوسهم ولحاهم
وولي بشر بن مروان اقامهم على الكراسي ثم [illegible] ثم
نزع الكرسي من تحت ارجلهم حتى تنخرم [illegible] ميت وحي
وولي الحجاج العراق [illegible] قال كل هؤلاء يلعب فمن اخذ بشهادة
ضربت عنقه وقال [illegible] النفس [illegible] الهوان
والنفس التي يعذب فيها يسير الكلام وفيه قال الشاعر
واعلم [illegible] من بعض يستسهل التهاون عليه [illegible]
انه من تجاوز ما لعفو [illegible] سبحانه
واستوجب ما استوجب الجرم من العفو [illegible]

يعاقب للهوى ولا يتشفى إذ إنما يغضب لله تعالى وفي كتاب
سليمان بن داود عليهما السلام القاهر لنفسه أشد من يفتح
المدينة وحده وصدق نبي الله عليه السلام فإن السلطان يفتح
المدينة ويقهر أهلها ويغلب جنودها وحماتها ويقهر أبطالها
ثم تغلبه شهوته ويبقى أسيرا في هواه وقد قهرته فيه بجنود
راو فخر بذهب بعقله وقال أكثم بن صيفي الصبر على جرع مرارة
الحلم أعذب من جني ثمرة الندم وسأل علي بن أبي طالب رضي الله عنه
كبيرا من كبراء فارس عن أحمد ملوكهم عندهم فقال لأزدشير فضل
السبق غير أن أحمدهم سيرة أنوشروان قال فأي أخلاقه كان أغلب
عليه قال الحلم والأناة قال علي هما توأمان ينتجهما علو الهمة
ومن محمود الشيم أن يعرف الناس من أخلاقه أنه لا يعجل بالثواب
ولا بالعقاب فإن ذلك أدوم لخوف الخائف ورجاء الراجي قال محمود الوراق

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وإن عظمت منه علي الجرائم
فما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذي فوقي فأعرف قدره ... وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا ... تفضلت إن الحلم بالفضل حاكم
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن ... مقالته نفسي وإن لام لائم

أجابته عرضي

وقال الأصمعي سمعت أعرابيا يقول أسرع الناس جوابا من لم يغضب
لا توقدن جنبيك جمرة الغضب واشدد الساعة يدا بالحلم فإن شجرة النار
إذا اصطكت عليها الرياح تحاكت أغصانها فتشعل نارا وتحترق من
أصولها قال عمر بن عبد العزيز ثلاث من اجتمعن فيه فقد سعد

ص ١٦١

من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق وإذا رضي لم يدخله رضاه
في الباطل وإذا قدر عفا وكف وشتم رجل جعفر بن محمد عن جهة العلم
فقال فكيف يعرف فضل شيء من تركه الدنيا أحد وقال الأحنف بن قيس
لابنه يا بني إن أردت أن تواخي رجلا فأغضبه فإن أنصفه وإلا فاحذره
وكان سلم بن نوفل سيد بني كنانة فضربه رجل بسيفه من قومه فأخذ فأتي
به إليه فقال له ما الذي فعلت أما خشيت انتقامي قال فلم سودناك
إلا أن تكظم الغيظ وتعفو عن الجاني وتحلم عن الجاهل وتحتمل
المكروه في النفس والمال فخلى سبيله فقال فيه بعضهم

يسود أقوام وليسوا بسادة ... بل السيد المعروف سلم بن نوفل

وقال رجل من كلب لسلم من غرابة إنما أنت عبد فقال والله
لأعصينك عصيانا ما يعصيها لتعرف فيه عطا لسانه وأنت من الشجر
ومن أمثال العرب أحلم تسد ويروى أن هشاما غضب على رجل من
أشراف الناس فشتمه فوبخ الرجل فقال أما تستحيي وأنت خليفة
الله في الأرض أن تشتمني فاستحيا هشام وقال اقتص فقال إذا أنا سفيه
مثلك قال فخذ مني لك عوضا من المال قال ما كنت لأفعل قال فهبها
لله قال هي لله ثم لك فنكس هشام وقال والله لا أعود إلى مثلها
وقال الشاعر

من يبغ أنجع الأقوام وإن شرفوا ... حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
ويشتموا فترى الألوان مسفرة ... لا صفح ذل ولكن صفح أحلام

وجهل رد ذلك لفضل حلم منك ولو أنك تشبهت ذلك بالجهل إذا
ربحنا وقد خفت حلوم كثيرة وعدت على أهل السفاهة بالفضل

وقال مسلم لخالد بن صفوان صف لي الأحنف بن قيس فقال بل أيهم
الموصفين إن شئت أخبرتك عنه بثلاث وإن شئت باثنين وإن شئت
بواحدة فقال أخبرني عنه بثلاث قال كان لا يحرص ولا يحقد
ولا يمنع الحق إذا نزل به قال فأخبرني عنه باثنتين قال كان
يؤثر الخير ويتوقى الشر قال أخبرني عنه بواحدة قال كان
أعظم الناس سلطانا على نفسه وقال أكثم بن صيفي الغلبة
بالعفو الحلم وقال الأحنف وجدت الحلم أنصر لي من الرجال
وصف الأحنف لا من حلم كان الناس لنظارة كما روي أن رجلا
أسرع في شتم بعض الأدباء وهو ساكت فاحتمى له بعض
المارين في الطريق وقال له رحمك الله ما انتصرت فقال لا قال
ولم قال لأني وجدت الحلم أنصر لي من الرجال وهل ما بينه في إنما
يعلمني وقال رجل لعمرو بن العاص والله لأتفرغن لك فقال إذا
وقعت في الشغل وقال عبد الله بن عمر إن رجلا ممن كان قبلكم
استضاف قوما فأضافوه ولهم كلبة تنبح فقالت والله لا أنبح
ضيف أهل البيت فعوا جراؤها في بطنها فبلغ ذلك نبيا من أنبيائهم
أو قيلا من قيلهم فقال مثل هذا مثل أمة يكونون بعدكم يغلب
سفهاؤها على حلمائها وقال الأحنف إياكم ورأي الأوغاد قالوا
وما رأي الأوغاد قال الذين يرون الصفح والعفو عارا وسئل الأ
حنف عن الحلم فقال هو الذل أصبر عليه ولست بحليم ولكني صبور
ويروى أن المهلب نازعه رجل من أبناء بني تميم فأربى على المهلب
والمهلب ساكت فقيل له أجبه فقال كنت إذا سبني استحييت من

نسخي

١٤

ينقص الثناء ورغبت عن غيبة الكرام والشفقة وكان
أن السفيه يذهل وجهه ويسخط نفسه بأن يطو ويفضل المحبة ويبذ
المروءة ويخلع رداء الحياء وقال الحكماء أن يسوء الثناء ومر المسيح
عليه السلام على قوم من اليهود فقالوا له شرا وقال لهم خيرا فقيل
له إنهم يقولون شرا وأنت تقول لهم خيرا فقال كل ينفق مما عنده
وقال أكثم بن صيفي من حلم ساد ومن تفهم ازداد ولقاء الأحبة
نوم وصحبة الجاهل شؤم ولقاء الإخوان غنم والمبالغة تبرع بغزو من
الفساد إضاعة الزاد وشتم رجل الشعبي بقبائح نسبها إليه
فقال الشعبي إن كنت صادقا فغفر الله لي وإن كنت كاذبا فغفر
الله لك وقال رجل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه لأسبنك
سبا يدخل معك في قبرك فقال أبو بكر معك والله يدخل لا معي و
وقال رجل للأحنف بن قيس إن قلت لي كلمة لتسمعن مني عشرا
فقال لكنك لو قلت عشرا ما سمعت مني واحدة ويروى أن
رجلا سب الأحنف وهو يماشيه في الطريق فلما قرب من المنزل
وقف الأحنف وقال يا هذا إن كان بقي لك شيء فقله هاهنا
فإني أخاف إن يسمعك فتيان الحي فيؤذوك ووصف رجل بعض
الحكماء فقال له الحكيم لست أدخل في حرب الغالب فيها شر من
المغلوب وقال لقيط بن زرارة

قل لبني سعد فما لي وما لكم ترقون مني ما استطعتم وأعتق
أغركم أني بأحسن شيمة بصير وأني بالفواحش أخرق

وقال رجل لأبي ذر أنت الذي نفاك معاوية من الشام لو كان فيك

خيرٌ مما قلت فقال له إن ورائي عقبة كؤوداً إن نجوت منها
لم يضرني ما قلت وإن لم أنج منها فأنا شر مما قلت وقال لقمان
لابنه يا بني ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاث لا يعرف الحليم إلا عند
الغضب ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا أخوك إلا عند الحاجة إليه
وسب رجل بعض الحكماء فأعرض عنه فقال له إياك أعني
فقال له الحكيم وعنك أعرض وفي هذا المعنى قيل شعر

∴ قل ما بدا لك من زور ومن كذب · حلمي أصم وأذني غير صماء

وقيل يوما للأحنف ما أحلمك قال لست بحليم ولكني أتحالم والله
إني لأسمع الكلمة فأحمل بها ثلاثا ما يمنعني من جوابها إلا خوفي
من أن أسمع شرا منها وقال الشاعر

∴ وليس يتم الحلم للمرء راضيا · إذا كان عند السخط لا يتحلم ∴
∴ كما لا يتم الجود للمرء موسرا · إذا كان عند العسر لا يتجشم ∴

وروي أن رجلا سب جعفر بن محمد فقال أما ما قلت مما هو فينا
فنستغفر الله تعالى منه وأما ما قلت مما ليس فينا فإنا نكلك فيه
إلى الله تعالى وقال بعض الحكماء احذروا الغضب فرب غضب أد
لسخط العصيان في غضب الله تعالى وقال الكئيب من صفتي لا يكون
الرجل حليما حتى يقول السفيه إنه لضعيف مستكين ولا يكون مخلطا
مخلطا حتى يقول الأحمق إنه لعقيم ومن الشعر فيما في الحلم قول
كعب بن زهير

∴ إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا · أصبت حليما أو أصابك جاهل ∴

ووصف أعرابي رجلا فقال أحلم من فرخ طائر وقال أعرابي إن الغضب

عدو

عدو العقل صديق وأنه لا يحول بين صاحبه وبين العقل والفهم
وقال صعصعة بن صوحان الغضب مفسدة في العقل وربما
أصلح وربما أزاله وقال أعرابي إذا جاء الغضب تنسك
الغضب وكان ابن عون إذا غضب على أحد من أهله قال له
بارك الله فيك وقال الأصمعي رفع إلى هشام رجل كان يقوم على
رأسه كلاما فقال له إذا لم تنتبه اشتد غضبي فإن وجد الثاني و
وكان فيه اسكن فلست بإله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك
بعضا وتصير عن قريب للدود والتراب وهذه الشيم أول من سنها
ملك قبع أمر أن يكتب في كتاب اسكن فلست بإله وقال لصاحبه إذا
غضبتُ فاعرضه علي فكان إذا غضب عرضه عليه فإذا قرأه سكن
غضبه وقال معاوية أفضل ما أعطي الرجل العلم فإذا ذُكِّر ذكر وإذا
أعطي شكر وإذا ابتلي صبر وإذا غضب كظم وإذا قدر عفا وإذا
أساء استغفر وإذا وعد أنجز وفي الحكمة مكتوب من أطاع الغضب حرم
السلامة ومن عصى الغضب غنم السلامة وقال بعض الحكماء كظم الغيظ
حلم والحلم صبر والتشفي ضرب من الجزع وقال أول الغضب
جنون وآخره ندم وقال بعض الحكماء إذا غلبت على الرجل أربع
خصال فقد عطب الرغبة والرهبة والشهوة والغضب وقيل
لبعض الصالحين إن فلانا يقع فيك فقال لأغيظن من أمره بغيظ الله
في وله قيل من أمره قال الشيطان وقال رجل لأخيه أمررت بي
بفلان وهو يقع فيك ويذكر أشياء رحمتك منها فقال هل سمعتني
أذكره بشيء قال لا قال فإياه فارحم وقال الفضيل ثلاثة لا يلامون

على الغضب المريض والصابر والمسافر وقال الاحنف بن قيس لقد
تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقري انا لجالس عنده وبفنايه اذ جاءته
جماعة يحملون قتيلا ومعهم رجل ماسور وقيل هذا ابنك قتله ابن اخيك
فوالله ما قطع حديثه ولا حل حبوته حتى فرغ من منطقه ثم التفت
يقول ⁂

اقول للنفس تاساء وتعزية ... احدى يدي اصابتني ولم ترد ⁂
كلاهما خلف من بعد صاحبه ... هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي ⁂

ثم قال لابن المقتول قم فاطلق عمك وسق الى امك مائة من الابل فانها
غريبة وانا اخاف ⁂ ومن ابيات فائقة العرب قول بعضهم ⁂

فصح بالجهل من ما الحياء وجه ... ان جاء يا آل الأزر
باحلام عاد لا يخاف جليسهم ... اذا نطق العوراء غرب لسان
اذا حدثوا لم يخش سوء استماعهم ... وان حدثوا ادوا بحسن بيان

وقال المسيح عليه السلام ما اخلق من لا يحمل عند الجهل وما اقوى من
يرد الغضب وما اغبط من لم يتواضع لربه تعالى ⁂ وقيل للاسكندر
ان فلانا وفلانا ينتقصانك ويثلبانك فلو عاقبتهما فقال هما بعد
العقوبة اعذر في ثلبي وتنقصي وروي ان جرير بن عبد الله بينما
هو راكب قد اردف ابنه اذ لقيه رجل فنال منه وجرير ساكت
فلما ولى قال يا ابت لم سكت عنه قال يا بني اوسع حرجي ⁂
وقال بعض الحكماء متى اشفي غيظي احين اقدر فيقال لو عفوت
ام حين اعجز فيقال لو صبرت وقيل لبعض اصحاب الاحنف اكان
الاحنف يغضب فقال نعم لو لم يغضب ما بان حلمه كان يغضب ا

الشيء

الشيء فيستبين في وجهه انه قد غضب وانه وهو يحلم ويصبر ومن لم
يغضب من الاشياء التي من شانها ان يغضب فقد فقد من الغضب اشياء
عزة والحمية والانفة والمدح والاخذ بالثار والصبر لان هذه الخصال
نتائج الغضب فمن فقد الغضب فقد فقد ايضا على ما سنذكره في
باب الشجاعة ان شاء الله وعنه فقد الشيء عنه يكون قطع المهابة
ومن فقد ايها انه يكون بعضها في الاخلاق وزوال الطباع فلا ينبغي ان
يظن به هو فيه وكان يقال من لا يغضب فليس بحليم لان الحليم انما يعرف
عند الغضب وكان الشعبي يقول الغضب اخو الجهل والحليم حاكم وقال
الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض
فهو جبار وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يغضب ولكنه انما كان
يغضب لله لا لنفسه بل عند انتهاك حرمات الله واعلم ان الله تبارك
وتعالى ما مدح من لا يغضب وانما مدح من كظم الغيظ فقال تعالى
والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقد انشد النابغة الجعدي
بحضرة النبي عليه السلام ⁂

ولا خير في حلم اذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له ... حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

فلم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم قوله وكان ابن عمر اذا انشد سمع
يعيبها ويقول يستدفع به شر السفهاء ⁂

الباب التاسع والعشرون
فيما يسكن به الغضب

فاول ذلك انك لو نظرت الى تغير اشكالك وتبدل صورتك واحمرار وجهك

والانتفاخ أوداجه وذهاب حيائه وسفه كلامه وفحشه فإن يخرج
من فيه لا يمسكن عن الغضب ولعلها كنت تستحيي أن تتكلم بين
يدي الجلساء باليسير الجاري بعدت تجده ربما بالكثير الفاحش ولو أن
أن من غضب استذكر أنه قحا وسكن عن بدا انقلاب صورته وتغير وجهه
وجهه واضطراب شفتيه وارتعاد طرفيه وتسلسل كلامه
وتحول أحكامه والتقاف لسانه وخفة عقله وطيشه ووثوبه
من مجلسه كأنه نمر وسرعة التفاته يمينا وشمالا كأنه قرد وعدم
فهمه لما يسمع كأنه بهيمة وقلة التفاته لمن ينصحه ويعظه كأنه
أحمق ومن شوم الغضب وعظيم بليته أنه قد يقتل النفوس
ويسلب الأرواح وكان سبب موت مروان بن عبد الملك أنه وقع بينه
وبين أخيه سليمان كلام فعجل عليه سليمان فقال يا من يلحق أمه ففتح
فاه ليجيبه وإذا الجنة عمر بن عبد العزيز رحمه الله فأمسك على فيه و
رد كلامه وقال يا أخا يا عبد الملك أخوك وإمامك فقال يا أبا حفص
قتلتني قال وما صنعت بك رددت في جوفي أحر من الجمر ثم مال في
جنبه فمات من وقته ونعوذ بالله فهو يرمح على الجهلاء ومنها أن ينتقل
على الحالة التي كان عليها في حال الغضب فكانت العرب تقول إذا
غضب القائم فليجلس وإن كان جالسا فليقم وهذا المذهب كان إنما
موت يأخذ نفسه وروي أن رجلا شكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم
القسوة فقال اطلع في القبور واعتبر بالنشور وكان بعض ملوك
الطوائف إذا غضب ألقي بين يديه مفاتيح أبواب ترب الملوك فيزول
غضبه وفي التوراة يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين

أغضب

أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق وكان عكرمة يقول في كلامه وإذا رأيتم
لو انسيت يعني إذا غضبت فإنه إذا ذكر الله سبحانه خافه فيه
فيزول غضبه ومنها أن يتذكر نفرة القلوب عنه وسقوط منزلته
عند أبناء جنسه ووصفهم له بعدم حلمه فيكون ذلك سببا لزوال
غضبه ومنها أن يتذكر تعطف القلوب إليه وانطلاق الألسنة
بالثناء عليه وميل النفوس إليه وأن الحلم عز وزين والسفه شين
وذل وروى أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما زاد الله رجلا بعفو إلا عزا فاعفوا يعزكم الله وقال بعض
الحكماء من تذكر قدرة الله سبحانه لم يستعمل قدرته في ظلم عباده
وكتب بعض ملوك العجم كتابا ودفعه إلى وزيره وقال له إذا
غضبت فناولنيه وفيه مكتوب ما لك وللغضب إنما أنت بشر ارحم
من في الأرض يرحمك من في السماء وكان معاوية رحمه الله كثيرا ما ينشد
إنا إذا مالت دواعي الهوى وأنصت السامع للقائل
نفار أن نسفه أحلامنا فنحمل الدهر مع الحامل
وقال بعض البلغاء إياك وعزة الغضب فإنها تفضي إلى ذلة العذر
وإذا ما اعترتك في الغضب عزة فاذكر تذلل الاعتذار
زرونا على غير الفواحش فمضينا ولم نستجز إلا الذي هو أحوج
وقال عبد الملك بن مسلم جاوبا لهارون أمير المؤمنين إن سعة بالغ
إنك بين يديه غدا إذا أخي بين يديك اليوم وبالغ هو أقدر على عقابك
منك على عقابي لما عفوت عني فعفا عنه لما ذكره رحمه الله عليه وقال
رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان في أسرى ابن الأشعث إن الله تعالى قد أعطاك
ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو وقال المأمون لعمه إبراهيم

وطيشه

ما آخر بيت شعر آخر

ابن المهدي وكان مع اخيه عليه اذ شاورت في امره بالفتك واعلمني
بقتله لانه وجدت قدرته فوق ذنبه فكرهت القتل للازم حرمته
فقال يا امير المومنين ان القتل اشار بما جرت به السياسة الا ان ابيت
ان تطلب النصر الا من حيث عودته من العفو فان عاقبت فلك نظير وان
عفوت فلا نظير لك وانشا يقول

البر مني وكان العفو عندك لي ... فيما فعلت فلم تعذل ولم تلم
وقام علمك بي فاحتج عندك لي ... مقام شاهد عدل غير متهم

وقال بعض الحكماء الغضب على من لا تملك عجز وعلى من تملك لوم و
منها ان يتذكر ما يؤول اليه الغضب من الندم ومذمة الانتقام و
شرور القصاص به يبرح ثم لا يرحمه فان ذلك نافعا من عدم
الغضب.

الباب الثلاثون في السخاء والجود

وهذه الخصلة الجميلة قدرها العظيم موقعها الشريف موردها
ومصدرها وهي احدى قواعد المملكة واساسها واركانها
وجمالها تعنو لها الوجوه وتذل الرقاب وتخضع لها الجبابرة
وتسترق بها الاحرار ويستمال بها الاعداء ويستكثر بها الانصار
والاولياء وتحفظ بها النعماء وتملك بها الغرباء والبعداء وتسود
بها في غير عشائرهم الغرباء وهذه الخصلة من اعظم الواجبات
اشبه منها بالفضائل والتشهيات فكم رأينا قد ترك دينه والتزم
دين الاسلام ابتغاء عرض من الدنيا قليل نيل له وكم سمعنا من مسلم
ارتد في ارض الشرك افتتانا بما يصيبه من عرض الدنيا واهل هذه الخصلة
يتولاها الانسان في بنيه الذي يفارح وانه ينبغي ان تكون جبلته

الغو

الغو[illegible] عظيمة الحكم والصحيح خلق الله بقدرهم الى عصب ابغون
عليه وضرب الوجوه اليه وهم الملوك والولاة واعطوا ارشدكم
الدنيا بعشر من رفع الله عليهم بنائل واسبغ عليهم الاء وتعالى
الله ليعز في الجنة لا. ولهذا وصف بعض البلغاء رجلا بخيلا فقال
هو جملة من حيث جيبه وعنده لا وقالوا في الجمل هذا قال رسول
وما هيلا من كلمة لا تدخل الجنة سفوكا وضعفا وانما السمن في
الجنة على ما تقتضيه ان نعم بلذة الا عين وهذه الخصلة اعني
الكرم والجود والسخاء والعطية بمعنى واحد وصف الباري سبحانه
له بالجود ولا يوصف بالسخاء كما يوصف بالعلم ولا يوصف بالعقل
لعدم التوقيف وحقيقة الجود ما يصعب عليه البذل و
يقال السخاء هو الرتبة الاولى ثم الجود ثم الايثار فمن اعطى
البعض وامسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر فهو
صاحب جود ومن اثر غيره بالحاضر وبقي في مقاساة الضر فهو
صاحب ايثار وفضل [illegible] والنوب في ابتداء السخاء ان تسخو نفسك
بما في يدك ونهايته ان تسخو نفسك بما في ايدي الناس للناس
ولا [illegible] من اكل الدنيا وقد ذكر قوم من الزهاد عشر درجات العبودية
فجعلوا ابتداءه من الدنيا ويكثر ونزهد في [illegible] واربعة مراتب شتى
اكثر منه كرامة واصل السخاء هو السماحة ولم [illegible] ما ناله من طيب
نفس وقد يكون المعطي بخيلا اذا صعب عليه البذل والممسك سخيا
اذا كان لا يستصعب العطاء وان منع العطاء ولهذا قال [illegible] وقد
ان الله تعالى لم يزل جوادا وان لم يقع منه عطاء لان العطاء فعل

والعوائد إن ما زال مستحيل وقال الحكماء أيها الجامع لا تغتر أنفق
فإنما الأكول للبدن والموهوب للسعادة والمتروك للعدو وقال الله تعالى
ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال أبو هريرة جاء
رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني جائع فأطعمني
فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى أزواجه يلتمس له شيئا فقلن والذي
بعثك بالحق ما عندنا إلا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عند
رسول الله ما يطعمك الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله
فقال رجل من الأنصار أنا يا رسول الله فحمله إلى منزله وقال لأهله هذا
ضيف النبي صلى الله عليه وسلم فأكرميه ولا تدخري عنه شيئا فقالت
ما عندنا إلا قوت الصبية فقال قومي فعلليهم عن قوتهم حتى يناموا ثم
أسرجي السراج وابرزي القوت فعلليهم فإذا أخذ الضيف يأكل
فقومي كأنك تصلحين السراج فأطفئيه وتعالي نمضغ ألسنتنا لضيف
النبي عليه السلام ففعلت وجعلا يمضغان ألسنتهما والضيف يظن
أنهما يأكلان وباتا كلاهما طاويين فغدا على النبي صلى الله عليه
وسلم إليهما فتبسم ثم قال لقد عجب الله سبحانه من فلان وفلانة هذه
الليلة ونزلت ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية وقال
أنس بن مالك أهدي إلى بعض الصحابة رضي الله عنهم رأس شاة مشوي
وكان مجهودا فوجه به إلى جار له فوجه به الجار إلى أهل بيت آخر فتداوله
أولئك تسعة أبيات حتى عاد على الأول فنزل ويؤثرون على أنفسهم
ولو كان بهم خصاصة وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك
أطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وأنا أقول إن كان به رمق سقيته فإذا أنا به

بين

بين القتلى فقلت أسقيك فأشار أن نعم فإذا رجل يقول آه فأشار ابن
عمي أن انطلق إليه فإذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فسمع
آخر يقول آه فأشار هشام أن انطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات ثم
رجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات رحمهم الله وروت عائشة رضي
الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله تعالى قريب
من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله تعالى بعيد من الناس قريب
من النار والجاهل السخي أحب إلى الله من العابد البخيل وروي أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ابن آدم إنما لك من مالك ما أكلت
فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وما تركته فللوارث
واعلم أن السخاء على وجوه سخاء في الدنيا وسخاء في الدين فالسخاء
في الدنيا بذل العطاء وإنما يظهر سخاء هذه النفس قال الله تعالى ومن
يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وعلامة ترك ادخار وبعض
جمع المال وتعاهد الفقراء سرورا بذلك فليجد السخاوة في الدين
أن تسخو نفسه أن يتلفها لله تعالى وترى مهجته في سبيل الله سماحة
من غير كراهة ولا يريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وإن كان غير مستغن
عن الثواب لكن الغالب على قلبه حسن كمال السخاء بترك الاختيار على
الله تعالى سبحانه حتى يفعل الله به ما تحسن أن تغتنم النفس وقيل
لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من السيد قال الجواد إذا سئل الحليم
إذا استجهل الكريم المجالسة لمن جالسه الحسن الخلق لمن جاوره
وقال النعمان بن المنذر يوما لجلسائه من أفضل الناس عيشا وأنعم
بالا وأكرمهم طباعا وأجلهم في النفوس قدرا فأمسك القوم فقام فتى

وقال ابن المعتز افضل الناس من عاش الناس في فضله قال الصفدي وقيل
للحسن باع طلحة بن عثمان رضي الله عنه ارضا بسبعمائة الف فلما
جاءه المال قال ان رجلا يبيت هذا عنده لا يدري ما يطرقه لغرير بالله تعالى
ثم جعلها صررا وجعل رسوله يختلف بها حتى قسمها وما اصبح عنده
منها درهم وكان اسماء بن خارجة يقول ما احب ان ارد احدا عن حاجة
لانه ان كان كريما اصون عرضه وان كان لئيما اصون عرضي عنه
وكان مورق العجلي يتلطف في ادخال الرزق على اخوانه فيضع
عند احدهم الف درهم ويقول امسكوها حتى اعود اليكم ثم يرسل
اليهم انتم منها في حل وقال العتبي اعطى الحكم بن عبد المطلب
جميع ما يملكه حتى ما عنده ركب فرسه واخذ رمحه يريد الغزو
فمات بمنبج فاخبرني رجل من اهل منبج قال قدم علينا الحكم وهو مملق
لا شيء له فاغنانا قيل وكيف اغناكم وهو مملق لا شيء عنده فقال ما
اغنانا بماله ولكنه علمنا الكرم فعاد بعضنا على بعض فاستغنينا
واكرم العرب في الاسلام طلحة بن عبيد الله جاءه رجل فسأله برحم بينه
وبينه فقال يا هذا ان حائطا لي بمكان كذا وكذا وقد اعطيت فيه
ستمائة الف درهم يراح الي بالمال العشية فان شئت فالمال وان
شئت فالحائط ويروى ان رجلا بعث الى حبيبة بجارية جميلة فوافته بين
اصحابه فقال قبيح ان اتخذها لنفسي وانتم حضور واكره ان اخص
منها واحدا منكم وكلكم له حق وحرمة وهذه لا تحتمل القسمة وكانوا
ثمانين رجلا فامر لكل واحد منهم بجارية او وصيفة وقيل لقيس
ابن سعد هل رايت قط اسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة

فحضر

فحضر زوجها فقالت انه نزل بنا ضيفان فجاءوا بناقة فنحرها وقال
شأنكم فلما كان الغد جاء باخرى ونحرها وقال شأنكم فقلنا ما اكلنا
من التي نحرت البارحة الا اليسير فقال اني لا اطعم ضيفي الغاب فبقينا عنده
اياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما اردنا الرحيل وضعنا في بيته
مائة دينار وقلنا للمراة اعتذري لنا اليه ومضينا فلما متع النهار اذا
برجل يصيح خلفنا قفوا ايها الركب اللئام اعطيتمونا ثمن قرانا ثم
انه لحقنا وقال لتاخذنها او لاطعننكم برمحي فاخذناها وانصرف
وقال ميمون بن مهران من طلب مرضاة الاخوان بلا شيء فليصحب
اهل القبور وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يتم المعروف الا بثلاثة
تعجيله وتصغيره وستره فانه اذا عجله هنأه واذا صغره فقد عظمه
واذا ستره فقد تممه وقال بعضهم كان احدهم يتناول زاده لاخيه
بنصيبين وقال البعض في كل شيء سرف الا المعروف وقيل للحسن بن
سهل لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى
نظمه محمد بن حازم رحمه الله واجاد فقال

لا الفقر عار ولا الغنى شرف ... ولا سخاء في طاعة سرف
مالك الا شيء تقدمه ... وكل شيء اخرته تلف

واما طلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعي المعروف بطلحة الطلحات
وانما سمي بهذا الاسم لانه كان عظيم البذل في كل وجه و
وكان يبتاع الرقاب ويعتقها وكل معتق يولد له ذكر يسميه طلحة
فبلغ عددهم الف رجل كل واحد يسمى طلحة فسمي طلحة الطلحات
ثم رثي بعد وفاته بقول الشاعر

فصار الله اعطاها ونوها بسبب فشل كلمة الكلمات
وبلغه ان معبدا في الكتاب كان بالحجاز وقد نعم الدهر به فارسل اليه مع
غلامه مائة الف وقال تسلمها اليه وان يكن قد مات وله ولد فادفعها
الى ولده وان لم يكن له ولد ففرقها على قومه ببركة الرسول فوجده مات ولم
يعقب ففرقها على قومه وقال ذيب من اسلم وكان من المتخشعين يا ابن ادم
امرك الله ان تكون كريما وتدخل الجنة ونهاك ان تكون لئيما وتدخل النار
وقال حكيم بن حازم ما اصبحت فلم اجد صاحب حاجة على بابي الا علمت انها
حاجة لا عدد لها مصيبة ارجو ثوابها وقال ابو علي الثقفي ان
المعروف كنز لا ينفد من زرعه لا جاحد وكان الزبير اجود الناس واشجعهم
وكان له [illegible] وما بنا البلاد بناء وروي مكتوب
على حجر انتهز الفرص على متاعها ولا تحمل على نفسك هم ما لم ياتك وا عشر
واعلم ان تقتيرك على نفسك توفير لخزانة غيرك فكم من جامع يبعل حليلته
حليلته وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما جمعت من المال
فوق قوتك فانما انت فيه خازن لغيرك وروي مالك في الموطا ان مسكينا
سال عايشة رضي الله عنها وهي صائمة وليس في بيتها الا رغيف
فقالت لمولاتها اعطيه اياه فقالت ليس لك ما تفطرين عليه فقالت
اعطيه اياه ففعلت فلما امسينا اهدى لنا اهل بيت شاة وكفنها
يعني ملفوفة بالرغائف فقالت لي عائشة رضي الله عنها هذا خير من
قرصك وقال عبد الله بن عمر ما كان احد لنا على عهد النبي صلى الله
عليه وسلم يحسب ان له في الفضل شيئا وقال الحسن كنا نعد
البخل من بعض اخلاق الدرهم ومن عجائب ما ذكرنا في زماننا رجل ذكر له

ابو مح

ابو محمد الازدي [illegible] لمسجد بمصر وقال المسلمون ان النصارى
احرقوه فاحرقوا خانا لهم فقبض السلطان جماعة من الذين احرقوا
الخان وكتب رقاعا فيها القتل وفيها القطع وفيها الجلد ونثرها
عليهم فمن وقعت عليه رقعة فعل به ما فيها فوقعت رقعة فيها
رجل فيها القتل فقال ما كنت ابالي لولا ام لي وكان بجنبه بعض الفتيان
الفتيان فقال في رقعتي الجلد وليس لي ام فخذ مني رقعتي وخذ مع
رقعتي ففعلا فقتل ذلك وتخلص هذا وحكي عن ابي الحسن الانطاكي
انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية بقرب الري ولهم ارغفة لم تسع
جميعهم فكسروا الارغفة واطفوا السراج وجلسوا للطعام الى ان كفوا
فلما رفع الطعام رفع فاذا هو بحاله لم ياكل منهم احد ايثارا لصاحبه على نفسه
وروي انه اجتمع في الرملة جماعة من ارباب القلوب بمحض خصوص فيه نيف
اخض وقد غشيهم الليل وكل واحد تكلف بحاله فان [illegible]
اكلها وان كثر [illegible] لصاحبه [illegible] رفع [illegible]
كله في [illegible] لم ياكلوا منه شيئا وقال بعض الرواة دخلت على
بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد تعرى من الثياب فقلت له يا ابا نصر
الناس يزيدون الثياب في مثل هذا اليوم وانت قد نقصت فقال ذكرت
الفقراء وما هم فيه ولم يكن لي ما اواسيهم به فاردت ان اواسيهم
بنفسي في مقاساة البرد وقال [illegible] ابو علي [illegible] غلام خليل [illegible]
الصوفية الى الخليفة بالزندقة فامر بضرب اعناقهم فاما الجنيد فانه
تستر بالفقه فكان يفتي على مذهب ابي ثور واما الشحام والرقام وابو
والنوري وجماعة فقبض عليهم وبسط النطع لضرب اعناقهم فتقدم

النوري أمامه فقال الشاب تدري ما تقول قال نعم قال وما يحملك قال
أوثر أصحابي بعيالي فاعتقه ثم النساعوه نعم الحبها التي الخليفة فرده ثم
الى القاضي ليتعرف حالهم فالتقى القاضي على ابي الحسن النوري معنا بالحجة ليتعرف
والجلاد على النطع ثم اخذ يقول ومعناه ان لله عبادا اذا اقسموا اقسموا بالله
وان نطقوا نطقوا بالله ويسرد الكلام حتى بكى القاضي فارسل الى
الخليفة وقال ان كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الارض مسلم فاطلقوا
طلاقهم ولما مرض قيس بن سعد بن عبادة استبطأ اخوانه في
العيادة فسأل عنهم فقيل انهم يستحيون مما له عليهم من الدين فقال
اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر من ينادي من كان لقيس عنده مال
فهو منه في حل فكسرت عتبته بالعشي لكثرة العواد ويروى ان عبد
الله بن جعفر وكان احد الاجواد خرج الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها
اسود يقوم عليها فاتى بقوته ثلاث قرص ودخل كلب فدنا من الغلام فرمى
اليه بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فاكله وعبد الله ينظر
فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت هذا الكلب
قال ما هي بارض كلاب وانه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت ان
اردّه قال فما انت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن
جعفر الام على السخاء ان هذا لاسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما
فيه من الآلات واعتق الغلام ووهبه له وقال النوري رأيت محمد بن سعد
بالغداة صاحب مائدة وبالعشي سائلا من الصابد فرصة وقال
ابو عبد الرحمن خرج ابو عبد الله احمد ودعاني الى دار بعض الصالحين فوجده
غائبا وهذا البيت مغلق فكسر القفل وامر بجمع ما وجد فيه فانفذه الى
الشوق

١٠١
الشوق ما عمل واصلحوا وقدموا الثمن ونقدوا وجاء صاحب البيت ولم
يقل شيئا فدخلت امرأته بعدهم وعليها كساء فدخلت البيت
ورمت بالكساء وقالت يا اصحابنا هذا من جملة المتاع فبيعوه وقد
وقالت لزوجها لم تكلفت هذا باختيارك فقال لها اسكت مثل الشيخ
يباسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شيء ندخره عنه واما عبد الملك
ابن ابي بكر فسيبن الفي درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال
ما كنت لاسأل لاخواني الجنة في صلاتي وابخل عليهم بمالي ويروى
ان الاشعث بن قيس ارسل الى عدي بن حاتم يستعير منه قدورا كانت
لابيه حاتم فملأها وبعثها اليه وقال انا لا نعيرها فارغة وقال الآخر
رجعهم لا عن اثنين اركانا ولا البذخ تبينا من بيت الكرم واكتساب
الشكر ولذا ان عز التعظيم بالفعل الجميل يقع في قلوب الرجال ومن
تخصص بالجود وتحرز بالمعروف فقد ظفر بمرتبة والي وربح الشكر و
والثواب وروي ان عبد الله بن ابي بكرة وكان احد الاجواد عطش يوما
في طريقه فاستسقى ماء من منزل امرأة فاخرجت كوزا وقامت خلف
الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه بعض غلمانكم فاني امرأة من
العرب مات خادمي منذ ايام فشرب عبد الله الماء وقال يا غلام
احمل اليها عشرة آلاف درهم فقالت سبحان الله تسخر بي فقال يا غلام تسخر
احمل اليها عشرين الف درهم فقالت اسأل الله العافية فقال يا عشرين الف
غلام احمل اليها ثلاثين الف درهم فما امست حتى كثر خطابها وقال
بعض الرواة قصد رجل الى صديق له فدق عليه الباب فلما خرج قال
ما حاجتك قال اربعمائة درهم علي دين فدخل الدار واخرجها اليه

ثم دخل الدار باكيا فقالت امراته هلا تعللت حين شق عليه ايراد
جابته فقال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مكاشفتي
وقال اكثم بن صيفي صاحب المعروف لا يقع وان وقع وجد متكيا وقال
الفضيل ما كانوا يعدون القرض معروفا ويروى عن امراة من العوابد
قالت فمررت بحيان بن هلال وهو جالس عند من اصحابه فما السخا عندكم في الد
نيا قالوا البذل والايثار قالت فما السخا في الدين قال ان تعبد الله سخية
به نفسنا غير مكرهة قالت ما تريدون على ذلك اجرا قالوا نعم لان الله
وعد على الحسنة عشر امثالها قالت فاذا اعطيتم واحدة واخذتم
عشرا فباي شي تسخيتم وانما السخاء ان تعبدوا الله متنعمين متلذ
ذين بطاعته غير كارهين لا تريدون بذلك اجرا الا تستحيون ان يطلع
الله على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيئا بشي وقالت بعض
العابدات لبعض المتعبدين اتظنون ان السخاء في الدينار والدرهم فقط انما
السخاء في بذل مهج النفوس لله سبحانه وقال ابو بكر الوراق ليس السخا
ان يعطي الواجد المعدم انما السخاء ان يعطي المعدم الواجد وقال
الشيخ ابو عبد الرحمن كان الاستاذ ابو سهل الصعلوكي من الاجواد
لم يناول احدا شيئا بيده وانما كان يطرحه بالارض فيتناوله الاخذ من
الارض وكان يقول الدنيا اقل خطرا من ان ترى من اجلها يدي فوق يد اخرى
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا افضل من اليد السفلى
وكان يتوضا يوما في صحن داره فدخل عليه انسان وساله فلم يحضره شي
فقال اصبر حتى يفرغ فصبر فلما فرغ قال خذ القمقمة واخرج فخرج
وعلم انه بعد صاح وقال دخل انسان واخذ القمقمة فمشوا خلفه فلم يدركوه

وانما

وانما فعل ذلك لانهم كانوا يلومونه على البذل وفي معناه قيل
ملات يدي من الدنيا مرارا ... فما طمع العواذل في اقتصادي
ولا وجبت علي زكاة مال ... وهل تجب الزكاة على جواد
وكان ابو مرثد احد الكرام فمدحه بعض الشعراء فقال ما عندي ما
نعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادعي علي عشرة الاف درهم حتى
اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي لا يتركونني محبوسا ففعل ذلك فلم
يمسوا حتى دفعوا اليه عشرة الاف درهم وقال زياد بن جهور مرداتي
كلمة من عبيد الله فرق ما بين الف درهم في مجلس واخو يطلبه ازاره
بيده ودخل المنكدر على عائشة رضي الله عنها فقال لها يا
ام المؤمنين اصابتني فاقة فقالت ما عندي شي فلو كانت عندي
عشرة الاف لبعثتها اليك فلما خرج من عندها جاءتها عشرة
الاف من عند خالد بن اسيد فقالت ما اسرع ما ابتليت فارسلت
بها في اثره فدخل السوق فاشترى جارية بالف درهم فولدت
له ثلاثة اولاد فكانوا عباد المدينة محمد وابو بكر وعمر بنو
المنكدر وقال محمد بن صبيح كان جرير بن زيد في دار الكلبي فجاء اليه
انسان يطلبه فقال للغلام اذهب الى الجواري وقل لهن من ارادت منكن
ان تصبغ ثيابها فلتبعث بها فجاء الغلام بثياب كثيرة فقال للسائل
خذها وقال الاصمعي كانت حروب بالبادية ثم اتصلت بالبصرة
فتفاقم الامر فيها حتى مشي بين الناس بالصلح فاجتمعوا بالمسجد الجامع
قال فبعثت وانا غلام الى ضرار بن القعقاع من بني دارم فاستاذنت عليه فاذن
لي فاذا هو في شملة يخلط لعنز له حبوبا فخبرته بمجتمع القوم فامهل

وانه يطلبه

يساله

العنزه

جاهر

أتنقص مني أن سمنت وأن ترى بجسمي شحوب الجوع والحق
أقسم جسمي في جسوم كثيرة واحسو قراح الماء والماء بارد

وقال بعض الحكماء أصل المحامد كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما ملكت من الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه وروي أنه كان عند بهلول بن راشد طعام فغلا السعر فأمر به فبيع وأمر أن يشترى له كل ربع قفيز من طعام فقيل نبيع ونشتري فقال نفرح إذا فرح الناس ونحزن إذا حزنوا . وقالت أم حاتم الطائي

لعمري لقدما عضني الجوع عضة فآليت أن لا أمنع الدهر جائعا
فقولا لهذا اللائم اليوم أعفني فإن أنت لم تفعل فعض الأصابعا
فهل ما ترون اليوم إلا طبيعة فكيف بتركي يا ابن أم الطبائعا

آخر

أصون عرضي بمالي لا أدنسه لا بارك الله بعد العرض في المال
أحتال للمال إن أودى فأجمعه ولست للعرض إن أودى بمحتال

ويروى أن رجلا سأل الحسن بن علي فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار وقال ائت بحمال يحمله لك فأتى بحمال فأعطاه طيلسانه وقال يكون كراء الحمال من قبلي ويروى أن الليث بن سعد سألته امرأة سكرجة عسلا وأمر لها بزق عسل فقيل له في ذلك فقال إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطي على قدر نعمتنا ويروى أن رجلا استضاف لعبد الله بن عامر بن كريز فلما أراد الرجل أن يرحل لم يعنه غلمانه فسأل عن ذلك فقال لعبد الله إنهم لا يعينون من يرحل عنا وفي معناه قال المتنبي

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون هم

الباب الحادي والثلاثون في

في الشح

الشح وما يتعلق بهما

الشح والبخل في كلام العرب البخل ومنع الفضل كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الشح اللهم إني أعوذ بك من شح نفسي وإسرافها ووسواسها وروى جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم وفرق بينهما معروفون فقالوا الشح أشد من البخل فإن البخل الكف ما في يده النفقة وإمساكها قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال عز من قائل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه وقال في الشح أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا وقال ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون فالشح ينشأ عن العداوة ولا امتناع فهو يكون في المال وفي جميع منافع البدن وقال ابن عمر ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن يطمع إلى ما ليس له وقال ابن المبارك سخاء النفس عما في أيدي الناس أفضل من سخاء النفس بالبذل وقال رجل لابن مسعود إني أخاف أن أكون قد هلكت سمعت الله تعالى يقول ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال ليس بالشح الذي ذكر الله تعالى وإنما الشح أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل ففرق بينهما كما ترى وقال ابن عباس من تبع هواه فلم يقبل الإيمان وقال طاوس الشح أن يبخل المرء بما في أيدي الناس والبخل أن يبخل المرء بما في يديه وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بريء من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى في النائبة وقال ابن حزم ...

بقال

خير شيء انهاه الله عنه ولم يدعه الشح ان يمنع شيئا امر الله به بعد
وفي الحديث من شح نفسه **وقال** بعض الشاح رايت رجلا في الطواف
يقول اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك فسألته عن ذلك فقال اذا وقيت
شح نفسي لم اسرق ولم ازن ولم اقتل فاذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي
الله عنه **واعلم** ان البخل يكون من سوء الظن بالله عز وجل لا يخلف
ولا يثيب وهذا من النصوص بما يجعل الله تعالى به ويكرم في الخلق
الى جميع الاوامر بين العبد وبين الخالق وبين العبد وبين المخلوقين [illegible]
معا ونهيهم والشح نصم وقال كسرى لحجابه اي شيء اضر بابن
ادم قالوا الفقر فقال كسرى الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد
شبع والشحيح لا يشبع ابدا **وسمنا** فتح الشام وقعي من صنعاء
الى مكة معه عشرة الاف دينار فقيل له اشتر بها ضيعة فضرب
خيمته خارج مكة وصب الدنانير ثم قيل لمن دخل عليه كان يعطيه قبضة
قبضة فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق شيء **ولما**
حضرته الوفاة قال ادعوا فلانا يغسلني وكان الرجل غائبا بعدها فقدم
اخبر له بوصية فتركته يوجد تسعين الف درهم دينا فقضاها [illegible]
وقال هذا يغسلني اياه **وروي** ان رجلا اراد ان يؤذي عبد الله بن عباس
فاتى وجوه البلد وقال يقول لكم ابن عباس تغدوا اليوم عنده فاتوه
فملؤوا الدار فقال ما هذا فاخبر فامر ان يشترى الفواكه في الوقت
وامر بالخبز والطبخ واصلح امره فلما فرغ قال لوكلائه اموجود
هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتغد هؤلاء عندنا كل يوم الى الشهر
ومن الخصال الجارية مجرى الكمال والجمال والعلم من اصول الصبر

الباب الثالث والثلاثون

الباب الثاني والثلاثون
في الصبر وجميل عواقبه

الصبر زمام سائر الخصال وزعيم العلم والتقى وملاك كل فضيلة
وبه ينال الكرامة والمكرمة وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني
اسرائيل بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فهو
بمعظم وكتاب في الجنة ذكر الله تعالى ورسوله فيها جزاء معلوم لهم
الا فيما الا الصبر فانه يجازى بغير حساب وقال تعالى وجعلناهم ائمة
يهدون بامرنا لما صبروا قيل عن الدنيا وقال ابن عيينة لما اخذوا بر
برأس الامر جعلهم الله تعالى رؤوسا وقال تعالى ولقد نعلم انك يضيق
صدرك بما يقولون فسبح [illegible] عليه السلام وقال انه ليحزنك الذي يقولون
فانهم لا يكذبونك [illegible] وقال جل وعلا ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا ثم ندبه الى الصبر مع
وجود الاذى فقال واصبروا ان الله مع الصابرين **و** الصبر حبس على ما
وامر المكاره والنواهي والمعاصي الا ترى ان اهل الجنة نودوا فقيل
لهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار **و** اخبر الله تعالى انه انما
اتاهم الجنة بصبرهم يعني صبرهم على طاعة الله وصبرهم عن معاصي الله
تعالى قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم [illegible]
فمن امارات حسن التوفيق وعلامات السعادة الصبر في الملمات
والرفق عند النوازل **وفيما يروى** ان الله تعالى اوحى الى داود عليه
السلام يا داود من صبر علينا وصل الينا **وقال** سفيان بن عيينة ان
لكل شيء ثمرة وثمرة الصبر الظفر قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا

التعوير

اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فعلق الله
الفلاح على الصبر والتقوى يعني اصبروا على ما فرض الله عليكم وصابروا
عدوكم ورابطوا فيه قولان فقيل رابطوا على الجهاد والثاني رابطوا
على انتظار الصلوات بعد الصلوات لما روى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات
قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا
الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط وقال
الحسن في قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال ا
بتليه بالكوكب فصبر وبالقمر فصبر وبذبح ابنه فصبر فقال سبحا
نه واستعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين فبدا بالصبر
قبل الصلاة ثم قال قولا عظيما فجعل نفسه مع الصابرين دون
المصلين وقال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار ما يكن عندي من
خير فلن ادخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه ا
لله ومن يتصبر يصبره الله وما اعطي احد عطاء خيرا ولا اوسع من
الصبر وقال ابن مسعود قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسمة
فقال رجل من الانصار والله انها لقسمة ما اريد بها وجه الله تعالى
فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فشق عليه وتغير وجهه وغضب فخبرت
حتى وددت اني لم اكن اخبرته ثم قال اوذي موسى عليه السلام
باكثر من هذا فصبر وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على امرأة
تبكي على قبر فقال لها اتقي الله واصبري فقالت اليك عني انك لم
تصب بمثل مصيبتي فلما مضى قيل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فجاءت

١٠٦

فجاءت الى بابه فلم تجد بوابا فقالت لم اعرفك فقال النبي صلى
الله عليه وسلم انما الصبر عند الصدمة الاولى فامرها النبي صلى
الله عليه وسلم بالصبر وكان هذا تعليما لمن يأتيه الضرر بقول او
فعل او غلبة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الايمان
فقال الصبر والسماحة وفي منثور الحكم قالت الصحة انا لاحقة
بارض الغرب فقال الجوع انا معك فقالت انا لاحقة بارض الحجاز
فقال الصبر انا معك فقال الهلاك انا لاحق بارض العراق فقال القتل
انا معك واعلم ان المحنة هرق وبخرجها من قبله ادعى له واحرى من
ذلك التعرية بعد الفقدة ومثال ذلك كالقدر على النار ان كان
ماؤها قليلا غلا بيسير من النار وان كانت مملوءة لم تغل حتى يكثر نارها
وتطول مع ثبتها وفي كتاب هاوند زهد وقيل نعم كتب شده قال
محرم على الشامع حديث الغافل لانه ثلاث هن غير العوض الجاهل على
مضض المصيبة وعاقل يغض من حسرا ليه وجهالة [illegible] واعلم ان
الصبر على اقسام صبر على ما هو كسب للعبد وصبر على ما ليس بكسب فا
لصبر على المكتسب على قسمين صبر على ما امر الله تعالى به وصبر على ما نهى
عنه الله تعالى واما الصبر على ما ليس بمكتسب للعبد كصبره على مقاساة
ما يتصل به من حكم الله تعالى فيما له فيه مشقة وينقسم من وجه اخر
على اربعة اقسام فالاول القسامة فاولاه الصبر على امتثال ما امر الله
تعالى به والانتهاء عما نهى الله عنه والثاني الصبر على ما فات ادراكه
من مسرة او نقمة او قادمة من مصيبة والثالث الصبر فيما ينتظر وروده
من رغبة يرجوها او يخشى حدوث رهبة يخافها والرابع الصبر على

[illegible]

ما نزل من مكروه او حل من امر مخوف وجميع اقسامه محمود ونكل الحال
وبه كمال الدين وعنوان كل امر منتهاه كما في وقال اكثم بن صيفي من صبر ظفر
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الصبر مطية لا تكبوا والقناعة عنده
سيف لا ينبوا وقال ازدشير الصبر اوله وقال عليه السلام ان
الصبر ضياء وبه يتوقع الفرج وقال عليه السلام الصبر يستدفع
الكروب ويعين على الخطوب وقال ابن عباس رضي الله عنهما افضل
العدة الصبر على الشدة وقال عبد الحميد الكاتب لم اسمع اعجب
من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصبر والشكر مطيتان ما ابالي
ايهما ركبت وقال بعض الحكماء بالصبر على مواقع المكروه تدرك
الحظوظ وقال ابن المقفع في كتاب اليتيمة الصبر صبران فاللئام
اصبر اجساما والكرام اصبر نفوسا وليس الصبر المحمود ما
هو ان يكون قوي الجسد على الكد والعمل فان هذا من صفات الحمير
ولكن ان يكون للنفس غلوبا وللامور محتملا ولجاشه عند الحفاظ
مرتبطا وبه منشور الحزم من راحة البدن وفي العجز لمصائب قلبا صبورا
وقال من جمع ... على ... وكان الصبر لا بد للمحسن
ولا التجمل ولا مكسبة للاجلال كثرة المزاح ولا مجلبة للمقت
كالعجب ولا متلفة للمروءة كالاشتغال بالهزل في مواضع الجد
فاما القسم الاول وهو الصبر على امتثال اوامر الله تعالى والانتهاء
عن محارمه فبه يصح اداء العبادات وبه الاستعمال السنن ويدل قوله
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ولذلك قال علي رضي الله عنه
الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد وقال الحكيم الصبر من الدنيا

الى الله

الى الله تعالى يسهل هين على المؤمن وهجر الخلق لوجه الله تعويد
والصبر من النفس انما يستعان على صعب الشدة والصبر مع الله تعالى الشد
وسئل عن الصبر فقال يخرج القرآن من قلبك وكان حبيب بن حبيب
اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب يبكي ثم يقول
ثم يقول واعجباه اعطى واثنى وقال الخواص الصبر الثبات على
احكام الكتاب والسنة وقال عبد الواحد بن زيد من نوى الصبر على طاعة
الله صبره الله تعالى عليها وقواه ومن عزم على الصبر عن معاصي الله تعالى اعانه
الله تعالى عليها وعصمه منها وقال عمر بن عبد العزيز لقد سمعت كلاما
اوصى وقال القاسم عليكم بالصبر مواضع الصبر وقال الحسن البصري
صبران صبر عن المعصية وصبر عليها نهى الله عنه وهو افضل وانما يختلف
الصبر باختلاف والرجال من حاله فينا صبر على الفراق وهو بعد كذا هذا من
بعده من صبره ومن رجا شيئا صبر على طلبه ليظفر به واما القسم الثاني
على ما فات ادراكه من مسرة او نقضت او فاته من مصيبة فانه يتحمل به
الراحة مع اكتساب المثوبة فان صبر طائعا فاز واحرز الثواب وان
لم يصبر حمل الوزر والهم وقال علي للاشعث بن قيس ان تجزع فقد
استحقت ذلك منه الرحم وان تصبر ففي ثواب الله تعالى خلف منه ان
صبرت جرى القلم عليك وانت ماجور وان جزعت جرى القلم عليك وانت موزور نظمه ابو تمام فقال

وقال علي في التعزي للاشعث وخاف عليه بعض تلك المآثم
اتصبر للبلوى عزاء وحسبة فتؤجر ام تسلو سلو البهائم
خلقنا رجالا للتجلد والاسى وتلك الغواني للبكا والمآتم

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان صبرت مضى امر الله تعلى وكنت
ماجورا وان جزعت مضى امر الله وكنت مازورا وقال بعضهم
والله لو كلفنا الجزع ما قدرنا به فالحمد لله الذي اجرنا على ما لو نهانا
عنه لصبرنا اليه وعن هذا قالت الحكماء الجزع اتعب من الصبر في ا
لجزع التعب والوزر وفي الصبر الراحة والاجر ولو صور الصبر والجزع
لكان الصبر احسن صورة واكرم طبيعة وكان الجزع اقبح صورة واخبث
طبيعة ولكن الصبر انما هو بالغلبة بحسن الخلقة وكرم الطبيعة وقال
بعض الحكماء لو وكل الناس بالجزع لجنحوا الى الصبر وقال شبيب
شبة للمهدي ان احق الناس ما صبرت عليه ما لم تجد سبيلا الى دفعه
وانشد وان التصبر مصيبة ما صبر لها عظمت مصيبة مبتليها بصبر
وعوضت اجرا من فقيد فلا يكن فقيدك لا ياتي واجرك يذهب
وقال بعض الحكماء ليس بمجموع له الرشد من تابع التلهف على ما فاته
او اتكل في الفرج عند مستكره وقال الحكيم ان كنت جازعا على ما تلفت من يدك
فاجزع على ما لم يصل اليك ومن تيقن ان كل ما بنا الى انقضاء حسن عزاؤه عند
نزول البلاء قال الشاعر
اذا كان ما تهوون اما مصيره كذلك فضل طول المقام على الصبر
ولا شك ان الصبر يحمد غبه ولكن ما في عليه من الغير
وقال بعض العلماء الصبر على اربع مراتب على الشوق والاشفاق والزهادة
والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار
رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ومن ارتقب الموت
اقصر عن الخطيئات واما القسم الثالث فهو الصبر فيما يتوقع ورود

الحكماء

داخل

من رغبة

اللهم صل على سيدنا محمد

من رغبة يرجوها او خشية يخشاها فيجدها وافقا والتلهف
يرفع عاقبة ما يخاف ويبال النجح ما يرجوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم
انتظار الفرج بالصبر من الله عبادة وقال محمد بن بشير
ان الامور اذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تياسن وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ومدمن القرع للابواب ان يلجا
وقال بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها ظفار فبينا انا اطوف بجوانبها
اذ رايت مكتوبا على قصر خراب
يا من الح عليه الهم والفكر وغيرت حاله الايام والغير
اما سمعت بما قد قيل في مثل عند الاياس فاين الله والقدر
ثم الحوادث ان احدثتها كربا واصبر فان اقواما قد صبروا
فكل ضيق سياتي بعده سعة وكل فوت وشيكا بعده الظفر
وتحته مكتوب بخطه اخر وكان من صبر عقبه الخير ولكنا نجد الصبر في
العاجل يعني الغم ويجيء من الغم وما كان اصلح مخ العقل موقفه وهو جهل واشتاع
قلت لو رايته وكتبت تحته في الصبر استعمال الراحة وانتظار الفرج وحسن
الظن بالله عز وجل واحراز الحسنات وفي الجزع استعمال الهم ونزول البدن والسعة
واستعجال المحنة وسوء الظن بالله عز وجل وحرمان الثواب وانتظار العقوبة وما احسن
بذي العقل اجتناب هذا والسلام وقال بعض الحكماء من صبر نال المنى ومن شكر
حفظ النعما وقال الشاعر
الصبر مفتاح كل خير وكل شيء به يهون
فاصبروا ان طالت الليالي فربما ينفع الحزون

ورثيما بال(؟) الاصطبار ما قيل فيها انت لا يكون ...

وقال عمر بن عبد العزيز ما انعم الله تعالى على احد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها الصبر الا كان ما عوضه افضل مما انتزع منه وقرا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وروي ان جارية لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه كانت تتصرف في احوال ... فلما اخرجت تصف انها غيابك كان يطربه منها ... يقول لها والله لا احبك ... منها اكثر من ذلك فشكته الى علي فقال له علي رضي الله عنه اذا قال لك مرة اخرى ... وانا والله احبك فمه فعاد لها فقالت له وانا والله احبك ... فقال تصبرين واصبر حتى يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فرجعت الجارية واخبرت مولاها فدعا علي رضي الله عنه الغيا ... فوجد امره على الصحة فوهبها له مع نفقة يستعين بها وقال علي رضي الله عنه الصبر كفيل بالنجاح والمتوكل لا يخيب ظنه والعاقل لا يذل ما قل نفعه ولا يفرح ما اوله زمعه وكان يقال الصبر سلامة والعجلة ندامة واما القسم الرابع وهو الصبر على ما نزل من مكروه او حل من امر مخوف فبالصبر فيه تنفتح وجوه الاراء وتستدفع مكائد الاعداء قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال عز من قائل واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان استطعت ان تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان الصبر على ما تكره خير كثير واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر وقال علي رضي الله عنه الصبر مفتاح الفرج ... من اعوان الزمان وقال الحكيم بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الامور ولما ... ابو يحيى الحسن خمسة عشر سنة طاقت حيلته وقل صبره فكتب الى بعض اخوانه يشكو اليه طول حبسه فلما ... ورد عليه جوابه رقعة وهو يقول

صبرا ابا ايوب ...

صبرا ابا ايوب صبر مبرح ... فاذا عجزت عن الخطوب فمن لها
ان الذي عقد الذي انعقدت به ... عقد المكاره فيك يملك حلها
صبرا فان الصبر يعقب راحة ... ولعلها ان تنجلي ولعلها
صبرتني ووعظتني وانا لها ... وستنجلي بل لا اقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها ... كرما به اذ كان يملك حلها

قال ابن ... ما هي خرج مكرما ولبعضهم من القصيدة ... المعرية

فما كنت صبرا واحتسابا فانني ... ارى الصبر ... فيه قبول
غدا بي ... اشكو الى الناس ... ثقيل ومن اشكو اليه ثقيل
وان امرؤ يشكو الى غير نافع ... ويشكو ... لجهول

ولمنشده ابضا(؟)

دع الدهر يجري بمضماره ... ويقضي بما شاء او صار له
ونم نومة عن ... الامور ... وخل الزمان ... له
وانك ترجو ... غبطة ... وتعجب من فتح اشكاله
ويمنعني الشكوى الى الناس انني ... عليم بما قاله قبل القول
اذا ما بليت فثق بالله وارض به ... ان الذي يكشف البلوى هو الله
الياس يقطع احيانا بصاحبه ... لا تياسن فان الصانع الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرته ... ما لامرئ حيلة فيما قضى الله

ونصرت من ... الكلمة ... وصبور وصابر ومتصبر فالمتصبر من صبر في الله على الكلف فتارة يجزع وتارة يصبر والصابر من لا يشكو ولا يجزع والصبار الذي لو وقع عليه جميع البلايا والمحن لم يتغير من جهة الحقيقة ولا تغير من جهة الوهم والشهوة والعلة تعالى قال ... ابن ...

طاب الصبر ما تستعان به الصبر فصاح الصبر يا صبرا
وهذا اقوى بيت قيل في الصبر واحسنه وقريب منه قول القائل
صبرت على ايام ارض الهارب   الى ان بكى الصبر لا صبر للصبر
والتصبر هو الثبات على هذه المقامات وقيل اوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام تخلق باخلاقي فان من اخلاقي اني انا الصبور ويقال الصبر لله
عنا والصبر في الله تعنى والصبر بالله بلا والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء
وانشدوا   اذا لعب الرجال بكل شيء   رايت الحب يلعب بالرجال
وكيف الصبر عن من حل مني   بمنزلة اليمين من الشمال
وقال بعضهم فرق بين الصبر والتصبر حالة هي النعم وكذا اذا رفع الله عنه
من اعلام الاخرة تدل على منازل الصبر عنده بتنعم القلب بصبره والنعيم
وقال ابو محمد الجريري الصبر ان لا يفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون
الخاطر فيهما والتصبر هو السكون في مطالع البلاء مع وجود اثقال المحنة وانشدوا
صبرت ولم اطلع هواي على صبري   واخفيت ما بي عنه من شدة الضر
مخافة ان يشكو الضمير صبابتي   الى دمعتي سرا فتجري وما ادري
وقيل لبعضهم بماذا يقوى الصابر على صبره فقال اذا علم ان في صبره رضى مولاه
اما سمعت قول الحكيم
رضيت وقد ارضى اذا كان مسخطي   من الامر ما فيه رضى من له الامر
فاصبر كي ترضى واتلف حسرة   وحسبي ان ترضى ويتلفني صبري
قلت وتكلف بعضهم اعظم من تكلف المحبة بعضهم جعل ايوب عليه السلام
لما اصيب بجسده فاسمعه الصبر ويعقوب لما اصيب بحبيبه قال فصبر جميل على
يوسف قال احمد بن ابي الحواري قال سليمان الداراني توجب بما ازال العقلاء الا

الاهمة

الا لا ممتنع من احاله البهم فلت لا قال لعلمهم بان الله تعالى ابتلاهم بولده
فصبروا ويروى ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه انزلت بعبدي بلائي
فدعاني فمطلته بالاجابة فشكا بي فقلت عبدي كيف ارحمك من شيء به ارحمك
وقيل في قوله تعالى واصبر صبرا جميلا انه الصبر الذي لا شكوى فيه ولا بث قال انس
ما صبر من بث وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تستعجلوا الدموع بالتذكر
وقال الشاعر
ولا يبعث الاحزان مثل التذكر   ومما يعين على كظم الاسى وشدة الجزع
تذكر المصائب المتقدمة وفطور المضار الى اهله وكثرة المشتكى وشدة
الاسف وقال الشاعر
لا تكثر الشكوى الى الصديق   وارجع الى الخالق لا الخلائق   انفلو
لا يخرج الغريق بالغريق   وفي منثور الحكم المصيبة بالصبر
اعظم المصيبتين واعلم انه قل من صبر على شدة الا ونال ما يرجوه من فرج
وينبغي لمن نزلت به مصيبة او كان في شدة ان يتبع تسهيلها على نفسه
ولا يغفل عن تذكر ما ينبغي من وجوب الفناء وتقضي المسار وان لها تبعات
من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا
علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له من صح
فيها سقم ومن سقم فيها ندم ومن نعم فيها بطر ومن افتقر فيها حزن
ومن استغنى فيها افتتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها
عتاب لا تدوم لها دوام ولا اثرها يبقى ولا فيها يخلدون فاذا تصوره
حقيقتها المصيبة هي الحوادث سهلت المطالب الهينة وقال الشاعر
يتفرج والذي في نفسه   مطالبه فلا ان تشتكي
فان نزلت بلاء لم تر عنده   لما كان في نفسه مثلا

ولولا مرور بعض أذى وآخر بعضه آخره أول
وذو الجهل يلقى من أيامه وينسى مصارع من قد خلا
فإن جاءه صرف الزمان ببعض مصائبه أعول
ولو قدم الحزم في نفسه لعلمه الصبر عند البلا

وقال بعض الحكماء من حاذر لم يجزع ومن راقب لم يجشع ومن كان متوقعا
لم يلف متوجعا ومن لم يتبع نفسه ما ذكرناه من أحوال الدنيا وتقضي
أعصارها ثم التوى به الجحود بين التروي والعقل وفقد ما رفع الاحتياط
واستحكم الأولياء وهجم الفزع والعزاء الغفلة الحوادث رائعا فسلبته
الصبر وضاعف عليه الأسى وقال ابن الرومي

إن البلاء يطاق غير مضاعف فإذا تضاعف صار غير مطاق

وانشدوا
تعودت مس الضر حتى ألفته وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر
ووسع صدري للأذى كثرة الأذى وإن كنت أحيانا يضيق به صدري
وصيرني يأسي من الناس واثقا بحسن صنيع الله من حيث لا أدري

وبعضهم
تعز فإن الصبر بالحر أجمل وليس على ريب الزمان معول
فلو كان يغني أن يرى المرء جازعا لنازلة أو كان يغني التذلل
لكان التعزي عند كل مصيبة ونازلة بالحر أولى وأجمل
وكيف وكل ليس يعدو حمامه وما لامرئ عما قضى الله مزحل
فإن تكن الأيام فينا تبدلت ببؤسى ونعمى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليبة ولا ذللتنا للتي ليس تجمل
ولكن رحلناها نفوسا كريمة تحمل ما لا يستطاع فتحمل
وقينا بعون الله منا نفوسنا فصحت لنا الأعراض والناس هزل

الباب الثالث والثلاثون

في كتمان السر

في كتمان السر وحفظه

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام يا بني لا تقصص رؤياك
على إخوتك فيكيدوا لك كيدا ولما ابتلي يوسف عليه السلام رؤياه
بعشر أعوام يعقوب أخبر إخوته به لما حل به ما حل وقيل في المنثور
استعينوا على حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود واعلم أن كتمان
السر من الخصال المحمودة في جميع الخلق ومن اللوازم في حقوق الملوك ومن
الفرائض الواجبة على الوزراء وجلساء الملوك والأتباع وقال علي بن أبي طالب
رضي الله عنه سرك أسيرك فإن تكلمت به كنت أسيره واعلم أن أمناء الأسرار
أشد تعذرا وأقل وجودا من أمناء الأموال وحفظ الأموال أيسر من كتم الأسرار
لأن أحراز الأموال منيعة بالأبواب والأقفال وأحراز الأسرار بارزة
يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وحمل الأسرار أثقل من
حمل الأموال وإن الرجل يستقل بالحمل الثقيل فيحمله ويمشي به ويقعد
ولا يستطيع كتم السر وإن الرجل يكون سره في قلبه فيلحقه من القلق والكرب
ما لا يلحقه بحمل الأثقال فإذا أذاعه استراح قلبه وسكن خاطره وكأنه
قد ألقى عن نفسه حملا وقال عمر بن عبد العزيز القلوب أوعية
والشفاه أقفالها والألسنة مفاتيحها فليحفظ كل امرئ مفاتيح سره
ومن عجب الأمر أن الأموال كلما كثرت خزانها كان أوثق لها والأسرار
كلما كثرت خزانها كان أضيع لها وكم إظهار سر أراق دم صاحبه ومنع
من بلوغ مأربه ولو كتمه لأمن من سطوته قال أنوشروان من
حصن سره فله في تحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوة
وقال بعض الحكماء سرك من دمك فلا تجره في غير أوداجك

به فقد ارقته وكان لعثمان رضي الله عنه كاتب يقال له حمران وهو مولى له
فاستشار عثمان رجلا فقال اكتب العهد بعدي لعبد الرحمن بن عوف فانطلق حمران وقال
لعبد الرحمن البشرى فقال عبد الرحمن البشرى لك ماذا فاخبره الخبر فانطلق عبد الرحمن
فاخبر عثمان بذلك فقال عثمان اعلمت اهل المدينة بما كتبت فحمران ابدا ونفاه الى البصرة
فلم يزل بها حتى قتل عثمان واعلم ان كتمان الاسرار من اقوى جواهر الرجال وكما
انه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها كذلك لا خير في انسان لا يمسك سره ويروى
ان رجلا اودع سره عند صديق فقال له افهمت فقال بل جهلت قال احفظت
قال بل نسيت وقيل لبعضهم كيف كتمانك للسر قال اجحد المخبر واحلف
للمستخبر وقال الشاعر د ولو قدرت على كتمان ما اشتملت منى — للمستخبر
الضلوع من الاسرار والخبر لكنت اول من ينسى سرائره اذ كنت من نشرها يوما على
خطر ومن احسن ما سمعته في كتمان السر ما انشدنيه بعض فقهاء البصرة
بالبصرة فقال ولها سرائر في الضمير طويتها نسي الضمير بانها في طيه ::
:: ومستودعي سرا كتمت مكانه عن الحس خوفا ان يتم به الحس وخفت — ما اخفى
عليه من هوى النفس نشره فاودعته حيث لا تبلغ النفس يعني انه
اغفله وقال العتبي اسر معاوية الى ابي حديثا قال ابي فقلت
فقلت لابي يا امير المؤمنين اسر الي حديثا افلا احدثك به فقال لا انه من كتم حديثه
كان الخيار اليه ومن اظهره كان الخيار عليه فلا تجعل نفسك مملوكا بعد
ان كنت مالكا فقلت يا ابت ايدخل هذا بين الرجل وبين ابنه قال لا يا بني ولكن
اكره ان تذلل لسانك باحاديث السر فاتيت معاوية فحدثته فقال — قال
اعتقك اخي من رق الخطاء وقيل لبعض الحكماء ما اصعب الاشياء على الانسان
قال ان يعرف نفسه ويكتم سره وقال قيس بن الخطيم د

اجود

:: اجود بمكنون التلاد وانني ... بسر الذي استودعت لضنين ::
:: اذا جاوز الاثنين سر فانه ... بنث وتكثير الوشاة قمين ::
:: وان ضيع الاقوام سرا فانني ... كتوم لاسرار العشير امين ::
:: يكون له عندي اذا ما ضمنته ... مكان بسوداء الفؤاد كمين ::

ففسر الناس يقولون المراد بالاثنين المودع والمودع ولا يعدان ريبة به
الشفتين وكان يقال اصبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يبده لاحد بعد
شيئا ان يصرعه ولا يوما فقد روي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا حدث الرجل الرجل ثم التفت فهي امانة فلما واذا كان امانة
فقد حرمت فيه الخيانة كالامانات في الاموال وقال ابو بكر بن حازم انما
يتحدث المتجالسان بالامانة فلا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره
وقال هشام بن عروة ما من رجل ينتقص من امانته الا نقص ايمانه
وقال جعفر بن عثمان د

:: يا ذا الذي اودعني سره ... لا ترج ان تسمعه مني ::
:: لم اجره بعد على خاطري ... كانه لم يجر في اذني ::

وقال عمرو بن العاص ما استودعت رجلا سرا فافشاه على فلمته
اذا كان صدري به اضيق وقال الاحنف بن قيس يضيق صدر الرجل بسره
حتى يحدث به ثم يقول اكتمه على ومن امثال العرب لا تفشي سرك الى
اوصيك ما ابوح به فعلا او ضيق بصدر نفسك وفي منثور الحكم من
افشى سره كثر عليه المتآمرون وفي منثور الحكم اصبر على سرك ولا تودعه — المتآمرون
حازما فيزل ولا جاهلا فيخون وانشدوا د
:: اذا ضاق صدر المرء عن كتم سره ... فصدر الذي يستودع فيه اضيق :: — وصدر اخي

ولا تنطق بسرك كل سر اذا ما جاوز الاثنين فاش
تروع بصدرك ضيقا به وتبغي لسرك من يكتم
فكتمانك السر يا صاحبي وفيما تحاذره احزم
اذا ذاع سرك من مخبر فانت اذا لمته الوم
اذا ما ظفرت بسر حدثت فافشته الرجال فمن تلوم
اذا عاتبت من افشى حديثي وسري عنده فانا الملوم

وقال الحكماء ما كتمته من عدوك فلا تطلعن عليه صديقك فانه يكون العداوة من بعد لقرينة تقتضيه من صديق يؤمنك اهم واستغنا في ناصح مسالم ومن صفات السر ان يكون ذا عقل وعي ونصح ومودة فان هذه الامور تمنع من الاذاعة وتوجب حفظه اذا ما تعوض تعلق فيه فهو عنقاء مغرب ولا تودع سرك عند من يستند عنه فانك انا انوه بعده ايز وقال صالح بن عبد القدوس

لا تودع سرك الى طالبه منك فالطالب للسر مضيع

وبالجملة اذا ان السر عن غيرك ذيانه ولا اذاعه مستودعه عليه واراد حفظه فليس ناصح محب واحتمال مرارة الكتمان على قلبه اسهل عليه من التململ بتضييعه من غيره واعلم ان افشاء السر غيره اقبح من افشائه من نفسه لانه لا بد ان يبوء باحدى وصفتين اما الخيانة ان كان مؤتمنا والنميمة ان كان مستخبرا وقال بعض العلماء لا ينبغي لكن حر ... في موضع الحق ضيعا بالاسرار عن جميع الخلق فان الحمد جود المرء لا بعاق في جوده البرواله والبخل بكتمان السر لا ... وقال

الشاعر

الشريعة وتدبير المشهم ويعرف الطائعين والعتبر هو من كل متسلط بعروة انه من كان له فليتعلل بالاثراء والرؤساء المتقدمين عين من كل نمط فهو لا ارمته فيهم تعلم من سواهم فمن كمال الرياسة والسياسة ان تبقي كل ذي رياسة رياسته وعلى كل ذي عز عزته وعلى كل ذي منزلة منزلته ... بكون الرؤساء اعوانا ومن افتن له الفضلاء من كل قبيلة فاخلق ... ان يدوم بها سلطانه والعامة والاتباع دون ... وسادا انتهم احسادا بلا رؤوس وصوا اشباح بلا ارواح وقد قامت العامة على السلطان فيهيجه بعضوا الشيلاح فكان شيخ منهم حذاء جالس على كرسيه يعالج صنعته فقال ما بال الناس فقالوا قامت العامة على السلطان فقال ولهم راس قالوا لا قال سوف الليل يدعهم فذهبت مثلا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الباب الثامن والثلاثون في بيان الخصال الواجبة لدوام الرعية للسلطان

قال حكيم الفرس دوام الرعية للملك من ثلاث وجوه اما كريم فحطه عن قدره فاوثقه نداه عنا واما لئيم بلغ به فوق قدره فاورثه ذلك بطرا بكر او اثار رجل منع حظه من الانتصاب ومن الامتثال احسانه الى الحر بعثه على المكافات واحسانه الى اللئيم الخسيس بعثه على معاودة المسئلة وقيل للاسكندر ان فلانا ينقصك ويسيء بالثناء عليك فقال انا اعلم انه ليس بشرير فينبغي ان يعلم هل اتاه من ناحيتنا امر دعاه الى ذلك فبحث عن حاله فوجدها رثة فامر له بصلة سنية فبلغه انه بسط لسانه بالثناء عليه فقال اما تدرون ان الامر اليكم يقال فيهم خير او شر او ينبغي للسلطان ان لا تحمل الرعية

ما لا يبكرون عليهم بلاء وفتنة ولا كن يتخذهم أهلا وأعوانا يكو
نون له جندا وأعوانا وقد سبق المثل إصلاح الرعية خير من كثرة الجنود

الباب التاسع والثلاثون في
مثل السلطان العادل والجائر

اعلم أرشدك الله أن مثل السلطان العادل والجائر مثل الياقوتة
النفيسة الرفيعة في وسط العقد ومثل الرعية مثال الشذور
فلا تلحظ العيون إلا الواسطة وأول ما يحكمه المعلقون ويفقد النا
ظرون الواسطة وإنما يثني المثنون على الواسطة ثم عقدت سائر
الشذور فلا يذكر إلا الواسطة كما قال سعد لقيت بالحجاز بين مكة و
المدينة سكينة بنت الحسين فمعرت في عز وجهها ووجه ابنتها وإذا
وجه كأنه قطعة قمر وقد تقلدتها بالياقوت والجوهر وأنواع الدرر
والحلي فالتفتت إلى وقالت والله ما علقته عليها إلا لتفضحه
وكما أن جمال السلك إنما هي الواسطة إلا فضل من الشذور وإن كان على
خلاف ذلك كان رث النظم كذلك ينبغي للسلطان أن يكون إلا فرد
بلا قرب إليه أهل العلم والعقل والأدب والرأي والإصابة والشرف وا
لخصال وذوي الكمال من كل قبيلة وإن كان على خلاف ذلك كان نقص في
التدبير وكما أن كمال العقد بواسطته فكذلك الرعية في جمال السلطان
وكذلك جمال الرعية في كمال السلطان وفضله وبراعته وعدله ومثل
السلطان الجائر مثال الشوكة في القدم فصاحبها تحت الألم والقلق وسـ
ويتوجع عنها آناء الجسم ولا يزال صاحبها يروم قلعها ويستعجل نزعها
ليصبح من الألم وإنما قدر على إخراجها لا تؤثر في غير موضعها الصحيح
ويود أن يقلع بلا برء وأين هذا من الياقوتة من شوكة القتاد وروى أبو ان

الزنان

الوفاء أن خاتم داوود النبي عليه السلام وكان عليه منقوش صورة أسد ومن
وسطه صورة داوود وهما يحسانه بالسنتهما لئلا ينسى نعمة
الله عليه

الباب الموفي أربعين فيما يجب
على الرعية إذا جار السلطان

اعلم أرشدك الله أن الزمان وعاء لأهله وإن شر الوعاء الخبيث من أسفله
كما أن رأس الجرة الطيب من أسفلها وأصفى قبل فيت أن الملوك اليوم
ليسوا كمن مضى من الملوك واعلم أن الرعية اليوم لو نظرت في آثار من مضى منهم — في آثار
بها وأمن ينبغي ما أمير أن لا نظرت في آثار من مضى من الخلفاء فإذا جار
السلطان فعليك الصبر وعليه الوزر وروى البخاري عن عبادة بن الصامت
قال بايعنا النبي صلى الله عليه وسلم فكان فيما أخذ علينا أن بايعناه
على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة
علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا عندكم فيه من الله برهان و
ومنه قال ابن مسعود من كره من أميره شيئا فليصبر عليه فإنه من خرج من
السلطان شبرا مات ميتة جاهلية وفي رواية أخرى من فارق الجماعة
شبرا مات ميتة جاهلية ومنه قال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم
إنكم سترون بعدي أثرة وأمورا تنكرونها قالوا فما تأمرنا يا رسول الله
قال أدوا إليهم حقهم واسألوا الله حقكم وروى أبو داود في السنن — سننه
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيأتيكم ركب مبغضون يطلبون منكم
ما لا يجب عليكم فإذا سألوا ذلك فأعطوهم ولا تسبوهم ولتؤدوا إليهم
وهذا حديث عظيم الموقع في هذا الباب أن يدفع ما يطلبونه من
الظلم ولا تنازعوهم فيه وتكفوا ألسنتكم عن سبهم فإن عمل الله لا تجعل بنا هذا

على من ظلمها اي دعاء عليهم ولكن الثقة بالله تعالى بلا محنة هي محنة ابراهيم عليه السلام لما جعل في كفة المنجنيق ليقذفوه به في نار رجعهم قال اللهم انك تعلم ما في بلد وعدا وله قومي لي فانصرني عليهم واكفني كيدهم وقال الله بن خيار وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى اني انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن كان على طاعتي جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة لا تشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن اعتبوا الي انه ان يعطفهم عليكم وفي بعض الكتب ابن آدم تدعوا على من ظلمك ويدعوا عليك من ظلمته فان شئت اجبنا لك واجبنا عليك وان شئت اخرت الكل الى يوم القيامة فيسعكم العفو وقال سليمان بن داود عليهما السلام لا تجعل ملجأك ان عراك المكافات ولكن الثقة بالله تعالى وروى ابو داود وفي السنن قال سرقت ملحفة لعائشة رضي الله عنها فجعلت تدعوا على من اخذها فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تسبخي عنه يعني لا تخففي عنه فنهاها عن الدعاء للعلم كما ترى فاذا قال المظلوم في دعائه اللهم لا توفقه فقد دعا على نفسه وسائر الرعية لانه من قلة توفيقه ولو كان موفقا لما ظلم فان استجيب دعاؤه فيه زاد ظلمه للرعية ومن الفعال المروية عن اهل الامانة قولهم لو كانت لنا دعوة مستجابة ما جعلناها الا في السلطان وروى عن الفضيل انه قال لو كانت لي دعوة ما جعلتها الا في السلطان فوجدت من هلالة وضعت للضيف اطيب الطعام ثم دعوت الصالحين واهل الفضل وانا عهدنا من الاخيار والابرار فاذا فرغوا قلت لهم تعالوا ندعوا ربنا ان يوفق ملوكنا وسلاطيننا علينا ويجعل الله امرنا ولما قتل معاوية الرمية خرج ان عثمان رضي الله عنه فقالت

عائشة

عائشة بنت عثمان يا ابتاها فقال معاوية يا بنت اخي ان الناس اعطونا طاعة واعطيناهم امانا واظهرنا لهم حلما تحته غضب واظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل انسان سيفه وهو يرى مكان انصاره فان نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندري اعلينا تكون ام لنا ولان تكوني ابنة عم امير المؤمنين خير من ان تكوني امرأة من عرض المسلمين ويروى ان رجلا من العقلاء غصبه بعض الولاة ضيعة فاستعدى اليه فاستعدى عليه المنصور فقال له اصلحك الله اذكر لك حاجتي ام اضرب لك مثلا قال بل اضرب مثلا فقال اصلحك الله ان الطفل الصغير اذا نابه امر يكرهه فانما يفزع الى امه اذ لا يعرف غيرها لحضانة منه انه لا ناصر له غيرها فاذا ترعرع واشتد فاوذي كان فراره الى ابيه وشكواه له لعلمه بان اباه اقوى من امه فاذا بلغ وصار رجلا وحزبه امر شكى الى الوالي لعلمه بانه اقوى من ابيه فان زاد عقله واشتدت شكايته تشكى الى السلطان لعلمه بانه اقوى ممن سواه فان لم ينصفه السلطان شكى امره الى الله تعالى لعلمه بانه اقوى من السلطان وقد نزلت بي نازلة وليس فوقك احد اقوى منك فان انصفتني والا رفعت امري الى الله في الموسم فاني متوجه الى بيته وحرمه فقال له بل ننصفك وامر ان يكتب الى واليه ويرد اليه ضيعته

الباب الحادي والخمسون في
كما تكونون يولى عليكم

لم ازل اسمع الناس يقولون اعمالكم عمالكم كما تكونوا يولى عليكم الى ان ظفرت بهذا المعنى في القرآن قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكان يقال ما انكرت من زمانك فانما افسده عليك عملك

وقال عمر لعماله بزمروا انصحونا يا معشر الرعية ترده وزمنا
تسيرة ابي بكر وعمر ولا تسيروا فينا لابي انفسكم بسيرتهما فتفعل الله ان
ببركته على كل وقال الفضل ان فلانا من ابتلاه بالسلطان انه في السماء
وفي الارض فكيف تعرف رضا من سخطه ما وحي الله تعالى الى بعض انبيائه
بهم اذا استعملت عليكم خياركم فقد رضيت عنكم واذا استعملت
عليكم شراركم فقد سخطت عليكم وقال عيسى انسيا اني لعلي
ابن ابي طالب رضي الله عنه ما بال ابي بكر وعمر انطاع الناس لهما والدنيا
عليهما اضيق من شبر فاتسعت عليهما ووليت انت وعثمان الخلافة فلم
ينطاعوا لكما وقد اتسعت عليكما اضيق من شبر فقال لان رعية ابي بكر وعمر كانوا
مثلي ومثل عثمان وانا رعيتي اليوم مثلك وشبهك وكتب رجل الى محمد بن يوسف
يشكو اجور العمال فكتب اليه محمد بن يوسف بلغني كتابك تذكر ما انتم
فيه وليس ينبغي لمن يعمل المعصية ان ينكر العقوبة وما ارى ما انتم فيه
الا من شؤم الذنوب والسلام

الباب الثالث والاربعون في بيان
الخصلة التي بها تصلح الرعية

اعلم ايها الملك ان ازاح عن خصال السلطان الى صلاح الرعية واقوالها
في تمسكهم بآدابهم وحفظهم لمروءاتهم صلاح السلطان بنفسه
وتنزهه عن مشيئات الاخلاق وبعده عن مواضع الريب وترفيعه نفسه
عن استصحاب اهل البطالة والمجون واللهو واللعب واما علاقات الفسوق و
قد كانت محبة الاميرين لذلك الرجل الخليع والبشر الماجن الرفيع لدى
نواميس الشارع وصمة مخزية عليه او يهز بها سلطانه ووضع عند ال

العلم

١١٦

العلم والمشاهير فيهم واهل الالسنة المطلوبة منهم والقاضي الفهيم على نفسه
مخلعه ابو الدلف وقلة العامة بها لولا بذ وجهه كما جرى للحسين بن محمد بن عبد
يعقوب ادوى جارية حتى قتله وانفذ راسه الى المأمون وكان يحمل كتبا تغري
على بيتا بن خراسان ويقف الرجل فيه اسعل الغرام فيقولون اهل مصر وعيب
ان من يقول الشيخ ابا نواس رجلا فتى عزا ملحدا كافرا واستحضر
معه التي في الخمر وهذه الكتب اعتقادهم وفضل المحارم وهو القائل

الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر
وبح باسم من تهوى ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر

حتى تحوز عليه تعويل الخلق وتنشر اليه وجوه الوري فعظا بلغ الاميني
حيث تشير لطافة تعيرا اخذ عليه عهدا ان لا يشرب خمرا ولا يقول الشعر فيها
اراد السلطان اصلاح رعيته وهو متعاد على قبيح الخلافة كان كمن اراد تعادة
الجسد مع فقد الاسد او اراد الجسم واستقامته مع عدم هيئاته وتعذر اراد
تقويم الظل مع اعوجاج الشخص وكيف يحصل التقويم مع فساد العلة والغذاء
اصل الغليل فولا اصلح الملك نفسه تكون الناس بعاله وقد قيل انه
قد فاز من اصلح نفسه ارغم انف عاديه ومن اعمل جده بلغ كنه امانيه وقيل
بعض الحكماء بمن يبتغي ان تساس امور عدوه فقال بما صلاح نفسه ولا بد له
الفتح البستي

اذا اغرا ملك ما باللهو مشتغلا فاحكم على ملكه بالويل والحرب
الم تر الشمس في الميزان هابطة لما غدت وهي برج اللهو واللعب

وصحبة الاشرار تورث الشكوك لمن حقت الامرة عن الشر صحبت شتا واذا امر
على الخير حملت كيما حال اصلاح رعيته وانت ما تحدوا ارشادهم وان

اللهو والطرب

وانت عار ووجهه ابيض وانت ظالم وقد مسه القتل ومن العجائب اعمش كحال وتقول العرب يا طبيب طب لنفسك وطبيب يداوي الناس وهو عليل والعقيم على اولاد غيره وانه يدل على ان يعين بعضها من يصحح غيره من العيوب قبل ان يصحح نفسه كبعير الطبيب [illegible] وقال بعض الحكماء الفعل

لا تحضر بين لم يصلح الله رجل في اصلاح رجل واحد نفسه [illegible] القول وان احسن الفعل ما يبلغ رجل واحد في اصلاح الف رجل بالقول [illegible] بالفعل دون القول

وفيه يقول ابو الاسود الدؤلي [illegible]

يا ايها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام من الضنى ... ومن الضنى فيه وانت سقيم

ما زلت تلقح بالرشاد عقولنا ... صفة وانت من الرشاد عديم

فابدا بنفسك فانهها عن غيها ... فاذا انتهت عنه فانت حكيم

فهناك تقبل ان وعظت ويقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم

لا تنه عن خلق وتاتي مثله ... عار عليك اذا فعلت عظيم

والكل اقوى الاسباب في صلاحهم عند بوت صلاحه [illegible] الخلاصة منهم منزلة والاخلاق الراجحة والمروات الغالبة ولا [illegible] بان الظاهر في معنى دانت لعامة [illegible] وهو العروة التي جعلت ادياتهم ومزاقهم [illegible] عن الاذهان [illegible] المحظورات وملابسة المحرمات وقد قال الشاعر

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وقال هرمز الفارسي خصلتان في السلطان اقرب الى صلاح الرعية من غيرهما ثقة الراي وشدة الرافة والرحمة وما احق السلطان ان يسعد بالرعية كل ملك يصغون عليه [illegible] يكون [illegible]

وامي

وامير القضاة والامراء وان اهملهم في ركوب شهواتهم وترك [illegible] ذهبت [illegible] وتهتكت مروءاتهم وبقوا كما جاء المثل في الجهل [illegible] تقول العرب في القوم لا [illegible] ولا سراة معهم [illegible] كالشمس [illegible] وبقولون [illegible] وبسهم [illegible] [illegible] ولان تكون اهل القضاة والمرد [illegible] من ان تكون امير اهل الزمانة والغوغاء والزبان [illegible] عبد الملك بن مروان يوما وقدا [illegible] من بعده [illegible] عبد الرحمن [illegible] بعض [illegible] [illegible] ونضرب عنقه [illegible] عبد الملك [illegible] [illegible] الى [illegible] فقال له عبد الله بن [illegible] في قتل [illegible] اعجب [illegible] وقال [illegible] الرعية [illegible] على [illegible] [illegible] فقال له [illegible] لقومك [illegible] مراتبهم [illegible] مراتبها [illegible] صدورها ورعوتك [illegible] وامورها [illegible] وانت اعلم بهم [illegible] المملكة وقواعدها ان [illegible] ويبقى على [illegible] عز عزته وينزل [illegible] منزلته [illegible] التي هي [illegible] الضغائن والاحقاد

الباب الثالث والاربعون في [illegible]

في تملك السلطان من الرعية

كتب أرسطاطاليس إلى الإسكندر: املك الرعية بالإحسان تظفر منهم
بالمحبة فإن طلبك منها بالإحسان هو أدوم بقاء منه بالاعتساف واعلم
أنك إنما تملك الأبدان فتخط لها إلى القلوب بالمعروف. واعلم أنه إذا عدل
السلطان ملك قلوب الرعية وإذا جار لم يملك منهم إلا الرياء والتصنع
وفي سير العجم قلوب الرعية خزائن ملوكها فما أودعوها من شيء
فليعلموا أنه فيها. وقالوا على الرعية إذا قدرت أن تقول فقد قدرت أن تفعل فا
جهد أن لا تقول تسلم من أن تفعل. ومن هذا الباب ما روي عن معاوية أن رجلا
أغلظ له فحلم عنه فقيل له أتحلم عن مثل هذا فقال إني لا أحول بين الناس
وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا وهذا أن نعيش فقولهما
حتى لا تقول يعني إذا أعزلت لم تتكلموا بشيء. وهذه السيرة أحسن من
سيرة أردشير لما وقع إليه أن جماعة من بطانته قد فسدت نياتهم فوقع
في معاتبتهم إنما نملك الأجساد لا النيات ونحكم بالعدل لا بالرضى و
نفحص عن الأعمال لا عن السرائر. قلت وإنما يتبع هذه السيرة
من عجز عن الأول لأن ملك الأجساد قد يكون بالقهر والأول من هذا من قوله و
وقد روي أنه كتب بلاد ... عنه فيئة قليلة ونقد حال في يوم أعيا الرجال
عداء بما وقع ... أمر أعداؤه وما أحسن ما قال عبد الملك
ابن مروان يا أهل الشام إنما أنا لكم كالظليم الرائح على فراخه ينفي عنهم
القذر ويباعد عنهم الحجر ويكنهم من المطر ويحميهم من الضباب
ويحرسهم من الذئاب يا أهل الشام أنتم الجنة والرداء وأنتم العدة
والحذاء. وقالت العجم أسوس الملوك من قاد أبدان الرعية إلى طاعته

بقلوبها

بقلوبها ولا ينبغي للوالي أن يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة
كرها ولكن في التي يستحقها بحسن الأثر وصواب التدبير. وقال عمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه إني لا أجمع أن أخرج للناس أمرا من العدل وأخاف
ألا تحتمله قلوبهم فأخرج معه طمعا من طمع الدنيا فإن نفرت القلوب
من هذا سكنت إلى هذا. وقال معاوية لزياد من أسوس الناس أنا أو أنت
فقال يا أمير المؤمنين ما جعل الله رجلا حفظه الناس بسيفه تعزو ويسع
الناس بعدله وأكلافه بالبين. فقال سليمان بن ... تجري في حديثه عند
معاوية فيا ... عنها أكثر منه بلسانه وال...
والحمد لله على ذلك كثيرا كما هو أهله

الباب الرابع والأربعون
في التحذير من صحبة السلطان

اتفقت عقلاء العرب والعجم وحكماؤهم وأطباؤهم على النهي
عن صحبة السلطان. وفي كتاب دمنة وكليلة ثلاثة لا يسلم منهن
إلا القليل صحبة السلطان وائتمان النساء على الأسرار وشرب السم على
التجربة. وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر وأعظم منه خطرا صحبة
السلطان فإنه من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس شعار الغدر. وفي حكم
الهند إنما صحبة السلطان على ما فيها على ما فيها من العز والثروة
عظيمة الخطر وإنما تشبه بالجبل الوعر فيه الثمار الطيبة والسباع
العادية فالصعود إليه شديد والمقام فيه أشد ... والمقام
فيه أشد وليس يتكافى خير السلطان بشره لأن خير السلطان لا يعدو مزيد الحال
وشر السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفس التي بها طلب المزيد ولا خير

بالشيء والذي في سلامته مال رجاله وفي نكبته الجائحة والتلف وقد قيل
لبعضهم لم لا تصحب السلطان على ما فيه من الأدب فقال لأن الله يعطي عقلي
ذلك الأدب في غير شيء ويوقع بالضرر في غير شيء ولا أدري أي الرجلين أكون واخبرني
أبو العباس بن الحجازي وكان تفقه في أرض الصين وانتهى إلى حد الصين أن جبل
الياقوت بأرضهم وفيه ثعابين عظيمة ليس في معمور الأرض أعظم منها وأن
الواحد منها يبتلع الثور صحيحا فلا يصل أحد إلى ذلك الجبل ولا يقرب به فإذا
كثرت الأمطار أخذت السيول منه الحصى وما يرها فيه من المعادن إلى سفح
مستقر المياه على مسيرة أيام فيبعث الأمير لذلك الحصى فيخرج فيه الجواهر
بعد الجواهر من أحجار الياقوت وقال معاوية لرجل من قريش إياكم
وصحبة السلطان فإنه يغضب غضب الصبي ويرضى رضى الصبي ويبطش
بطشة الأسد وقال المأمون لو كنت رجلا من العامة ما صحبت السلطان
وقال الأحنف بن قيس ثلاثة لا أقربهن أن يبعثني بغير الخطب حسبي إلا أن
أحضر به ولا أدخل بين اثنين حتى يدخلاني فيه ولا آتي سلطانا إلا أن يرسل إلي.
وقال ابن المقفع لابنه إن وجدت من أمر السلطان وصحبته غنى فأغن عنه بعيدا
بنفسك واعتزله جهدك فإنه من يأخذه السلطان بحقه يحل بينه وبين لذات
الدنيا ولا بأمان لا يأخذه بحقه يكسبه الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة
وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز يا ميمون احفظ عني أربعا ميمون
لا تصحب السلطان وإن أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامرأة
وإن أقرأتها القرآن ولا تصلن من قطع رحمه فإنه لك أقطع ولا تتكلم اليوم كلاما
تعتذر منه غدا وفي منثور الحكمة كثرة الاشتغال مذهلة عن وجوه الرأي إن
يكثرها وكم رأينا وبلغنا من صحب السلطان بنصحه فيكسده هو به وكما قال

الأول

الأول [illegible]
وأي البيت إلى البيت سرعة والعجز بوضع الرداء فيحمد
وقال من صحب السلطان بنصحه مثل من ذهب ليغرف ماء [illegible] عنه
عليه نعمة فخرا يعابه عليه فأهلكه وفي كتاب كليلة ودمنة لا
يصحب من أبناء صحبة الملوك فإنهم لا عهد لهم ولا وفاء ولا قريب ولا حميم
ولا يكرمون أحدا إلا أن يطمعوا فيما عنده فيقربونه عند ذلك فإذا قضوا
حاجتهم تركوه ولا ود ولا إخاء إلا العلة والذنب لا يغفرونه ينتهي
وقال ابن جعفر لا تصلح صحبة السلطان إلا بالطاعة والبنان ولا
مواخاة الإخوان إلا بالأمن والمواساة وقال بعض الحكماء إن العرب [illegible]
الأول السلطان بعينه أن لكل امرئ رجل له عقل كامل وقالت الحكماء
صاحب السلطان كراكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه أخوف وقالوا
من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم الغيظ واطرح الأذى كالكريم الذي
لا يتعلق بأكرم الشيم [illegible] وكانت العرب تقول الملوك
فرسان الملك فتكون [illegible] منهم مثل الصبيان
في المكتب [illegible] تقول السلطان [illegible]
وذو [illegible] الأمور
وأصله من [illegible] وهو [illegible]

الباب الخامس والأربعون
في صحبة السلطان

قال ابن عباس رضي الله عنهما قال لي أبي يا بني أرى أمير المؤمنين
يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الأكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

وإياك أو صحبة غدار ثلاثة لا يعيش له سر ولا يجري عليه كذب ولا يغتاب
لأحد عنده قال الشعبي لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف قال بل والله
خير من عشرة آلاف وقالوا صحبة السلطان بلا عذر والصاحب بلا تواضع ودعوى
بلا تحصيل ونعامة بلا بشرى ولا يحكم لأحد محسن لأن الملك إنما يحسن أثره وقال
بعض الحكماء لا تستطع السلطان بما كتمك ولا تفش ما أطلعك عليه فإن من
أدل على السلطان استثقله ومن نشق عليه عاداه ومن أكثر عليه استثقله
عداله وقال بعض الحكماء إذا زادك السلطان تأنيسا فزده إجلالا لا إباء
إذا جعلك السلطان أخا فاجعله أبا وإن زادك فزده يعني الهيبة مع عمره
وإن تثبت بالدخول على السلطان مع الناس فأخرج به الثناء وعليك ما لا يعاء
وإن نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملوك ولا تكثر في الدعاء له
عند كل كلمة فإن ذلك شبيه بالوحشة والغربة إلا أن يكلمه على رؤوس الناس
فلا تألوا ما عظمته ووقرته وقال ابن المقفع لتكن حاجتك إلى السلطان
ثلاث خصال رضى ربك ورضى سلطانك ورضى من في عمله ولا عليك
أن تلهوا عن المال والذكر فسيأتيك منهما ما يكفيك ويطيب به عيشك
وقال مسلم بن عمرو لمن خدم السلطان لا تغتر بالسلطان إذا أدناك ولا تتغير
له إذا أقصاك وروي أن بعض الملوك استصحب حكيما فقال له أصحبك على ثلاث
خلال قال وما هن قال لا تهتك لي سترا ولا تشتم لي عرضا ولا تقبل في قول
قائل حتى تستشيرني قال هذا لك فما لي عندك قال لا أفشي لك سرا ولا
أدخر عنك نصيحة ولا أوثر عليك أحدا فقال نعم الصاحب المستصحب أنت وقيل
لعبد الله بن جعفر ما الحرق فقال الدالة على السلطان والوثبة قبل الإمكان
وقال ابن المقفع أولى الناس بالهلكة الماهنة المقدم على السلطان بالدالة

خلال

وقال يحيى

١٢٠

وقال يحيى بن خالد الدالة تفسد الحرمة القديمة وتضر بالمحبة المتأكدة
وقال ابن جعفر إذا خدمت سلطانا من الملوك فلا تكثرن في معصية فالقليل
فإن العصاة له إنما يكون من عدم إحسان الملك وليعلم عبيدا غلظ من يفاعم أصحب الملك
بالهيبة له فصر وانوقار لأنهم إنما احتجبوا عن الناس للقيام بالهيبة فلا تكثر له
الهيبة وإن كان لك تعلق بهم فيوحشهم ذلك ولا تعطه إلا ما يحبونه له
كله في أول صحبتك فلا تجد موضعا للمزيد ولكن دع للمزيد موضعا عليه
السلطان كلما تعطل منه وأثر عليه كأنك تستقبله إذا أصله السلطان
من نعمته بحيث يسمع منك ويبقى بعد فإياك وأن يحول بينه وبين كلامه بأنه
لا تجد منى تقع عليه فيكونون عونا عليه وإياك أن تعادي من الأصاحب
ثيابه وداخل مع الملك في ثيابه بغل ومن الأمثال الفرصة تمر مر السحاب
وعند ذلك قيل
أما بنوك فلم تقبل شفاعتهم وشفعوا بك هنوا من بنو ما شا
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا
وقال الرشيد لا سعد على بن صبيح إياك والدالة فإنها تفسد الحرمة قال ونعمان
ابن أدهم عليهما السلام لا تعتر بالسلطان ولا تعر عنك وقال بعض الحكماء
شدة الانقباض من السلطان تورث التهمة وسهولة الانبساط تفتح باب الملالة
واعلم أن من طلب العز بلا ذل كان قوله تعيبه الذل الجد منزلته عند السلطان
نعقل ما ذكرته بها بد من الجد والعنا صحبة واحذر أن يحطك التهاون عن دار
وفاء البدء التعطف الشفى الناس السلطان صاحب كما أن أقرب الأشياء إلى النار
أسرعها احتراقا ومن لازم باب السلطان بصبر جميل وكظم الغيظ واطرح الأنفة
وصل إلى حاجته وقال بعضهم من قبلهم لا تنقبضوا عن السلطان ولا تثقلوا

عليه فإن أشرف أحوال السلطان ودولته من تضرع إليه بفضله وقال ابن عبا
عباس رضي الله عنه ثلاثة من عادتهم عادة عز عنده لذا السلطان والوالد
والغريم. واعلم أنه إنما يستطيع صحبة السلطان أحد رجلين إما فاجر
مصانع فينال حاجته بفضوله وبجوره ويسلم بمصانعته وإما مغفل مهين
لا يحسده أحد فأما من أراد أن يصحب السلطان بالصدق والنصيحة والعفا
ف وقل ما يستقيم له صحبته لأنه يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه بالـ
عداوة والحسد؛ وأما الصديق فينافسه في منزلته وأما العدو فيضطغن
عليه لنصيحته له فإذا اجتمع عليه هذان الصنفان كان معرضا للهلاك
وقال بعض الحكماء من قارب السلطان في عزلته فيا شاركهم في ذلك الأ
خر لا يوحشنك من السلطان إكرام الأشرار فإن ذلك للضرورة إليهم كما
يحضر أهل الحجام فيشرطه فإذا يخرج دمه وبه الأمثال لا حاجة له بعد
له وكان ابن عمر إذا سافر استصحب معه رجلا فيه مالا بل يستدفع به شر
السفهاء وأهل الدعارة والبذاءة. وقال المعتصم إن صحبة السلطان يسير
لمن فيها الرضى عمن استوجب السخط والسخط عمن استوجب الرضى
ومنه قول الحكيم يا كرم راكب البحر وأعظم منه خطرا من صحب السلطان
وقال ابن المقفع لا بد لا تقرب سلطان فتنه شيئا إلا غلا فيه غلطا
في ريح العزة يسكب به غير بالسرور لا بحظه وقال بعض أحد حكماء العرب
أربعة أشياء ينبغي أن يقتصر منها كما يقتصر المتلبد ولا يتكل فيها على ذلك به
أحد. تناول اليسير وإصلاح الأدوية وصحبة الطريق المخوف والرأي على
السلطان. واعلم أن السلطان إذا قطع منه الأمر فنسي الأول فإن رحامهم
مقطوعة وأحبابهم مصرومة إلا من رضوا عنه وقربهم ومقتهم إذا رأيت

من المداهنة لا ينبغي ولا فكان له عن ردها فإنها رياضة صعبة لكن له
أحسن مما عوده على الإحسان وأبدى فإذا استحكمت منه فما جئت من الصواب
فإن ذلك الصواب هو الذي يصرع الخطايا الصعبة أكثر من تنبيه له والعدل
من حكمته فإن الصواب يتبع بعضه بعضا فإذا تمكن فيقلع الخطأ ولا
تطلب ما قبل الولاة بالصدقة ولا مشبكة وارابطة ولكن اطلب ما
قبله فإنه لا يشتغل ولا يتشتت فإنه إذا استقف فيه أنا لا من ... وا
ولده أمير المؤمنين كان أعجل الله وقال يحيى بن خالد لبعض إخوانه تكرم
هارون الرشيد فقال أرضى بقليله من كثيره وإياك أن تسخطه فيكون سخطه منه
وقال يحيى بن خالد إذا صحبت السلطان فداره مداراة المرأة العاقلة
القبيحة المتزوج الأحمق المبغض.

الباب السادس والأربعون في
سيرة السلطان مع الجند

اعلم أن الجند عدة الملوك وحصونه ومعاقله وأوتاده وهم حماة البيضة
والذابون عن الحرمة والدافعون عن العورة وهم حصن الثغور وخزائن الأبواب
والعدة للحوادث وأمراء المسلمين والجنة التي يتقى بها العدو والسهم الذي يرمى
به والسلاح الذي يدفع به العدو فيهم يحمى عن ثغورهم وتؤمن السبل وتسد الثغور
وهم عز الأرض وحماة الثغور والذابة عن الحريم والشوكة على العدو وعلى الجند
الجد عند اللقاء والصبر عند البلاء فإن كانت لهم الغلبة فليمنعوا الكلب
وإن تكن عليهم فليقصروا الحرب وليجمعوا أسنتهم وليذكروا أخبار عدوهم
وينبغي للملك أن يتفقد جنوده تفقد صاحب البستان بستانه ويقلع العشب
الذي لا ينفعه ومن الحشيش ما لا ينفع ومع ذلك يضر بالنبات المنافع فهو با

لقلع اجور ولا يستصلح الجند الا بادرار ارزاقهم وسد خلاتهم وا
والتكايات لهم عن قدر عنائهم وبلائهم وجفوة الملك وعدوها وقيل على نحو
دار المملكة ونحوها وقال ابرويز لا تنه سيروا به لا توسعن على جندك فيستغنوا عنك
ولا تضيق عليهم فيضجوا منك واعطهم عطاء قصدا وامنعهم منعا جميلا ووسع
عليهم في الرجاء ولا توسع عليهم في العطاء ولما افضى الامر الى ابي جعفر المنصور
انفذ جيشا وقال لقوادة ... بقول هذا المثل فقال صدق الاعرابي اجع
كلبك يتبعك فقال ابو العباس الطوسي فقال يا امير المؤمنين اخشى ان يلوح
له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك ويروى ان بعض امراء العرب كان يظلم رعيته
فشكوا به الى ذي يمن في امواله وعوتب في ذلك فقال اجع كلبك يتبعك فتبع اجمعوا
عليه فقتلوه فمر به بعض الحكماء فقال انما اكل الكلب صاحبه اذ لم يشبعه
فسعه وفي نقيض هذا المعنى قالوا سمن كلبك يا كلك وذلك ان رجلا كان له كلب
يسقيه اللبن ويطعمه اللحم يرجوا ان يصيب به خيرا فيحرسه ويصيد به فجاءه
ذات يوم وهو جائع فوثب عليه فقتله واكله فقيل سمن كلبك يا كلك وا
وانشروا هم سمنوا الكلب ليأكل بعضهم ولو اخذوا بالحزم ما سمنوا الكلب
ويروى ان كسرى صنع طعاما في مملكته له فلما فرغوا ورفعت الالات
وفعت عينه على رجل من الصحابة قد اخذ جاما له قيمة كبيرة فسكت عنه و
وجعل الخدم يرفعون الالات فلم يجدوا الجام فسمعهم كسرى يتكلمون فقال
ما لكم قالوا فقدنا جاما من الجامات فقال لا عليكم اخذه من لا يرده وراه
من لا يفضحه فلما كان بعد ايام دخل الرجل على كسرى وعليه حلة جميلة و
وحالة مستبشرة فقال له كسرى هذا من ذاك فقال له نعم ولم يقل له شيئا وقيل
عمر بن معاد وكان من الصحابة من قدم على خبر من الحجة بعده وكان يغزوا

في كل حين

في كل سنة ويجد الجيوش الى بلاد الروم فقال لسمانه الظلم والقوية
وكثرة الكعد

الباب السابع والاربعون في سيرة
السلطان في استجباية الخراج من كل احد وانه زوال السلطان

اعلم ايها الملك ان المال قوة السلطان وعمارة المملكة ولقاحه الامن
ونتاجه العدل وما دة الملك والمال قوى الغذاء وبقوة الملك وحياة
الارض ومن حقه ان يوخذ من حق ويوضع في حق ويمنع من سرف ولا يوخذ من
الرعية الا ما فضل من معاشها ومصالحها ثم ينفق ذلك في الوجوه التي يعود
عليها نفعها يا ايها الملك الحرص الحرص على عمارة الارض والنسل لان
الملك موجبات الاموال بالرفق وبمجانبة الخرق فان العنف تنال منه الاموال
بغراه ولا سماع صوته ما لا تناله المعرضة بطبعها ويمونها ونظرا
عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر استعمل عليها ابن ابي سرح فحمل من المال الكثير
فما كان يحمله عمرو فقال عثمان يا عمرو اشعرت ان اللقاح درت بعدك فقال
عمرو انه لا ... انكم اعجفتم اولادها وقال زياد احسنوا الى الزراع فانكم لن
تزالوا سمانا ما سمنوا وفي منثور الحكم من جار في العمل خلت القرى وفي
الامثال لا تستقصي العجل من ضرع امه فيضعف وقال جعفر بن يحيى الخراج عمود
المملكة وما استعزر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الظلم والجور وا اسرع
الامور في خراب البلاد وتعطيل الارضين مثل من يقطع لحمه ويأكله من الجوع
فهو وان قوي من ناحيته ضعف من ناحية وما ادخل على نفسه من الوجع والضعف
اعظم مما دفع عن نفسه من الم الجوع ومثل من كلف الرعية من الخراج فوق
طاقتها كالذي يطين سطح بيته بتراب اساس بيته ومن يقع من جرده العود

يوشك أن يضعف فينقطع الخيمة وإذا ضعف الزارعون عجزوا عن عمارة الأرضين
فيتخرب الأرض ويهرب الزراع فتضعف العمارة ويضعف الخراج وينتج ذلك ضعف
الأجناد وإذا ضعف الجند طمع الأعداء في السلطان ويروى أن المامون أرّق
ذات ليلة فاستدعى سميرا يحدثه فحدثه فقال يا أمير المؤمنين كان بالبصرة
بومة وبالموصل بومة فخطبت بومة الموصل إلى بومة البصرة بنتها لابنها فقالت
لها بومة البصرة لا أفعل إلا أن تجعلي في صداقها مائة ضيعة خرابا
فقالت بومة الموصل لا أقدر عليها ولكن إن دام والينا سنة واحدة فعلت
ذلك أيها الملك كن بما يبقى في أيدي الرعية أفرح منك بما يؤخذ
منها فلا بقاء مع الصلاح شيء ولا يبقى مع الفساد شيء وصيانة القليل خير
من تضييع الجليل وإنما مالا يعرف ولا عيلة تصلح قال فاستيقظ لها المامون و
وجلس للمظالم وأنصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمر الولاة وسمعت
شيوخ الأندلس يقولون ما زال أهل الإسلام ظاهرين على عدوهم وأمر العدو
في ضعف وانتقاص لما كانت الأرض مقطعة في أيدي الأجناد فكانوا
يستغلونها ويرفقون بالفلاحين ويربونهم كما يربي التاجر تجارته فكانت الأرض
الأرض عامرة والأموال وافرة والأجناد متوافرون والسلاح فوق ما يحتاج إليه
إلى أن كان الأمر في آخر أيام ابن أبي عامر فرد عطايا الجند مشاهرة بقبض الأموال
على القطع وقدم على الأرض جباة يجبونها فأكلوا الرعايا واجتاحوا أموالهم
واستضعفوهم فتهاربت الرعايا وضعفوا عن العمارة فقلت الجبايات المرتفعة
إلى السلطان وضعفت الأجناد وقوي العدو على بلاد المسلمين حتى أخذ الكثير
منها ولم يزل أمر المسلمين في نقص وأمر العدو في ظهور إلى أن دخلها المتلثمون
فردوا الإقطاع كما كان في الزمان القديم ولا أدري ما يكون بعد ذلك والسلام

الباب الثامن والاربعون

الباب الثامن والاربعون في سيرة السلطان في بيت المال

وهذا باب تسلط فيه ملوك الطوائف والعجم والصين والسند وبعض
ملوك الروم خلاف سيرة الأنبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين من كان
الملوك تدخر الأموال وتحتجبها عن الرعية وتعدها ليوم كريهة على
ما نبينا في الباب قبله وكانت الرسل والخلفاء بعدهم تنفق الأموال ولا تدخرها
وتضعها في الرجال وتوسع عليهم فكانت الرعايا هم الأجناد والحماة
وهذه سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد علمت أنه جمع أكثر من نصفه
واندملت وتوفي ودرعه مرهونة عند يهودي على صاع من شعير ... وكذلك الخلفاء الراشدون
من بعده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابنه الحسن وعمر بن عبد العزيز رضي الله
عنهم أجمعين وكان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح الله عليه اليمن كانت تجبى
له الأموال فيفرقها ليومها وقد توضع في المسجد ويعرف الإقطاع عليها
ويفرقها من الغد ولم يكن له بيت مال وقد روى أبو داود في السنن أن النبي صلى
الله عليه وسلم صلى العشاء الآخرة ثم دخل حجرته وخرج مسرعا وبيده
خريطة فيها ذهب فقسمها ثم قال ما ظن آل محمد لو لقي الله وهذه
عنده ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا للخلفاء الراشدين من
بعده وإنما كانت الخلفاء تقسم الأموال التي تجبى من حينها بين
المسلمين وربما كان يفضل منها فضلا فيجعل في بيت ويكون للذي يعنى
عنه في ذلك اليوم فيجعل في بيت بعض حجر المسلمين من غاب أو احتاج
من حاضر فيقسم له حظه ثم يعود حتى لا يبقى منه درهم كما روي أن أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب رضي الله عنه أشرف على بيت فيه المال فقال يا بيضاء يا صفراء

بينا

ابيض واحمر وغيره غيره ثم امر فقسم ما فيه بين المسلمين وامر فبني به
الكنيسة ورممه ثم دخل وصلى فيه ثم لا كنز من الملوك فسار وابد الاموال على مثل ذلك
الشيخ من ملوك الاسلام وملوك الروم ومعظم ما اهلك البديه بلاد الاندلس وسلط
عليهم الروم ان الروم التي كانت تجاورها لم تكن لهم بيوت الاموال وكانوا انما
هم وزن الجزية من سلاطين الاندلس ثم يدخلون الكنيسة فيقسمها سلطانهم
على رجاله بالكاس ويأخذ مثل ما يأخذون وقد لا يأخذ منه شيئا وانما كانوا
يصطنعون بها الرجال وكانت سلاطينها تجمع الاموال ويضيعون الرجال
فكان للروم بيوت رجال وللمسلمين بيوت اموال فبهذه الحيلة قهرونا
وظهروا علينا وكان من مذهب هذا المذهب ولا يدخرون المال تضرب بهم
الامثال وتقول عجم الملك بيت المال وهو يقوم جنوده فاذا ضعف احدهما
قوي الاخر فاذا ضعف بيت المال يتخوله للجمالة قوم الناس واشتد باس
الجند فقوي الملك واذا قوي بيت المال واشتد الاموال قال الناس وضعف
الجمالة بضعفه الملك ووثب عليه الاعداء وقد شاهدت ذلك في بعض بلاد
الاندلس مشاهدة واذا كان الملك مانع الرجال الا الاموال فانما يدافع
بالاموال بواسطة الرجال فلا تعد اربيت رجال احسن من بيت مال وقد
قال بعض الملوك لابنه يا بني لا تجمع المال لتقوى به على الاعداء فان في جمعها
تقوية الاعداء بعينه اذا جمعت الاموال ضيعت الرجال فيصبح بيد الصديق
وفي عين العدو وانما مثل الملك في مملكته مثل الرجل له بستان فيه
عين معينة فان هو قام على البستان واحسن تدبيرها وحفر من ارضها وغرس
اشجارها وحفر على جوانبها ثم ارسل عليها الماء فاخضر عودها وقويت
اشجارها وابنعت ثمارها وزكت بركاتها فكان جميع ذلك امان من الضيعة

لا يخافون

لا يخافون فقرا او ابستانا او ازهد ورغب في غلتها وجناها وانفق فيها ما
لا يخافون فقرا يكفيها ولا سابق اليها من الماء ما يروي بها رغبة في الغلة و
وضنت بالماء ضعفت عماراتها ورقت اشجارها وقلت ثمارها وذهبت غلتها
ومحق الله ما جنى من غلتها اما فقر القوم وهلكوا وتشتتوا ومثل الملك
في جمع المال فيتقوى به على عدوه مثل كارب بيته ربيبته ويحمل اصولها وياكل
ما نعم فلذ له طيبها او بجيه خصب جسمه على ذلك وقوته على عدوه فلم
يزل كذلك حتى خرب بيته وسقط الى الارض فاكلته الهوام والحشرات
ورايت في الاخبار بعض الملوك ان وزيرا له اشار اليه بجمع الاموال واقتناء
الكنوز وقال ان الرجال وان تفرقوا عنك اليوم فمتى احتجتهم عرضت عد
عليهم الاموال جئتها اقبلوا عليك فقال له الملك هل لهذا من شاهد قال
نعم قال هل تحضر بالساعة ذبابا قال لا قال فاني احضر جفنة فيها عسل
محضرت فتما في عليها الذباب لوقتها فاستشار السلطان بعض
اصحابه فيها قال عزه لذا وقال لا تغر قلوب الرجال فليس كل وقت اردتهم
يحضرون فقال هل تقدر على ذلك فقال نعم اذا امسينا ساعة طلبنا الكلم البل
قال الملك هات الجفنة بحضرته فلم يحضر منه ذبابة واحدة وقد روينا عن بيع
بعض السلاطين في ارض مصر وكان قد ملكها وكان السمة قليلا فوقا انه كان
يجمع المال ولا يحتفل بالرجال فقال له اصحابه ان امر الجيوش بالشام قد غرك
وكانه قدم عليك فاستعر الرجال وانفق عليهم الاموال فاومال اليه صلاح يوم
صوعنه عنده وقال الرجال في الصلاح يومين فغزا امير الجيوش ترك له الملك في مصر
وقتله ولم تنفعه الصلاح يوم الملك وكان رائده الحرمان لا رجال يجمع
لوقته ويفهم عند حاجته الذين يكونون خيرا بجمعهم والثروة ملقيس

ليس عندهم غنى ولا عندهم دفاع ولا وفاء ولا يعمل رسنة للمحروم ومن ذلك
السنن الم ويشبه هذا الباب انه لما افتتحت العراق جيء بالمال الى عمر رضي الله
عنه فقال صاحب بيت المال ادخله بيت المال فقال عمر لا ورب الكعبة لا يأوي
تحت سقف بيت حتى تقسمه فغطي بالحصير والانطاع وحرسه رجال من
المهاجرين والانصار فلما اصبح نظر الى الذهب والفضة والياقوت والزبرجد
فبكا لذلك فقال له العباس وعبد الرحمن يا امير المؤمنين ما هذا اليوم بكاء
ولكنه يوم شكر وسرور فقال اني والله ما ذهبت حيث ذهبتما ولكنه
ما كثر هذا في قوم الا وقع باسهم بينهم ثم اقبل على القبلة ورفع يديه وقال
اللهم اني اعوذ بك ان اكون مستدرجا فاني اسمعك تقول سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون ثم قال اين سراقة بن جعشم فاتي به اشعر الذراعين دقيقهما فاعطاه
ما اعطاه سواري كسرى وقال البسهما ففعل فقال قل الله اكبر فقال الله
اكبر ثم قال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة اعرابيا
من بني مدلج ثم قلبهما وقال ان الذي ادى هذا لامين فقال له رجل انا اخبرك
انت امين الله تعالى والناس يؤدون اليك ما اديت الى الله فاذا رتعت رتعوا
قال صدقت وانما البسهما سراقة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لسراقة
ونظر الى ذراعيه كاني بك قد لبست سواري كسرى ولم يجعل له الا
السوارين وفي لفظ ولي ابو بكر الصديق رضي الله عنه جاءه مال من العمال
فصبه في المسجد ثم امر مناديا ينادي من كان له عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم دين او وعد فليحضر قال ابو ايوب الانصاري فقلت يا خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو قد جاء مال البحرين
اعطيتك هكذا وكذا واشار بكفيه فحثا ابو بكر رضي الله عنه فانصرفت

ثم عاودته

١٢٥

ثم عاودته فقلت اما ان تعطيني واما ان تبخل عني فقال اما تبخل علي اذ
اذهب فخذ فذهبت فحثيت حثية فقال عدها فعددتها فوجدت فيها خمس
مائة دينار فقال خذ مثليها فعددت مثليها فانصرفت بالف وخمسمائة دينار
ابو ايوب من الخلفاء الانصار وهو نزيل النبي صلى الله عليه وسلم دل الحديث
على تفرقة المال للغني والفقير ودل ايضا على انه لا يجب ان يتساوى فيه جميع
المسلمين بل ذلك موكول الى اجتهاد الامام ويدل عليه ان النبي صلى الله اجتهاد
عليه وسلم قال له العباس اعطني من هذا المال فقال اذهب فخذ فبسط
ثوبه وحثا فيه فلما جاء يحمله عجز عنه فقال يا رسول الله مر من يحمله علي قال
لا فنثر منه ثم حمله على عاتقه فاتبعه النبي صلى الله عليه وسلم بصره حتى غاب
عنه فصل قال الحسن بن علي الاسدي اخبرني ابي بكتاب فيه حكى باللغة
الصعيدية مما نقل بالعربية مبلغ ما كان يستخرج لفرعون لعنه الله من
الاموال بعضها نحو الخراج لما يؤخذ من وجوه الجبايات لسنة واحدة على
العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير اضطهاد ولا مناقشة وبعد وضع
ما يجب وضعه لحوادث الزمان بخسارة المغابين وتقوية لما هم من العيش اربعة
وعشرون الف الف واربع مائة الف دينار ومن ذلك ما ينصرف في عمارة البلدان
وحفر الخلجان والانفاق على الجسور وسد الترع واصلاح الغيضان وتقوية
ما يحتاج الى التقوية من غير رجوع عليه بها ولا فائدة العوامل والتي تسعة به
البقار وغيرهم لما من يعين الآلات واجرة من يستعان به لحمل البذار وسلم بنفقات
تصبيغ الارض ثمان مائة الف دينار ولما ينصرف في ارزاق الاولياء الموسومين
بالصلاح ومن جملتهم من الشاكرية والعجم واتباعهم وعدة جميعهم
معاني كذا نفر سوى من لدنه واين سوى ... من الخزان وما يجري عليهم مائة

الف

الف واحدى عشر الفا وثمانية الاف دينار وبقا ينصرف للارامل والا
يتام برضوية من بيت المال وان كانوا غير محتاجين حتى لا يخلوا اشغالهم
من بر فرعون بمصر اربعة مائة الف دينار وبقا ينصرف لكهنة نوابهم ونوا
من بيوت صلواتهم مائة الف دينار وبقا ينصرف في الصدقات مقا يصب صبا وينا
دى عند ذلك ما من رجل كشف وجهه بدا فلا احضر يحضر ذلك من يحضر فلا
يرد احد ولا امتنع حلوس ولا اولاد الانسان الى بحر يسه احد بعد قبضه ما
يقبضه احد حتى اذا فرق المال واجتمع من تفرق الطايفة عدة داخل امكان
فرعون عليه وهنوه بتفرقة المال ودعوا له بطول البقاء ودوام العز
والسلامة وانصرفوا بيه حال تلك الطايفة فيامر بتغيير شعثها ما يحسنوا له
والبدن ثم تعدا البنك فياكلون بين يديه ويشربون ويعم من كل واحد بين
بلافنه فان كان ذلك من افة الزمان رد عليه مثل ما كان له وان كان عن سوء
نظر ورد ورد بهم غير مستقيم ضمه الى من ينتشر طانيه ويلحق بالادب والعز
مة التي تصلح له ما يقا الف دينار وبقا ينصرف في نفقات فرعون المراتبة في
السنة ما يقا الف دينار وتكون النفقات على ما تقوم في سعة الدائنة الف وثما
ن مائة الف ويحصل بعد ذلك مقا يلبسه يوسف عليه السلام ويجعل لفرعون
في بيت المال لنوائب الزمان اربعة عشر الاف الف دينار وست مائة الف دينار
وقال ابو رهم كانت ارض مصر ارض مدبرة حتى ان الماء ليجري تحت منازلها
وافنيتها فيحبسوه كيف شاءوا ويرسلوه كيف شاءوا وذلك قول فرعون
اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي وكان ملك مصر عظيما لم يكن في وجه
الارض يومئذ اعظم منه وكان الجنان بحافتي النيل متصلة لا ينقطع منها شيء
عن شيء وكانت ارض مصر كلها من ستة عشر ذراعا لما قدروا بجسورها و

وخليجا نطا

١٢٦

وخليجا نطا كلها والزروع كذلك من اسوان الى رشيد والزروع بين
الجبلين من اولها الى اخرها وذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع
ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين والمقام الكريم المنابر وكان بها الف
منبر وقال عبد الله بن عمر استعمل فرعون هامان على حفر خليج سردوس
فاخذ في حفره ودبره فجعل اهل القرى يسئلونه ان يجري الخليج تحت قراهم
ويعطوه مالا فكان يذهب من قرية الى قرية من المشرق الى المغرب ومن الشمال الى القبلة
ويسوقه كيف شاء فليس بمصر اكثر عطوفا منه فاجتمع له بذلك اموال
عظيمة فحملها الى فرعون واخبره بالخبر فقال له فرعون انه ينبغي للسيد
ان يعطف على عبيده ويفيض عليهم من خزائنه ولا يرغب فيما بايديهم
رد على اهل القرى ما اخذت منهم فرد عليهم اموالهم فهذه صيغة من لا يعرف
الله ولا يخاف عذابه ولا يؤمن بيوم الحساب فكيف يجب ان يكون من يقول لا اله
الا الله ويؤمن بيوم الحساب والثواب والعقاب. وقال ابن عباس رضي
الله عنهما في قوله تعالى اجعلني على خزائن الارض الا ارض مصر اذ جعلك عليه
فان هي خزائن مصر كانت اربعين فرسخا في مثلها فلم يخلع يوسف عليه السلام
فرعون ويخلعه ويتوب عنه لما علم ان دعاه الى الاسلام فاسلم فحينئذ قال له
اجعلني على خزائن الارض وقال السدي من امر يوسف عليه السلام وكمل
امره وصارت الاشياء اليه واراد ربه ان يعوضه على صبره لما يرتكب محارمه
وخلت سنون الغلاء والجوع مات العزيز وذهبت الدنيا وافتقرت زليخا وعميت
من بصرها وجعلت تتكفف الناس فقيل لها لو تعرضت للملك لعله يرحمك على ما كان
منك اليه فقالت انا اعلم بحلمه وكرمه فجلست له على رابية يوم خروجه وكان
يركب في زهاء مائة الف من عظماء قومه واهل مملكته فلما احست به قامت

نكاعتهم

وتلك سيما من جعل الملوك عبيد المعصية وجعل العبيد ملوكا بالعصمة
وقال لها يوسف من انت فقالت انا التي كنت اخدمك على صدر رفعتي وازفك
بنفسي بيمنى والكرم شواء جنبي وكان زمني ما كان زود فني وبال الغربة فمنهم من يمشي
ومنهم من يرحمني فبعد ما كنت عزيزة اهل مصر كلهم صرت اليوم من فقرتهم
بل مخدومة منهم وهذا جزاء المفسد من فبكى يوسف عليه السلام وقال لها او صل
بقي في قلبك من حبك اياي شيء فقالت والذي اتخذ ابراهيم خليلا لنظرة منك احب
الي من ملء الدنيا ذهبا وفضة فمضى يوسف عليه السلام وارسل اليها وكنت
ايما تزوجها او انت بعد ما غنيناها فقالت الملك اعرف بالله ان يتشبه بي حب هو
لم يرد في ايام شبيبتي وجمالي فكيف يقبلني وانا عجوز عمياء فقيرة فامر بها فجهزت
فتزوجها وادخلت عليه فصف يوسف عليه السلام بقدميه وجعل يصلي ودعا
له باسمه الاعظم فرد الله عليها شبابها وجمالها وبصرها كهيئتها
يوم راودته عن نفسها فاذا هي بكر فولدت له ابراهيم بن يوسف ومنشا بن
يوسف وكان في الاسلام عيشتها حتى فرق الموت بينهما فيجب للقوي
ان لا ينسى الضعيف وللغني ان لا ينسى الفقير ورب مطلوب يصير طالبا ومرغوب
يصير راغبا ومسؤول يصير سائلا وراحم يصير مرحوما وهذا يوسف عليه السلام
نظر الى نفسه في ... يوم الجب ثم ... يوم التاج وهذا ...
ملكه مصر ... تكثير الناس في الحرفات قال الله تعالى واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وكان يوسف عليه السلام بعد
هذا يجوع وياكل خبز الشعير ولا يشبع فقيل له اتجوع وبيدك خزائن الارض فيقول
اخاف ان اشبع وانسى الجائع وقد رايت ان الجوع بمنفعة في منفعة في مثلها ...
بعد العقلاء ويرغب فيها الملوك والوزراء ولذلك لما كنت بالعراق وكان الوزير

نظام

نظام الملك الغالب على العلم ابو علي الحسن بن علي رحمه الله وكان قد وزر للملك الب
ارسلان ابي الفتح بن الب ارسلان وكان قد وزر لابيه من قبله فقام بحق دولتهما احسن
قيام وشد اركانها وشيد بنيانها واستمال الاعداء والي الاولياء واستعمل
الكفاة وعم احسانه العدو والصديق والبغيض والحبيب والقريب والبعيد حتى
هتف الملك بحراسته ودخل الخلق في سلطانه وكان الذي مهد له دولته بامر الله
تعالى انه اقبل بكليته على مراعاة حملة الدين ومنابر العلم للفقه والحديث وانشا المدارس
اربعين للعلم وانشا الربط للعباد والزهاد واهل الصلاح والفقر له
ثم اجرى لهم الجرايات والكسوات والنفقات مشاهرة واجرى الخبز والرزق لمن
كان من اهل الطلب للعلم مضافا الى ارزاقهم وعم بذلك سائر اقطار مملكته
فلم يكن من اول بلاد الشام وهي بيت المقدس الى سائر الشام الاعلى الى الحجاز والعراق
فبين وخراسان الى اقصى ما وراء النهر ... مدرسة يوم
حامل علم وطالبه او معتبر ... رواية الا وكرامته شاملة له وسابغة عليه
عليه وكان الذي يخرج من بيوت امواله في هذه الابواب مائة الف دينار في كل سنة
فوشى به الوشاة الى ابي الفتح الملك واعدوا صورة عليه وقالوا ان جل المال يخرج
من بيوت الاموال تقيم به جيشا له كرايته في صور قسطنطينية فلما دخل تركز
ابو الفتح بعد ذلك عليه قال له يا ابت بلغني انك تخرج من بيوت الاموال في كل سنة
مائة الف دينار الى من لا ينفعنا ولا يغني عنا شيئا فبكى نظام الملك وقال يا بني انا
شيخ اعجمي لو نودي علي لم يخرج خمسة دنانير وانت غلام تركي لو نودي عليك
عسى لم يخرج ثلاثين دينارا وانت مشتغل بلذاتك منهمك في شهواتك واكثر ما يصعد
الى الله تعالى معاصيك دون طاعتك وجيوشك الذين تعدهم للنوائب اذا احتضروا
كانوا عنك بسيوف طولها ذراع وقوس لا ينتهي مرماه ثلاث مائة ذراع ذرعان

وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي والخمور والملاهي والمزامير والطنابير وانا
اقمت لك جيشا يسمى جيش الليل اذا نامت جيوشك بالنهار قامت جيوش الليل
على اقدامهم صفوفا بين يدي ربهم فارسلوا دموعهم واطلقوا السنتهم ومدوا الى الله اكفهم
لك ولجيوشك فانت وجيوشك في خفارتهم تعيشون وبدعائهم تبيتون وببركاتهم
تمطرون وترزقون تخرق سهامهم الى السماء السبع بالدعاء والتضرع فبكى
ابو الفتح بكاء شديدا ثم قال شاباش يا ابة شاباش استكثر لي من هذا الجيش
ومن مناقب هذا الرجل ونظائره ان رجلا قصده يقال له ابو سعيد الصوفي فقال
له يا خواجة ان لي ولدا رشيدا ببغداد مدينة السلام لا يكون في معمور الارض مثلها
[illegible] الى ان تقوم الساعة فقال اعمل الكتب الى وكلائي ببغداد ان يشتروا
من مالي ما يباع بقطعة على شاطئ دجلة وتبنى المدرسة النظامية وبنا ها
احسن بنيان وكتب عليها اسم نظام الملك وبنا حولها اسواقا تكون محبسة على
المدرسة وابتاع ضياعا وخانات وحمامات واوقف عليها فكملت لنظام الملك
تلك رياسته وسؤدده وذكره الجميل في الارض طوله وعرضه المشارق والمغارب
اثره وكان بناؤها سنة خمسين واربعمائة من الهجرة فرفع حساب النفقات الى
نظام الملك فبلغ ما يقارب ستين الف دينار [illegible] نظام الملك من اهل الكتاب
والحساب ان جميع ما انفق عليها [illegible] وان سائر الاموال
[illegible] لنفسه [illegible] فيها فدعاه نظام الملك الى اصبهان للحساب فعلم
ابو سعيد انه ارسل الى الخليفة ابن العباس يقول هل لك ان تحيي ارض
[illegible] مجهول الامام قال وما هو قال ان تمحو اسم نظام الملك من صدر
المدرسة وتكتب عليها اسمك وتزن له ستين الف دينار فارسل اليه الخليفة انفذ
من يقبض المال فلما استوثق منه مضى الى اصبهان فقال نظام الملك انك رفعت

الي

١٢٨

الينا نحوا من ستين الف نفقة واحب اخراج الحساب فقال له ابو سعيد يا
[illegible] بالرضيت وان احببت [illegible] عليها وكتبت عليها اسم
غيرك [illegible] من يقبض المال فلما [illegible] نظام الملك [illegible]
[illegible] جميع ذلك [illegible] اسمك ثم ان ابا سعيد [illegible] للصوفية فبدد
الاموال [illegible] واشترى الضياع والخانات والبساتين والدور واوقف جميع
ذلك على الصوفية [illegible] الى يومنا هذا رباط ابي سعيد الصوفي
[illegible] واشترى الضياع والخانات واوقف جميع ذلك ثم يقبلون ببغداد
في [illegible] المذاهب [illegible] ومثل هذا فليعمل العاملون
[illegible] وحسن الصيت وخلود جميل الذكر
[illegible] فقال الشاعر
ولا شيء يدوم فكن حديثا جميل الذكر فالدنيا حديث
[illegible] الدنيا [illegible] كما قد
بالصالحات كما ذكروا [illegible] واعلم ان
[illegible] للسعادة والمتروك [illegible]
والسلام وكان ابن ابي داود الوزير واسع النفس [illegible]
بعطي الجزيل ويستقل الكثير ولا يرى [illegible] بالنوال فقال له
الواثق امير المؤمنين يوما قد [illegible] بالعطاء وهذا يتلف
بيوت المال [illegible] ساعة ثم قال يا امير المؤمنين [illegible] اجورها واصلحها
[illegible] ومفاتيح [illegible] موصولة لديك وانما [illegible] باتصال الثناء الي
فقال له الواثق انت جد بالعطاء واكثر الشكر والثناء لمن يجيء والسلام

الباب التاسع والاربعون في سيرة السلطان

في الانفاق من بيت المال وسيرة العمال

اعلم ان يوسف الصديق عليه السلام لما ولي خزائن الارض كان يجوع ولا يأكل
خبز الشعير فقيل له اتجوع وبيدك خزائن الارض وبيدي خزائن الارض فقال
اخاف ان اشبع وانسى الجائع وروى الشعبي باسناده قال لما استخلف
ابو بكر الصديق رضي الله عنه غدا الى السوق فقال له عمر بن الخطاب اين
قال الى السوق قال قد جاءك ما يشغلك عن السوق قال سبحان الله يشغلني
عن عيالي قال نفرض بالمعروف فنفرض له فيما ينفق في سنتين وبعض اخرى ثمانية
الاف درهم واوصى ان ترد من ماله في بيت المال وروى هذه القصة الحسن
البصري قال لما حضرت ابا بكر الوفاة قال انظروا كم انفقت من مال الله تعالى
فوجدوه قد انفق في سنتين ونصف ثمانية الاف درهم فقال اقضوها عني
فقضوها عنه ثم قال يا معشر المسلمين انه قد حضر من قضاء الله ما ترون ولا
بد لكم من رجل يلي امركم ويصلي بكم ويقاتل لكم عدوكم فان شئتم اجتمعتم
وائتمرتم وان شئتم اجتهدت لكم فوالله الذي لا اله الا هو ما آلوكم ونفسي
الا خيرا فبكوا وقالوا انت خيرنا واعلمنا فاختر لنا فقال قد اخترت لكم عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه وروي مثل هذه القصة عن غير هذا الوجه قال
بلغني ان ابا بكر الصديق لم ينفق من هذا المال شيئا وغدا يوما من بني عمرو
ابن عوف وكانت له هناك امرأة من الانصار في جمال له يريد بيعها فلقيه
بعض المسلمين فقالوا انه ما تصنع هذا يشغلك عن الناس وعن النظر في
امورهم قال فكيف اصنع قال تفرغ في امورهم وتنفق من بيت المال قال
فباع تلك الابل وغيرها من ماله الى ان ضرب وكرحه في بيت المال وكان ينفق من
المال على نفسه وعلى عياله ثم كان عمر على مثل ذلك ثم ولي عمر بن عبد

العزيز

العزيز فلم يستنفق منه شيئا فقيل له قد صنع ابو بكر وعمر ما قد علمته قال
اجل ولكني اخذت من هذا المال وان يكن لي فيه حق فقد استوفيته وزدت
ولولا ذلك لفعلت قال ابن غانم فقلت لمالك بن انس فوقهم من عمر انه زاد ثلاثين
ايها فقال كذبوا انما يقولون ذلك عن آل الله هو لم يعد لو تركه فاسلف ابي موسى
اثاله حين اخذ منه نصفه فكيف يأخذ من مال الله ثلاثين الفا ولما توفي
ابو بكر رضي الله عنه استرجع علي بن ابي طالب رضي الله عنه وجاء
مسرعا باكيا وقال رحمك الله يا ابا بكر كنت والله اول القوم اسلاما
واكثرهم ايمانا واكملهم واشدهم يقينا واخوفهم لله تعالى
واحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم واشبههم به هديا
وخلقا وسمتا وفضلا واكرمهم عليه واوثقهم عنده فجزاك الله عن
الاسلام خيرا صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذبه الناس
وسماك الله صديقا فقال الله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك
هم المتقون وآسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا وصحبته
في الشدة حين تفرقوا اكرم الصحابة ثاني اثنين اذ هما في الغار وانت
صاحبه ورفيقه في الهجرة والمنزل عليه السكينة وخليفته في امته با
حسن الخلافة وقويت حين ضعفوا اصحابك وبرزت حين استكانوا وقمت با
لامر حين فشلوا ومضيت بنور الله اذ وقفوا اكثرهم صمتا وابلغهم
قولا واشجعهم قلبا واشدهم يقينا واحسنهم عملا كنت كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا في بدنك قويا في امر دينك متواضعا في نفسك
عظيما محبوبا الى اهل السموات والارض فجزاك الله عن الاسلام وعن اهله
وقال عمر رضي الله عنه رحم الله ابا بكر لقد اتعب من خلفه تعبا شديدا

وروى الشعبي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال إني أنزلت نفسي من سبحانه
مال الله تعالى بمنزلة ولي اليتيم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت
أكلت بالمعروف وفي رواية أخرى أخبركم بما أستحل من مال الله وما يحل لي
قال أستحل منه حلتين حلة الشتاء وحلة القيظ وما أحج عليه وأعتمر وقوتي
وقوت عيالي كقوت رجل من قريش لا من أغنيائهم ولا من فقرائهم ثم أنا بعد رجل
من المسلمين يصيبني ما أصابهم وقال مالك بن أنس رضي الله عنه فأكل عمر
الشعير وتقرقر بطنه لأنه لا يأكله فاستنكره بطنه فضربه وقال هذا والله ما
ترى حتى يوسع الله على المسلمين وقال أبو عثمان النهدي رأيت عمر بن
الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت وعليه جبة صوف فيها اثنتا عشرة رقعة
إحداهن من أدم أحمر وقال عطاء بن السائب استعمل عمر رضي الله عنه السائب بن الأ
قرع على المدائن فدخل بابا من أبواب كسرى فإذا صنم يشير إلى الأرض بإصبعه
قد عقد أربعين فقال إن تحت هذا شيئا فاحتفروا فاستخرجوا سفطا فيه جوهر فكتب
إلى عمر بن الخطاب إنك بعثتني فدخلت بابا من أبواب كسرى فرأيت كذا وكذا
فاحتفرت فأخرجت سفطا فيه جوهر فلم أجد أحدا أحق به منك يا أمير المؤمنين ليس
من فيء المسلمين فاقسمه بينهم إنما أصبته شيء تحت الأرض فلما قدم السـ
فط على عمر وعليه خاتم السائب فرأى عمر فيما يرى النائم كأن نارا
أججت وهو يريد أن يلقى فيها فكتب إلى السائب أن اقدم علي فقدم عليه أججت
وهو يطوف في إبل الصدقة فطفت معه إلى نصف النهار ثم دعا بماء فا
غتسل ودعا لي بماء فاغتسلت ثم ذهب إلى منزله فأتي بلحم غليظ وخبز
متمعشق ثم قال انظروا من على الباب فإذا أسودان من الصوفية فأدخلهم
فجعل يأكل معهم فإذا اللحم غليظ لا أستطيع أسيغه وقد كنت تعودت رقيقا

اصبهان

١٣٠

أصبها [illegible] أو وضعته في بطني بلا مؤونة ولا مشقة ثم دعا بالـ
سفط فقال أتعرف هذا قلت نعم قال كتبت إلي تزعم أني أحق به منك
أين أصبته وأنت نصرته قال اذهب فاجعله في بيت مال المسلمين حتى أقسمه مال
بينهم وقال قتادة قدم عمر بن الخطاب الشام فصنع له طعام لم ير
قبله مثله فقال هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا لا يشبعون من خبز الشعير
فقال خالد بن الوليد لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر وقال لئن كان
حظنا في هذا الحطام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بونا بعيدا وقال
عبد الله بن عمر العمري إن عمر بن الخطاب حين قدم الشام قال لأبي عبيدة
اذهب بنا إلى منزلك قال وما تريد إلا أن تعصر عينيك علي قال فدخل منزله فلم
ير شيئا فقال عمر أين متاعك فقال لا أرى إلا لبدا وشنا وصحفة وأنت أمير
عندك طعام فقام أبو عبيدة إلى جونة فأخذ منها كسيرات فبكى عمر فقال له
أبو عبيدة قد قلت إنك تعصر عينيك علي يا أمير المؤمنين يكفيك من الدنيا ما
يبلغك المقيل فقال عمر غرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة وقال النخعي
بعث عمر بن الخطاب مصدقا فرجع بكثير غنمه وما لنا من حاجة [illegible] فجاءوا
بالصدقات فقام فيها مقدارا بعيدا ثم يقلب بطونها وظهورها آخرها وجاء ودخل
بيته حتى إذا أمكن أكله الحمد لله ثم قال من أخذ هذه بطنه النار فبعث النفقة
وقال عطاء أجدب الناس على عهد عمر بن الخطاب فما أكل سمنا ولا سمينا
حتى أكل الناس وقال سعيد بن جبير رأيت عليا قدم الكوفة وهو خليفة
وعليه إزار قطري قد رفع إزاره بخرقة قد يبست فضربته بحنوة فجاءه أعرابي فنظر
إلى تلك الخرقة فقال يا أمير المؤمنين كل من هذا الطعام واركب والبس فإنك
ميت أو مقتول فقال إن هذا خير في صلاتي وأصلح لقلبي وأشبه بسنة الصالحين

فبي واحد وان يفتد قريب من اليوم بعوريه وقال العتبي ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه بينما هو يعس في المدينة اذا اتى على امرأة من العرب انطار تغلق بابها وهي تقول
فسالها فذكرت ان زوجها غايب ليس لها خادم وانها تخرج بالليل فتستقي
الماء وتكره ان تخرج بالنهار فحمل عمر رضي الله عنه القربة حتى بلغ منزلها
وقال اغدي غدوة تجدي ما غادما قالت ٢ احل اليه فقال انا تجديه ان
شاء الله فغدت عليه فاذا هي به فعرفت انه الذي حمل القربة فذهبت
تولي فارسل في اثرها وامر لها بخادم ونفقة ونعاج عمر قال الحولاء كم
بلغت نفقتك قال ثمانية عشر دينارا يا امير المؤمنين قال وعيالي اجحفنا بيت مال
المسلمين وقال الشعبي من حديث لما فتح عمر الشام طاف بكورها حتى نزل
حمص فقال اكتبوا لي فقراءهم فرفعوا اليه الرقعة فاذا فيها سعيد بن عامر
فقال من سعيد بن عامر قالوا اميرنا فتعجب عمر فقال كيف يكون اميركم فقيرا
فقالوا انه لا يمسك شيئا فبكى عمر وبعث اليه بالف دينار يستعين بها فجاءه
فجعل يسترجع فقالت امرأته ما لك اصابك يا امير المؤمنين شيء فقال اعظم من
ذلك دخلت علي الدنيا واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم باربعين عاما فوالله ما يسرني
ان حبست عن الرعيل الاول وان لي ما طلعت عليه الشمس قال فاصنع
بها ما شئت قال هل عندك معونة قال نعم فاتته بخمار فجعل الدنانير
فيها صررا ثم جعلها في مخلاة فبات يصلي ويبكي حتى اصبح فاعترض
جيشا من جيوش المسلمين فامضاها كلها فقالت امرأته رحمك الله لو حبست
منها شيئا نستعين بها فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو
اطلعت امرأة من نساء اهل الجنة الى الارض لملأت الارض من ريح المسك واني
والله

والله ما اختار ذلك عليهن فسكتت وروي ان عمر استعمل على حمص رجلا
يقال له عمير بن سعيد فلما مضت السنة كتب اليه ان يقدم فلم يشعر به عمر
الا وقدم ماشيا حافيا عكازه في يده واداوته ومزودته وقصعته على ظهره فلما
نظر اليه عمر قال يا عمير اجئتنا ام البلاد بلاد سوء فقال يا امير المؤمنين اما
نهاك الله ان تجهر بالسوء وعن سوء الظن وما ترى من سوء الحال فقد جئتك
بالدنيا اجرها بقرنيها قال وما معك من الدنيا قال عكازة اتوكأ عليها و
ادفع بها عدوا ان لقيته ومزود احمل فيه طعامي واداوة احمل فيها ماء لشربي
وصلاتي وقصعتي هذه اتوضأ بها واغسل فيها راسي وآكل فيها طعامي
فوالله يا امير المؤمنين ما الدنيا الا تبع لما معي قال فقام عمر من مجلسه
الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وقال اللهم الحقني بصاحبي
غير مفتضح ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه فقال ما صنعت في عملك يا عمير قال
اخذت الزكاة من اهل الزكاة ورددتها على اهل الجزية من اهل الذمة عن يد وهم
صاغرون ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وابن السبيل فوالله يا امير المؤمنين لو
بقي شيء منها عندي لاتيتك به فقال له عمر عد الى عملك فقال عمير انشدك
الله ان تردني الى عملي فلم اسلم منه حتى قلت لذمي اخزاك الله ولقد خشيت
ان يخاصمني محمد صلى الله عليه وسلم ولقد سمعته يقول انا حجيج المظلوم
فمن حاجني حججته ولكن ائذن لي الى اهلي فاذن له فبعث عمر رجلا فقال له
حبيب بمائة دينار فقال له ائت عميرا فانزل عليه ثلاثا فانظر كيف حاله فان كان
خافضا لم يرغب في عيشه وحال اهل بيته وان لم يكن كذلك فادفع اليه خافضا
فادفع له المائة دينار فاتاه حبيب فنزل به ثلاثا فقال يا حبيب ان رايت ان تتحول
الى جيراننا فلعلهم يكونون اوسع عيشا منا اما نحن فوالله لو كان عندنا شيء

غير هذا فاثرنا له بد فدفع اليه المائة دينار وقال ابعث بها اليه امير المومنين مع
غلام يعرف خلق امراته فصر منها الخمسة والستة والسبعة يقسمها حبيب على
عمر فقال يا امير المومنين جئتنا من هذا زهد الناس وما عنده الا قليل لا كثير فبعث
اليه عمر فقال ما صنعت في المائة يا عمير قال لا تسألني عنها يا امير المومنين
قال لتخبرني قال قسمتها بين المهاجرين والانصار من اخواني قال فامر له بوسقين
من طعام وثوبين فقال يا امير المومنين اما الثوبان فاقبلوا واما الوسقان فلا حاجة لي
بهما عند اهلي صاع من بر فهو كافيهم حتى ارجع اليهم وروي ان عمر بن الخطا
رضي الله عنه صر اربع مائة دينار وقال للغلام اذهب بها الى ابي عبيدة بن الجراح
ثم تمكث ساعة حتى ترى ما يصنع فذهب بها الغلام وقال يقول لك امير المومنين
اجعل هذه في بعض حاجاتك فقال وصله الله ورحمه ثم قال يا جارية اذهبي
بهذه السبعة الى فلان وهذه الخمسة الى فلان فرجع الغلام الى عمر واخبره فوجده
قد اعد مثلها لمعاذ بن جبل فقال اذهب بها الى معاذ بن جبل وتلكا في البيت
حتى تنظر ما يصنع فيها فذهب بها اليه وقال ان امير المومنين يقول لك اجعل
هذه في بعض حاجاتك فقال رحمه الله ووصله ثم قال يا جارية اذهبي الى بيت
فلان بكذا والى بيت فلان بكذا فقالت امراة معاذ ونحن والله مساكين فاعطنا ولم
يبق في الخرقة الا دينارا فدحا بهما اليها فرجع الغلام فاخبر به عمر فقال
انهم اخوة بعضهم من بعض والله يوفق من يشاء لما عنده بمنه

الباب الموفي خمسين في تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة العمال

اعلموا ارشدكم الله ان اول من اتخذ الديوان واجرى الاعطية على ما روي عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه وكان يعطي اهل السابقة ثم الذين يلونهم حتى جرى على
العامة

العامة فيستوي واحد اقلاه مائتا درهم واربع مائة درهم وفرض للعيال مائة
درهم في كل سنة وكان ابو بكر يسوي بين الناس في العطايا ولا يفضل اهل السابقة
ويقول انما عملوا لله واجورهم على الله وانما هذا المال عرض حاضر ياكله
البر والفاجر وليس ثمنا لاعمالهم وكان عمر يقول لا اجعل من قاتل رسول
الله كمن قاتل معه وبعث عمار بن ياسر الى الكوفة ولاية عليها واجرى على عمار ست
مائة درهم مع عطائه لولايته وكتابه واهل موذنه ومن يكون معه في كل شهر
لقيا بعده وبعث معه عثمان بن حنيف وابن مسعود الى العراق واجرى عليه
في كل يوم نصف شاة وراسها وجلدها واكارعها ونصف جريب كل يوم على
عثمان بن حنيف ربع شاة وخمسة دراهم مع عطائه وكان عطاؤه خمسة الاف
درهم وخمسة دراهم مع عطائه وكان عطاؤه خمسة الاف درهم واجرى على عبد
الله بن مسعود مائة درهم في كل شهر وربع شاة وعشرة اجربة وانما فضل عمارا
عليهم لانه كان على الصلاة فقال مالك وكان عمر لا يفرض لصغير يرضع فاذا فطم
فرض له ومر ليلا وصبي يبكي الرضاع وامه لا ترضعه فقال لها عمر ارضعيه
انه لا يفرض له عمر الا رضيع فقال بلى يفرض له ثم فرض عمر بعد ذلك للمولود مائة
درهم في السنة قال ابن حبيب وفرض عمر للعيال لكل عيل من ذكر وانثى
جريبين من بر في كل شهر وقسطين من زيت وقسطين من خل ومائة درهم في كل
سنة قال والجريب قفيزان القرطبي والقسط قدر ثمن ربع الزيت بالقرطبي
قال الحسن وكان عطاء سلمان خمسة الاف وكان على زهاء ثلاثين الفا من
الناس وكان يخطب الناس في عباءة يفترش نصفها ويلبس نصفها فاذا خرج
عطاؤه امضاه وكان يعمل الخوص وياكل من كسب يده وقال الحسن قدم
على عمر بن الخطاب وفد من اهل البصرة مع ابي موسى الاشعري قال فكنا

ثم دخلنا إليه وتغدينا يوم ثالث خبزا مربعا وأحيانا ماءه ومنه بلحم وأحيانا بزيت
وأحيانا باللبن وربما رأينا القديد اليابس قد دق ثم أغلي عليه ماء وربما رأينا
اللحم الغريض وهو قليل فقال لنا يوما إني والله لقد أرى تقذركم وكراهيتكم
لطعامي وإني لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأرفهكم عيشا أما والله
ما أجهل عن قلائد وصناب وصلائق وصلا قال فالصلاء الشواء والصناب الخردل
والصلائق الخبز الرقاق ولكني سمعت الله عير أقواما بأمر فعلوه
فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فكلمنا أبو موسى
الأشعري فقال لو كلمتم أمير المؤمنين يفرض لكم من بيت المال طعاما تأكلونه
فكلمناه فقال يا معشر الأمراء هل ترضون لأنفسكم ما أرضاه لنفسي
فقلنا يا أمير المؤمنين إن المدينة أرض العيش بها شديد ولا نرى طعاما
يغنينا ولا نأكل طعاما وإنا بأرض ذات ريف وإن أميرنا يغدينا وإن طعامه
يؤكل فنكس ساعة ثم رفع رأسه وقال قد فرضت لكم من بيت المال
شاتين وجريبين فإذا كان بالغداة فضع إحدى الشاتين على أحد الجريبين
وكل أنت وأصحابك ثم ادع بشراب فاشرب ثم اسق الذي عن يمينك
ثم اسق الذي يليه ثم قم لحاجتك فإذا كان العشاء فضع الشاة الثانية
على الجريب الآخر وكل أنت وأصحابك وأشبعوا الناس في بيوتهم وأطعموا
عيالهم والله ما أرى رستاقا يؤخذ منه شاتان وجريبان إلا يسرع في خرابه
وكان عمر قد أطعم جريبا لحما والزيت الشاتين رجلا فكفاهم فأجرى على
كل رجل في كل شهر ممن كان في الديوان عوض ما كانت فارس تجريه عليهم
لهم وأما ربهم وقال سعيد بن المسيب وأبو سلمة كان عمر بن الخطاب إذا
العمال يستعمل على أبوابهم يقول لا حجابة ولا يتخذ دوابا تشترى فيشاء

بغير

بن سعد نحوا من عشرين ومن اليمن عشرة بها نشئ واشتراها من يحمل له وإذا
قدم الرسول من الثغور يعطى منها الحمول ويقول إن أزواجكن في سبيل الله
وأنتن في بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كان عندكن من يقرأ وإلا
فاقربن من الأبواب حتى أقرأ لكن ثم يقول إن رسولنا يخرج يوم كذا فاكتبن
حتى أبعث بكتبكن ثم يدور عليهن بالقراطيس والدواة ويقول هذه
دواة وقراطيس فادنين من الأبواب حتى أكتب لكن ويبعث بها البريد وأجهز
وقال الربيع بن زياد كنت عاملا لأبي موسى الأشعري على البحرين
فكتب إليه عمر بن الخطاب يأمره بالقدوم عليه هو وعماله وأن يستخلفوا
جميعا فلما قدمت المدينة أتيت يرفى فقلت من هنا لأحد الناس أي
الهيئات أحب إلى أمير المؤمنين أن يرى فيه عماله فأومأ إليه بالخشونة فاتخذت
خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولثت عمامتي على رأسي على غير استواء
ودخلت على عمر فصففنا بين يديه فصعد وصوب فلم تأخذ عينه غيري فدعا بي
فقال من أنت فقلت الربيع بن زياد الحارثي قال وما تتولى من أعمالنا قلت له
البحرين قال فكم ترزق قلت ألفا قال كثير فما تصنع بها قلت أتقوت
ببعضها وأعود ببعضها على أقارب لي فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين
قال فلا بأس ارجع إلى موضعك فرجعت إلى موضعي من الصف فصعد فيه
وصوب فلم تقع عينه إلا علي فدعاني فقال لي كم سنك فقلت خمس وأربعون
قال الآن حين استحكمت ثم دعا بالطعام وأصحابي حديث عهدهم بلين العيش
وقد تجوعت له فأتي بخبز شعير وأعضاء بعير فجعل أصحابي يعافون ذلك وقد
جعلت آكل وأجيد والله أنظر إليه يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة وددت
أنه كنت في الأرض ولم أقلها فقلت يا أمير المؤمنين إن الناس محتاجون إلى صلاحك

فلو عمدت الى هذا البز من هذا الجزء ثم قال كيف قلت قلت يا امير المومنين
لو امرت بقوتنا من الحنطة فيخبز قبل ان ياتينا بيوم ويطبخ لنا اللحم كذ
كذلك فتوتي بالخبز لينا وباللحم غريضا فسكن غربه فقال ها هنا غرت فقلت
نعم قال يا ربيع انا لو شئنا لملئنا هذه الرحاب من صلايق وسبايك يعني خبز
الحواري ولكني رايت الله نعى على قوم شهواتهم فقال عز من قائل
اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ثم امر ابا موسى باقراره وان يستبدل
باصحابه وقال قبيصة بن ذؤيب دعا عمر بن الخطاب عبد الله بن بعيله
وكان على اهل حمص فقال على م يعطي اهل الشام قال انه احبهم يحبونه
قال ما لك الا اليوم فقلت عيرت دمي وبعلي وطادي قال فما ذا تقبض في
الشتاء قلت عطايا نشتري بها راحلتي وجبتي وكساي قال فما تقبض في الصيف
قلت قميصا وجبة قال فاعطاه عمر الف دينار قال خذها واستعن بها وان
والتمسوها واعطى منها قلت لا ارى يجيبها ويتجر من هو احوج الى ما عندي
قال خبرها عن النبي صلى الله عليه وسلم دفع الي مالا وهو دون الذي اعطيتني
فقلت له كما قلت لي فقال لي يا عمر ما اتاك من هذا المال عطاء من غير ان
تتعرض له او تشترط له نفسك فانفقه او خذه فانطلق به الى امراته فقال انزل
رحمك الله هذا من فقراء المسلمين اهو من اغنيائه فقالت بل من اغنيائه
فقسمها حتى لم يبق منها صرة فيها ثلاثون او نحوها فقال له امراته
البس في حق ما عطاك اذا هاو قال رجاء بن حيوة بينما نحن عنده
اذا بامراة تسال عن دار عمر بن عبد العزيز فارشدناها اليه فاذا دارا
مبنية فقال لها عبادك ها هنا الحاجة ان تاذني علي فاطمة امراة عبد العزيز فقال
ادخلي وصفه بها فانها تاخذ قد دخلت فلما ابصرت ما هنا الا خالية

ارني

ارني شيئا من بيت الفقر واذا ابو رجل يعمل في الطين فلما انتهى عن امير المومنين
فقالت هو ذا يعمل في الطين فقلت يا امير المومنين ان زوجي وترك لي ثمان
بنات فبكا عمر وقال لها ما تريدين قالت تفرض لهن قال فعرض احدهن فقال ما
اسم الكبرى قلت فلانة فكتبها فقال الحمد لله فقال ما اسم الثانية فقلت
فلانة فكتبها فقلت الحمد لله حتى كتب الثمانية فقلت جزاك الله خيرا يا
امير المومنين فطرح الطين من يده وقال لها ما انك لو لوليت الحمد لاهله لا تبعثنا
هذه من السبعة فيبعوا ستر هذه الثمانية فسد.

الباب الحادي والخمسون في احكام اهل الذمة

روي عن عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب حين صالح نصارى اهل
الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر امير المومنين من نصارى
مدينة كذا انكم لما قدمتم علينا سالناكم الامان لانفسنا وذرارينا واهل ملتنا
ان لا نحدث في مدائننا ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا قلية ولا صومعة راهب
ولا نجدد ما خرب منها وان نوسع ابوابها للمارة وابن السبيل وشرطنا لكم
على انفسنا ان ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا ناوي في كنائسنا
ولا في منازلنا جاسوسا ولا نكتم غشا للمسلمين ولا نعلم اولادنا القران ولا
نظهر شرعنا ولا ندعو اليه احدا ولا نمنع احدا من ذوي قرابتنا الدخول
في الاسلام ان ارادوا وان نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا ارادوا
الجلوس ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا
فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله
معنا ولا نركب بالسروج ولا نتقلد بالسيوف ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمور

وان نجز مقادم رؤوسنا وان نلزم زينا حيثما كنا وان نشد الزنانير على اوساطنا
وان لا نظهر صليبا لنا وكتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نضرب
نواقيسنا في كنائسنا الا ضربا خفيفا ولا نرفع اصواتنا بالقراءة في كنائسنا في شيء
من حضرة المسلمين ولا نخرج شعانيننا ولا باعوثنا ولا نرفع اصواتنا على موتانا ولا
نظهر النيران في شيء من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا
نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نطلع على منازلهم فلما
اتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالكتاب زاد ولا نضرب احدا من المسلمين
شرطنا ذلك على انفسنا وعلى اهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا في
شيء مما شرطناه لكم وضمناه على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حل لكم ما يحل من
اهل المعاندة والشقاق وكتب اليه عمر ان امض ما سألوه والحق فيه
حرفين اشترطهما عليهم مع ما اشترطوه على انفسهم الا يشتروا شيئا من
سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده وروى نافع
عن اسلم مولى عمر بن الخطاب ان عمر كتب الى اهل الشام في النصارى ان تقطع
ركبانهم وان يركبوا على الاكف في شق وان يلبسوا زي المسلمين ليعرفوا
وروي ان بني تغلب قدموا على عمر بن عبد العزيز فقالوا يا امير المؤمنين انا قوم
من العرب افرض لنا فقال نصارى قالوا نصارى قال ادع لي حجاما فجعلوا يجزوا
نواصيهم وشق من اردية كل منهم خرقا يحتزمون بها وامرهم ان لا يركبوا السروج و
يركبوا الاكف في شق واحد وروي ان امير المؤمنين جعفر المتوكل الزم اليهود
والنصارى ولم يستعملهم واذلهم واقصاهم وخالف بين زيهم وزي المسلمين و
جعل على ابوابهم مثلا [illegible] لانهم اهل النار وقرب منه اهل الحق وباعد
منه اهل الباطل والاهواء فاحيا الله به الحق وامات به الباطل وهو [illegible]

نزلها

بولايتهم ويترحم عليهم ما دامت الدنيا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم اهل رشا في دينهم ولا تحل
الرشا ولما استقدم عمر بن الخطاب ابا موسى الاشعري من البصرة وكان
عاملا عليها للحساب دخل على عمر وهو في المسجد واستأذن لكاتبه وكان
نصرانيا فقال له عمر قاتلك الله وضرب فخذه قال وليت ذميا على المسلمين اما
سمعت الله يقول يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم
اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم الا اتخذت حنيفا فقال يا امير المؤ
منين لي كتابته وله دينه فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم
الله ولا ادنيهم اذ اقصاهم الله وكتب بعض العمال الى عمر بن الخطاب ان
العدو قد كثر وان الجزية قد كثرت فنستعين بالاعاجم وكتب اليه عمر انهم
اعداء الله وانهم لنا غششة فانزلهم حيث انزلهم الله ولا تردوا اليهم
شيئا وقال عقار بن اصبغ كتب عمر بن عبد العزيز الى محمد بن المنتشر اما بعد فا
نه بلغني ان في عملك رجلا يسمى حسان بن يزيد على غير دين الاسلام والله تعالى قال
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مومنين فاذا اتاك كتابي
فادع حسان بن يزيد الى الاسلام فان اسلم فهو منا ونحن منه وان ابى فلا تستعن
به ولا تاخذ من غير اهل الاسلام على شيء من اعمال المسلمين فقرا عليه الكتاب فا
سلم فعلمه الطهارة والصلاة ولما خرج النبي صلى الله عليه وسلم
الى بدر تبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة فقال اني اردت ان
اتبعك واصيب معك فقال تؤمن بالله واليوم الاخر ورسوله فقال لا فقال فارجع
فلن استعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة ففرح به اصحاب رسول الله صلى الله

خرج

عليه وسلم وكانت له قوة وجلد وفقه الحنيفية لا تبعد واصيب معاذ
فقال تؤمن بالله ورسوله واليوم الاخر قال لا قال ارجع فلست استعين
بمشرك ثم لحقه على البيداء فقال له مثل ذلك فقال اتؤمن بالله ورسوله فقال
نعم فخرج به وهذا اصل عظيم في ان لا يستعان بمشرك وهذا الفقه قبل بين
يدي النبي صلى الله عليه وسلم ويراه من قبيله استعماله على رقاب المسلمين
وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله ان لا تولوا على اعمالنا الا اهل القران
فكتبوا اليه انا وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن في اهل القران
خير فاجدر ان لا يكون في غيرهم خير **فصل** ومتى نقض الذمي العهد
لحقه [illegible] من الشرك المأخوذة عليهم لم يرد الى مأمنه وان علم فيه
بما يخير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء قاله صاحب الشامل [illegible] ان يتميزوا
عن المسلمين بالخرق ويشدون الزنانير او [illegible] ويكون في رقابهم
خواتم من رصاص او نحاس او جرس يدخل معهم الحمام وليس لهم ان يلبسوا
العمائم ولا الطيلسان واما المرأة فتشد الزنار تحت الازار وقيل فوق الازار
وهو اولى ويكون في عنقها خاتم يدخل معها الحمام ويكون احد خفيها
اسود والاخر ابيض ولا يركبون الخيل ويركبون البغال والحمير بلا اكف عرضا
ولا يركبون السروج ولا يتصدرون في المجالس ولا يبدؤون بالسلام ويلجؤون الى اضيق
الطريق ويمنعون ان يعلوا على المسلمين في البنيان ويجوز المساواة وقيل لا يجوز
بل يمنعون وان ملكوا دارا عالية اقروا عليها ويمنعون من اظهار المنكر
والخمر والخنزير والناقوس والجهر بالتوراة والانجيل ويمنعون من المقام بالحجاز
ومكة والمدينة واليمامة ويجعل الامام على كل طائفة منهم رجلا يكتب اسماءهم
ورجالهم ويستوفي ما يؤخذون به من جميع الشرائط وان امتنعوا من اداء الجز

ية والتزام

ية والتزام احكام الملة انتقض عهدهم وان زنا واحد منهم بمسلمة
او اصابها بنكاح او اوى عينا للكفار او دل على عورة المسلمين او فتن مسلما
عن دينه او قتله او قطع عليه الطريق فينتقض عهده وان ذكر الله ورسوله
بما لا يجوز فقيل ينتقض عهده وان فعل ما منع منه مما لا ضرر فيه كالقمار
واظهار الخمر وما اشبهها عزر عليه ومتى فعل ما يوجب نقض العهد رد الى
مأمنه في احد القولين وقيل يقتل في الحين في القول الاخر **فصل** وفي تقدير
الجزية خلاف بين العلماء فقيل انما هي مقدرة الاقل والاكثر على ما كتب به عمر الى
عثمان بن حنيف بالكوفة فوضع على الغني ثمانية واربعين درهما وعلى من
دونه اربعة وعشرين درهما وعلى من دونه اثني عشر درهما وذلك بمحضر من
الصحابة ولم ينكر احد وكان الصرف اثني عشر درهما بدينار وهذا مذهب
ابي حنيفة وابن حنبل واحد قولي الشافعي وجعلوه كالحكم حكم امام فلا ينقض
وقيل انما هو مردود الى الامام في الزيادة والنقصان وهو الاقيس وقيل
انها مقدرة بالاقل دون الاكثر فيجوز للامام ان يزيد على ما قدره عمر ولا يجوز
ان ينقص منه وقال بعضهم يجوز ان يساوي بينهم فيؤخذ من كل واحد دينارا
وقال مالك يؤخذ من اهل الورق اربعون درهما ومن الفقير دينار وعشرة
دراهم ويخرج على مذهب مالك وجوب [illegible] فيها قولان بناء على ان العشر
المأخوذ منهم هل هو تقدير شرعي لا تجوز فيه الزيادة والنقص وعن مالك
روايتان ولا جزية على النساء والعبيد والصبيان والمجانين **كتب**
عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن سلام عليك اما بعد فان اهل
الكوفة اصابهم جهد وشدة وجور من العمال وسنن خبيثة سنها عليهم
عمال السوء فاحسن عليهم ارضهم ولا تحمل خرابا على عامر ولا عامرا على خراب

ولا تأخذ من الخراج إلا ما يكتفون به من العام إلا وضيعة الخراج إلا وزن سبعة ليس لها أسر ولا أجور للضرابين ولا أداء الفضة ولا هدية النيروز والمهرجان ولا ثمن الصحف ولا أجور البيوت ولا دراهم النكاح ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض والواجب أن يأخذ بأمر عمر بن الخطاب أن تهدم كل كنيسة وهو من كل جريب نخل ثمانية دراهم ومن كل جريب رطبة أو شجر ستة دراهم ومن كل جريب حنطة أربعة دراهم ومن كل جريب شعير درهمان

فصل فأما الكنائس فأمر عمر بن الخطاب أن تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الإسلام ومنع أن تحدث كنيسة وأمر أن لا يظهر صليب خارجاً من كنيسة إلا كسر على رأس صاحبه وكان عروة بن محمد يهدمها بصنعاء وهو مذهب المسلمين أجمعين وشدد في ذلك عمر بن عبد العزيز وأمر أن لا يترك في دار الإسلام بيعة ولا كنيسة بحال حديثة ولا قديمة وهكذا قال الحسن البصري قال من السنة أن تهدم الكنائس التي في الأمصار القديمة والحديثة ويمنع أهل الذمة من بناء ما خرب منها فأما إن صولحوا على أن يكونوا كما هم أهل بلد منعوا ويمنعون أن يعلوا على المسلمين في البناء ويجوز المساواة وقيل لا يجوز

الباب الثاني والخمسون في بيان الصفة المعتبرة في الولاة

اعلم أرشدك الله أن منزلة العمال من الوالي بمنزلة السلاح من المقاتل فأحد ما اجتهد جهده في انتقاء صالح العمال وإذا افتقد الوالي عمال الصدق كان كفقد المقاتل السلاح يوم الحرب ويحتاج الوالي إلى صنوف الرجال كما يحتاج المحارب إلى أصناف العدة فمنها الترس للاحتراز والسيف للمنازلة والرمح للطاعن والسهم

للمباعدة

للمباعدة والدرع للتحصين ولكل واحد منهما موضع ليس للآخر والرجال للملك كالآلات للصناع لا يسد بعضها مسد بعض كذلك أصناف الرجال للملك منهم للرأي والمشورة ومنهم للأداة والحرب ولمباشرة الحرب ولجمع الأموال وحفظها والجباية ومنهم للكتابة ومنهم للجمال والفخر ومنهم للباهات والذكر ومنهم للدعاء والرفد فلا يقوم الملك ملك ما لم تجتمع عنده هذه الطبقات **فقال** أبو بكرة لما مات كسرى وبلغ موته رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استخلفوا قال ابنته بوران فقال لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة **وقال** ابن عباس لما كانت فتنة الحرة من استعمل القوم قالوا عبد الله بن مطيع على قريش وعبد الله بن حنظلة الراهب على الأنصار فقال أميران هلك والله القوم ولم يشترك الكتب إلا في الإمامة العظمى دون آحاد الولايات **ولما** استحضر هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين وكان من العظماء قال هشام بن عبد الملك بلغني أنك تخطب الخلافة ولا تصلح لها لأنك ابن أمة فقال زيد وقد كان إسماعيل ابن أمة وإسحاق ابن حرة وجعل عليه السلام من ولد إسماعيل ثم انقضى في أمر فقال له زيد أنا أحلف لك فقال هشام ومن يصدقك فقال زيد إنه ليس أحد فوق أن يوصى بتقوى الله تعالى ولا أحد دون أن يأمر بتقوى الله منه **وقال** بعض الخلفاء دلوني على رجل أستعمله على أمر قد أهمني قالوا وكيف تريده قال إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم قالوا ما نعلمه إلا الربيع بن زياد الحارثي قال صدقتم هو لها **ويروى** أن عمر بن عبد العزيز استشار قوماً في قوم يستعملهم فقال له بعض أصحابه عليك بأهل العذر قال ومن هم قالوا الذين إن عدلوا فهو ما رجوت وإن قصروا قال الناس قد اجتهد عمر **ولما قدم اليزيد** بن بشر بن مروان على عبد الملك بن مروان

٦

لله عنه بشر فقال يا امير المؤمنين هو التشويه بغير عيب البين في غير ضعف فقال
امير المؤمنين لله انت يا عمرو انا جوهره الذي كان يا من عنك البين ويخاف الحيه الشنيع
ويجانب على كدر الذنب ويعرف موضع العجز التشويه غير العيب البين في غير
ضعف عمر بن الخطاب وقال الحكيم اعتبر الرجال بافعالهم لا بعظم اجسا
مهم فان النسر مع عظمه لا ياكل الا الميتة وكبر البلاء مع ضعفه لا ياكل الا ما يشتهيه
النحل ويأكل الحي منها وفي حكم الهند السلطان الحازم ربما احب الرجل فاقصا
ه واكرهه مخافة ضرره كالملدوغ يقطع اصبعه لئلا ينتشر السم في جسده وربما
ابغض الرجل فاكره نفسه على توليته وتقريبه لغناء يجده عنده كتكاره المرء
على الدواء البشيع لنفعه اما ان لا اصطلح فيه وكما قيل لا تستقيم هذه الاشياء عليها
الا ترى ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما افضت الخلافة اليه كلم معاوية
واليا على الشام من قبل عمر وعثمان فاستشار رجلا فقال له بعض اصحابه اقره
على امرته وارسل اليه بعهده فاذا دخل في بيعتك فاعزله فقال له لا رحمك الله
اتامرني ان اطلب النصر بالجور ثم اعزله وكان سبب عصيانه وهكذا اشاروا
عليه فقالوا يا امير المؤمنين لو اعطيت هؤلاء الاشراف ومن تخاف منهم وانما الفنا
من الصحابة قبل احتواء الامر [illegible] الى التسوية فقال اتامروني ان
اطلب العدل بالجور فيمن وليت عليه والله لو كان مالي لسويت بينهم وافضل بعض
بعضهم على بعض وكيف والمال لهم واعطاء المال في غير حقه تبذير واسراف وهو
يرفع في ذكر صاحبه في الدنيا ويضعه عند الله في الآخرة ولم يضع امرؤ ماله في غير
حقه وعند غير اهله الا حرمه الله شكرهم وصرف [illegible] فيبقى معه منهم من يظهر
له الود والشكر بذلك ملق وهو يعمد لينال منه فان زلت به النعل يوما فاحتاج
الى معونته ومكافأته ما اسلف من بره فشر خدين وألأم خليل [illegible] ايها الوالي وهب

العجم

١٣٨

المدح فان من احب المدح كمن مدح نفسه واذا علم ذلك منه جعله الناس
سلما لحوائجهم منه فتكون حسنة فقط الا في حوائجهم لنفسه لا لعمر وقال النبي لفظه
صلى الله عليه وسلم احثوا التراب على وجوه المداحين وسمع المقداد رجلا
يمدح عثمان بن عفان رضي الله عنه فاخذ كفا من تراب فالقاه في وجهه وسمع
النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يمدح رجلا فقال قطعت ظهر اخيك لو سمعها
ما افلح بعدها وفي الحديث تاويلان احدهما احملها على ظاهره كما
فعل المقداد مع المداح لعثمان والثاني ان يرفع شيئا من التراب فيشده بين
يديه كانه يقول ان الذي خلق من هذا التراب ويعود اليه لا يستحق هذا الثناء و
الثالث لا تقضى حاجة المداح والعرب تقول لمن رجع خائبا عن حاجته رجع
بكفيه مملوءين ترابا والرابع نقيض هذا قال شيخنا ابو العباس الحجاجي
قال معناه اقض حاجته واعطه ما سأل فان الذي تعطيه سيصير ترابا فكانك
اعطيته ترابا والخامس ان يكون المعنى ادعو عليه لان العرب تقول اذا دعت
على احد بفيه الحجر وبفيه التراب اي يقولون للمداحين كذلك ووصف اعرابي
رجلا امينا فقال كان اذا ولي لم يطابق بين جفونه وارسل العيون على عيوبه فهو
غائب عنهم شاهد معهم والمحسن راج والمسيء خائف وقال عبد الله
ابن الزبير يوما لابي عمرو بن هند يعني معاوية ان كانت فيه المخارج ما توجد
في احد بعده ابدا والله ان كنا لنعرفه وما الليث الحرب على براثنه باجرأ
منه فيتفارق لنا وان كنا لنخدعه وما ابن ليلة من اهل الارض باذهى منه والله
لوددنا انا متعنا به ما دام في هذا حجر وانشأ ان الوالي فيس لا يجوز له عقل لا تنقض
له قوة وقال ايضا فيما كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي عبيدة كتابا
في مثل اهل العادة انما بعد فانه لا يقيم امر الله في الناس الا حصيف العقدة بعيد الغوة

لا يطلع الناس منه على عورة ولا يغشى الخرق على الجرأة ولا تأخذه في الله لومة لا
ئم وقال الهيثم جاء رجل إلى عمر بن الخطاب وسأله أن يكتب له كتابا بأمر فقال
اذهب إلى المنزل فإذا تأتيه قالة وفي كتاب فذهب فلم يجد شيئا فقال الكاتب عندهم
شيء فذهب فلم يجد عنده شيئا إلا أن يزوده فكتب له بعد ذلك إذا أذن وولى
المأمون يحيى بن أكثم قضاء البصرة بعد أن شهر عقله وعلمه بالمسائل فلو
جعله يجوز ما يريد فلما قاله وجوله الناس من أهل البصرة فرأوا شابا صبيا ما نبتت
لحيته فتعجبوا ونظر بعضهم إلى بعض يغمزون الكفة ويغمزون الحواجب فقال له
بعضهم كم سن القاضي أصلحه الله فقال أنا فوق سن عتاب بن أسيد إذ ولاه
النبي صلى الله عليه وسلم مكة فهابوه لحدة جوابه وعرفوا فضله وكان سن
عتاب بن أسيد إحدى وعشرين عاما إذ ولي مكة وكان عمر يقول لا يحابيه لا يصلح
أن يلي أمر الناس إلا حصيف العقل وافر العلم قليل الغرة بعيد الهمة لا يطلع منه
على عورة لين في غير ضعف جواد في غير سرف لا يخاف في الله لومة لائم وقال
أيضا ينبغي أن يكون الوالي من الشدة كأنه يكاد يضرب الرقاب عنده في الحق ويقتل
عصفورا بغير حق ويكون فيه من الرقة والعفو والرأفة ما يجزع من قتل
عصفور بغير حق ويروى أن الرشيد أحضر رجلا ليوليه القضاء فقال إني لا
أحسن القضاء ولا أنا فقيه فقال له الرشيد فيك ثلاث خصال لك شرف والشرف
يمنع صاحبه من الدناءة ولك حلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطاؤه
وأنت رجل تشاور في أمرك ومن تشاور كثر صوابه وأما الفقه فيضم إليك من
تتفقه به فولي فما وجدوا فيه مطعنا وقال إياس بن معاوية استحضرني
عمر بن هبيرة فحضرت فما كلمني فسكت فلما أكثرت قال إيه قال سل عما بدا
لك فقال تقرأ القرآن قلت نعم قال فهل تفرض الفرائض قلت نعم قال فهل

تعر

تعرف من أيام العرب شيئا قلت نعم قال فهل تعرف من أيام العجم شيئا قلت أنا
بها أعلم قال إني أريد أن أستعين بك فقلت إن في ثلاثا لا أصلح معهن للعمل
قال وما هن قلت أنا رجل دميم كما ترى وأنا حديد وأنا عيي فقال أما الد
مامة فإني لا أريد أن أحاسن بك وأما العي فإني أراك تعرب عن نفسك وأما سوء
الخلق فيقومك السوط قم قد وليتك فأعطاني ألفي درهم فكان أول ما تمولته
وقال سليمان بن داود عليهما السلام ما ملاقاة لبوة سلبت أشبالها
بأصعب من لقاء جاهل راض عن نفسه

الباب الثالث والخمسون في بيان الشروط والعهود التي تؤخذ على العمال

اعلم أرشدك الله أنه يجب أن تولى الأعمال أهل الحزم والكفاية وا
والصدق وأولي الأمانة وتكون التولية بغير الأهواء وملاك الولايات وأسا
سها أن لا تولى الأعمال إلا لمن لا يطلبها ولا راغبا فيها وروى البخاري في صحيحه
عن أبي موسى الأشعري قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي رجلان فلما
سلمنا عليه قال صاحبي يا رسول الله استعملني فقال النبي صلى الله عليه
وسلم إنا لا نستعمل على عملنا من أراده قلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق
ما عرفت الذي في نفسه وقد روينا عن ابن جعفر أنه قيل ما بال ملوك آل
ساسان صار أمرهم إلى ما صار إليه قال لأنهم قلدوا كبار الأعمال صغار
الرجال ولله در عمرو بن العاص حيث قال موت ألف من العلية أقل ضررا
من ارتفاع واحد من السفلة وقال الثعلبي بن أبي غضب المأمون على بعض
أصحابه غضبا شديدا ثم قال لا أماتك الله أو يبلغك دولة السفلة وقال
رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لرجل فيه إذا أتتك إمارة

الصبيان وقال المستوغر الاكبر وكان في عنفوان الجاهلية ثلاث ما بعدهن

وما تنفك يوما من اتبع هواه البوائق الا ان تسوء ذميمها

الا انما دنيانا يعدو لي بعضها تصول لنا ذل وعز أتى بعدها

وما قادها التجبر الا مجرب عليم باقبال الامور كريمها

وما كان في لب يعاش يعقله ولكن تنبو بين الامور حكيمها

اعلموا انما يدخل على الدول من فساد بعض تغلبهم الاعمال الغير اهل الاعمال عليها لانه لا يغضبها الا لحرصه ثوب ناسك ولا يعف مصلح عابد حريص على جمع حطام الدنيا بانه لا دينه ومروته يبتغي عرض الحياة الدنيا وقد سبق انه قبل الحرص على الامانة تدليل على الخيانة يتخذ دين عباد الله خولا واموالهم دولا واذا استحقت حقوق المسلمين واكلت اموالهم فسدت نياتهم وقلت طاعتهم وما تنقض الامور في المسلمين الى العمال وقد ذكرنا في اول الكتاب في الاقارب كراهة الولاية فقال المأمون ما بقي علي شيء الا وجدت نسبه جزء العمران وقد روي رسول الله صلى الله عليه وسلم غريبة على عضد الدولة يوسف [illegible] ولي قضاء الري [illegible] قال لعضد الدولة [illegible] اقول لا خير فاقال فانه يستطيع عند سلطان يظلم وحده فان قيل فما معنى يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم قلنا يوسف عليه السلام كان نبيا من انبياء الله تعالى واثقا من نفسه بالكفاية والامانة من حيث لا تخفى [illegible] ولا يعلم خطابه وقضائه ويروى الامور والاعمال والولايات لطائفة في يدي من ليس ليسوا لها اهلا ويجوز مثل هذا اليوم هذا لمن حصل بين يدي جبار لا يعلم منزلته ولا ما عنده من الخصال والعصائب ان يذكر له بعض ما يعلم من نفسه ليعلم قدره فيسلم به لامن شره وعن هذا قال بعض اصحاب الشافعي واذا كان القضاء من

يصلح

يصلح له وجب ان يطلب ممن يصلح له وكان ذلك فرضا عليه وقد قال [illegible] الامصار على خلاف هذا الرأي ويعتقد ان يجوز هذا الرأي يوسف عليه السلام قد اوحي اليه فيصير امره لما ابيه من الحفظ والعلم ونشر كلمة الاسلام والدلالة على وحدة ومما روي في عجيب هذا الباب ان لقمان الحكيم كان عبدا نوبيا اسود عظيم الشفتين مصفح القدمين لامرأة من بني الحسحاس وكان حبيبا لداود عليه السلام فاتاه جبريل بالنبوة ليس عند الله انه يصطفي للنبوة من يشاء فقال لقمان يا جبريل ان خيرني ربي فسمعا وطاعة وان عزم فاخترت العافية فسمعا وطاعة فرضي الله قوله واعطاه الحكمة وصرفت الرسالة الى داود عليه السلام وكان داود عليه السلام كوي له بالفضل اوتيت الحكمة واوتي داود البلية وروي انه جالس داود عليه السلام وداود يعمل الدرع فاقام حولا يبصر صنعة الدرع ولا يعلم لما يصلح له ولا يسأله عنه لحسن قلة الفضول فلبس داود الدرع وقال درع حصينة ليوم حرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله وكان عمر بن الخطاب اذا بعث عاملا اشترط عليه اربعا لا يركب البراذين ولا يلبس الرقيق ولا ياكل النقي ولا يتخذ حاجبا ولا يغلق بابا عن حوائج الناس وما يصلحهم ويقول اني لا استعملك على ابشارهم ولا اعراضهم وانما استعملك لتصلي بهم وتقضي بينهم بالعدل وروي عبادة ابن رفاعة قال بلغ عمر بن الخطاب ان سعد بن ابي وقاص اتخذ قصرا وجعل له بابا وقال انقطع الصوت فارسل عمر محمد بن مسلمة وكان عمر اذا احب ان يؤتى بالامر كما هو بعثه فقال ائت سعدا واحرق عليه بابه فقدم الى الكوفة فلما اتى بابه اخرج زنده واستورى نارا ثم احرق الباب فاتى سعد الخبر ووصف له صفته فعرفه فخرج اليه فقال له قد بلغ امير المؤمنين

إذا قلت انقطع الشويك تحلب فتعيل بالله ما قال ذلك فقال له عمر رضه نفعل الذي امرنا به ونوحي عنك ما تقول ثم ركب راجعا فما كان يعض الرملة الذي اصابه من الغيض والجوع والله به اعلم فما بهم غنما فارسل غلامه يجامنه وقال اذهب فما تبعتنيه منها مجاء الغلام بالشاة وهو يطلع لبطا ان راح الجمع إنشا واليه ان يكتب ملها فقضى صلاته قال انظر فان كانت مملوكة معها فاردد الشاة وخذ العامة وان كانت حرة فاردد الشاة التي قد حبت فاذا هي مملوكة فاخذ العامة ورد الشاة ثم اخذ بخطامها فقد ذهب وجعل لا يمر بنعلة الا قطعها حتى اوى الليل الى اقوام فاتوا بخبز ولبن وقالوا لو كان عندنا شي غير هذا لاتيناك به فقال بسم الله كل حلال اذهب الشعب خير من ملكل السوء حتى قدم المدينة فنزل باهله واشرف من العامة راح وقال فلما ابصره عمر قال لولا حسن الظن بك ما رضينا ما حالك وذكر انه نهي الشي فقال قد بعثك وهو يعنيه رو جعلته بالله ما قال فقال عمر يسعل مرة بشي فقال قد رايت مكانه ان يا مربي فقال عمر ان ارض العراق ارض رقيقة وان اهل المدينة يموتون حوله من الجوع فخشيت ان امرنا بشي فيكون لا بارده ولي الحار وروى زيد ابن اسلم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل مولى له على الحمى فقال يا اصيني اضمم جناحك للمسلمين واتق دعوة المظلوم فان دعوة المظلوم مستجابة وادخل رب الصريمة والغنيمة واياك ونعم ابن عوف ونعم ابن عفان فانهما ان تهلك ماشيتهما يرجعا الى نخل وزرع وان رب الصريمة ان تهلك ماشيته ياتيني ببنيه فيقول يا امير المومنين افتاركهم انا لا ابا لك والماء والكلاء ايسر علي من الذهب والورق وايم الله انهم يرون اني قد ظلمتهم انها بلادهم قاتلوا عليها في الجاهلية واسلموا عليها في الاسلام

واني بغيتي بعد لولا المال الذي احمل عليه في سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبرا ومر عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما ببناء يبنى بحجارة وجص فقال لمن هذا فذكروا انه لعامل له على البحرين فقال ابت الدراهم الا ان تخرج اعناقها وقاسمه وكان يقول لي على كل خائن امينان الماء والطين وكان ابو الشرو ان يكتب في خيار العمال يسوس خيار الناس بالمحبة وامزج للعامة الرغبة بالرهبة وسس سفلة الناس بالاخافة وقال سليمان بن داود عليهما السلام كما يصلح الهمز للفرس والرسن للحمار كذلك يصلح الغضب لخص الجاهل وفي الامثال الفدية من لم يصلح باللين اصلحه التليين ومن لم يعذ عدا وقال هلال بن اساف استعمل النبي صلى الله عليه وسلم المقداد على سرية فلما رجع قال له النبي عليه السلام كيف رايت الامارة ابا معبد قال خرجت يا رسول الله ولا ارى ان لي فضلا على احد من القوم فما رجعت الا وكانهم عبيد لي قال كذلك الامارة ابا معبد الا من وقاه الله شرها قالوا الذي بعثك بالحق لا اعمل على عمل ابدا وقيل لعمر بن الخطاب ما يمنعك ان تولي العمل اهل البدر من اصحاب محمد عليه السلام فقال اكره ان ادنسهم بالعمل فقال ابراهيم كان عمر اذا قدم عليه الوفد سالهم عن احوالهم واسعارهم وعن من يعرف من اهل البلاد وعن اميرهم هل يدخل عليه الضعيف وهل يعود المريض فان قالوا نعم حمد الله تعالى وان قالوا لا كتب اليه وقيل مثل السلطان اذا ولي العمال مثل من يستعين على غنمه الذئاب ومثل من يربط الكلب العقور ببابه دون العامة لتشتم الحجاج بن يوسف والخاصة تلوم عبد الملك بن مروان لانه الذي استعمله وفيه قيل

ومن يربط الكلب العقور ببابه ... فعقر جميع الناس من رابط الكلب

وكان العلاء بن أيوب لما ولي فارس من قبل المأمون يكتب عهد العامل ويقرأه
على من يحضره من أهل تلك العمل ويقول أنتم عيون عليه فما تنكرونه منه ومن
تظلم إلي منه فعلي إنصافه ويعطيهم ما يبدو راجعا ويأمر العامل أن يقرأ عهده
على أهل عمله في كل جمعة فيقول لهم هل استرشيتم والله الموفق للصواب

الباب الرابع والخمسون

هدايا العمال والرشا على استدعائها

روى أبو داود في السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من شفع لأخيه
شفاعة فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا
والسر فيه أنه إذا أقدم على قضاء حاجته عند السلطان الظالم أو السيد
الغاشم صارت له واجبا عليه وروى البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه
وسلم استعمل رجلا يقال له ابن اللتبية فلما جاء قال يا رسول الله هذا لكم
وهذا أهدي لي قال فغضب النبي عليه السلام وقال ما بال الرجل نستعمله
على عمل من أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا أهدي لنا أفلا قعد في بيت
أبيه وأمه فينظر هل يهدى له قال ثلاثا وكان عمر بن الخطاب يشاطر
العمال فيأخذ نصف أموالهم وشاطر أبا هريرة فقال له من أين لك هذا
المال فقال أبو هريرة دواب تناتجت وتجارة تداركت فقال إذا الخيل
وإنما شاطرهم حين ظهرت لهم أموال بعد الولاية لم تكن تعرف لهم
وروى ملك بن عمر أنه اشترى هو وعبد الله أخوه إبلا فبعثا بها إلى الحمى
فرعت فقال عمر رعيتها في الحمى فشاطرهما وشاطر سعد بن أبي وقاص
حين قدم من الكوفة لأنه رأى أن ما أصاب العامل من غير رشوة وأكل حلال
لا فلا يستحقونه لأن الإمارة قوة على ارتفاع الحلال فما ينال غيره

فيجعله

فيجعله كالغارة للمسلمين وقد دفع أبو موسى الأشعري مال بيت
المال لعبد الله وعبيد الله ابني عمر بن الخطاب بالبصرة اشتريا به بضاعة فربحت
بالمدينة فأراد عمر أن يأخذ جميع الربح فراجعه عبد الله فحكم بينهم بنصف
الربح فأخذا جميعا نصف الربح وأخذ عمر النصف لبيت المال وكتب عمر
بن عبد العزيز إلى عماله أما بعد فإنما هلك من كان قبلكم بمنعهم الحق حتى
يشترى وبسطهم الباطل حتى يفتدى في الملك بالدين هوى والدين للملك يبغي
وكان عمر بن الخطاب يأمر إذا قدم عليه العمال أن يدخلوا نهارا ولا يدخلوا
ليلا كيلا يحجبوا شيئا من الأموال وقال عتاب بن أسيد والله ما أصبت في عملي
الذي ولاني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ثوبين معقدين كسوتهما مولاي كيسان
وروي أن عليا استعمل أبا مسعود الأنصاري على السواد فرجع إلى داره وقد استقلت
قال ما هؤلاء قالوا كذلك يصنعون بالرجل إذا استعمل فإن كل هؤلاء يرجون
أن يأكل في أمانتي وروي في إمارتي فرجع إلى علي وقال لا حاجة لي في العمل
وقد ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة ليستعمله فقال
يا رسول الله خر لي فقال اقعد في بيتك وفي الأمثال الهدية تعمي وتصم وقال
بعض الحكماء الرشوة رشاء الحاجة وأنشد بعضهم

إذا أتت الهدية دار قوم ... تطايرت الأمانة من كواها

وأنشد أيضا

إن الهدية حلوة كالسحر ... تجتلب القلوبا
تدني البعيد من الهوى ... حتى تصيره قريبا
وتعيد مضطغن العداوة ... بعد جفوته حبيبا

ومما قلته في الرشوة

واكرم من به والباب شخص   ثقيل الحمل مشغول اليدين
يبغي انه امتثالا نفسا وفخرا   وينطح بابه بالركبتين
واكرم شافع يدعى عليها   ابو الفتوح من فوق الصحيفتين

وقلت ايضا

اذا كانت به حاجة مرسلا   وانت بانجازها مغرم
فارسل باكمه خلابه   به صمم اغطش ابكم
ودع عنك كل رسول سوى   رسول يقال له الدرهم

الباب الخامس والخمسون
في معرفة حسن الخلق

اعلموا رحمكم الله ان هذا الباب فقد غلط فيه الخلق وفسدوا فيه اذ
الفوا من كونه يقصد الى اخلاق العامة والغوغاء والرعاع وما يجري بينهم اذا
تلاقوا وتعاشروا من الاعراض بدفع بعضهم بعضا وتعاطيهم الكذب بعضهم
والتصنع والملق والمرايات والمعاريض بالامور المكتومة التي يعجز الله
اظهارها والاغراق في شدة المزاح والمهارشة وما اشبهه عندهم من
حسن الخلق وهو عندنا نقيض ما حض الله عليه ورسوله من حسن الخلق فاول
ذلك ان تعلم انه لم تخلق الارض على بشر احسن خلقا من محمد صلى الله عليه وسلم
وكل من تخلق باخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم او بعضها او قاربها
كان احسن الناس خلقا وكل خلق يعد من اخلاقه عليه السلام فبينهم من
حسن الخلق وهذا افضل الخطاب لمن عقل وانما اوتي الناس من هذا الباب
لما استحسنوا الاخلاق العامية واستخشنوا الاخلاق النبوية فعملهم با   العامية
خلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم ونحن انما نتلوا عليكم من اخلاق الانبياء وا
والمرسلين

اللهم صل على الحبيب محمد وآله

123

والمرسلين ولا وليا والا صفيا والعلماء والصالحين ما نرجوا ان ينفعنا الله وايانا به
قال الله سبحانه لنبيه وصفيه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك
لعلى خلق عظيم فخص الله سبحانه نبيه عليه السلام من مكارم الطبا
ئع ومحاسن الاخلاق من الحياء والكرم والصفح وحسن العهد ما لم يوته
غيره ثم لم يثن الله عليه بشيء من فضائله مثل ما اثنى عليه بحسن خلقه فقال
وانك لعلى خلق عظيم وعن هذا قال الشيوخ ان الله سبحانه دعا الخلق
الى حسن الخلق ودعا نبيه عليه السلام من حسن الخلق قال العبيس بن عمير
قلت لعائشة رضي الله عنها يا ام المومنين صفي لي خلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت لي اما تقرا القرءان كان خلقه القرءان وحسبك
بهذا منقبة بان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع بعاله بحسن الخلق واذا   عليه السلام
واذ كانت خلق النبي صلى الله عليه وسلم القرءان فالقرءان يجمع كل فضيلة
ويحث عليها وينهى عن كل نقيصة ورذيلة ويبغضها وينهاها وكذلك
لما انزل الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال النبي
عليه السلام ما هذا يا جبريل قال ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفوا عمن ظلمك فهذا من حسن الخلق كما ترى فانظر ابن اخلاق
العامة من هذا النمط وان احدهم لم يقطع من وصله ويحرم من اعطاه
ويظلم من ظلمه ويغضب على البهيمة وانما اقتصر على هذه الكلمة لانها
اصل الفضائل وينبوع المناقب لان في الامر بالعفو صلة القطع والصفح عن
الظالم واعطاء وفي الامر بالمعروف تقوى الله وصلة الرحم وصون اللسان
وغض البصر عن المحرمات وفي تقوى الله يدخل جميع آداب الشرع و
فرضها ونفلها وفي الاعراض عن الجاهلين الصفح والحلم وتنزيه النفس

عن مجازات السفيه ومجازات الحرج فهذه الاصول الثلاثة تضمن جملة
من الشرع نصا وتنبيها وتضمنا واعتبارا وروى انس قيل يا رسول الله اي المومنين افضل
ايمانا قال احسنهم خلقا وروى ابو داود في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال بعثت لاتمم محاسن الاخلاق وفي لفظة الحديث ان كل نبي مبعوث الى امة انما
بعث ليعلم الخلق حسن الخلق وان نبينا محمدا عليه السلام بعث ليتمم محاسن الا
خلاق واذا الحسن الخلق امتثال الشرائع بالله وروى البخاري عن ابن عمر ان الرسول
عليه السلام لم يكن فاحشا ولا متفحشا قال وان من خياركم احسنكم اخلاقا وكا
ن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية فجذبه
اعرابي جذبة شديدة حتى اثرت حاشية الرداء في عنقه وقال له يا محمد مر لي
بشيء من مال الله الذي اتاك فانك لست تامر لي من مالك ولا مال ابيك فالتفت اليه النبي
صلى الله عليه وسلم وقال مروا له ولم يكلمه بشيء وروى معاذ ان النبي عليه
السلام قال احسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل واعلموا ان الخلق الحسن افضل
مناقب العبد وبه تظهر جواهر الرجال والانسان مستور بخلقه مشهور بخلقه الا
ترى ان الله سبحانه وتعالى خص نبيه عليه السلام بما خصه به من الفضائل ثم لم يثن
عليه بشيء من خصاله بمثل ما اثنى عليه بخلقه وقال بعض المفسرين في قوله
تعالى وانك لعلى خلق عظيم لا تخاصم ولا تخاصم من شدة معرفتك بالله وقيل لم
يوثر فيك جفاء الخلق بعد معرفتك بالحق قال المحاسبي حسن الخلق كظم
الغيظ واظهار الطلاقة والبشر الا للمبتدع او فاجر الا ان يكون فاجرا اذا
انبسطت اليه استحيا واقلع والعفو عن الزالين الا في الادب واقامة حد وكف
الاذى عن كل مسلم ومعاهد الا تغيير منكر او اخذ مظلمة لمظلوم وقيل — مظلمة
حسن الخلق ان لا تتغير ممن يقف في الصف بجنبك وقيل للاحنف ممن تعلمت حسن

الخلق

الخلق فقال من قيس بن عاصم المنقري بينما هو جالس في داره اذ جاءت
خادم له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات
فدهشت الجارية فقال لا روع عليك انت حرة لوجه الله وكان ابن عمر
اذا راى واحدا من العبيد يصلي وهو يحسن الصلاة يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه
فكانوا يحسنون الصلاة مراءاة له وكان يعتقهم فقيل له في ذلك فقال من خدعنا
في الله انخدعنا له وقال الفضيل لو ان امرءا احسن الاحسان كله وكانت
له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين وكان النجاشي يقول قد نلت ثلاثة
اشياء حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الامانة وحسن الاخاء مع
الوفاء وكان عبد الله بن محمد الرازي يقول الاستصغار منك والاستعظام ما اليك
وقال سهل حسن الخلق ان لا تهتم فيما لك وليس يقدر على هذه الصفة احد غير الله
سبحانه وقيل حسن الخلق تحمل اثقال الخلق وقال الحسين بن علي عنوان الشيء
حسن الخلق وقال شاه الكرماني علامة حسن الخلق كف الاذى واحتمال المؤن
وقيل حسن الخلق قبول ما يرد عليك ان تكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا
وقيل حسن الخلق قبول ما يرد عليك من جفاء الخلق احتمال المكروه بحسن
المداراة وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال يا هذه وجدت
اسمي الذي اضله اهل البصرة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لن
تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وروي
ان ابا عثمان اجتاز بسكة وقت الهاجرة فالقي عليه من فوق سطح طست
رماد فتغير اصحابه وبسطوا السنتهم فقال ابو عثمان لا تقولوا شيئا من
استحق ان يصب عليه النار وصولح على الرماد لم يجز ان يغضب وقيل — النار
لابراهيم بن ادهم هل فرحت في الدنيا قط قال نعم مرتين احدهما



اللهم صل على الحبيب

كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان فبال في العنق والثانية كنت جالسا يوما فجاء
انسان يصفعني وكان ابو بكر الفرغاني اذا راه الصبيان يرمونه بالحجارة
وهو يقول ان كان لا بد فارموني بالحجارة الصغار لئلا تدموا ساقي فيمنعني
من الصلاة وروي ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعا
مرارا فقام اليه فوجده مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك
جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت قال امض فانت حر لوجه الله وهذا
كما ترى قوة الهية يفرغها الله على المصطفين من عباده واهل البصائر من
اوليائه الا ترى الى قوله سبحانه فبما رحمة من الله لنت لهم جرده عن حظ
البشرية والنفس من نعمة الربوبية حين قواه على كظمهم وصبر على تبليغ
الرسالة اليهم مع انه كان يقاسيه من اخلاقهم مع كونه مستغرقا
باستيلاء الحق سبحانه عليه يختص برحمته من يشاء وقال النبي عليه
السلام المومن الف مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف وانما سمي ادم لانه
الف من الجواهر والالوان وقال صلى الله عليه وسلم لرجلين فيما غضب ادم
الله بينكما ومنه سمي الادام الماكول لانه يولف الطعام ويحسنه ومنه
قول النبي عليه السلام لرجل اراد ان يتزوج امراة انظر اليها فانه احرى
ان يودم بينكما اي يولف بينهما وروي ان معروفا الكرخي نزل دجلة
يتوضا ووضع مصحفه وملحفته فجاءت امراة فاخذتهما فتبعها معروف
وقال يا اختي انا معروف لا باس عليك الك ابن يقرا قالت لا قال فزوج قا
لت لا قال فهاتي المصحف وخذي الثوب وروي ان ابا ذر كان على حوض
يسقي ابله فاسرع بعض الناس اليه فانكسر الحوض فجلس ثم اضطجع
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه انا لصاحب الكابرين قطعها وقال ابو ذر

ان الرك

انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقال الحارث يعجبني من القراء كل
سهل طلق فاما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا اكثر الله في
المسلمين مثله وقال عروة بن الزبير مكتوب في الحكمة بني (كذا) لتكن كلمتك طيبة
ووجهك طلقا تكن احب الى الناس ممن يعطيهم العطاء ومن يصحب صاحب الشقوة
لا يسلم ومن يصحب صاحبا صالحا يغنم وروي ان ابراهيم خرج الى بعض البراري
فاستقبله جندي فقال اين العمران فاشار الى المقبرة فضرب راسه واشجه فلما
جاوزه قيل له هذا ابراهيم بن ادهم زاهد خراسان فجاء ليعتذر اليه فقال انه
لما ضربتني سالت الله لك الجنة فقيل ولم قال علمت انه اوجر عليه فلم
ارد ان يكون نصيبي منك الخير ونصيبك مني الشر وحكي عن ابي عثمان الحيري انه دعاه
انسان الى ضيافة فلما وافى داره قال يا استاذ ليس لي وجه فوقف ثم انصرف
رحمه الله فرجع ابو عثمان فلما وافى منزله عاد اليه الرجل وقال يا استاذ
قد ندمت واخذ يعتذر ثم استدعاه فمضى معه فلما وافى داره قال له كقوله
في الاول وجعل يعتذر ثم استدعاه فمضى فعل به كذلك في الثالثة والرابعة و
ابو عثمان يجيء ويرجع ثم قال له يا استاذ انما اردت اختبارك والوقوف
على اخلاقك وجعل يعتذر اليه ويمدحه فقال ابو عثمان لا تمدحني على خلق
تجد مثله في الكلاب والكلب اذا دعي حضر واذا زجر انزجر وروي ان بعض
الفقراء نزل على جعفر بن حنظلة فكان جعفر يخدمه والفقير يقول نعم الرجل انت
لو لم تكن يهوديا فقال جعفر عقيدتي لا تقدح فيما تحتاج اليه من الخدمة
فسل لنفسك الشفاء ولي الهداية وروي ان ابا جعفر الحمودي المعنبر لقيه
لقيه بعض الاجناد ومعه كلب للصيد فقال له خذ هذا الكلب وقده خلفي
فابى فضرب راسه بالسوط فقال له بعض المارين هذا ابو جعفر الصوفي

العابد فنزل عن فرسه وجعل يقبل يديه ورجليه فقال أنت في حل قال ابن
إبراهيم بن الحسين سمعت إبراهيم القرشي ليالي عدة إذا فرغ من حزبه في جوف
الليل يدعو ويقول اللهم اغفر لصاحب الكلب وارحمه وقيل مكتوب في الإنجيل عبدي
اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب وقال بعض المفسرين في قوله تعالى
وقولوا للناس حسنا كل من لقيته فقل له حسنا من القول وقال لقمان لابنه ثلاثة
لا يعرفون إلا في ثلاث الحليم عند الغضب والشجاع عند الحرب والأخ عند الحاجة
وروي أن عبد الله الخياط كان له مجوسي يخيط له الثياب ويدفع إليه دراهم زيو
فا فكان عبد الله يأخذها فجاء المجوسي يوما بدراهم زيوفه فلم يجده فأعطا ردية
ها التلميذ فدفع له صحاحا فلما رجع عبد الله قال التلميذ هذه دراهم صحاح
المجوسي وذكر قصته فقال عبد الله بئسما عملت إنه يعاملني بهذه المعا
ملة منذ مدة وأنا أصبر عليه وألقيها في البئر لئلا يغر بها غيره وروي أن معاوية
نظر إلى يزيد يضرب ابنه له فقال أتضرب من لا تمتنع منك لقد حالت القدرة بيني وبين
أولي الترات وقال بعضهم أصل سوء الخلق ضيق القلب وضيقه على قسمين أحدهما
داء وهو أن لا يتسع لمراد الخلق وأقضاه والثاني أن لا يتسع لمراد المولى وقال الحا
تشكل أصل سوء الخلق الإعجاب وأصل حسن الخلق الرجل أن من عجبه وتكبره إلا إن رأى
أحدا ولا يعرف فيه نفسه فيه أخلد أعزة وقال الحسن في قوله تعالى وثيابك فطهر
أي خلقك فحسن وكان لبعض النساك شاة فرآها على ثلاث قوائم فقال من فعل
هذا بها فقال غلامه أنا فعلته قال ولم قال لأغمك فقال بلى لا غمن من أمرك بها
اذهب فأنت حر وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له أسرقت قال كلا والله الذي لا إله إلا هو
فقال عيسى آمنت بالله وكذبت عيني وقال علي بن أبي طالب قبلا والأخلاق

معاشرة

بمعاشرة الضعفاء وقيل الخلق السيئ يضيق قلب صاحبه لأنه لا يسع فيه مراد لـ
كالمكان الضيق لا يسع فيه غير صاحبه ويقال من ضيق خلقه أن يقع بصره على
سوء خلق غيره وروي أبو هريرة ~~أن~~ النبي صلى الله عليه وسلم عن الشؤم فقال سوء وقيل
الخلق وروي أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي عليه السلام قيل ادع الله على المشركين فقال
إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذابا ولعنا ووصى يعقوب أولاده فقال يا بني احفظوا
عني خصلتين ما انتصف من ظالم قط فوقه ولا بعلا ولا رأيت حسنة إلا أفشيتها ولا
سيئة إلا سترتها كذلك فافعلوا وقال ابن عمر إذا سمعتموني أقول لمملوك أخزاك
الله فاشهدوا أنه حر ويقال السيئ الخلق هو الذي لا يملك نفسه عند الغضب
أصل وتعلق سوء الخلق مطالبة غيره أن يوافقه وأن تطلب نفسه بموافقة
غيره وعلامة حسن الخلق احتمال معاملة سيئ الخلق لتستريح من سوء الخلق ولا
وقيل العارف تعاتب نفسه ولا يعاتب خلقه وعلامته من بينه وبين نفسه عتاب
لا يكون بينه وبين خلقه عتاب وروي أن عبد الله بن عمر كان في مجلسه يتيم
سيء الخلق فمات فحزن عليه ابن عمر فقيل له إنا نجد غيره فقال فقد نفعني
بفضل سوء خلقه وكان يحيى بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له لم تمسك
هذا الغلام فقال لأتعلم عليه الحلم وقيل في قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة الظاهرة استواء الخلق والباطنة حسن الخلق وقال الفضيل
لأن يصحبني رجل فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابد سيئ الخلق
وإن قيل البر فقد روي أن عيسى ويحيى بن زكريا التقيا فقال يحيى لعيسى
تلقاني ضاحكا كأنك آمن فقال له عيسى وأنت تلقاني عابسا كأنك آيس
فأوحى الله إليهما أن أحبكما إلي أبشركما لصاحبه فلذلك لا نستحب أن
يكون المؤمن يبست طلاقة وجهه وتبسمه في وجه أخيه منهيا عنه

وانما المكروه ما ذكرناه في اول الباب من الغلو والتنطع وقصد التعنت
في هذا الباب، روى هند بن ابي هالة في صفة مجلس النبي صلى الله عليه
وسلم فقال كان اصحابه كانما على رؤوسهم الطير ومعلوم ان من كان على راسه
الطير لا يبرح ولا يتحرك ولا يتكلم ولا يطرف بعينيه حذرا ان يطير الطير، وقال
ابن المقفع كان لي صديق من اعظم الناس في عيني وكان راس ما عظمه في
عيني صغر الدنيا في عينه كان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد
ولا يكثر اذا وجد وكان خارجا من سلطان فرجه فلا يدعو اليه مؤنة ولا يستخف
له رايا ولا بدنا وكان خارجا من سلطان الجهالة فلا يقدم ابدا الا على ثقة
لمنفعة كان اكثر دهره صامتا فاذا قال بذ القائلين وكان متضاعفا مستضعفا
فاذا جاء الجد فهو الليث عاديا كان لا يدخل في دعوى ولا يشترك في امر ولا يدلي
ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضيا عدلا وشهودا عدولا وكان لا يلوم احدا على
ما يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره كان لا يشكو وجعا الا من
يرجو عنده البرء ولا يستشير صاحبا الا من يرجو عنده النصيحة لهما
جميعا كان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشكى ولا ينتقم من العدو ولا يغفل عن
الولي ولا يخص نفسه دون اخوانه بشيء من اهتمامه وحيلته وقوته فاقف
على هذه الاخلاق وان لم تطق فاخذ القليل خير من ترك الجميع، وروى ان حكيما
سمع رجلا يذم الزمان واهله ويذكر فساد الناس وانه لم يبق واحد [illegible]
فقال له ما هذا انت تطلب صاحبا تؤذيه فلا ينتصر وتنال منه فلا ينتصف و
تاخذ رحله فلا يرى الشيء وتجعل عليه [illegible] ولم ينقص في الطلب ولم تجحد
[illegible] وكان انت تطلب صاحبا تؤذيه فلا ينتصر وتجعل فلا ينتقم وتاكل زاده
ولا تنال منه شيئا وهذا من اصحابنا واخواننا اول من [illegible] فصل في الغرور

من

بين المداهنة والمداراة من الرضى ومن ادهن اثم وهذا باب اختلط
على معظم الخلق فهم داهنوا وهم يحسبون انهم يدارون والمداهنة منهي عنها و
والمداراة مامور بها قال الله سبحانه في المداهنة ودوا لو تدهن فيدهنون
وقال النبي عليه السلام في المداراة راس العقل بعد الايمان بالله التودد الى
الناس وامرت بمداراة الناس كما امرت بأداء الفرائض وانما سلك المداراة [illegible]
[illegible] مداهنة والمداهنة ان تداري الناس على وجه تذهب فيه دينك والمداراة
[illegible] على وجه يسلم لك دينك ومن المداهنة الاية نزلت على النبي صلى الله عليه
وسلم وقد قالت له قريش يا محمد اعبد الهتنا سنة ونؤمن بالهك سنة فقال الله
[illegible] فقالوا [illegible] فقالوا [illegible] فقال [illegible]
ونؤمن [illegible] النبي عليه السلام في ذلك وطمع ان يؤمنوا فانزل الله
ودوا لو تدهن فيدهنون [illegible] ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم
شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ومثاله ان تقول
لظالم ابقاك الله ومن دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله سبحانه وهذا
باب ينبغي [illegible] الدين [illegible] وقد رأى بعض الفقهاء الخروج من [illegible]
[illegible] وكان الفقيه ابن العطار [illegible] له جار نصراني [illegible]
وينفعه فكان الفقيه يكثر ان يقول له ابقاك الله وتولاك [illegible]
والله ما [illegible] قبل يوم [illegible] على هذه الكلمة [illegible] النصراني
[illegible] الفقيه في ذلك فقال انما ادعو [illegible] قد عرف الله
[illegible] اما قولي ابقاك الله وتولاك [illegible] الجزية
وقولي [illegible] واما قولي اعزك الله [illegible]
[illegible] واما قولي [illegible] العافية [illegible] واما

وانا فوض جعل الله يومي قبل يومك واريد ان يجعل الله اليوم الذي ادخل
فيه الجنة برحمته قبل اليوم الذي يدخل فيه النار بكفره هذا قوله

الباب الثامن والتسعون في
الظلم وسوء عاقبته

قال الله سبحانه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون وقال
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وقال ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الكافرون وردت الايات الثلاث في بني اسرائيل وكل من لم يحكم
بما انزل الله ولا بما جاء من عند الله كان اما كافرا او ظالما او فاسقا بالكفر مو
قوفا على خلاف العقيدة وقال الله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
قال ولا اغتنم سفرا لا يكون فيه من لا يوذي يوذى ويظلمني تشوفا في تعزية الله
للمظلومين وقال كعب لا في هو في التورية من يظلم يخرب بيته بقال
ابو هريرة وذلك في كتاب الله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا فالظلم ادعى
شيء الى تقلب النعم وحلول النقم وروى مسلم في الصحيح عن النبي عليه السلام
فيما يروي عن ربه سبحانه انه قال اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما
فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم يا عبادي كلكم
كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي انكم تخطئون بال
ليل والنهار وانا اغفر الذنوب فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي انكم لن تبلغوا
ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو ان اولكم واخركم
وانسكم وجنكم كانوا على ارى قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا واحد
يا عبادي لو ان اولكم واخركم قاموا في صعيد واحد فسالوني فاعطيت كل
انسان مسئلته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر يا عبادي

انما هي

انما هي اعمالكم احصيها لكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير
ذلك فلا يلومن الا نفسه يرويه ابو ادريس الخولاني عن ابي ذر عن
النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو ادريس اذا حدث به جثا على ركبتيه
وروى ابو ادريس عن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
الظلم ظلمات يوم القيامة وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اتقوا دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب وروى
ابو هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من كانت لاخيه عنده مظلمة
من عرضه او ماله فليتحلله قبل ان لا يكون دينار ولا درهم فان كان له عمل
صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم تكن له حسنة اخذ من سيئات صاحبه
فحمل عليه وروى سعيد بن زيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول من ظلم في الارض شبرا طوقه من سبع ارضين قال ابو جعفر الطحاوي سبع ارضين
معناه انه ينقلب شجاعا اقرع فيطوقه كما قال عليه السلام في مانع الز
كاة يجيء يوم القيامة شجاع اقرع يقول انا كنزك وكان هذا اخذه
في قوله فسيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال مطل الغني ظلم وروى ابو موسى الاشعري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وقرا
وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وروى ابو
هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انصر اخاك ظالما او مظلوما
قال يا رسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما قال تاخذ فوق يديه
وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صنفان من اهل النار لم ارهما
قوم معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات

ما بلاد عاد وثمود مثل السنة البيضاء لا يرى من أثر الجنة واليمن زرعها و
وقال الله تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها
فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وقرية قاويات أهلها أمرناهم بالطاعة
عنه بعد نعمة أن خرجوا عن الطاعة والشأن على قراءة الحسن بن كثير ناعدوهم
وأسبغنا النعم عليهم فعصوا وتمادوا ومنه قول النبي عليه السلام
خير المال سكة مأبورة أو مهرة مأمورة أي كثيرة النتاج واعلموا أن جميع
الحشرات والأرض وهوامها تلعن العصاة . وقال مجاهد إذا أشعثت الأرض
تقول البهائم هذا من أجل عصاة بني آدم لعن الله عصاة بني آدم وفي لفظ
قوله أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وفي الحديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال إن الحبارى لتموت هزلا بذنب ابن آدم يعني أن يحبس الله
الغيث بمنع القطر فلا تنبت الأرض فتهلك الدواب والحشرات وسمع أبو
هريرة رجلا يقول إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال بلى والله إن الحبارى
لتموت في وكرها هزلا لظلم الظالم وقال ابن مسعود خطيئة ابن آدم قتلت
الجعل وروى مسلم في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق
امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار فقال له رجل يا
رسول الله قال ~~يا رسول الله~~ وإن كان قضيبا من أراك وقال ابن عباس ما ظهر
الغلول في قوم إلا ألقى في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنا في قوم إلا كثر فيهم
الموت ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير
الحق إلا فشا فيهم الدم ولا ختر قوم بالعهد إلا سلط عليهم العدو وقال
بعض الحكماء اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك ولا
يعجبك امرؤ رحب الذراعين يسفك الدماء فإن له قاتلا لا يموت وروى أن بعض

وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله

الملوك

الملوك أمر أن يكتب على بساطه هاذين البيتين

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا ... فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

وأنشدنا قاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني ببغداد رحمه الله

إذا ما هممت بظلم العباد ... فكن ذاكرا هول يوم المعاد
فإن الظلوم بيوم القصاص ... [illegible] زاد

وروى سحنون بن سعيد قال كان يزيد بن حاتم يقول
والله ما هبت شيئا هيبتي رجلا ظلمته وأنا أعلم أن لا ناصر له إلا الله فيقول لي
حسبك الله بيني وبينك وقال أبو سليمان الداراني لما دخل إخوة يوسف
عليه السلام عرفهم ولم يعرفوه وكان على وجهه برقع فلو نكبهم كان من
خاف الله فقال له يا أخي [illegible] قال يا رب فإن هم قال يا بني تتبع هواك
فبعثوا إليه إذا قال إنهم يدعون إلى الجنة وأنهم يدعون إلى النار ولا أقبح منه
منظرا في لا يعنيه فيتقعقع من جنبه ولا أتى [illegible] الظلم ولا يستجيب له
ولا أنكى لظالم فإن الجنة لم تخلق للظالمين وبكى علي بن الفضيل يوما فقيل
له ما يبكيك قال أبكي على من ظلمني إذا وقف بين يدي الله تعالى ولم تكن
له حجة وقال محمود الوراق

إذا وهبت لظالمي ظلمي ... وغفرت ذاك له على علم
ورأيته أسدى إلي يدا ... لما أبان بجهله حلمي
رجعت إساءته عليه ... وإحساني فعاد مضاعف الجرم
وغدوت ذا أجر ومحمدة ... وغدا بكسب الظلم والإثم
ما زال يظلمني وأرحمه ... حتى بكيت له من الظلم

ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اشتد غضبي على
من ظلم من لا يجد ناصرا غيري وقال ابن مسعود لما كشف الله تعالى العذاب عن
قوم يونس ترادّوا المظالم حتى ان كان الرجل ليقلع الحجر من اساسه فيرده على
صاحبه وقال ثور بن يزيد الحجر في البنيان من غير حله عربون على خرابه وقال
غيره لو ان الجنة اسست وهي دار البقاء على حجر من الظلم لاوشك ان تخرب
وقال الحكيم العدل قوة والظلم ضعف فالعدل يحفظ البلاد والجوارح وبدا
يجورون بهم الجوارح فاحذر من لا جنة له الا الثقة بنزول العقاب ولا سلاح له
الا ابتهال الى مقلب القلوب وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب يا
معشر الظلمة لا تجالسوا اهل الذكر فانهم اذا ذكروني ذكرتهم برحمتي ذكره
واذا ذكرتموني ذكرتكم بلعنتي وقال ابو امامة يجيء الظالم يوم
القيامة حتى اذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرف ما ظلمه به
فما يبرح الذين ظلموا حتى ينزعوا ما بايديهم من الحسنات فان لم يجدوا
حسنات حمل عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموا حتى يردوا الى الدرك الاسفل
من النار ومن صحيح مسلم ان هشام بن حكيم مر بالشام على اناس قد اقيموا
في الشمس وصب على رؤوسهم الزيت فقال ما هذا فقيل يعذبون في الخراج فقال
اما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعذب الذين
يعذبون الناس في الدنيا واخبرني رجل ممن كان يقرأ القرآن في الاسكندرية
قال كان ههنا شيخ خوّاص على المكاس يبيع ورحولهم فرايته في النوم
بعد وفاته فقلت له من اين تجيء فقال لا تسل ما عذبت عليه فقلت لا تسل
فسالته فقال من الجحيم قلت له فالى اين تذهب قال الى مثل الذي خرجت
منها قلت فكيف تعيش قال وما تعيش فكان يحيى حفرة هاوية ودني حتى

حارشل

حار مثل الخ .. واخبرني رجل من اهل الفضل قال رايت فلانا البياع في النوم بعد
وفاته فقلت ما فعل الله بك قال انا محبوس عن الجنة قلت بماذا قال كنت ابيع
في الدكان فيزدحم الناس علي فآخذ دراهمهم واضعها في فمي وكلما فرغت
وزنتها واعطيت كل انسان حقه فاختلط في فمي دراهم لرجلين فدفعت
لاحدهما دراهم صاحبه وكانت انقص من دراهمه ثم هو يسيت وبقي علي
حبة فقلت له فادفع الحبة وتخلص فجعل يقلب كفيه ويقول من اين ادفع الحبة
الحبة يكررها ثلاث مرات ويروى ان يونس عليه السلام لما ابتلي بالعراء
وانبت الله عليه شجرة من يقطين كان يأوي الى ظلها فيبست فبكى عليها
فاوحى الله اليه تبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او يزيدون
اردت ان اهلكهم وقال لابن السماك انا سمعت معاوية كيف تركت
الناس قال بين ظالم لا ينتهي ومظلوم لا ينتصف وقال بعض الحكماء افقر
الناس اكثرهم كسبا من حرام لانه استدان ما لا بد من رده وقال رجل كنت
جالسا عند عمر بن عبد العزيز فذكر الحجاج فشتمته ووقعت فيه فقال
عمر ان الرجل ليظلم بالمظلمة فلا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه حتى
يستوفي حقه ويكون للظالم فضل عليه وقال عمرو بن دينار نادى رجل في بني
اسرائيل من رآني فلا يظلمن احدا واذا رجل قد ذهبت ذراعه من عضده
وهو يبكي ويقول من رآني فلا يظلمن احدا فسئل عن حاله فقال كنت امشي
على شاطئ البحر في بعض سواحل الشام اذ مررت بصياد قد صاد سمكة
فاعجبتني فاخذتها منه غصبا وهو كاره بعد ان ضربت راسه فعضت السمكة ابهامي
عضة يسيرة فوقعت الاكلة في الابهام فاتفقت الاطباء على قطعه
فقطع فوقعت في الكف ثم في الساعد ثم في العضد فمن رآني فلا يظلمن

احد اخرجت انيم في البلاد وانا اريد قطع العضد اذ رميت التي تجرها فأرت ظلها بذعرت فقيل في المنام لا شيء تقطع رد النون الى اهله فجئت الصياد فقلت يا عبد الله انا مملوك لك فاعتقني فقال ما اعرفك فاخبرته فبكي وتضرع فقال انت في حل ولما فارقتها اتاني الله وادى من عضدي وسكن الوجع فقلت بماذا دعوت علي قال لما ضربت راسي واخذت السمكة في نظرت الى السماء وبكيت وقلت يا رب انت اشهد انك عدل تحب العدل وهذا منك عدل وانت حق تحب الحق وخلقتني وخلقته وجعلته فوقي وجعلتني ضعيفا فاسالك يا رب خلقتني وخلقته ان تجعله عبرة لخلقك.

وقال معاوية اولى الناس من العفو اقدرهم على الانتقام وانقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه وقال بعض الحكماء الظلم على ثلاثة اقسام ذنب لا يغفره الله وظلم لا يتركه الله وظلم لا يعبأ الله به فاما الظلم الذي لا يغفره الله فهو الشرك بالله واما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا واما الظلم الذي لا يعبأ الله به فظلم العبد بينه وبين الله تعالى وقال ميمون بن مهران من ظلم رجلا مظلمة فلا تدعه يخرج من مظلمته وقال يوسف بن اسباط توفي رجل من الحواريين فوجدوا عليه وجدا شديدا وشكوا ذلك الى المسيح عليه السلام فوقف على قبره ودعا فاحياه الله وفي رجليه نعلان من نار فساله عيسى عن ذلك فقال والله ما عصيت قط الا اني مررت بمظلوم فلم انصره فنعلت هذين النعلين واما الاصيد اذا فعلت بالحد مكروها فادع الله تعالى واستغفر له كما فعل موسى لما اخذ اخاه هرون واخذ براسه ولحيته ثم تبينت له براءته بان بني اسرائيل غلبوا عليه وعلى عبادة العجل

وأصيد

فقال

فقال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين وروي ان قوم لوط كانت فيهم عشر خصال اهلكهم الله بها كانوا يتغوطون في الطرقات وتحت الاشجار المثمرة وفي المياه الجارية وعلى شطوط انهارها وكانوا يحذفون الناس بالحصا فيعذرونهم فاذا اجتمعوا في المجالس اظهروا المنكر باخراج الريح منهم والتحكم على الفقراء وكانوا يرفعون ثيابهم قبل الغائط ويأتون بالفاحشة الكبرى وهي اللوطية قال الله تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر والنادي المجلس ويلعبون بالطعام ويرمون بالجلاهق وضرب الدفوف وشرب الخمور وقص اللحية وتطويل الشارب والتصفيق ولبس الحرير وتزيد عليهم هذه الامة اتيان النساء بعضهم بعضا وانما حملهم على اتيان الرجال انهم كانت لهم ثمار كثيرة في منازلهم وحوائطهم فاصابهم قحط وقلة من الثمار فقالوا ان منعنا ثمارنا حتى لا يعرفها الناس فاصطلحوا على ان من وجدوه منها فكحوه وغرموه اربعة دراهم ففعلوا وما سبقهم بها من احد من العالمين قال ابن عباس وكان بدء الفاحشة فيهم انهم كانوا في مجلس لهم ابليس في هيئة اجمل صبي الى الناس فنكحوه وتمادوا على ذلك وقال ابو العتاهية

أما والله ان الظلم لؤم   وما زال المسيء هو الظلوم
الى ديان يوم الدين نمضي   وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم في الحساب اذا التقينا   غدا عند المليك من الظلوم

وروي ان انوشروان كان له معلم حسن التاديب فعلمه حتى فاق في العلوم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فاوجعه فحقد انوشروان عليه

فلما ولي المدينة قال له ما حملك على ضربي يوم كذا وكذا فقال لما
رأيتك تركب في العلم رجوت أن أقتلك بعد أبيك فأحببت أن أريحك فلم يكلمه
الكلام لئلا تكلمه فقال افرشوا ازاله وقال عبد الرحمن بن السائب جمع
زياد من سمينة الناس بالكوفة في امارته عليهم ليعرضهم على لعن امير المؤمنين
علي بن ابي طالب رضي الله عنه والبراءة منه فملأ منهم المسجد والرحبة وا
لقصر وكان على الناس يوم عظيم قال وكنت في القوم فأغفيت إغفاءة
ومعي أناس من أصحابي من الأنصار فرأيت بعضا من شيئا فقلت طويل العنق له
أهدب فأعجبني منظره وأفزعني فقلت من أنت فقال أنا النقاد ذو الرقبة
بعثت الى صاحب هذا القصر فاستيقظت فزعا فأخبرت أصحابي بما
رأيت فوالله ما كان إلا ريثما حلب الناقة وأنا في الحديث إذ خرج
علينا صاحب زياد فقال أيها الناس انصرفوا فإن الأمير مشغول فإذا هو
قد ضربه الطعنة فلما اشتد به العلاج وروي أن عبد الله بن مصعب الز
بيري سعى الى الرشيد بيحيى بن عبد الله بن حسن العلوي فجمع الرشيد
بينهما فقال له يحيى وأنت يا أمير المؤمنين تصدقه قال هو يحلف وأنا استحلفه
فقال عبد الله أنا أحلف فقال له قل برئت من حول الله وقوته ودخلت في حولي
وقوته الى حولي وقوتي إن كان كذا فجاء حنبه عبد الله بالحلف وامتنع من
اليمين وغضب الرشيد وقال له إن كنت صادقا فاحلف فحلف بعين اليمين
فقال يحيى الله أكبر لا يحلف بها أحد كاذبا إلا عوجل فأخذ في يومه و
ضربه الله بالجذام وتقطع وجهه ويداه قال سليمان بن جعفر لقد
دخلت عليه في اليوم الثالث من علته فما رأيته بيوم فوالله ما عرفته
وجدته كالزنجي وقد تقطع جدا أو وروي أن زياد بن ابيه دخل على

بلال

بلال بن بردة فقال بلال ادع الله لي يا أبا يحيى فقال له وما ينفعك دعائي وعلى
وبالباب مائتا ربع عدو عليك ومثل قول سليمان بن عبد الملك لأبي حازم
ادع الله لي فقال ادع الله لكذا هنا ومظلوم بالباب يدعو الله عليك فأي
الدعوتين أحق بالإجابة وكان سديف مولى بني هاشم يقول في دعائه اللهم
قد صار فيئنا دولة بعد القسمة وإمارتنا غلبة بعد المشورة وعهدنا ميراثا
بعد الاختيار للأمة واشتريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة و
حكم في أبشار المسلمين أهل الذمة وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة
اللهم وقد استحصد زرع الباطل وبلغ نهايته واستجمع طريده فأتح
له من الحق يدا حاصدة تبدد شمله وتفرق أمره ليظهر الحق في أحسن صورة
وأتم نوره وقال سوذب قال عمر بن عبد العزيز بعد ذكر كلمة
الوليد بالشام والحجاج بالعراق وقرة بن شريك بمصر وعثمان بن حيان بالحجاز
ومحمد بن يوسف باليمن امتلأت الأرض والله جورا فلما كثر الوليد فقال
عبد الرحمن بن محمد الخطاب واقف ببيوت النبي صلى الله عليه وسلم وعليها السد
المسوح السود فلما قدم الوليد بن عبد الملك المدينة نظر الى أبيات النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ما بال أبيات النبي صلى الله عليه وسلم يدخلها الجنب والحائض
اهدموها فهدموها فقال خبيب بن عبد الله بن الزبير عمدا الى آية من كتاب الله
كنا ننظر اليها فهدمتموها فبلغت كلمته الوليد فكتب الى عامله أن اضرب خبيبا على
باب المسجد واضربه مائة سوط ثم أقمه على البراح بباب المسجد بشراع البكرة
وصب في الحوض فأخرجه مغروضا به مائة سوط ثم أقامه على البئر يشرع بالبكرة
وكان يوما شديد البرد فمات وقال الشعبي دخلت على يزيد بن هبيرة
فوالله لقد رأيت كلمة أرضى بها المهدي وكلا سخطة خالقي فما قدرت عليها

ونظر رجل إلى أبي يوسف القاضي وعليه خلعة الرشيد فقال كنت لا آخذ
عنك حديثا فإذا أنت في زي قارون وقال وهب بن منبه أوحى الله تعالى
إلى داود عليه السلام يا داود إذا رأيت عالما فلا تصحب الظالمين
فتهون في عيني وقال ابن عباس رضي الله عنهما يكون في آخر الزمان
قوم ينهون عن إتيان الولاة ولا ينتهون يباعدون الفقراء ويقربون الأغنياء
ويقبضون عن الفقراء ويبسطون عند الأغنياء الكبراء أولئك الجبارون
أعداء الرحمن وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم العدل على الظالم
أشد من يوم الجور على المظلوم وروي أن عيسى عليه السلام بينما هو في
سياحته إذ أبصر رجلا فنزل على شاطئ نهر فأكل شيئا ثم رقد وانصرف
ونسي كيسا كان معه فأقبل صبي فأخذ الكيس ومضى ثم أقبل شيخ فتوضأ
وصلى ونام فتذكر الفارس الكيس فرجع فأيقظ الشيخ وسأله عن الكيس
فأنكر أن يكون وجده فانتزع سيفه فقتله فقال عيسى يا أكرم الأكرمين
الصبي أخذ الكيس وقتل الشيخ فأوحى الله تعالى إليه إن أبا الفارس
ظلم أبا الصبي على الكيس والشيخ قتل أبا الفارس ولبعضهم

يا ذا الذي ليس له زاجر ... عن ظلمهم مثل وكان له
إن لهم قوما إذا وعدوا ... تواعدوا أمرهم بالله

الباب السابع والخمسون
في السعاية والنميمة

قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد
أثيم عتل بعد ذلك زنيم فذكر الله تعالى في القرآن أصناف أهل البغي والفساد
والتقلب وأهل الخسوف وأهل الظلم وأشباههم ولم يصف سبحانه أحدا

منهم

منهم إلا النمام في هذه الآية وهذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة في إلحاح
الأقوال والعتل في اللغة الجافي وأصله من العتل وهو الدفع بالعنف وقال
ابن عباس رضي الله عنهما العتل الشديد المنافق وقال عبيد بن عمير
العتل الشديد المنافق الأكول الشروب القوي الشديد يوضع في الميزان
فلا يزن شعيرة وقال علي بن الحسين العتل الفاحش السيئ الخلق وقال
غيره هو الجافي الفاحش اللئيم العسير وقال مقاتل العتل الضخم وقال
الكلبي هو الشديد في الخصومة بالباطل وأما قوله تعالى هماز مشاء
بنميم فمعناه مغتاب يأكل لحوم الناس يطعن فيهم وقال الحسن
هو الذي يغمز بأخيه في المجلس وهو الهمزة اللمزة والزنيم هو الذي لا
يعرف من أبوه وقال حسان بن ثابت

وأنت زنيم نيط في آل هاشم ... كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وكان أكثر أهل الغفلة هذا رجل دعاه أبوه وقال غيره وقيل لعبس

زنيم ليس يعرف من أبوه ... بغي الأم ذو حسب لئيم

وكان أكثر الغفلة يقولون هذا رجل دعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة
فبهذا قالت العلماء لا يكون نمام إلا وفي نسبه شيء ولقد سعى
رجل إلى بلال بن أبي بردة وكان أمير البصرة فقال له انظرني حتى أكشف
عنه فكشف عنه فإذا هو لغير رشدة يعني ولد زنى وقال أبو موسى
الأشعري لا يبغي على الناس إلا من له بغي وقيل الزنيم الذي له زنمة في عنقه
يعرف بها كما تعرف الشاة بزنمتها ومنه قول الله تعالى يا أيها الذين
آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة نزلت في الوليد

ابن عقبة بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة وكان
بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فخرجوا يتلقونه تعظيما لامر النبي صلى
الله عليه وسلم ففزع فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم استبان امرهم بعد
ذلك واما قاله كذبا فنزلت هذه الاية وصدق الله تعالى فيما منها ومن ذلك
قوله تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت فانظر الى الله تعالى بين السامع
والقائل في القبح وسوى بينهما في النوع ويكون فيه تنبيها على ان سامع النميمة
نمام في الحكم واما ما روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنا مع حذ
يفة فقيل له ان رجلا يرفع الحديث الى عثمان فقال حذيفة سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قتات وفي رواية اخرى وروى
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول
الله قال من شراركم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون
للناس العيوب وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال م
ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغار ملعون
كل قتات وملعون كل نمام والساعي بالتحريش بين الناس يلقي بينهم
العداوة والقتات النمام والقتات الذي يعمل الشر ويهزيه **وروى**
ابن عباس قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال انهما ليعذبان
في كبير اما احدهما فكان لا يستبرئ من بوله واما الاخر فيمشي بالنميمة
ثم اخذ جريدة رطبة فشقها بنصفين فغرس في كل قبر واحدة فقالوا
يا رسول الله لم فعلت ذلك قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا وذلك لبر
كة يده صلى الله عليه وسلم واما السعاية الى السلطان وهي قولة ومكنة فهي ام
المهلكات لخالقه لانها تجمع الى مذمة الغيبة ولؤم النميمة التغرير بالنفوس

بالنفوس

والاموال

والاموال والقدح في المنازل والاحوال وتسلب العزيز عزته وتحط المكين
مكانه والسيد من منزلته فكم دم اراقه سعي ساع وكم من حريم استبيح
بنميمة باغ وكم من صحيح تقاطعا ومن محبين تباغضا ومن متواصلين تبا
عدا ومن الفين تهاجرا ومن زوجين افترقا فليتق الله ربه رجل ساعدته
الايام وتراخت عنه الافة ان يصيخ لساع او يستمع لنمام **وروى**
ابن قتيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ديوث ولا قلاع
والديوث الذي يجمع بين الرجال والنساء سمي بذلك لانه يدث بينهم
والقلاع الذي يقع في الناس عند الامراء لانه يقلع الرجل المكين عند ا
السلطان فلا يزال يقع فيه حتى يقلعه **وقال كعب** الاحبار اصاب الن
اس قحط شديد على عهد موسى عليه السلام فخرج موسى يستسقي
في بني اسرائيل فلم يسقوا ثم خرج فلم يسقوا ثم خرج الثالثة فاوحى الله تعالى
اليه اني لا استجيب لك ولا لمن معك فان فيكم نماما فقال موسى عليه السلام
من هو يا رب حتى اخرجه من بيننا فاوحى الله اليه يا موسى انهاكم عن النميمة
واكون نماما فتابوا باجمعهم فارسل الله عليهم الغيث **وتقول في** اسقف نجران
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين احذر قاتل الثلاثة قال
عمر ومن قاتل الثلاثة قال الرجل يأتي الامام بالحديث الكذاب فيقتله الا
مام فيكون قد قتل نفسه وصاحبه وامامه فقال عمر ما اراك ابعدت
ووجد في حكم الهند ملوا بعض الناس الى الله المشتكى **قال** الاصمعي
هو الذي يسعى باخيه عند الامام فيهلك نفسه واخاه وامامه **وذكر**
النعات عند المامون فقال لو لم يكن من عيبهم الا انهم اصدق ما يكون
عند الله تعالى وقال حكيم العرب الصدق زين على كل احد الا السعاة فانهم

بصيخ

وان الناس على اخوم وانتم ما يكون اذا اصدق وروى ان رجلا سعا بجار له
عند الوليد بن عبد الملك فقال له الوليد اما انت فتخبر بالجار سوءه
وان شئت ارسلنا معك فان كنت صادقا ابغضناه وان كنت كاذبا
عاقبناك وان شئت تاركناك فقال تاركني يا امير المومنين فقال تاركناك
ولبعض ولاة اسكندر رجل وشا اليه واش برجل فقال له انا ممكنك ان شئت
قبلنا على صاحبك بشرط ان نقبله عليك وان شئت اقلناك فقال اقلني قال
قد اقلناك كف عن الشر يكف عنك الشر ومن العجب انه لا يجب بعدله ان
الرجل الشهر عنده بما به تفلوا انقبله حتى تسئل عنه اهو من الثقة والعدالة
لذوي الامانة ام لا ثم ينم اليك بحديث فيه الهلاك وفساد الاموال فتقبله
وقال يحيى بن زيد للحسن بن علي رضي الله عنهما لما سعى الشر اخبره
من سعاه بدمعت عيناه وقال انا في اخر يوم من الدنيا واول يوم من الاخرة
حرمة مرتد ان اغم فقال رجل السهروردي عندي نصيحة يا امير المومنين فقال
لمن نصيحتك هذه لنا ام لعامة المسلمين ام لنفسك قال لك يا امير المومنين
قال السهروردي ليس الشاطر بمعظم عورة ولا بالكبير مال عفو قيل فعاليته ولا
يخلو من ان يكون حاسد نعمة فلا يشفي غيظه او عدوا فلا يعاقب لك
عدوه ثم اقبل على الناس وقال ايها الناس لا ينصح لنا الا صحيح الا بما فيه
رضى الله وللمسلمين صلاح وروى ان ساعيا سعى برجل الى الفضل بن سهل
فوقع على ظهر كتابه نحن نرى قبول السعاية اشر من السعاية لان السعاية
دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن قبل واجاز الا زمر
بعقل الشر مقبل ويروى ان رجلا رفع الى المنصور نصيحة فوقع على ظهرها
هذه نصيحة لم ترد بها وجه الله تعالى ولا جواب عندنا لمن اثر هو على الله

وروى

وروى ان رجلا قال للمامون يا امير المومنين الله الله في اصحاب الاخبار
فانهم قوم ان اعطوا كذبوا وان حرموا كذبوا وان اعطوا مدحوا وهم
كاذبون وان حرموا عقوا وهم كاذبون فقال المامون لله در هاشمي
كلمة ما احسنها وابين فضلها وامر ان تثبت في ديوان اصحاب الاخبار
وقال مروان بن محمد لعبسي يا بني عبس احفظوا عني ثلاثا
من نقل اليكم نقل عنكم واياكم والتزويج في بيوتات السوءة والسكنى
من لصوص ما استطعتم واستقلوا من العدو وان استكثاره منكم وقال
بعض الحكماء احذروا اعداء العقول ولصوص المودة وهم السعاة
والنمامون اذا سرق اللص المال سرقوا هم المودات وقال حكيم العرب
اياكم والسعاة فانهم اعداء عقلكم ولصوص عهدكم يعرفون فوائده
ويعملون في المثل السائر من اطاع الواشين ضيع الصديقين وقد يقطع الشجر
بالفؤوس فتنبت ويقطع اللحم بالسيف فيندمل واللسان جرحه لا يندمل
واحق الناس برعاية ذمار سفيه من هذه الخصال لقلته من هذا الحكم وا
والسوء عنده من هذه الشيم واتاه الله سلطانا ومكن له في الارض فدما
جرى العدالة اذا اطاع اقوال اهل العالم وكان بعض الخلفاء يقول
اراد ان يتبسم حول انه ويبغي له الاخوان فيبكي واضحا كما بالعصا بينه
وبينهم ولا يقبل احدا في احد ولا في نفسه الا بشهود عدول فانا قد
اصبنا بقول اقوام وابغضنا بقول اقوام فاصبحنا على ما فعلنا نادمين
ومن عجيب حكمة الله تعالى في النميمة حتم بصدق النمام حتى لا يقبل له
قول فيستتر في الغلو من شر ان الله تعالى من شومها واستظهارا على شرها
وعموم ضررها في الورى وقال ابن عمر ولد الزنا لحاج ووجه الشيطان

قوم يرسلهم السلطان الى الناس يسئلونهم عن حالهم فيمنعه ونهم ان
الناس راضون وليسوا براضين واعلموا ان الله خلق الانسان على الغذاء
شتى اضربنا عن ذكرها لكثرتها ولطول تتبعها فخلق تعالى له الحواس الخمسة
ولا عطاء النافعة الرئيسة فمن افضل ما ركب الله فيه الانسان الذي هو به الة
النطق والبيان به فضله الله بينه وبين البهائم وفضله على جميع الحيوان و
وامتن به عليه في اول سورة الرحمان فقال سبحانه الرحمن علم القرآن
خلق الانسن علمه البيان ثم خلق فيه اعضاء الة وتسببها وجعلها مجرى
الفصول الثلاث والصحائح في تتبع سقطات الكلام وروى عثرات الاسماع
التي هي كالعورة الواجب سترها وانها كذا رفع استعمل الشر الا للات في
احسن المستعملات فما ركض بالحسن بلسانه سرقة اخيه اذ جعل الكرم هوا
زهد لا نسراع من المتعرضين ورضيا ان يكون في الناس كلا فذا باب في التجسس
تبع نعل الجسس وتجاهر صحيحة وقد كان في تتبع المجالس شغل وخلى اهل
كل في حالة اولى بها وفي هذا سبق المثل ان لم تكن ملحا تصلح فلا تكن ذبابا
تفسد ومن لم يقدر على جمع الفضايل فليتكلف بالذنوب ان لا يبلوا ذا
تتبع الاسماع عثرات الناس افسدهم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم
هم يوما بالخروج فسمع ناسا من الصحابة يتحدثون فامتنع من الخروج اليهم
حذرا ان لا يفسد قلبه لهم لو علم ولو علم الذي نقل اخبار الناس من
جنا على نفسه لعلم ان الصمم كان احسن لحاله وانعم لباله من سماع
اخبار انذا واهرة فاذا علم ثقلة الاخبار نسيا فهما عنده حملوا اليه الصدق
والكذب فيكون في سماع الكذب مثل قال الله تعالى فيه سماعون
للكذب اكالون للسحت وفي سماع الصدق والكذب اشغال البال وحرج للصدر

على الخلق

على الخلق معاديا لهم واعيا لعثراتهم جماعا لسقطاتهم فقد وعا
منهم ما يجب ستره وحفظ ما يجب نسيانه ثم لا يقدر على الانتصاف من كل
قايل لانه ان كان ذا قدرة اهلة الوصية ثم لا يستطيع هلاك جميعها
وان كان سوقة لم يشف غيظه ثم اقسمه اخوانه وابغض من يحبه
واحب من يحب بغضه فلا يزال يحتمل الحسايف ويرث الاحقاد والضغاين
ومن تصدى لكل قايل يوما يشفي غيظه فيه وما اغنى عن هذه البلية ولله در
عمرو بن العاص اذ قال لرجل وقد قال يوما وقال له والله لا نتفرغن لاشغال
له عمرو والله فلتدع الشغل بي بن اخي

الباب الثامن والخمسون في القصاص وحكمته

قال الله تعالى ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب يعني اذا علم القاتل
وقاطع السبيل والقاتل انه يقتص منه احجم ولم يقدم على القتل فيكون في ذلك سبب
حياته وحياة اخيه هو به وروى ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اول ما يقضى الله بين الناس في الدماء وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يوخذ من حسناته لاخيه فان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات اخيه فرميت
عليه وهو حديث صحيح خرجه البخاري فان قيل يعارضه قوله تعالى ولا تزر وازرة
وزر اخرى فكيف يوخذ الظالم بذنب اقترفه المظلوم قلنا معنى الاية انه لا يعاقب
احد بذنب احد واما في مسئلة المظلمة بقيت عنده وليس له وقاله هل
وهو الذي اكتسب هذا الوزر وهو معنى قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع
اثقالهم وروى ابو سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخلص المومنون
من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت

بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي
نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال قبل موته من كانت له عندي مظلمة فليأت
حتى اقضيه من نفسي فقام سواد بن غزية فقال يا رسول الله انك ضربتني
على بطني ليلة العقبة فاوجعتني فقال النبي عليه السلام دونك فاقتص
فقال يا رسول الله انك ضربتني وانا مكشوف البطن فكشف النبي صلى الله
عليه وسلم عن بطنه فاذا هو كالقباطي يعني ثياب مصر فاكب عليه يقبله
فقال يا سواد ما حملك على هذا فقال يا رسول الله [illegible]
يعني المشركين فاردت ان يكون اخر عهدي بك ان اقبل بطنك فهذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه مع ان الله قد غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر فعلمنا ان الله تعالى لا بد من القصاص في المظالم بين العباد
لان الله تعالى عدل لا يدع مظلمة لاحد عند احد ولا يعفوها وفي الحديث
يقول الله تعالى انا الظالم ان جاوزني ظلم ظالم ويروى ان داود عليه
السلام يقوم خصمه الى الله يوم القيامة فيقضي له عليه فيعد
عدا الى داود [illegible] ثم يستوهبه الله تعالى من داود باتم يعطيه قصورا في
الجنة وقال حبيب دخل عثمان بن عفان فوجد غلاما يعلف
ناقة له فرأى في علفها شيئا فاخذ باذنه فعركها ثم ندم فقال للغلام
قم فاقتص مني فابى الغلام فلم يزل به حتى قام فاخذ باذنه ثم قال اعرك
وهو يقول شد حتى ظن عثمان انه قد بلغ منه ثم قال واها لقصاص
الدنيا من قصاص الاخرة وروى عوف بن عبد الله ان النبي عليه السلام
دعا خادما له فلم يجبه ربما كان [illegible] فقال النبي عليه السلام لولا

القصاص

القصاص لاوجعتك وروى ابن وهب في موطائه عن ابن شهاب قال
وقد اقاد النبي عليه السلام والخليفتان من انفسهم ليستن بهم ولم
يعتمروا اجمعا وكانوا سلاطين ومن صحيح مسلم روى ابو هريرة ان النبي
عليه السلام قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا متاع له ولا
درهم فقال ان المفلس من امتي يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام
ويأتي قد شتم هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ف
يعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته وان فنيت حسناته قبل ان
يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم القي قال مالك
بلغني ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه تعالى ضرب رجلا ثم ندم وقال
مالي وللامراء ردها عليهم وسمعت عائشة فارسلت
الى عمر فجاء عمر فقال له اني ضربت رجلا وقد كنت معافى من هذا الضرب
فقال عمر [illegible] فقال فما المخرج فقال ان تأتي الرجل فتسأله ان
يجعلك في حل فاتاه فاستحلله [illegible] على ان الامر والمامور في القصاص
سواء اذا اجتمعا على الاخر وان علم الامر انه ظالم والمأمور [illegible]
[illegible] وكان من [illegible] حتى [illegible]
الى السلطان ان اعظم وكان عمر يقول انما بعثت امرائي ليعلموا الناس دينهم
ويقسموا بينهم فيئهم ولم ابعثهم ليضربوا ابشارهم ويحلقوا اشعارهم
فمن ظلمه اميره فلا امرة له عليه [illegible] حتى اقيده منه فقال عمرو بن العاص
والله يا امير المؤمنين ان ادب رجل رجلا من رعيته يقتص له منه فقال عمر
انا اقتص منه وقد رايت النبي عليه السلام يقتص من نفسه فاذا القصاص في
البهائم فاختلف الناس في حشرها وفي جرى القصاص بينها فقال ابن عباس

بقول حشرها واختلف الناس في حشرها وحشر كل شيء، الموت إما
العجز والأشر فإنهما يتراقيان يوم القيامة وقال معظم المفسرين إنها
تحشر ويقتص لها وقال أبي بن كعب تحشر البهائم وقال قتادة يعني
كل شيء حتى الذباب وقال أبو هريرة وما من دابة ولا طائر إلا سيحشر يوم
القيامة ثم يقتص لبعضها من بعض ثم يقال لها كوني ترابا واقرءوا إن شئتم
وما من دابة ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم إلى قوله يحشرون وكان أبو
الحسن الأشعري لا يقطع بإعادة البهائم والمجانين ومن لم تبلغه الدعوة
ويجيز أن يعاد ويدخلوا الجنة ولا يعاد وإنه ليس على ثبوت الإعادة في الجملة
قوله تعالى وإذا الوحوش حشرت وقوله وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير
بجناحيه إلا أمم أمثالكم إلى قوله إلى ربهم يحشرون. روى مسلم في الصحيح
عن أبي هريرة أن النبي عليه السلام قال لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة
حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء وقال أبو ذر انتطحت شاتان عند
النبي عليه السلام فقال أتدري فيما انتطحتا قلت لا أدري قال لكن الله يدري وسـ
وسيقضي بينهما قال أبو ذر لقد تركنا النبي عليه السلام وما يقلب طائر
جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علما وقال أبو ذر إن الحجر ليسأل عن نكبة
أصبع الرجل وفي الحديث الصحيح مسلم والبخاري وغيرهما أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا يأتي أحدكم على رقبته بعير له رغاء على رقبته بقرة لها
خوار على رقبته شاة تثغو ثم يبسط لها بقاع قرقر تطؤه بأظلافها وسه
وتنطحه بقرونها كلما مرت عليه أخراها والحديث زاد في مانع الزكاة وقال
أبو الحسن لا يقع المقاصة بين البهائم لأنها غير مكلفة ولا يجري عليها القلم قال
وما ورد في ذلك من الأخبار نحو قوله عليه السلام يقتص للجماء من القرناء وسـ

وقيل

ويقتص للعود لم يقو من العود وجعل سبيل المثل والإخبار عن شدة التقصي في
الحساب وأنه لا بد أن يقتص للمظلوم من الظالم وإياه ذكر الأستاذ أبو إسحاق
الإسفرايني في الجامع الجلي وقال الجوزي القصاص بينهما قال ويحتمل أنها كانت
تعقل هذا القدر في دار الدنيا فبهذا جرى فيه القصاص قال وكلام الأستاذ
لا وجه له في الجنة لأن البهيمة تعرف النفع والضر فتنفر من العصى وتقبل للعلف
وينزجر الكلب إذا زجر وتشاهد أن الشلو والنجم والوحوش في الجوارح
استنوا فيها أشرها فإن قيل القصاص انتقام وهو جزاء على جناية بتوقف محلا
لمن ادام والبهائم ليست بمكلفة ولا لها عقول ولا جاءها رسول والعقول
عندكم لا يجب بها شيء على العقلاء فضلا على البهائم وفي هذا انفصال عن قول
الأستاذ أنها كانت تعقل هذا القدر لأنه لا يجب بالعقل شيء ويشهد له
قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فالجواب أنها ليست مكلفة
لأنها من ضرورة التكليف أن يعلم الرسول والمرسل وقد علم قطعا بصرا
العقلاء وهم الثقلاء ولو كانت مكلفة لكانوا في المشيئة يفعل الله بها
ما أراد كما سلط عليها في الدنيا الاستخدام والذبح فلا اعتراض عليه
ولله أن يفعل في ملكه ما أراد من تنعيم وتعذيب وإذا جاز أن يؤلم البهيمة
ابتداء جاز أن يؤلمها بعد حياتها وإنما الآية محمولة على من يعلم الرسول
والمرسل ويجوز أن الله تعالى خلق لها العلم الضروري بالعلم من ذلك ثم لم
يجد عليها القلم في الدنيا لوقوع الأحكام لكن يؤخذ بها بينها وقد
روى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الوزغ فإنها كانت
تنفخ على نار إبراهيم عليه السلام فجعلت عوقبت على سوء صنيع جنسها وفيه
دليل على أن الله يعذب ملكه لا بالمعصية وقد ضرب موسى الحجر الذي فر بثوبه

وبنوا اسراءيل ينظرون عورته وله اثر الحجارة عن النبي عليه السلام قال الحجر به
بعطاه والحجر يعدو وموسى يقول ثوبي حجر ثوبي قال ابو هريرة والذي
نفسي بيده انه لندب بالحجر ستة او سبعة وروي في تفسير قوله تعالى وقود
هذا الناس والحجارة انها التي يكنز الناس في الدنيا وروي ان المسيح
مر بجبل فسمع انينه فسأله عن ذلك فقال سمعت الله يقول وقودها
الناس والحجارة فلا ادري لا اكون من تلك الحجارة ام لا وقد تأول بعضهم
قول ابن عباس من حشر هاموتها تعظم في العظام بينها ثم تصير ترابا افلت
وتاويل ابن عباس يقبل لان العظم الجمع والتي موتها اجمعها بل فيه تعرية
بفصها وتعريف اجزائها ثم قال والذي نفسي بيده عشرة زوائد فانما يكون الحشر
للرب باعادة الحياة اليه وجمعها الى ربها جل وعلا

الباب التاسع والخمسون
في الفرج بعد الشدة

قال الله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وقال
سبحانه امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وقال سبحانه ان
مع العسر يسرا وقال الحسن لما نزلت هذه الاية قال النبي عليه السلام
ابشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود والذي
نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر لن يغلب عسر يسرين و
معنى هذا انه لما عرف العسر ونكر اليسر ومن عادة العرب اذا نكرت الاسم
معرفا ثم اعادته فهو ذلك واذا ذكرته ثم كررته فهما اثنان وقال بعضهم

ان يكن ما انا الزمان ببلوى ... عظمت شدة عليك وجلت
وتلتها قوارع باكيات ... سئمت دونها الحياة وملت

١٠٩

فاصطبر وانتظر بلوغ مداها ... فالرزايا اذا توالت تولت
فاذا اوهنت قوى الحر هنت ... كشفت عنه هملة وتخلت

وقال ابن عباس اول ما اتخذ المنطق من قبل ام اسماعيل عليه السلام
اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم عليه السلام
وابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة
فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد ولا ماء فوضعهما
هنالك ووضع عندها جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفل ابراهيم
منطلقا فتبعته ام اسماعيل وقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا
الوادي ولا انيس فيه وردت ذلك مرارا وهو لا يلتفت اليها فقالت له
الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم
حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل البيت بوجهه ثم رفع يديه
ودعا بهذه الدعوات وقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي
زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسماعيل ترضعه وتشرب من السقاء
فلما نفد عطشت وابنها وهي تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهة ان تنظر
اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت
الوادي تنظر هل ترى احدا فاجتهدت في السعي حتى جاوزت الوادي
ثم اتت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى احدا فلم
ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس فلذلك سعي الناس بينهما فلما
اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم سمعت
ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غياث فاذا هي بملك عند موضع
زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول

يبعوها هكذا وتغرف من الماء في سقايتها وهو يفور بعدما تغترف فقال النبي
عليه السلام يرحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف لكانت عينا
معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ها
هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وقصة
قصة الثلاثة الذين خلفوا وذلك ان كعب بن مالك ومرارة بن الربيع و
وهلال بن امية تخلفوا عن غزوة تبوك ونهى النبي عليه السلام عن كلا
مهم قال فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لنا الارض فما رحبت
فما نعرفها وكنت اطوف في الاسواق واشهد الصلاة مع المسلمين ولا يكلمني
احد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم واقول في نفسي هل حرك شفتيه
برد السلام ام لا فلما طال ذلك علي من جفوة الناس تسورت جدار حائط
ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي
السلام فلما كملت خمسون ليلة من يوم نهى النبي عليه السلام عن كلامنا
صليت الفجر انا على ظهر بيت من بيوتنا فالحال على الحالة التي ذكرها الله تعلى
قد ضاقت نفسي والارض بما رحبت وما كان شيء اعظم من ان اموت فلا يصلي
علي النبي صلى الله عليه وسلم او يموت النبي فاكون بين الناس بهذه المنزلة لا يكلمني
احد ولا يصلي علي اذ انزل الله توبتنا وسمعت صوت صارخ في اعلى الجبل يقول تعلى
يا كعب بن مالك ابشر فخررت ساجدا لله تعلى وعرفت ان الفرج قد جاء فخلعت
ثوبي على الصارخ ببشراه ووالله ما املك غيرهما ثم اتيت النبي عليه السلام
فسلمت عليه ووجهه يبرق من السرور فقال ابشر بخير يوم مر عليك منذ
ولدتك امك فقلت يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله ورسوله
فقال النبي عليه السلام امسك عليك بعض مالك فهو خير لك وروى ان ابراهيم
عليه

عليه السلام لما شب وخرج من موضع تربيته جن عليه الليل فراى كوكبا فقال
انها الزهرة وقال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين فلما رأى القمر بازغا
قال هذا ربي فلما افل بعد طلوع الفجر قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم
الضالين فلما اصبح وراى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم
اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا
وما انا من المشركين وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان يعني الى
الاسلام ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء
علما افلا تتذكرون قالوا يا ابراهيم انا نخاف من الهتنا ان تخبلك او تصيبك
بسوء لانك تقول لها انت تسبها قال وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم
اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم
تعلمون وكان آزر يصنع اصناما يعبدها قومه ثم يعطيها ابراهيم
عليه السلام يبيعها فيكسرها ويذهب بها الى نهر فيصوبها فيه على
رؤوسها ويقول لها اشربي استهزاء بها واظهارا لقومه فساد ما هم عليه
ففشا ذلك عندهم من غير ان يبلغ ذلك نمرود فاول ما بدأ في قومه ان نظر
نظرة في النجوم فقال اني سقيم يعني من الغيظ عليهم وعلى اصنامهم اي
فظنوا انه مطعون وكانوا يفرون من الطاعون اذا سمعوا به فتولوا عنه
مدبرين فراغ الى آلهتهم فدخل عليها ووضعوا لها طعاما وشرابا
فقال ما لكم لا تنطقون فاقبل عليهم ضربا باليمين وكسرها وقطع ا
يديها وارجلها حتى صيرها جذاذا واراق طعامها وشرابها وعمد
الى فاس فعلقه في الهتهم العظمى ثم خرج عنها وتركها وعند رجوع
قومه من عيدهم دخلوا بيت اصنامهم فلما راوا ما صنع بها راعهم ذلك

وعظموه وقالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين فقال بعضهم
سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم قال النمرود فأتوا به على أعين الناس
لعلهم يشهدون فلما أتوني بإبراهيم قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا
يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون فرجعوا
إلى أنفسهم فقالوا إنا ظلمناك بما قد نسبنا إليه ثم قال قد عرفوا أنها لا تضر
ولا تنفع لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا
ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فقال النمرود حين
سمع ذلك منه صف لي إلهك الذي تعبده وتدعو إلى عبادته فقال إبراهيم
ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود أنا أحيي وأميت قال كيف ذلك قال آخذ
رجلين قد استوجبا القتل في سلطاني فأقتل أحدهما فأكون قد أمتّه
وأعفو عن الآخر فأكون قد أحييته فقال إبراهيم فإن كنت
صادقا فأحي الذي مات ابن عمه وأخرج روحه من جسده من غير أن تقتله إن
تقتله إن كنت صادقا فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب
فبهت عند ذلك نمرود ولم يرد على إبراهيم شيئا وأمر به إلى السجن فلبث فيه
سبع سنين وجعل يدعو أهل السجن إلى الله تعالى وإلى الإسلام حتى عظم أمره
وفشا واتبعه قوم كثير على دينه فلما أرادوا أن يحرقوا إبراهيم واجتمع
رأيهم على ذلك بنوا جدارا طول جداره ستون ذراعا ووضعوه إلى صفح جبل
منيف لا يرام ولا يرقى وبلطوا الجدار فلا يمشي عليه أحد إلا زلق عنه وأ
وأذن مؤذن نمرود أيها الناس احتطبوا لنار إبراهيم ولا يتخلف عن ذلك أنثى
ولا ذكر ولا حر ولا عبد ولا شريف ولا وضيع ومن تخلف عن ذلك ألقي في النار
فعملوا في ذلك أربعين ليلة حتى أن المرأة لتجعل نذرا على نفسها إن رجع

غائبها

غائبها أو ما أشبه ذلك فلما كمل ذلك دفعوا فيه النار حتى كان يسمع
وهجها على المسافة البعيدة فلما فرغ من ذلك وضع إبراهيم في كفة المنجنيق
قال وهب بن منبه فبلغني أن السماء والأرض والبحار وما فيها ضجت إلى الله
تعالى ضجة واحدة وقالت يا ربنا ليس في الأرض أحد يعبدك غيره فأذن لنا في نصرته
فأوحى الله تعالى إليها إن استغاث بكم فأغيثوه وإن دعاني فأنا وليه وناصره
فلما وضع في كفة المنجنيق وقذفوه في النار قال حسبي الله ونعم الوكيل
اللهم إنك تعلم إيماني بك وعداوة قومي فيك فانصرني عليهم ونجني من النار
فأوحى الله تعالى إليها كوني بردا وسلاما على إبراهيم فما كانت النار بعدها ولو
لم يقل وسلاما لهلك من شدة البرد ولبث فيها سبعة أيام وظن قومه أنه قد
احترق فقال نمرود انظروا ماذا فعل إبراهيم فإني رأيت البنية أحجار
هذا الحصن تهدم وخرج إبراهيم يمشي فاطلعوا على إبراهيم فرأوه صحيحا
سليما وانحسرت النار عنه ثم دنا من باب الحصن فخرج واحترق الحبل وصار رمادا
وخرج الناس ينظرون إليه على تلك الحال فلما رأوه خرج يمشي حتى قصد
أمه وهي في الجمع وفرحوا به وأقبلت تبارك وجلست وكانت أول من آمن به
وقالت يا إبراهيم آمنت بإلهك الذي جعل النار عليك بردا وسلاما فقالت لها أمة
احذري القتل على نفسك فقالت إليك عني فإني لا أخاف شيئا وإني آمنت بإلهه
إبراهيم والناس في جمع لا يحصى عددهم حول إبراهيم بل تعرون في عذابه
فأرسل الله سبحانه وتعالى ريحا عاصفة فسفت رماد النار في وجوههم
وعيونهم فعجزوا عنه وقام إبراهيم عليه السلام داعيا إلى الله تعالى ومذكرا
به وقال مجاهد وقتادة وغيرهما أن نبي الله سليمان بن داود عليهما
السلام انطلق إلى الغلام ومعه حنق فقال له صح ولم يكن فيما أن يدخل الغار بخاتمه

فدخل الغلا واعطى الشيطان خاتمه فالقاه في البحر فابتلعته سمكة وسلب
سليمان ملكه والقى على الشيطان شبه سليمان فجلس على كرسيه وتسلط على
جميع ملكه غير نسائه وجعل يقضي بين الناس والناس ينكرون اقضيته حتى قالوا
قد فتن نبي الله سليمان وبقي سليمان اربعين يوما على حالته وهو هائم من ارض
حتى انتهى الى ساحل البحر فرأى صيادين يصطادون فاستطعم احدهم صيدا واخبره
سليمان فقام اليه فضربه بعصى وشجه في وجهه فاقبل يغسل دمه على ساحل
البحر ولام الصيادون صاحبهم على ضربه اياه ثم اعطوه سمكتين قد تغيرتا
عندهم فلم يشغله ما كان به من ضربه [illegible] شق بطونهما وغسلهما
فوجد خاتمه في بطن احدهما فاخذه وتختم به فرد الله عليه بهاءه وملكه
وصفت الطير عليه فعرف القوم انه سليمان فجاءوا يعتذرون اليه وروى
وهب بن منبه ان الله تعالى لما وهب لابراهيم اسحاق وبلغ سبع سنين اوحى
اليه ان يذبحه وان يجعله قربانا فكتم ابراهيم ذلك عن اسحاق وامه وجميع
الناس واسر ذلك الى خليل له يقال له العازر وكان اول من آمن به من قومه يوم
احرق فقال له ان الله سبحانه قد رفع اسمك في البلاد على جميع اهل البلاد
حتى صرت ارفعهم بلية [illegible] الله بذلك لتبلغ اعلى المنازل والفضائل وقد
علمت ان الله تعالى لم يبتلك بذلك ليعنتك ولكن ليبتليك فلا تنسين بالله ظنك
واعوذ بالله ان يكون ذلك متهما على الله سبحانه وسخطا لحكمه الذي حكم
به على عباده ولكن حسن ظنك به فان عزم ربك على ذلك فكن عند احسن علمه عمه
بك ولا حول ولا قوة الا بالله فتعزى ابراهيم بقوله واشتدت بصيرته وراية
وانطلق باسحاق ومعه سكين وحبل وادوات القربان حتى اذا صعد في الجبل قال
له اسحاق يا ابت ارى معك ادوات القربان وما ارى قربانا فقال له ابوه القربان ارى

يا بني

يا بني يعني رجلا تاجرا اليه فان نشأت وهي ابيك فلم يلتفت اسحاق فلما
وامسى اعلى الجبل قال له ابوه يا بني ان الله امرني ان اذبحك ويصيرك قربانا
يرضي الله اليه ونتقبله فانظر ماذا ترى فتهلل وجه اسحاق
واستبشر فقال له ابوه لقد فجعتك يا بني بامر ما فجع به والد ولدا
واني لا ارى من سرورك ما ابة لك وشكرك لربك ما رجوت به العافية والفرج
فقال يا ابت من يكون شيء في الدنيا احب الي من شيء [illegible] وفيه حرمته
ربك اذا اردت ذبحي فاشدد وثاقي جانبيه ان لا يتحرك عضو
من اعضائي بذلك واكره ان اختلج لذبحك فاذا فرغت من شانك فاقرأ امي
السلام مني وقل لها لا تحزني فقد امر الله [illegible] تصف تبعها فرغ
من وصيته عهد ابراهيم عليه السلام اليه فقصبه بحبل شده ما بين منكبيه
الى كعبيه ثم كبه على وجهه كراهية ان ينظر اليه فيرحمه اذا تشحط في
دمه ثم اراد ذبحه [illegible] فلما اراد ان يمرها على حلقه انقلبت بنو
دون ابراهيم فقد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو
البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم فهذه النحل [illegible] فالتفت
ابراهيم خلفه فاذا هو بكبش قد لوى قرنه [illegible] على ساق شجرة فاخذه
ووجهه الى عنقه وكذلك قبلته [illegible] ونحره وقصد اسحاق فلما فرغ
منه قربانا قد رفعه الله اليه وتقبله وقال ابو هريرة رضي الله عنه لما
صار يوسف الى مصر واشترته امرأة العزيز جزع جزعا شديدا واقبل يبكي
دائما اليل واطراف النهار على ابويه واخوته ووحدته وابتلائه بالرق و
واحد ليلة من تلك الليالي في عوارنه ويقول رب اخرجتني من احب البلاد
التي [illegible] بيني وبين اخوتي وابوي ووحشتي واجعل لي ذلك خيرا و[illegible]

ومخرجاس

بلغ

ومخرجي حيث لا احتسب وحبب الي البلاد التي انا فيها وحببها
لكل من يدخلها وحبب الي اهلها وحببني اليهم ولا تفتني حتى تجمع لي
الخير بيني وبين اخوتي واخرج به بصره ونعمة وسرورا وتجمع لنا خير
الدنيا والاخرة انك سميع الدعاء فاعلم يا بني ان الله تعالى قد استجاب
دعاءه واعطاه ملك ذلك البلاد وسلطانها وجمع اليه ابويه
واخوته واهل بيته وجعل نعيما واعلم ان الله لا يخلف وعده لعبده
يوسف كانت مصر محبوسة لكل من دخلها لا يكاد ان يخرج منها قال
قتادة ما سكنها نبي قبله ولما جمع الله شمله وتكاملت نعمة ربه
عليه اشتاق للقاء ربه فقال رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من
تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت ولي في الدنيا والاخرة
توفني مسلما والحقني بالصالحين ونقد وفد سليمان بن عبد الملك
محمد بن يزيد الى العراق لاطلاق اهل السجن وقسم الاموال ضيع على يزيد بن
ابي مسلم فلما ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن ابي مسلم افريقية
فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن ابي مسلم فاتي به في شهر رمضان عند
المغرب وفي يده عنقود عنب فقال له يزيد يا محمد بن يزيد قال نعم اما والله
لطال ما سالت الله ان يمكنني منك ويعيذك قال يزيد والله ما اجارك ولا اعاذ
ذلك وان سبقني قبض روحك ملك الموت سبقته رحمه الله ثم اكل هذه العنبة
حتى اقتلك فاقيمت الصلاة ووضع يزيد العنقود وتقدم يصلي وكان اهل
افريقية قد اجتمعوا على قتله فلما ركع ضربه رجل بعمود فقتله وقيل لمحمد
بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الظالم واحيا المظلوم منة الله
التي قد خفيت في عباده في طلوع الجنة من شعار الموت وحضور الموت من حيث

العبرة

عمي

اركي

١٦٤

العقوبة ودوران سلطان صقلية ارقه ان ليلة وتبع نومه جار على الى القايد
البحر فقال له انفذ الان مركبا الى افريقية ياتيني بخبرها فجمع القايد المركب وارسله
لحينه فلما اصبح اذا بالمركب في موضعه كانه لم يبرح فقال الملك للقايد الم
تفعل ما امرتك به قال نعم انفذت المركب كما امرتني ورجع بخبرها عنه ويسجيك
مقدمه حتى جاء ومعه رجل فقال له ما الذي رد لي عنه ما امرت به قال بينما نحن في
جوف الليل والقواريب بيده بربرة اذ نحن بصوت يقول يا الله يا غياث المستغيثين
يكررها مرارا فلما استقصوا عن ذلك ناداه رجل من المركب وهو ينادي يا الله
يا غياث المستغيثين ونحن نجيبه اليه وتوجهنا نحو الصوت فاصبنا هذا الرجل
غريقا في اخر رمق من الحياة فاخذناه وسالناه عن حاله فقال كنا مقلعين
من افريقية فغرقت سفينتنا منذ ايام فلم ازل اعوم حتى كدت ان اموت ولم
اشعر الا بالصوت من ناحيتكم واخبرني رجل كان اماما بالجامع قال كنت
بصقلية في فتنة العدو وقد رجف الينا العدو في نحو ثلاثماية سفينة فا
وارست على الساحل فرايناه امرا مهولا وفينا الشيخ العابد ابن البكا رحمه
الله فاتى الناس اليه واجتمعوا حوله يتبركون ويستنصرون الفرج على يديه قال
فنظر الى السما مليا ثم سجد وعفر بالارض وجهه وقلبها يمينا وشمالا
قال فوالله ما برحنا حتى هبت الريح ومزقتهم كل ممزق فلم يجتمع منهم اثنان
واخبرني ابو القاسم بن نابيل رحمه الله قال عطش الناس في سفره سنة لم
ونحن في طريق الحجاز وعدم الماء فلم يوجد الا عند صاحب لي جمال وكان
يبيعه بالربع زاما ثم ان جاءه رجل موسوم بالصلاح عليه قطعة نطع و
ومعه ركوة وشيء من دقيق وتشفع بي الى الجمال فيبيعه ماء بذلك الدقيق
وكلمته فابى علي ثم عاودته فابى قال فيسك الرجل يحجه بالارض ونفرد

باخبرها

عليه الله فيق ثم رمق السماء ببصره وقال اللهم انا عبدك وهذا ولد
ذ فيقعد وما استطع له وقد ابوا ان يقبله ثم ضرب بيده في النطع وقال وعزتك
لا برحت حتى اشرب قال فوالله ما تفرقنا حتى انشأ السحاب به فامطرنا فشربنا
الماء ولم يبرح مكانه حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يؤبه له
مطروح بالابواب لو اقسم على الله لابره واخبرني شيخ قديم كان يصحب الفقراء
بالقيروان يقال له جوهر قال اخبرني عبد الكافي انه يحاجي قال رايت
في ايه عظيمة وذلك ان رجلا جاء بصبي قد اسكت فلا يتكلم فدخل به الى
الفقيه ابي بكر بن عبد الرحمن واخبره انه لا يتكلم له كذا وكذا منذ ايام فادع الله
ان يفرج ما به قال فدعا له ساعة ثم مسح على وجهه فاستفاق وقد
فقال له قل لا اله الا الله فقال الصبي اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله ثم التفت الى جاريته وقال لها اكتفها على الموت وانت حرة فلما
كان يوم وفاة الشيخ ابي بكر بن عبد الرحمن واحتفل الناس قام الرجل واسكت
الناس فسكتوا فقال يا اهل القيروان اسمعوا قصتي وساق الحديث الذي ذكرناه
وحدثني ايضا قال نزلت عندنا بالقيروان قصة يسمع بها تسلب مثلها
وذلك ان بعض الجزارين اضجع شاة ليذبحها فتخبطت بين يديه وافلتت
منه وذهب فقام يمشي في طلبها الى خربة فوجد فيها رجلا مذبوحا يتشحط
في دمه ففزع وخرج هاربا فلقي اعوان الرجال يطلبون القاتل فاخذوه
وبيده السكين وهو متلطخ بالدم فحملوه الى السلطان فقال له السلطان اقتلت
الرجل قال نعم فما زال يستكشف وهو يعترف اعترافا دون اشكال فامر به
ليقتل واجتمع الناس لقتله فلما هموا بذلك قال لهم رجل من الناس لا تقتلوه
انا قاتل القتيل فاخذوه وحملوه الى السلطان فاعترف فقال له السلطان قد كنت

معافا

معافا من هذا فما حملك على الاعتراف فقال رايته يقتل كما في كرهت
لقاء الله تعالى بدم رجلين فامر به السلطان فقتل ثم قال للاول ما حملك على
الاعتراف بالقتل وانت بريء فقال فما كنت اصنع رايت رجلا مقتولا في
الخربة وانا خارج منها والسكين بيدي ملطخة بالدم فعلمت ان انكرت من
يقبلني وان اعترفت من بعد رفعة فخلى سبيله وانصرف ونشاورز فخر الملك
لشيخه [illegible] الملك وكان بعض [illegible] ابن عم يقال له شهاب وكان يخامر على منزلته فقال
للملك سنجار لا حياة لي معك او يقتل ابن عمي شهاب فاباه له سنجار فما زال
يراجعه الى ان امر بحبسه في بلد يسمى [illegible] بكر منه فجعل الله له
وجها [illegible] واخلى له دارا مشرفة في القلعة وان فخر الملك جعل يحمل
سنجار الى [illegible] بامره بقتل شهاب فاستعطفه له [illegible] واخره اياما ثم عزم
على قتله في يوم جمعة ولم يجد بدا من ذلك فبينما شهاب الملك يتطلع من بعض
الطاقات في داره وقد احتفل للصلاة اذا بفارس يركض فخاف منه وقال هل
يريد قتلي فوصل الفارس وقال مات فخر الدولة واطلق سبيل شهاب الملك
ووزر سنجار عوضا من فخر الدين واخبرني ابو الفضل المعتز بمصر قال كان
بمصر ملوك العجم [illegible] وكان [illegible] وله يتكلم القولنج فاعيا الاطباء
علاجه ولم يوجد له طبيب ثم ان السلطان احتال في قتله فارسل اليه رجلا بسكين
فلما [illegible] في بعض دهاليز القصر وثب عليه وضربه [illegible] فوافقت السكين
المعى المسمى بالقولون فخرج ما فيه الخلط ثم عولج فاندمل جرحه وبرئ
احسن ما كان وقد كنت [illegible] بالا تسكن [illegible] نزلت سفن العدو بساحل
مدينة برقة فاخذوا سفينة للمسلمين وقتلوا بعض من فيها واسروا بعضهم
وفيهم رجل قد نشأ فتيا من خلفهم فلما انتهوا السفينة عدوا اليه بعض

بأخاه

الى علاج فأخذه والقاه في البحر ثم طعنه برمح بطفا فنصله حبل
الكتان فقطعه فانطلق الى البر ومشى حتى دخل الساحل فاكلما ووصل الى
ابن سكر ببيته عافية واخبرني بعض الثقات ممن ادرك ان رجلا كان بمدينة
دمشق فبينما هو يخبز في تنوره اذ مر به رجل يبيع المشمش فاقبل الى كل ما
يخبز الخباز فلما فرغ غشي عليه ثم نظروه فاذا هو ميت فجعلوا يتربصون به
ويستدعون له الاطباء فلما يئسوا من حياته قبضوا بموته فغسل وكفن
وحمل الى الجبانة ولقيهم عند باب الجبانة رجل طبيب يقال له البيرودي
وكان ماهرا حاذقا بالطب وسمع الناس يخوضون في امره فقال لهم حطوه
حتى انظر اليه فحطوه وجعل ينظر اليه ويقلبه ويتأمله لا يعرفونه بالحياة
ثم فتح فاه وسقاه شيئا وقال حلقه فاندفع ما هنالك فيسلم فاذا هو قد
فتح عينيه وتكلم وعاد الى ما كان على حاله وكان رجل يمشي ببغداد
في بعض طرقها اذ وقعت دار عليه كان الجدار العظيم فوقف راسه كالقفة في
حائطها فاقام كذلك وطارت الدار ركوما واخرج من الطاقة سالما وحدثني
ابو القاسم الحضرمي قال كنت باليمن في ارض انحاء عين موسى [illegible] والي اليمن قد
امر بقتلي واخرجت لنقتل فاجلسني السياف ثم قال مد عنقك فجعلت ود
رفقت دونك يا هذا ايخرج على هذا الدار بطارح من القصر لا تقتلوه فخلي سبيلي
وكانت بقرطبة قصة غريبة في زمان المنصور بن ابي عامر وهو ان ابا القاسم بن
محمد الشيلشي شهد عليه بالزندقة فحبسه المنصور في جملة من الزنادقة
ناوكانوا معروفين بالاتهام بالزندقة وكانوا من اعيان قرطبة والنداء
عليهم في كل جمعة في الترحلة ثم فاب جامعها الا عظم من كان عنده شهادة
فيهم فليؤدها فثبت على قاسم بن محمد سجل عند القاضي بن السليمي بقتله

البينة

البينة بانواع من المناكر يقضي ثبوت الزندقة والكفر ثم احتفل الناس في القصر
في مجلس عظيم واستفتى الفقهاء فيه فافتوا بقتله واستحضر قاسم وابوه
ابو القاسم صغير وقد لبسوا ثياب الحداد واحضر ابوه نعشا وقعد الى يمينه
وهو يبكي وهو يبكو على باب القصر وقد عني بضرب عنقه ليأتي بحرفه في النعش
وقد قعدت اليه عدة اشياء من القصر فجعل يحزنها ويتأمل قبورها وابوه وهيئته
ينظرون اليه واتفق حضور الفقيه ابي عمرو بن المكوي الاشبيلي على كره
وكان يأبى بعض ما يفعلونه فقال يا هؤلاء ان الدماء لا تسقط الا بالحق الواضح
دون شبهة واحتبسوا فانه اخرجنا بما كنتم تقتلونه فقال القاضي فيما
ثبت عندي وامعنت النظر فيه فقال الفقيه اوقفني عليه فاخذه وا
وتأمله فقال له اخبرني بمن تقتله من هؤلاء الشهود فقال بهذا وبهذا
حتى عد له خمسة فقال له بجمعهم تقتله قال نعم قال فمن منهم اثنان
خاصة اكنت تقتله قال لا انما قوى بعضهم بعضا وزكى اكثرهم عندي
فالتفت الفقيه الى الفقهاء المفتين وقال يا هؤلاء ما لكم يا علماء يقتل
المسلمون عندكم بشيء ارى فقتله ولا انتهيه فرجع الفقهاء الى قوله
ولم يوجبوا عليه شيئا بعد ان افتوا بقتله من ساعته الشهر وانفض الجمع
وسر الناس والشيخ وذهب التشهير الى ابن ابي عامر فحمده بالمجلس فقال الحمد لله
على ان حقن دم الشيلشي فقد قتلتم انفا في فقه اجتهد [illegible] ولا فارقا
لم يوجد في مجلس ايام انه الحق وكان الفقيه ابن ذكوان يقول للقاضي في مثل
هذا قال القاضي انه سبيل بما عرفت الله فقال بقضه عزل فيه ومعنى الحكم
بطريق الفقه الذي يرويه انه لو منهم اثنان لم يثبت الحكم ولا قتل به فاذا
كثروا قوى بعضهم بعضا فلا يثبت الحكم بهم وفي بعض هذا حدثني

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد

أبو مروان الخزاعي بقرطبة وقد روي نظراء هذا وغير ذلك أكثر يوما أن قافلة
نزلت بقرية خربت من أعمال دانية فجعلوا الدور أخرابا ليسكنوا فيها من الرياح
والأمطار وهو الشتوة وإنما أن دخلوه بروا عيشهم وكان فيها سقفا يخاف أن أراه
أن ينقض فقال رجل منهم لسائرهم يا هؤلاء تنكبوا عن هذا الغرر ولا تدخلوا
هذه إنه أن أصابوا أن دخلوها وبات المحذر لهم خارجا عنهم لم يقرب المكان
ثم إنهم أصبحوا في عافية وارتحلوا فعرف ذلك أهل دخل الرجل الخربة ليحمل
بالكنان فخر عليه السقف فمات وبلغني عن بعض الفقهاء أن جيشا من الجيوش
كان بصقلية يتحول من مكان إلى مكان فنزلوا لبعض شأنهم بدار عقرب فيها
فضربها بعضهم بعظم عنده ثم اشتد لها إلى عنقه فإذا بها قد تشبثت باهوا
معها ولا ينتفع فيه عنده في عنقه فمات مكانه وأخبرني أبو الوليد الباجي
رحمه الله عن أبي ذر قال كنت أقرأ الحديث على الشيخ أبي حفص عمر بن أحمد بن شا
هين ببغداد في دكان رجل عطار فبينما نحن جلوس إذ جاء رجل من الخراسانيين
بالعطر على صوف في يده فأعطى الشيخ عشرة دراهم ليدفع له أشياء
سماها من العطر فوضعها في خرقة فمشى يسقط الخيط من يده وتفرق ما
كان فيه فجعل يبكي ويجزع حتى رحمناه فقال الشيخ أبو حفص لصاحب
إنه كان يعطيه تجبر له بعض الأسباب قال نعم فنزل وجمع ما قدر له منها
وجبر ما نقص ثم أقبل عليه يصبره وينهاه عن الجزع فقال له لا تظن أن جزعي
لما ضاع لي يعلم الله أني كنت في قافلة فضاع هميان فيه أربع مائة دينار أو أر
أو أربعة الألف الشطر من ذهب ومعها فصوص قيمتها مثل ذلك فما جزعت له
لضياعها ولكن جزعي أنه ولد لي مولود والنفساء يحتاجون إلى ما لا بد منه
ولم يكن عندي سوى العشرة دراهم واشتريت أن يعطيها شيئا يحتاج إليه معا لي

ولا راس مال لي

ولا رأس مال لي ولا أقدر على التكسب فرأيت شراء شيء فيما يكون تحتاجه
ونعول فتعطل منها ما أمسك به رمق أهلي وبيتي فلما رأيت ما في الخرقة به فقدا شأنه
انتثرت ضاعت جزعت وقلت لا شيء أرجع إليه ولا بقاء بعد الخرقة به ولم يحل
فحمل العطار منهم وتركهم على حالهم يهلكون بعدي قال الشيخ أبو ذر وكان
جند رجال على باب داره فحدثنا هذه القصة فرغب للشيخ أبي حفص في قضاء حاجته
معه في داره إذا فرغ من المجلس ودخل وحدثنا أنه يعطيه شيئا ثم دخلنا داره
فقال الخراساني لقد عجبت من جزعك فأعد علي قصتك لما قصصته عليه
قال له وكنت في القافلة قال نعم وكان فيها من أعيان الناس فلان وفلان وعلم الخبري
صحة قوله فقال له ما علامة الهميان وفي أي موضع ضاع منه فوصف له المكان
والعلامة فقال له أتعرفه إن رأيته قال نعم فأخرج له هميانا ووضعه أمامه فلما
رآه غشي عليه فلما أفاق قال هذا هميانه وهذا متاعي فيما أن فيه من الأحجار وقال
صفاتها كذا وكذا ففتح عند ذلك فوجد الأحجار كما ذكر فقال خذ
بارك الله لك فيها فقال له الخراساني قيمة الأحجار مثل الدنانير وأكثر فخذ أ
الدنانير فإن نفسي تتوق له بصيبة فقال ما كنت لآخذ على أمانتي شيئا ثم دخل
وهو من الفقراء وخرج وهو من الأغنياء ثم بكى الخبري بكاء شديدا فقال
له الشيخ أبو حفص ما الذي أبكاك وقد رد الله ما تلف وذهب الهم وله مال كثير
فإن شئت سألنا إلا أن يعيده عليك فقال ما بكائي في ذلك وإنما أبكي أني
أجلي قد قرب فإنه ما بقي من أجلي ومنيتي إلا أن يأتي الله بصاحب الهميان
فلما كان بعض المدة وتم أمله أيقنت بتمام أجلي قال الشيخ أبو ذر فما
انقضى الشهر حتى دفناه رحمه الله وحدثني أبو القاسم بن حبيش
قال لي بالموصل لعله حرز في هذا التميمي الحانوت والعلماء والفقهاء

غريبة كان بالكوفة رجلا تاجرا يتاجر بالخز الى الكوفة فبينما هو على
حماره ومعه خرجه فيه خزه اذ نزلت القافلة فاراد ان يحطه على الحمار فلم
يقدر لثقله فامر انسانا منهم ان ينزله معه ثم جاء فجلسا فكلما [illegible] عاد له الرجل
للاكل فجاء به ثم سأله عن امره فاخبره انه رجل خرج من الكوفة لامر يجده دون
زاد فقال له تكون معي وتعينني على سفري وطعامك عندي فقال انه حريص على
خدمتك ومحتاج الى طعامك فصار معه يخدمه على احسن حال حتى وصل تكريت
فنزلت القافلة خارج المدينة ودخل الناس لقضاء حوائجهم فقال له خذ
رحلي حتى ادخل واشتري حاجتي ثم قضاها حينئذ ودخل ايضا ثم خرج فلم يجد
الرفقة ولا صاحبه فظن انه رحل معها فلم يزل يسعى حتى وصل اليها بعد
جهد فسأل عن صاحبه فقالوا ما جاء ولا رأيناه ولكنه وضع ثيابا على الحمار
ودخل المدينة على اثرك وظننا انما امرته بذلك فرجع الى تكريت وسأل عنه فلم
يجد له اثرا ولا سمع له خبرا ثم يئس منه ورجع الى الموصل مسلوب المال
فوجد اهلها انها [illegible] غريبا ناجيا فجعلوا يمنعونه عن الدخول نهارا حياء
منه وخوفا من شماتة عدو ونحن صادق حتى امسوه [illegible] باب داره صح بين
فقيل من هذا قال فلان يعني نفسه فبشروا به فجاءتهم اليه وقالوا الحمد لله
الذي جاء بك على حال ضرورة وفاقة فقد طال صبرنا واحتاج اهلنا وحق
نفساء فقد ولدت اليوم والله ما وجدنا شيئا نشتري به شيئا لها فقد بانت
طاوية على [illegible] فانظر لها شيئا [illegible] فلا سراج عندنا فزاد غمه
وكره ان يخبرهم بحاله فخرج [illegible] فاخذ وعاء للدهن وخرقا للدقيق وخرج
الى بعض الحوانيت وكان فيه رجل يبيع الزيت والدقيق والعسل وقد اغلق
دكانه واطفأ سراجه ونام فناداه الى بابه [illegible] وشكر الله على [illegible] منه

فقال له

فقال له التاجر اسرج مصباحا وزن لي زيتا وعسلا ودقيقا حتى
آتيه الساعة وكرر الخبار له [illegible] الثمن لئلا يمتنع منه فجعل يزن له [illegible]
واستصبح فقال زن لي من الدقيق كذا ومن الزيت كذا وكذا ومن العسل
كذا ومن الشمع كذا ومن الملح كذا ومن الحطب كذا فبينما هو كذلك في الليلة
ثم التفت في قعر الحانوت فرأى خرجه فلم يتمالك ان وثب عليه والتزمه وعلق
بالبياع وجذبه فقال له البياع ما لك فقال [illegible] بالا اعلم ان جئت
عبثا ولا على سوال فقال هذا الخرج من [illegible] به خادم في يجمع مالي
وحماري فقال ما اعلم غير ان رجلا ورد علي بعد المغرب واشترى مني عشاء له
واستطعمني فاطعمته وجعل هذا الخرج في حانوتي والحمار في [illegible] والرجل
في المسجد بائت فقال له احمل الخرج معي وانهض الى الرجل عسى يقع الخرج
معه على ما فقده ومشيا الى المسجد فاذا هو نائم [illegible] فقام منه [illegible] فقال
ما لك قال يا مالح يا خاين فعلت بي هكذا والله ما [illegible] قال فاين الحمار
والنقد قال هو عند صاحبه فنهض الى داره فوجد ماله [illegible] واستخرج الحمار
من موضعه ووسع تلك الليلة على عياله واهله واخبرهم بقصته فازدادوا
فرحا وسرورا وتبركوا بمولودهم **ولما وفى موسى** عليه السلام لصهره
شعيب عليه السلام الاجل الذي اجله ارعى موسى غنمه عوضا عن مهر ابنته
اخذ موسى اهله وكثر اجعل معه من [illegible] وافى [illegible] المغرب عن جانب
الطور اجنهم ظلام الليل فبينما هو يمشي اذ ضرب اهله الطلق وكانت
حاملا ولم يكن عنده ما يحتاج النفساء من الغذاء واصلاح لباسها فبقوا
في ضيق من الحال وقلة من الحيلة فخرج موسى عليه السلام يلتمس يمينا وشمالا
ويقتبس [illegible] من الحجارة الى نار فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا

لعلي اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى فلما اتيها وقد ظاخ رعبه
وخرج قلبه ويبس من الجهد نودي من شاطئ الواد الايمن يموسى اني انا وبلغ
وهذا الحال اخبار ربيحانه ثم نشم امره وربما فطمو تكلم بالهدى والبشرى
فعسى له امله واعطاه بوق ما امله فهذا موسى عليه السلام خرج يقتبس
نارا فنودي بالنبوة لقد وبهذا قال علماؤنا ليس في تحصيل الخير واصول
في انواع الاعمال وان عظمت اعلا من حسن الظن بالله تعلى ونظم بعض الشعراء

فقال

أيها العبد كن لما لست ترجوا من نجاح ارجا لما انت راج
ان موسى مضى ليقبس نارا من ضياء رءاه والليل داج
فانثنى اهله وقد كلم الله وناجاه وهو خير مناج
وكذا الكرب كلما اشتد بالعبد دنا منه ساعة الانفراج — أشتد

ولقد نزلت صفر الجد وساحل ابن بقية في عدد كثير نحو ماية وهم عطشوا
وايقنوا بالهلاك اذا استنفر المشركون لهم في خلق عظيم من السواحل والحضور
ومنعوهم النزول لاستسقاء الماء وسالوا المسلمين ان يتركوهم ليعلاه من اجل
عطشهم ولم يشكوا في الهلاك ثم نشروا اناجيلهم ودعوا وتضرعوا الى الله
سبحانه في الاستسقاء فما لبثوا حتى انشقت السماء ثم امطرت مطرا كثيرا
فسكوا انا هجعهم وجفانهم والاتهم وملئوها وعنهم فصاح المسلمون فلا
لو اهلكوا اعداء الله وسالوا ما يحيوا به رمقهم فاغاثهم ونحن احق بالدعاء وا
والتضرع الى الله والتوسل الاجابة منهم ثم اخذ المسلمون في الدعاء والصلاة
والابتهال الى ربهم ايه بقوى بها قلوبهم وقلوب الضعفاء وتتزايد شكر
اهل المعرفة والاولياء منهم كذلك ادار صلى الله عليهم بعيابه دينهم ومن فتهم

م

فهو يتسع شعرا ثنانة ومن عجائب صنع الله في هذا الباب ان
رجلا جاء الى بيت المقدس فزار قبر الخليل واكل من ضيافته ودخلت عنه مدة
من لها الطعام في خيالته وراح نحو جيها بكل حيلة ولم يقدر فتركها ومضى
ثم رجع الى بلاده فبينما هو جالس اذ عطس فخرجت الحبة والتقطها الى
في الحين فبين من حضر انه هذا الرجل جرى الهوى هذا الخطب على بعد الد
الشقة وطول المسافة وانما نحن نحن خرجت من بلدية واردت الرحيل الى
المشرق الطلب العلم جزعت من الخروج وكنت اقول ان ذهبت نفقتي ماذا
افعل لاني كنت لا اعرف التجارة ولا احرفة ارجع اليها وكان اقوى املي
ان احفظ البساتين بالنهار بالاجرة واما رقبه العلم بالليل ثم انا استخرت الله
في الرحيل وكانت نفقتي وافرة في تكتي ولم ازل اسمع الناس يقولون من نام
بالباب فمر وعندك نفقة فيجعلها بان اللصوص تتدراوا فانك الذين على
خروجهم عليهم فخرجت من تشرنو يتذالى انطاكية فاخذت في عيني
وحللت تكتي ونمت فلم استيقظ الى ضحا نهار ومددت يدي الى تكتي
فلم اجدها فجعلت اتاملوحو لها الناس في القافلة وقد سقطت ما بجيوب
ونفعت جبيني فاسترجعت ورفعت امري الى الله سبحانه واذا رجل من
اهل الرفقة قد واجهني يضحك لما رءى ما بي ثم قال ما لك ايها الفقيه فلما
خبرته اجعني فقلت خبرا فقام الى وقال خذ هيها لك عاما ظالله فسالته كيف
ظفرت به فقال رايتها فوقنزهت تحوه واعيز اولانه فرايت سوادا في
موضع منامك فاخذته فاذا هو كيسك فرحمك الله تعلى علينا وعليه
وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم تسليما

الباب الموفي ستين في الشجاعة

وثم تتهابه بها الخصلة التي هي ام الخصال وينبوع الفضائل من فقدها لم تكمل فيه
خصلة وهو يعبر عنها بالشجاعة ويعبر عنها بقوة النفس قالت الحكماء الجبن
كله في ثبات القلب ومنها تستمد جميع الفضائل وهي الثبوت والقوة على ما يوجبه
العقل والعلم والجبن غريزة يجمعها سوء الظن بالله تعالى والشجاعة
حالة متوسطة بين الجبن والتهور وقيل لراهب عن الشجاعة فقال صبر ساعة
وقيل لابي جهل عن الصبر فقال الصبر على حد السيوف بواقي لا قامة وهو ما بين
الحلتين واعلم ان الفرار من القتل يقربه الى الموت خير من اشد بارك وقد قال
ولا زي حيلة سببها التعرض للوفاة ووفاة سببها طلب الحياة وقالوا
الهزيمة تشعرك من شعار الموت والفار يمكن من نفسه والمقاتل يدفع عنها
وقالت تغلب الشجاعة الامن من العدو واعلم ان من قتل في الحرب مدبرا اكثر
ممن قتل مقبلا وقالوا الجرأة اجل حصن المحارب وقيل لبعضهم اي سلاح
تحب ان تلقى عدوك قال به اقبال حظي وانقضاء مدتي واعلم ان الشجاعة
لمن كانت له مدة واذا انقضت المدة كانت الهلكة في الحيلة واعلم
ان كل كراهة تدفع او مكرمة تكتسب لا تتحقق الا بالشجاعة الا ترى
انك اذا هممت بامر لن ينل منه الا اخر ضعفا وجبن قلبا وعجزت فتنبعث
وان حققت عزمها وقويت نفسك وقهرت عجزها اعطيت ما هممت به من ما
بعد قدر قوة القلب وضعفه تكتسب نفسه بامر ما او تكره اخراجه وعلى هذا
التمكن جميع الفضائل لا يتهيأ افتقارها قوة النفس لم تحقق وكانت نحو رجة وروى
ان الرسول عليه السلام قال الشجاعة والجبن غريزة يضعها الله حيث يشاء
من عباده فالجبان يفر عن ابيه وامه والشجاع يقاتل عمن لا يؤوب به الى رحله
وبقوة القلب يصار امتثال الاوامر وبقوة القلب ينتهي عن اتباع الهوى والتضمخ

بالرذائل

بالرذائل قال الشاعر
جمع الشجاعة والخضوع لربه ما احسن المحراب في المحراب
وبقوة القلب يصبر الجليس على اذى الجليس وجفاء الصاحب وبقوة القلب تتلقى
الكلمة العوراء والفعلة الدنياء من جاهل وبقوة القلب يصبر على اخلاق
الرجال وبقوة القلب تنفذ كل عزيمة ورؤية اوجبها العقل والحزم وبقوة
القلب تضحك الرجال في وجوه الرجال وقلوبها مشحونة بالضغائن والاحقاد
كما قال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقال علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه انا لنضاحك اقواما نرى قطعها وليس الجبن
والشجاعة وقوة النفس ان يكون مصارع الابطال مجرب البأس ولا ان
يكون جلدا عن الضرب صبورا على التعب مصابرا على التغرير والتهور فان
هذه من صفات الحمير والبغال ولكن ان يكون صبورا على اداء الحقوق
التي عليها صبورا على سماعها والفايها لله غالبا للهوى مالكا
للشهوات ملتزما للفضائل جاهدا عاداة البدن على الحقيقة التي لا
يميل عنها حياة ولا موتا حتى يكون غير متمادي كما على الحق الذي ابتدأ
به العلم واوجبه العقل خير من البقاء على ما اوجب رفض العلم والعقل
كما قال علي رضي الله عنه للحسين يا بني ما يبالي ابوك لو ان الخلق فعلوا
له او كان على الحق وهل الخير كله الا بعد الموت وعن بعض قال من
حكماء الهند اذا لم يكن للعبد من نفسه معين كان في جميع اموره
ضعيفا محتاجا واعلم ان الجبن مقتله والحرص محرمه والمجد لذا الجبن
ضعيف والجبان معين على نفسه يفر عن امه وابيه وصاحبته وبنيه واسه
والشجاع يحمي من لا يناسبه ويعفي عن الاهل والرفيق بهمته والجبان

اللهم صل على سيدنا محمد وآله

يخاف ما لا يحذر به والجبان حتفه من فوقه وقالوا الشجاعة عند اللقاء
على ثلاثة اوجه رجل اذا التقى الجمعان وتغارت الزحفان واكتحلت الاحداق
[illegible] برز من الصف الى وسط المعترك يحمل ويكر وينادي هل من مبارز والثاني
[illegible] ذات القوم وصاروا حرجة مختلطين ولا يدري احدهم من اين يأتيه
الموت يكون رابط الجاش ساكن القلب حاضر اللب لم يخامره الدهش
ولا خالطته الحيرة فيتقلب تقلب القادر على نفسه المالك لامره والثالث
ان اذا انهزم اصحابه يلزم الساقة ويضرب في وجه العدو ويحول بينه
وبين اصحابه ويرجي الضعفاء ويقوي قلوبهم ويعدهم بالكلام الجميل
ويشجع نفوسهم فمن وقع اقامه ومن وقف حمله ومن كبا به فرسه
كشف عنه حتى ييأس العدو منه وهذا احمدهم شجاعة وعن هذا قال
لو ال[illegible] من وراء الفارين كالمستغيم من وراء الغالبين ومن كرم
الكريم الدفاع عن الحريم وقالوا لكل احد يوما ذكا به منهما احدهما
لا يجعل عليه والثاني لا يقصر عنه فعل الجبان والفرار وكان شيوخ اهل
الجند يحكون في بلادنا فانوا انه كان حرب بين المسلمين والكفار ثم
افترقوا فوجدوا في المعركة قطعة من بيضة الحديد قدر ثلثها بما
حوته من الراس فيقال انه لم ترفك ضربة اقوى منها وكان شيوخ اهل
الثغر يحكون انهم خرجوا في ايام صيف الملته في سرية الى بلاد العدو
فبينما هم يسيرون اذ لقيتهم سرية للروم يريدون ما نريد منهم فلما
تراءوا عرف بعضنا بعضا وكان في القوم صناديد الروم وكان فينا صناديد
من المسلمين فتوافقنا ساعة ثم تشددنا وتشددوا فالتقينا وتجالدنا ساعة
ثم منحنا الله اكتافهم فجعلنا هم حصيدا كانهم جذوع ا[illegible] وكان

في بلد

حصيرا

وكان

وكان هناك قرية بقربهم فيها فتى من الخمر فشربنا له وسكرنا ثم اشتهينا
شرائح اللحم فقعدنا نقطع من لحوم القتلى ونجعل على النار واكلنا فهزم من كان
اسرنا منهم وبلغ الحديث الى بلاد النصرانية فانقلبت النصرانية فجئنا منها
وقذف الرعب في قلوبهم وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقي عمرو
ابن معدي كرب فقال له عمر اي السلاح افضل في الحرب قال فعن ايها تسأل
قال ما تقول في السهام قال منايا تخطئ وتصيب قال فما تقول في الرمح قال اخوك
وربما خانك قال فما تقول في الترس قال هو الدائرة وعليه تدور الدوائر قال
فما تقول في السيف قال ثم كان عمرو من شجعان العرب و
ابطالها نزل يوم القادسية على النهر فقال لاصحابه اني عابر على الجسر
فان اسرعتم مقدار جزر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي اقاتل به تلقاء
وجهي وقد عقدني القوم وانا قائم بينهم وان ابطاتم وجدتموني قتيلا
بينهم ثم حمل على القوم فانغمس فقال بعضهم لبعض يا بني زبيد علام تدعون
صاحبكم والله ما نرى ان تدركوه حيا فحملوا فانتهوا اليه
وقد صرع عن فرسه وقد اخذ برجل فرس رجل من العجم فامسكها وان الفارس
ليضرب فما يقدر الفرس ان يتحرك فلما غشيناه رمى الرجل بنفسه وخلى فرسه
فركب عمرو وقال انا ابو ثور كدتم والله تفقدوني قالوا اين فرسك قال
رمي بنشابة فشب فصرعني ويروى ان عمرا حمل يوم القادسية
على رستم وهو الذي كان قومه يرده خرملة العرب يوم القادسية على
قتال المسلمين فاستقبل عمرو رستما على فيل فحزم عرقوبيه فسقط رستم
وسقط الفيل عليه مع خرج كان عليه فيه اربعون الف دينار فقتل رستم
وانهزمت العجم وروي ان قاتل رستم وهو من فلان وانا الظن بذلك هيهات

التي هلا رت تلك البسطة بما حوته من الراس فلم يسمع بمثلها في جاهلية ولا اسلام يحملونها الروم ويعلقونها في كنيسة لهم وكانوا اذا عيروا بهاء نهزامهم يقولون لقينا رجالا هزا ضربهم فيرحل ابطال الروم اليها ليروها وانما كانت العرب تفخر بهذا الباب بقول النمر بن تولب يصف ضربة سيفا

ابقى الحوادث والايام من نمر ... اسار سيفه قد يم اثرك بادي
تظل تحفر عنه ان ضربت به ... بعد الذراعين والعظمين والهادي

وينشدون قول النابغة

تقد السلوقي المضاعف نسجه ... وتوقد بالصفاح نار الحباحب

وامر هذا مرفوع الحديث بما هو اله من الراس وابن الشريا من الثار واين الحسام من نسيجه ولولا كراهة التطويل لذكرنا من امثال هذا ما فيه العجب وقد قالوا السيف ظل الموت والسيف لعاب المنية والرمح رشاء المنية والسهام رسل لا تؤامر من ارسلها والرمح اخوك وربما خانك والدرع مشغلة لمن للراجل متعبة للفارس وانها لحصن حصين والترس مجن وعليه تدور الدوائر

الباب الحادي والستون في

ذكر الحروب وتدبيرها واختلافها

واحكامها ومن حزم القائد ان لا يحتقر عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان حقيرا ابو بكر بن عوت استحقر قليلا ومنع الرقاد ملكا جليلا قال الشاعر

فلا تحقرن عدوا رماك ... وان كان في ساعديه قصر
فان السيوف تجز الرقاب ... وتعجز عما تنال الابر

وفي الامثال لا تحقروا الذليل فربما شرق بالزباب الجمل ومثل العداوة مثل

النار

النار ان تداركت اولها خمد لهيبها وان تركت حتى تستحكم ضرامها صعب مرامها وتضاعفت بليتها ومثاله ايضا مثال الفرح القليلة ان تداركته سهل برؤه وان اغفلته حتى تعاظمت بليته وافضل الى ضرر برؤه واعلموا ان الناس قد وضعوا في تدبير الحروب كتبا ورتبوا فيه ترتيبا وقد يسمع مثل اهل الاقاليم ان لكل امة في الغالب نوع من التدبير وصنف من الحيلة وضروب من المكيدة وحنين بين البغاة والكر والفر وتعبية المراكب وحمل بعضهم ولكن يجمعه انشاء يجري مجرى الشعافة ولا تكاد تختلف في انها ازمة الحروب فيبدله بما ذكر الله تعالى قال الله سبحانه واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الآية وقوله سبحانه ما استطعتم مشتمل على كل ما في مقدور الانسان من العدة والالة والحيلة وفسر الشرع القوة بقوله عليه السلام الا ان القوة الرمي وكان بعض الصحابة اذا اراد العدو لا يقص اظفاره ويتركها عدة ويراها قوة فاول ان تقدم ذلك بين يدي القتال عملا صالحا من صدقة وصيام وورع وكلمة وصلة رحم ودعاء مخلص وامر بمعروف وتغيير منكر والقتال ذلك فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يامر بذلك ويقول انما تقاتلون باعمالكم وروي ان يزيد اورد عليه بفتح للمسلمين فقال له عمر اي وقت لقيتم العدو فقال غدوة قال ومتى انهزم قال عند الزوال فقال انا لله وانا اليه راجعون وقام الشرك للايمان من غدوة الى الزوال لقد احدثتم بعدي حدثا والثاني ان كان الشان في استجادة القواد وانتخاب الامراء واصحاب الالوية فقد قالت حكماء العجم اسد يقوده ثعلب خير من ثعلب يقوده اسد فلا ينبغي ان يقدم على الجيش الا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجرأة ثبت الجنان صارم القلب جريء رابط الجاش

صاه وفي توسط الحرب وما را من الرجال وما رسوله ومنازل الاطراف وفارع
الابطال عارفا بمواضع العروض فيها بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحـ
الحروب وما الذي يجب ان يشرك بالعجالة والابطال من وله بجملها بصفوف العدو ومواقع
الغزاة منه ومواضع الشرة منه فانه اذا كان لذلك وصار لكل امر رايه كان جميع
كانهم مثله وهاروا العراف الكتائب وجهاوا ابواب الغزو للزربية واعلم ان الحرب خدعة
عند جميع العقلاء واخر ما يجب ركوبه فيها الكتائب وحمل الجيش بعضها على
بعض ويشتد بنصرة الجملة في نيل الظفر ما تنصر من بدا بالهجوم خراسان من قبل مروان
الجعدي احتمل لمن في امية فقال كان يحفظه انهم يقولون ينبغي للقايد العظيم وعنش
القيادة ان يكون فيه عشر خصال من اخلاق البهائم شجاعة الديك وتحنن الدجاجة
جنة وقلب الاسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجروح
وحراسة الكركي وغارة الذئب وسمن بعير وهو [illegible] تكون لخراسان تسمن
على التعب والشقاء. وكان يقول ان الله خلق عشرة اشياء فاشد خلق الله الجبال
والحديد يقطع الجبال والنار تذيب الحديد والماء يطفي النار والسحاب يحمل
الماء والريح يصرف السحاب والانسان يتقي الريح بجناحه والسكر يصرع الانسان
والنوم يذهب السكر والهم يمنع النوم فاشد خلق ربك الهم فاول ذلك ان
يبث جواسيسه في عسكر عدوه ليتعرف اخبارهم مع الساعات ويتعلم [illegible]
رؤساءهم وقواد جيوشهم ويدس الى الشجعان منهم ويداخلهم ويعدهم وعدا جميلا
ويوجه اليهم بضروب الخدعة ويقوي اطماعهم في ان ينالوا ما عنده من
الصلات الفاخرة والولايات السنية فان راى وجها للعمل عليهم بالهدايا
والتحف وسامحهم ان [illegible] وانما اعتزل له وقت اللقاء ويعشي
على السنتهم كتبا منه لشيعته اليه ويتصانع عساكرهم ويكتب على السهام اخبارا
مزورة

مزورة ويرمي بها في جيوشهم ويضرب بينهم بها في الجيوش الا جميع ما ذكرنا
ينفق فيه الاموال والخيول والعقلاء ينفق فيه الارواح والنفوس [illegible] وجري الحيل
فيه لا تحصى والحاضر فيها ابصر من الغائب ولله در المهلب لما كتب اليه الحجاج
يستعجله في حرب الازارقة رد الجواب فقال ان من البلاء ان يكون الراي لمن يملكه
لا عند من يبصره وكان المختار ليزيد بن انس [illegible] الحرب وامره بقتال عبيد
الله بن زياد والقيه وقد مر ان يكن مستبشر غير متكل ولا تركن الى الدولة قربها الغلبة
والمتعين من لا يضيع في عمله ولا يسرع بغفلته واستخر الله تعالى قبل لقائه امد يوفق العقلا
واوصت ام الدبال العبسية ابنها الفتاد وهو من اشد العرب باسا فقالت يا بني
[illegible] تطاحن [illegible] وجه [illegible] منها فان المنية اقوى شيء واذا
وجدت سبيل الحيلة واضعف شيء اذا [illegible] منكسا [illegible] الشدة لما كانت
الحيلة مدبرة لها الا كان [illegible] الله [illegible] واجلس من [illegible] الحيلة [illegible]
وكرمه [illegible] ان [illegible] فان [illegible] زمام الشجاعة [illegible] والشدة وكان
احد القواد اوصى ابنه يا بني كن بحيلة اوثق منك بشدة [illegible] بحزمك اوثق منك بشجاعتك
عند لقاء الحرب [illegible] واعلم انه اذا زالت الدولة طاشت
حيلها وبالا عليها واذا اذن الله في حلول البلاء كانت الافة في الحيلة وقالت
الحكماء اذا نزل القضاء كان العطب في الحيلة واذا انقضت مدة الدول [illegible]
هذه العجلة من [illegible] ويغلب [illegible] كما يغلب القوي [illegible]
مدته وقالوا سعود الدول ونحوسها مقرونة بسعود الملك ونحوسه وقالوا
تشقى على كل امرئ في دولته فاذا انقضت [illegible] عورته وقال بعض الحكماء
اذا ولت دولة ولت امة واذا اتت دولة [illegible] امة وقالوا في حيلة اهل
الحنكة اهل الحزم [illegible] عند سوابق الحروب ان يكون حماة الرجال وكماة الابطال

فهي

في القلب فإنه متى انكسر الجناحان فالعيون ناظرة إلى القلب فإذا كا
نت راياته تخفق وطبوله تدق كان حصنا للجناحين يأوي إليه كل
منهزم فإذا انكسر القلب تمزق الجناحان ... وإذا انكسر أحد
جناحيه ترجى عودته ولو بعد حين وإن انكسر الرأس ذهب الجناحان ولا
يحصى كثرة ما انكسر جناحا العسكر وثبات القلب وتراجع الفارين
إلى القلب ويكون الظفر لهم وقل عسكر انكسر قلبه فأفلح وتراجع المنهزمون
إلا أن تكون مكيدة من صاحب الجيش فيخلي القلب قصدا أو تحرزا لا بعلاوة رز
به كمينا حتى إذا توسطه العدو واشتغل بنهبه أطبقت عليه الجناح
ان فهذه فعله رجال من أهل الحروب ومن أعظم المكايد في الحروب المكذا
ولا يحصى كثرة كم من عسكر استعجمت بضعفه وقل عدده بالكناوذلك
أن الفارين لا يزال على جهته في الدوام ... حتى يلتفت فيرى
وراءه بندا منشورا أو يسمع ضرب الطبول فحينئذ همته هاهنا من نفسه
وتنكر همته ورأيت ذوي السياسة والإقدام والحماة ولا عليه أن يكثر واو
ويعد عليه أن يكثروا وتنسى قول الشاعر

والناس ألف منهم كواحد ... وواحد كالألف إن أمر عنا

بل قد جرت فوجد الواحد خيرا من عشرة آلاف وما حكي لهم ذلك ما يقضي
به العجب بهزم الجيش وأنهم لا يحصى في اللبن ... له الثقفي المسعودي
الصغير بن هود مع الطاغية ابن رذمير النصراني قصمه الله على مدينة وشقة
هالسبة تعوزا ... وكان العسكران كالمتكافئين كل واحد منهما يراه
هو عشرة من الأصناف من خيل ورجل فقد رحل من حضر الوقعة من أجناده
قال لنا في اللقاء قال الطاغية ابن رذمير قصمه الله ثم يثق بعقله ومراسته

للحروب من رجاله استعلم من في عسكر المسلمين من الشجعان الذين نعرفهم
كما نعرف بنينا ومن غاب منهم ومن حضر فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان
وفلان حتى عد سبعة رجال فقال الطاغية فإن في عسكري من الرجال الف
العلج وبين ما تشجاعة ومن غاب منهم بعة وهم قوجه وهم ثمانية
رجال لا يزيدون فقام الطاغية ضاحكا مسرورا وهو يقول ببياض
من يوم ثم ناشب الحرب فلم تزل المطاحنة بين الفريقين ولم يول أحد منهم
دبره ولا تزحزح عن مقامه حتى فني أكثر العسكرين ولم يبق واحد
منهم ولقد كان فتية العجم ينظروا إلينا ساعة ثم حملوا علينا حملة
وداخلونا مداخلة فيفرقوا بيننا وصرنا نتكلم بيننا وحالوا بيننا وبين
أصحابنا وصاروا بيننا فكان ذلك سبب وهيننا وضعفنا ولم يقم
الحرب إلا ساعة ونحن في حسارة معهم فأشار مقدم العسكر على
السلطان أن ينجوا بنفسه وكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم
وملك العدو مدينة وشقة جبرها الله فيعتبر ذو الحزم والبصيرة من
جمع يحتوي على أربعين ألف مقاتل لا يحضر من الشجعان المجودين
إلا خمسة عشر ويعتبر نقصان العلج والظفر والهزيمة لما زاد في أبطاله رجل
واحد وسمعت أستاذنا القاضي أبا الوليد الباجي رحمه الله قال
بينما المنصور بن أبي عامر في بعض غزواته إذ وقف على نشز من الأ
رض فمع وراء جيوش المسلمين بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره قد
ملئوا السهل والجبل فالتفت إلى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن ال
مصحفي فقال كيف ترى هذا العسكر أيها الوزير فقال ابن المصحفي أرى جمعا
كثيرا وجيشا واسعا فقال له المنصور لا يفجعنا أن يكون في هذا الجيش ألف

للحروب

مقاتل فارس فتعجب المنصور ثم انعطف عليه فقال ايهم خمسمائة من جملة
من ابطال العدو وهو بين فلان قال لا قال فتعجب المنصور ثم قال ايهم مائة رجل قال
لا قال ايهم خمسون من الابطال قال فتبسم المنصور واستخف به وامر به
فخرج على اقبح صفة فلما توسطوا بلاد المشركين اجتمعت الروم وتكاثف
الجمعان فبرز علج من الروم شاك السلاح يكر ويفر ويقول هل من مبارز فبرز
له رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج ففرح المشركون وصاحوا
واضطرب لها المسلمون ثم جعل العلج يمرح بين الصفين وينادي هل من يبارز
اثنين بواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج
وجعل يكر ويجول وينادي هل من مبارز ثلاثة بواحد فبرز اليه رجل فقتله
العلج فصاح المشركون وذل المسلمون وكادت تكون كسرة فقيل
للمنصور ما لها غير ابن المصحفي فبعث اليه فحضر فقال له المنصور اما ترى ما
يصنع هذا العلج الكلب منذ اليوم قال بعيني جميع ما جرى قال فما الحيلة
فيه قال وما الذي تريد قال ان يكفي المسلمين شره قال نعم الان ان شاء الله
ثم قصد الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من رجال الثغور على فرس قد
نشزت اوراكها هزالا وهو يحمل قربة ماء يبرد به على الفرس والرجل
في نفسه وحليته غير متصنع فقال له ابن المصحفي اما ترى ما يصنع هذا
العلج منذ اليوم قال قد رايته قال فماذا ترى فيه قال تريد راسه الان
قال نعم فحمل القربة الى رحله ولبس لامة حربه وبرز اليه فتجاولا ساعة
فلم يرى الناس الا المسلم قد رجع اليه يركض ولا يدرون ما هنا [illegible] الا
الرجل يحمل راس العلج فالقى بين يدي المنصور وقال له [illegible] الا
جال اخي تالله [illegible] عسكر منهم الف ولا خمسمائة ولا خمسون [illegible]

وعشرون

وعشرون الا عشرة فرد ابن المصحفي منزلته واكرمه. واعلم ان اول
الحرب شكوى واوسطها نجوى واخرها بلوى الحرب شعثاء عابسة
شوهاء كالحة حرونها حياض الموت شوهاء الوجه تتغذى بالنفوس
الحرب اولها الكلام الحرب مرة المذاق اذا قلصت عن ساق من صبر فيها
عرف ومن ضعف عنها تلف جسم الحرب الشجاعة قلبها التدبير وعينها
الحذر وجناحاها الطاعة ولسانها المكيدة وقائدها الرفق وسائقها
النصر وقال الرسول عليه السلام الحرب خدعة وقالوا الحرب
غشوم سميت بذلك لانها تتخطى الى غير الجناة كما قال الشاعر

لم اكن من جناتها علم الله واني بحرها اليوم صالي

وقال اخر

وارى الحرب يجنيها رجال ويصلى بحرها قوم براء

ومن اشعار التي تنشد في مبادي الحروب

الحرب اول ما تكون فتية تسعى بزينتها لكل جهول
حتى اذا استعرت وشب ضرامها عادت عجوزا غير ذات خليل
شمطاء جزت راسها وتنكرت مكروهة للشم والتقبيل

قال بعض العلماء قد جمع الله اداب الحرب في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله
ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين
واستوصى قوم اكثم بن صيفي في حرب ارادوها فقال اقلوا الخلاف
على امرائكم واعلموا ان كثرة الخلاف فشل ولا جماعة لمن اختلف واثبتوا
فان احزم الفريقين الركين وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لاصحابه الا
ترون اصحاب محمد جثيا على الركب كانهم خرس يتلمظون تلمظ الحيات

ورايته غيره واحد من اهل الحروب يكره رفع الصوت بالتكبير ويقو
لون يذكر الله في نفسه، واعلم ارشدك الله ان الله سبحانه قد اوضح
لنا في كتابه علة النصر وعلة الهزائم والفرار فقال يا ايها الذين امنوا
ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم يعني ان تنصروا دين الله ورسو
له واما الفرار فعلته المعاصي فان الله تعالى اخبر في قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقا
الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا اي بشؤم ذنوبهم
وتركهم المركز الذي رتبهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه
اذ رتب عليه السلام الرماة بموضع احد على تلك الجبل ليمنعوا قريشا ان
يخرجوا عليهم كمينا من ذلك الموضع ثم التقى المسلمون والكفار فا
نهزم الكفار فقال الرماة نغتنم الغنائم فاقبلوا على الغنائم وتركوا
المركز الاول فخرجت خيل المشركين من هنالك فقتلوا على المسلمين وكانت
مقتلة احد ونكبته فاول الجيش العلامة التي هو منتخب بها ان عدوله قد
استعمل حيلته والوان خديعته ورايته ولا يلزم فيمنه ليلا ونهارا ويبدل زيه
ويغير خيمته ويخفي مكانه كيلا يلتمس عدوه غرته واذا اسكنت الحرب
فلا يمش في النفر اليسير من قومه خارج عسكره فان يجهز عدوه فداء زكنت
عليه وعلى هذا الوجه كسر المسلمون جيوش افريقية عند فتحها وذلك
ان الحرب سكنت في وسط النهار فخرج مقدم العسكر يمشي خارج العسكر
بين عساكر المسلمين فجاء الخبر الى عبد الله بن ابي سرح وهو قائم في قبته
فخرج فيمن تقدم من رجاله فحملوا على العدو وقتلوا الملك وكان الفتح والغنائم
كان الى بلاد ان انه ليس يستفتحها ومن سواه اذا بافريقية خرجوا
في الجزيرة الخضراء وتحصنوا في الجبل العظيم الذي يسمى اليوم جبل طارق

وهو

وهو في الف وسبع ماية رجل فجمعت الروم فيهم فاقتتلوا ثلاثة ايام
وكان على الروم تدمير فاستغلقه لذريق ملك الروم وكتب الى لذريق
بانه قد نزل بارضنا قوم لا ندري امن اهل الارض هم ام من اهل السماء فقد وطوا الى بلا
دنا وقد لقيتهم فانهض الي بنفسك فاتى لذريق في سبعين الف عنان
ولقيهم طارق على خيله فعبئت الروم من ابي الوليد بن عبد الملك فاقتتلوا
ثلاثة ايام اشد قتال فراى طارق ما الناس فيه من الشدة فقام فحضهم
على الصبر ورغبهم في الشهادة وبسط في امالهم ثم قال ايها الناس اين المفر
البحر من ورائكم والعدو امامكم فليس ثم الا الصبر منكم والنصر من ربكم
وانا فاعل شيئا فافعلوا كفعلي والله لاقصدن طاغيتهم فاما ان اقتله
او اقتل دونه فاستوثقوا مكان من خيله لذريق فحمل فقتل في ربع في العدو
وحمى الله المسلمين ولم يقتل منهم كبير شي وانهزمت الروم فاقام المسلمون
يقتلونهم ثلاثة ايام حتى ما بقي على العلو امن لذريق مكانا واحدا
واخذ طارق راس لذريق فبعث به الى موسى بن نصير وبعثه موسى
الى الوليد بن عبد الملك وسار مغيث الى قرطبة وسار طارق الى طليطلة
ولم يكن لهم همة غير المائدة التي يذكر اهل الكتاب انها مائدة
سليمان بن داود عليهما السلام فوقع اليه انها بقيت لذريق الملك
والتاج فهو منها فما بولة بها يتيمي ابن ... انما فيها من الجواهر التي
لم ير مثلها وبهذه الحيلة قصد البرسلان بعد التربص الروم
وقبضه وقتل رجاله واباد جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشا
يقال انه لم يجتمع قط لمن قبلهم مثلها وكان مبلغ عددهم ستماية
الف مقاتل كتائب متواصلة وعساكر مترادفة وكراديس يتلو بعضها

بعضا كالجبال الشامخات لا يعركم الخوف ولا يحصيهم العدد وقد
اشتعوا وامن الكراع والسلاح والمجانيق وآلات الحرب تجمع الحصون
والحروب ما يعجز الوصف عنها وكانوا قد قسموا بلاد المسلمين الشام
ومصر والعراق وخراسان وديار بكر ولم يشكوا ان الدولة قد دارت لهم وان
نجم السعود قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت الاخبار
الى بلاد المسلمين واضطربت لهم بلاد الاسلام فاحتشد للقائهم الب ارسلان
التركي وهو الذي يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة اصبهان
واستعد بما قدر عليه ثم خرج يؤمهم فلم يزل العسكران يتدانيان
الى ان عادت طلائع المسلمين الى المسلمين وقال الب ارسلان غدا تتراءى
الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعة والقوم في عدد لا يحصيهم الا
الذي خلقهم وما دهى المسلمين الا اكلة جائع فبقي المسلمون
واجمين مما دهاهم فلما اصبحوا صباح يوم الجمعة نظر بعضهم الى بعض
فهال المسلمين ما راوا من كثرة العدو وفوتهم الا انهم بامر الب ارسلان
ان يعتد المسلمون فبلغوا اثنى عشر الف تركي واذا هم منهم كالنقطة
في ذراع الحمار فجمع ذوي الراي من اهل الحرب والتدبير والشفقة على المسلمين
والنظر في العواقب فاستشارهم في استخلاص صواب الراي فتفشا ورودهة
ثم اجمع رايهم على اللقاء فتوادع القوم وتحالفوا وتناصحوا الا السلاح واهبة
ثم تاهبوا اهبة اللقاء وقالوا للب ارسلان بسم الله نحمل فقال الب ارسلان يا معشر
معشر اهل الاسلام امهلوا فهذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون ويدعون لنا على
المنابر في شرق الارض وغربها فاذا زالت الشمس وفاءت الافياء وعلمنا
ان المسلمين قد صلوا وضجوا نحن عملنا امرنا فصبروا الى ان زالت الشمس

فصلوا

ببتدء ليان

١٧٦

فصلوا ودعوا الله تعالى ان ينصر دينه وان يربط على قلوبهم الصبر وان يوهن
عدوه ويلقي في قلوبهم الرعب وكان الب ارسلان قد استولى من جهة ملك الروم
وعلاقته وقربه وزينه ثم قال لرجاله لا يتخلف احد منكم ان يفعل كفعلي ويضرب
بسيفه ويرمي بسهمه حيث اضرب بسيفي وارمي بسهمي ثم حمل وحملوا حملة
رجل واحد الى جهة ملك الروم فقتلوا من كان دونه وخلصوا اليه وقتلوا من
حوله واسروا ملك الروم وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك قتل الملك
فسمعت الروم انه قد قتل فتبددوا وتفرقوا كل ممزق وعمل السيف فيهم
اياما واخذ المسلمون اموالهم وغنائمهم واستحضر ملك الروم بين يدي الب ارسلان
بحبل في عنقه فقال الب ارسلان ماذا كنت تصنع بي لو اخذتني قال وهل تشك
اني اقتلك فقال الب ارسلان انت اقل في عيني من ان اقتلك اذهبوا به فبيعوه فيمن
يريد فكان يقتاد بحبل وينادى عليه بالدراهم والفلوس حتى باعوه من
انسان بكلب فاخذ الذي كان يتولى ذلك من امره الكلب والدراهم وحملهما
الى الب ارسلان فقال قد طفت جميع العسكر ونادت عليه فلم يزد احد
احد شيئا الا رجل واحد دفع الي فيه كلبة فقال الب ارسلان قد انصفكم ان
الكلب خير منه فاقبض الكلب وادفع اليه هذا الكلب ثم امر بعد ذلك با
طلاقه فذهب الى قسطنطينية فعزلته الروم وكحلته بالنار وانظر ماذا
يبلغني على الملوك اذا اعرضوا بالحروب من الحيلة والمكيدة واعلم ان
ان القوم ما قاتلوا لكثرة الرعب وللقلة النصر ثم اعلموا ان الله تعالى قال
ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم
الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين من نكتة ايضا بعضها الا عجائب ومع
الا عجائب الاهلة وخير الا صحاب اربعة وخير السرايا اربع مائة وخير

إليهم نحو اربعة آلاف ولن يغلبها جيش يبلغون اثني عشر الفا من قلة اذا هي
اجتمعت كلمتهم واما صفة القتال وهو احسن ترتيب رايناه في بلادنا
وهو ان رجالة بين يدي الخيل في الصفوف وذلك ان تقدم الرجالة بايديهم الدرق الطوال
والرماح الطوال والمزاريق المسنونة النافذة فيصفوا صفوفهم ويركزوا
مراكز رماحهم خلف ظهورهم في الارض وصدورها شارعة الى العدو وهم
جاثون في الارض كل رجل منهم قد القم الارض ركبته اليسرى وترسه قائم
بين يديه وخلفهم الرماة المختارون الذين تمرق سهامهم الدروع والخيل
خلف الرماة فاذا حملت الروم على المسلمين لم تتزحزح الرجالة عن هيئتها
ولا قام رجل منهم على قدميه فاذا قرب العدو رشقتهم الرماة بالسهام وقد
والرجالة بالمزاريق وصدور الرماح تلقاهم فيأخذوا يمنة ويسرة فتخرج
خيل المسلمين بينهم فتنال منهم ما شاء الله ولقد حدثني من حضر هذه الوقعة
في بلدة [illegible] قال ما حمل الروم على هذا الا انني تبت فحملوا علينا فينا
رجل منا كان في آخر الصف فقام على قدميه فحمل عليه علج من العدو فاصابه
في غرته فقتله. ولقد برز المعتمد بن هود ملك الاشراق [illegible]
فتمكن في ثغور بلاد [illegible] لعنه الله وكان كل
واحد منهما قد احتشد بما في ميسوره من بلاده فالتقى المسلمون والكفار
ثم نزلوا للقتال وتطاعنوا ودام القتال بينهم صدرا كثيرا من النهار وكان
المسلمون في خسارة فانهزم المعتمد [illegible] المسلمون [illegible]
مع المعتمد رجل من المسلمين ممن يسكن في الثغور عارفا منه بالحروب فيسمى [illegible]
ولي فقال له كيف ترى [illegible] اليوم قال [illegible] هذا يوم اسود ولكن بقيت في
حيلة [illegible] وكان [illegible] الروم و[illegible] كلامهم [illegible]

على الكنيسة

على الكنيسة فانهزم في عسكر الكفار ثم قصدوا الى الطاغية ردمير لعنه الله
بالعراء شاكي السلاح [illegible] في المقدمة كما يخرج منه الا عينان فجعل يتخيله
ويترصد غرته الى ان امكنته الفرصة فحمل عليه فطعنه في عينه فخرج بين
العينين والعمر وجعل [illegible] بلسان الروم قتل السلطان في معظم الروم و[illegible]
قتله في العسكر [illegible] لوا ولوا منهزمين وكان الفتح في ذلك اليوم [illegible]
استضعفت الروم صقلية ضربت عليهم الروم الخراج فكانوا يحملون
اليه الخراج ويحملون الاموال الى العرب بافريقية يستنجدون بهم
على الروم فقال ملك الروم مثلي ومثلكم مثل رجل كهل له زوجتان عجوز
وصبية فكان اذا بات عند الصبية تلقط الشيب من لحيته كيف تخفي امارة
الشيخ واذا بات عند العجوز تلقط من لحيته الشعر الاسود لتشبه
في عين الصبية فيوشك ان يبقى هذا [illegible] كذلكم معي ومع العرب
واذا الذين انتم [illegible] الى العرب يوشك ان يعود [illegible] فيبقوا [illegible]
ويروى انه لما طلب اخذ صقلية امر [illegible] ثم جعل في وسطه دينارا
ثم قال لمن حوله رجاله من اخذ منكم هذا الدينار ولم يطأ البساط علمت انه
يصلح للملك فوقفوا حوله ولا يصل اليه احد فلما عيا [illegible] تلاحيه البساط
من عنده وامر كل واحد منهم ان يطوي ما يليه حتى يطوي البساط فمدوا
ايديهم فاخذوا الدينار فقال لهم اذا رأيتم مدينة صقلية فخذوا ما حولها
من الحصون الصغار والقرى والضياع والقرى حتى اذا ضعفت اخذ [illegible]
وكان بسرقسطة فارس يقال له ابن [illegible] وكان فيما يسفي من جهة [illegible]
[illegible] وكان اشجع العرب والعجم وكان المستعين ابو المقتدر بالله يرى
له ذلك ويعظمه وكان يجري له في كل عطية خمسمائة دينار وكانت النصرانية

بأسرها فهو عندنا مكانه وهاتيك لقاءه فيحكي ان الرومي اذا سقى
فرسه فلم يشرب يقول له اشرب ام ابن فتحون رأيت في الماء فحسده نظراؤه عند
كثرة العطاء ومنزلته من السلطان واغروا به في صدر المستعين فسجنه ايامه ثم
ان المستعين انشا غزوة الى بلاد الروم فتواقف المسلمون والمشركون صفوفا
ثم برز علج الى وسط الميدان ينادي هل من مبارز فخرج اليه فارس من المسلمين
فتجاولا ساعة فقتله الرومي فصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس المسلمين
وجعل الرومي يكر بين الصفين وينادي ثلاثة بواحد وهم يستجر اخر من المسلمين
ان يخرج اليه وبقي الناس في حيرة فقيل للسلطان ما لها الا ابو الوليد بن فتحون
فدعاه وآنسه ولاطفه فقال اما ترى ما يصنع هذا العلج فقال هو بعيني فقال
ما الحيلة فيه قال ابو الوليد فماذا تريد قال ان تكفي المسلمين شره قال الان
الساعة يكون ذلك بحول الله وقوته فلبس غلالة كتان واستوى على سرجه بلا
سلاح واخذ بيده سوطا طويل الطرف وفي طرفه عقد معقودة ثم برز اليه
فتعجب منه النصراني وحمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخطئ طعنة
النصراني فرج ابن فتحون وراه ابن فتحون فتعلق برقبة الفرس ونزل بالارض
لا شيء منه على السرج ثم طفر على سرجه وحمل عليه وضربه بالسوط على عنقه
والتوى على عنقه واخذه بيده من السرج فاقتلعه من سرجه وجاء به يجره
فالقاه بين يدي المستعين فعلم المستعين انه كان اخطأ في صنيعه معه فاكرمه
وزاد في احسانه واعاده. ايها الاجناد اقلوا الخلاف على امرائكم فلا خير
مع اختلاف ولا جمع اذا اختلف عليه قال الله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا
وتذهب ريحكم ان الخير في الاجتماع واول الفتنة الافتراق وعماد الجماعة
عند الاستماع السمع والطاعة وانما اتي علي بن ابي طالب رضي الله عنه

يوم صفين

يوم صفين تضعضعت صفوف معاوية واحس بالشر وانه مغلوب فقال
لعمرو بن العاصي اذهب فخذ لنا امانا من ابن عمك يعني عليا فجاء ار
عمرو الحيلة وامرهم ان يرفعوا المصاحف في اطراف الرماح وينادون
ندعوكم الى كتاب الله فصار واكثر اصحاب علي كبراء العرب فقال
لهم علي اي قوم هذه مكيدة منهم ولم يبق في القوم داع فعصوه وتركوا
القتال فكان ذلك سبب التحكيم واعلم ان من احزم مكايد الحرب اذكاء
العيون واستطلاع الاخبار وافشاء الغلبة والظفر والسرور والاهانة
العدو والاحتراس من العدو وان لا تخرج هاربا الى قتال ولا تغتنمن ان لا
مستأمن وقال بعض المصنفين كثرة التكبير عند اللقاء فشل غضوا
الاصوات وتلبسوا السكينة واكثروا الاذان واحموا الحصن واعدوا
الخيل فقد اعطى الويل من يحجم الجبان وقصد الشجاع البذل الحرب له
عقل الحازم عن عدوه لشغل كل حال المواثبة او فرصة وانتقامه له
ان يعدوا الخصم اذا انكشف والاستكثار اذا لقي الجهل قوله الحرب له
من اعتق بقرنه فقد وهن ومن الفرقة التي بعد المعونة تتكل الشدة ما كنت
حذرا ما كنت عند نفسك اكلا قوته وعدا امر ينضعف عدوك اغتر من
اغتر بعدوه واشعروا قلوبكم في الحرب الجرأة فانها سبب الظفر
واذكروا الضغائن فانها تبعث على الاقدام والتزموا الطاعة فانها
حصن المحارب اذا وقع اللقاء نزل القضاء اذا القى السيف التنبيه
وان الفرار تمكينة ابلغ من تحرك رب كلمة هزمت عسكرا الضرب
النصر النصر مع الصبر اجعلوا قتال عدوكم اخر حيلتكم النصر مع الله بين
لا ظفر مع بغي ولا تعتزوا بالاقوياء بعضكم على الضعفاء لا تجبنوا



عند البغضاء ولا تقتلوا عند القدرة ولا تفخروا عند الظهور ولا تغلوا عند
الغنائم ونزهوا الجهاد عن غرض الدنيا

الباب الثاني والستون في القضاء والقدر والتوكل والطلب

اعلم ان مذهب اهل الحق في القضاء والقدر وخلق الافعال وارادة الكا
ئنات منتشر ولا يخرج عن علمه ونظائره وقدرته وذكره هاهنا فمن اهل البدع في
القضاء والقدر واقتناء العلم وقد تباين الخلق فيه وتشتت مذاهبهم وتفاوت
طعوا فيه وتدابروا وكل حزب بما لديهم فرحون ولم تضع هذه الترجمة
لاستيفاء ما قالوا ولا احتجاج لكل فريق لان ذلك يستدعي مجلدات واسفا
را وانما نذكر في هذا الكتاب احكاما ظاهرة قريبة من العقول ليقرب ابدا
ؤه على الناظر فاعلم اولا ان كل ما يجري في العالم من حركة وسكون وخير
وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية وكذلك فلا يصيبه ما لم يكتب
عليه ولا يدب حيوان على بطنه ورجليه ولا تسقط ورقة ولا تخرج بعوضة
الا بقضاء الله وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجري شيء من ذلك الا وقد
سبق علمه به ثم اعلم ان القدر والطلب لا يتنافيان وان التوكل والتكسب لا
يتضادان ذلك ان تعلم ان كل ما قضى الله عز وجل فهو كائن لا محالة كما
ان ما علم الله انه يكون فهو كائن ومن ظن ابتداء القضاء والقدر واقتناء في
العلم فرب امر قد وقع في قدر الله تعالى وحوله اليه بعد الطلب فلا يصل اليه الا با
لطلب والطلب لا ينافي القدر ولا فرق بين ان يكون مطلوبا وبين الحصر في انهما
مقدر وان يمين ما هنا ثبت انهما لا يتنافيان وكذلك التوكل مع التسبب
لان التوكل محله القلب والسبب محله الجوارح ولا يتضاد شيئان في محلين

[illegible]

١٧٩

فمن ما يتحقق العبد ان النفع من قبل الله تعالى فان تعجل شيء فبتقديره
وان تعوق شيء فبتيسيره قال جاء رجل على ناقة فقال يا رسول الله ادعها
واتوكل فقال اعقلها وتوكل فالتوكل لا ينافي بالقدرة فيستحق ان من
العقل الطلب والكسب فيستحق ان من فهم التوكل على الله هو ان تثق بما
ضمنه والفلاح كون ما يحكم به فمن رام امرا من الامور فليس الطريق في
تحصيله ان يغلق بابه عليه ويفوض امره اليه وينتظر حصول ذلك الامر
بل الطريق ان يشرع في طلبه على الوجه الذي شرعه الله فيه وقد ظا
هر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة
يستظهرون به ويحترس من العدو واقام الرماة يوم احد يحفظونه
من خالد بن الوليد وكان يلبس لامة الحرب ويعبي الجيوش ويامرهم
وينهاهم مصالحهم واسترقى وامر بالاسترقاء وتداوى وامر بالتداوي
بالادوات وقال ان الذي انزل الداء انزل الدواء فان قيل اليس قد
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرقى واكتوى برئ من
التوكل قلنا اليس قد قال اعقلها وتوكل وجمع بين درعين وسائر ما
ذكرنا انفا فان قيل فما المخرج من ذلك قلنا معناه من استرقى
واكتوى متوكلا على الرقية والكي وان البرء من قبلهما خاصة فهو
فهذا الخارج من التوكل وانما معنى كلامي ويضيف الدواء الى غير الله
تعالى فاما من يرى ان الاسباب والادوية وتعاطي تدبير لنفسه واعوانه
ومآله على ما جرت به سنة الله تعالى في ارضه وعادته في خلقه غير
معتمد على شيء منها بل هو واثق ان ما حصل فبتقديره ومعتمد
في ذلك على المسبب لا على الاسباب فهذا هو المتوكل لا كرمن شرحه

متوكلا العقل

او يمشي في ذلك كله مع اشغاله ولا يسلك طريقا فيه معصية فليس يستقر ما عند الله بمعصية الله كان العبد بما رجا واخوف فيجي وما اتفق وليس كما ان الطلب والاسباب تناقض التوكل فقعد في بيته وغلق بابه متوكلا على الله تعالى وزعمه كان عن العقل خارجا وفي تيه الجهل الدوا الجاه وبقال له يجب من هذا اذا جعت وحضر الطعام ان تقدم يدك اليه ولا تنفع بعضا فلا معنى لتيه كان الى العقل احوج منه الى المعرفة وينبغي لاهله ان يداووه اما ترى ان الله تعالى قال لمريم وهزي اليك بجذع النخلة فجعل لامرها بالشكوى في حمل الرطب الى فيها وهذا القول غير لدي انه لو يشاء يوم ما يشفي بيتا زوجها واصلاح شانه ويوم ان يطلب الدوابة ويسقيها واشتروا في المعنى

الرطب

الم تر ان الله قال لمريم وهزي اليك الجذع تساقط

ولو شاء ان تجني الجذع من غير هزها اليها ولكن كل شيء له سبب

وهذا قال الرسول عليه السلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطيور تغدو خماصا وتروح بطانا ثم جعل ارزاقها الطلبا او كان زماما لها طلبا بالغدو والرواح وقد كان جهيل ومن العنه ما ومن يرملي من تصديق القدر وتكذيبه الطلب دون اهل زما نعم الطولها جهلا من الطلب والتدبير واخرجه من سكانه وقهروه على سكته فقال له بعض الحكماء ان ترك الطلب يضعف الهمة ويقلل النفس وصاحبه صار الى اخلاق نحوا ان لا حيلة من الحيوان كالضب وما في الحشرات تشتو في حجرتها وفيه يكون موتها ثم جمعوا بين القدر والطلب وقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل واحد منهما ارجح مما حمل في الاخر

حوا

نفعه هند وتعب كضره وثقل عليه سعيه وان عاد لبينهما سلم كضره ونجح سعيه وتعب بحثه وضربوا فيه مثلا عجيبا وقالوا ان اعمى ومقعدا كانا في قرية بفقر وضر لا قائد للاعمى ولا حامل للمقعد وكان في القرية رجل يطعمهما كل يوم احتسابا قوتهما من الطعام والشراب فلم يزالا في عافية الى ان هلك المحتسب فبقي بعده ايا ما بها يشتد جوعهما ويبلغ الضر منهما جهده فاجمع رايهما على ان يحمل الاعمى المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره ويستقل الاعمى بحمل المقعد فيه واتيا القرية يستطعمان اهلها ففعلا فنجح امرهما ولو لم يفعلا هلكا وكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه فاخذ جهيل في الطلب يتضرع عدا به ورجع الى ملكه وكان جهيل يقول في ذم من الطلب اتكلا على القدر والجهود نقصه في الطلب معتمدا عليه يقضيه بالقدر ما نطق اذ اجهدوا نفسه في الطلب يوجوه التدبير مصدقا بالقدر يعينه بوله من عون الله والله قد انشأ قبعه جوارحه ان تشكته كضره وباطنه وتب الى الله من كل ذنب اتيته بجارحة من جوارحه واخرج من كل مظلمة كلمة لها قل او فعلت ذو ذلك الحظ وبما عند الله من الشادة الذي

واعلم ان على هلال الاصل الذي قد زماله يخرج كل ما ورد في القرآن و وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم من الامر بالتوكل على الله والتسليم اليه والتفويض له ترك ما ان سمعنا الخواص ثلاثا يوما قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت فقوله ما ينبغي لعبد بعد هذه الاية ان يلجأ الا الى الله تعالى يفعل ما يشاء وكلما امر النبي عليه السلام بعقل الناقة ويبقى

ذ دعين لا ترى ان من يطلب الزرع والولد ثم تعرض بقدمه بكا وجثته
ولا بكوارضه معتمرا بحدثه على الله تعالى والتقلبه وان الله اعرا نه من عهو فاء
وتنبت ارضه الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولا من الله تعالى لذلك
وللايمة والحكماء في القدر العائد بارعة فيهم نعن البيهى والا مختار منها
ما روي ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه سئل عن القدر فاعرض عن السائل
فلم يلح عليه بالجواب فقال علي انخبرني أخلقك الله كما شئت او كما يشاء فبات
مسجد الرجل فقال علي للحاضر من انتم نه يقوله كما فضاء اذا والسائر ب
عنقه فقال الرجل كما يشاء فقال علي ايميتك كما يشاء او كما تشاء
قال كما يشاء قال يبعثك كما يشاء او كما تشاء قال كما يشاء قال فيد
خلك حيث يشاء او حيث تشاء قال حيث يشاء قال ليس لك من الامر شيء
وروي ان رجلا قدريا ومجوسيا فتكلما فقال القدري للمجوسي مالك
لا تسلم فقال المجوسي لو اراد الله لاسلمت فقال القدري قد اراد الله
ان تسلم ولكن الشيطان يمنعك قال المجوسي فانا مع اقواهما وروي
في الاسرائيليات ان نبيا من انبياء الله تعالى مر بنبع منكوب واذا بها ري
منه فقال النبي يا رب [illegible] ارايت اقل فعلا من هذا الصبي [illegible]
النبع ليصيبه فيه وانا انظر اليه قال فذهب ثم رجع فيه ذا الكاهي في
النبع فقال له نجيبا لذا اسئت القاتل نعا كذا وكذا فقال يا نبي الله اذا
جاء العبد لم ينفع ذو الاعين وقال رجل من الخوارج لعلي بن ابي طالب
رضي الله عنه ارايت من جئتني بسبل الهدى وسعدني بسبل الردى احسن الي
ام اساء فقال علي ان كنت تستوجبه عليه شيئا وان كنت لم تستوجب عليه
شيئا فهو يفعل ما يشاء وقال ميمون بن مهران لغيلان القدري سل

بأقوى

بأقوى ما تكونون اذا امسيتم فقال غيلان انشا الله يعصى يعصي فقال
ميمون ايعصى كارها فانقطع غيلان وروي ان رجلا قال لعلي تكلمني في القدر
قال وما تصنع بالمناظرة في القدر ورايت كلامها [illegible] على باطن
رايت احمقا مرزوقا وعاقلا محروما فعلمت ان التدبير ليس الي وقال
بعضهم

تحيب الفتى من حيث يرزق حاسد ويعطى الفتى من حيث يحرم كالبد

وقال قوم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس قدم على سليمان بن عبد الملك قال له
يزيد بن المهلب انت ادهى الناس واعلمهم فكيف طرحت نفسك في يدي سليمان
فقال له موسى ان الهدهد ينظر الماء في تخوم الارض ويبصر القريب منه
من البعيد على بعده من النجوم وينصب له الفخ بالحبة ولا يبصره حتى يقع فيه وفي الاسرائيليات ان الهدهد كانت رايد ل
سليمان بن داود عليهما السلام الى الماء فيستنبطون عسكره ثم تنظر الى الا
رض فتقول الماء هاهنا على كذا قامة فينبطونه فيه الجن فيجعلوا فخا بجوف [illegible]
لا وقوا واستعد الماء واعلموا ان الهارب مما هو مقضي مغرور كالمقلب في كف
الطالب وانشدوا

واذا اخشيت من الامور مقدرا وهربت منه فنحوه تتوجه

ولبعضهم في ذكر ما عطى

حبست على طلب غير حبسي هوايه ولو خيرت كنت العميد بها
اريد فلا اعطى واعطى ولم ارد وفضل على ان انال المخيلا
واصرف عن قصدي وعن مقصدي واعطى ولا اعطى الا التجملا

ولقد وقع الطاعون بالكوفة فخرج ابن ابي ليلى على حمار له يطلب الفرار

فسمع منشدا ينشد: [illegible]

لن يسبق الله على حمار ولا على ذي منعة طيار

أو يأتي الحتف على مقدار قد يصبح الله أمام الساري

فكر راجعا إلى الكوفة فقال إن كان الله أمام الساري فلا مسير

وأنشد

أقام على العيس وفود النجح مكانه وغيره جاءه بها [illegible]

وقال الخائب عادية الليالي على نعيمي وأن العارضين لها [illegible]

ومن كتبت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

وقال أنوشروان كسرى بن زجمهر [illegible] كنا ابتداء إذا كان القدر حقا فالحرص باطل وإذا كان الغدر في الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز وإذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة إلى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد والحسن في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما إنما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وقال يحيى بن معاذ عجبت ممن له رجل يريد تناول رزقه [illegible] وهو يرى تناقضه بيديه وهل يشغله هم غدا ومن عالم يعيب على زاهد مغبون وقال ابن مسعود أن الرجل ليشرف على طمع من أطماع الدنيا أو تجارة أو غيرها فذكر الله فوق سمعا وأنه [illegible] هذا أمر فإذا أتى من ذلك [illegible] بحجته فيقل بتنقيصه عن جيرانه فيقول سبقني فلان ودهاني فلان وما هو إلا الله تعالى [illegible] العقل على الجد فقال الأحنف لا حاجة لي في الجد فقال العقل ثم قال لا [illegible]

احتاج

احتاج الجد وأوصى حكيم ابنه فقال يا بني إن رزقك الله جدا فاغتبط به ذو العقول وإن رزقك عقلا فاغتبط به والجد [illegible] أمراض العقل مع الجد وروي أن رجلا خرج إلى علي بن أبي طالب فقال أنا جد بي أو [illegible] بعقل [illegible] اسع بجدك بكد اسع بجد أو دع الجد لا كد فجد بلا جد أغنى من الكد واعلم أن ملاك الأمور التوفيق ولم ينزل من السماء إلى الأرض أقل من التوفيق وهو مقرون بالاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقد كنت جمعت فيه كتابا من جملة كتاب في أول أهل التوفيق مكتسبه أو موهوبه بلا سبب فلا نزيد عليه ومن عجيب ما وقفت عليه في مجرى القضاء والقدر [illegible] لا تنقلب في يد [illegible] إلا [illegible] وذلك أن رجلا من حرمة السلطان أخلى خدمته وغاب أياما ثم ظهر به عرفاؤه فقادوه إلى السلطان فخشي من سطوة السلطان فبينما هم يقتادونه إذ مر ببير على قارعة الطريق فانساب منهم وترامى في البير [illegible] أسراب تحت الأرض فيمشي فيها الرجل [illegible] إلى آخرها فإذا إن هذا الرجل يمشي في نفق تحت الأرض إلى أن وجد فيها [illegible] فتعلق بها وإذا الذي في دار السلطان فلم يشعر أهل الدار والرجل قد طلع عليهم من البير فقبضه السلطان وأتى به [illegible] إلى السلطان مكرها ثم [illegible] والله الموفق للصواب

الباب الثالث والعشرون

وهذا باب جامع من أخبار ملوك العجم وحكاياتهم وهو يشتمل على خمسة فصول الفصل الأول يشتمل على أخبار وقعت إلينا بعد الفراغ من هذا الكتاب فألحقناها

العقل

والثاني يشتمل على حكم الفرس خاصة والثالث يشتمل على حكم العرب خاصة
والباب الخامس يشتمل على حكم مجموعة منتخبة وسميناه لذلك المنتخب في عقول
القوم واغراضهم ومنتهى مراميهم مجموعة من كتاب جاويدان خرد في العقل
رسمه قال ثلاثة لا يستصلح فسادهن بشيء من الحيل العداوة بين الاقارب وتحاسد
الاكفاء والركاكة في العقول وثلاث لا يستقيم صلاحهن بنوع من الحيل
العبادة في العلو والقنوع في المتصرين والسخاء في ذوي الاخطار وثلاث لا يشبع
منهن الجهالة والعافية والمال وقال الفضل لابنه يا بني ما النعماء العظيمة
قال زعونة مولودة قال فما الجرح الذي لا يبرى قال العراة الشوه قال
فما الحمل الثقيل قال الغضب ولما قرأ هذه الحكاية ابو عباد وكان
في رسائله اخبار له قال لا اكثر الله الغضب على اخف من رحمته وكان
اسرع الناس غضبا فقيل له انك على لفظك اراحتمال الغضب ثقيل فقال
لا والله لا يقوى على احتمال الغضب الا الجمل وغضب يوما على بعض اهله
به فرماه بدواة مستحضره وجعل الدم يسيل فقال ابو عباد صدق الله
حين قال والذين اذا ما غضبوا هم يغفرون فبلغ ذلك المامون فاستحضره
فقال ويحك اما تحسن ان تقرا اية من كتاب الله تعالى فقال و
الله يا امير المؤمنين اني لا اقرا من السورة الواحدة الا اية فضحك المامون
وامر باخراجه وقيل لانوشروان ما العقل قال القصد في كل الامور قال
فما المروءة قال ترك الدنية قال فما الشجاعة قال ان تنتصف من نفسك قيل
فما الحمق قال الاغترار في الحمد والذم وقيل لبعض الحكماء ما الحزم قال سوء
الظن قيل فما الصواب قال المشورة قيل فما الذي يجمع القلوب على المودة قال
كف الاذى وبذل الجميل قال فما الاحتياط قال الاقتصاد في الحب والبغض وقال

بعض

بعضهم في قوله الحزم سوء الظن انما اراد سوء الظن بالنفس لا بغيره و
وقال معاوية لزياد حين ولاه العراق يا زياد ليكن حبك وبغضك قصدا
فان العثرة كامنة واجعل للرجوع والنزوع بقية من قلبك واحذر صولة الا
فضلال فانها تؤدي الى الهلاك وهو مثل قول علي رضي الله عنه احبب حبيبك
هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون
حبيبك يوما ومن ذلك قول الاول
ولا تيأسن لشيء من روح كاشح ولا تأمنن الدهر صرم حبيب
وانشدنا ابو عيسى رحمه الله
واحبب حبيبك حبا رويدا فليس يعولك ان تصرما
وسيل احد رجعهم من العقل فقال ترك ما لا يعني قيل فما الحزم قال
انتهاز الفرصة قيل فما الحلم قال العفو عند المقدرة قيل فما الشجاعة
قال ملك الغضب قيل فما الخرق قال حب مفرط وبغض مفرط وقيل
لبعض الملوك وقد بلغ في المنزلة والقدر ما لم يبلغه احد من اهل زمانه ما
الذي بلغ بك هذه المنزلة قال عفوي عند قدرتي ولين عند شدتي
وبذلي بلا انصاف ونومي لعقلي والفات في الحب والبغض كان مو
ضع الاستنباط والغضب الا سيد ولبعض الحكماء وارادة بسر الى
ان شئت لا حزم امر فقال لا تملان قلبك محبة الشيء ولا بغض
بغضه واجمع لهما فضل ان القلب كاسمه يتقلب وله خاصية في
القلب ينزع ويرجع واجعل وبدا التثبت وسمي في التيقظ ولا تقدم
الا بعد المشورة فانها نعم الدليل واذا فعلت ذلك ملكت قلوب
رعيتك من الانقياد وقيل لبعض الحكماء ما الدليل الناصح قال

غرمزة العقل مع الطبع قيل فما الغالب منهما قال هو الحسن المتكون قيل فما
أنفع النفع قال تصبيح عاقل لا طبع له وقال الفضل بن مروان سألنا رسول ملك
الروم عن سيرة مليككم فقال عدل في غرمه ولين في مجمعه تجتمعن عليه القلوب رهبة ور
غبة لا ينقص جنده ولا يحرج رعيته سهل اللقاء حزين النكال الرجاء والخوف
معقودان بيده قلت فكيف حكمه قال يرد المظالم ويردع الظالم ويعطي
كل ذي حق حقه فالرعية اثنان راض ومغتبط قلت وكيف هيبتهم له قال
يتصور في القلوب فتغض له العيون قال فنظر رسول ملك الروم الحبشة الى
أصغائه إليه وإقباله عنى عليه وكذلك الرسل تنزل عنده فقال الترجمان له
ما الذي يقول الرومي قال يصف له مليكهم وجبريه معلم الترجمان بشيء
قال يقول الترجمان إنه يقول إن ملككم ذو أناة عند القدرة وذو حلم عند
الغضب وذو سطوة عند الغلبة وذو عقوبة عند الاجترام قد كسا
رعيته جميل نعمته وحصرهم تعسفه عقوبته فهم يتراءونه تراءي الهلال
ويخافونه مخافة الموت فهو يسعهم عدله ويردعهم سطوته وإنه فلا
يمتهنه مزح ولا يوبسه غفلة إذا أعطى وسع وإذا عاقب أوجع فصار
الناس اثنان راج وخائف فلا الراجي خائب أمله ولا الخائف بعيد أجله
قلت كيف هيبتهم له قال لا ترفع إليه العيون أجفانها ولا تتبعه أبصار
بصارها إنما كان رعيته قطا رفرفت عليه صقور صوائد فقال محمد بن
المأمون بهذين الحديثين فقال بكم منهما عندي فقلت ألف
درهم قال يا فضل قيمتهما عندي أكثر من الخلافة أما علمت حديث أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قيمة كل امرئ ما يحسن فتعرف
أحدا من الخطباء البلغاء يحسن أن يصف أحدا من خلفاء الله الا ابن الرومي

بعث هذا

بعث هذا الصفة قلت لا قال أعزن له بعشرين ألف معجلة واجعل العذر
ماذا لي منى وبينهما على العهد فلولا حقوق المسلمين لرأيت إعطاءه ما في
بيت المال لعامة والخاصة دون ما يستحقه له وقال الفضل من سهل
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ملك الحزن بحق في غزاة الملك
تسمى خاتون فقال أصحابنا نستفيد أحزم علينا لو اكتفينا بحرارة المصائب
وصنوف الآفات فيفزع الناس إلى الملك فلم يجز لما يحسبهم به فقال له
خاتون أيها الملك أن الحزم عقل لا يخلو جده وجوده ولا يستغني عن بره و
وهو دليل الملك على استصلاح رعيته وزاجر له عن استبداد هما
وقد فرغت رعيته إليه بفضل العجز عن الانتفاء إلى من لا يرجو إلا الله
أن الخلق عزا ولا ينقصه العفو بل لا أحسن إليهم ملكا وما أجزأ ولي
يعطي الوصية من العوض ولا يركب الحال الذي الخزي لا تحسن إرعا
به من الراعي ولم يزل في نعمة لم تغيرها نقمة وفي رضا ولم يكن زالت
إن أن جرى القدر بما غشي عنه البصر وذهل عنه الفكر فسلب النهى
والغالب هو الواهب فعد إليه بشكر النعم وعذ به من تتبع النقم
فمتى نقمته تنسلها ولا تجعل الخطاء من أقدار تمعز العقل فشكرا منه
ومن رعيته فتستحق دوام العافية ولا كثر من هم ونقصتها بحرج القلوب
إلى إبرام له بكنه الغد روقته قبل أن تسمن بالدعاء بمحض الشكر له
فإن الملك ربما عاقب عمله فيرجعه من سيئ فعل إلى صالح عمل أو يبعثه
على حرب بشكر يجزيه بفضل جر بأمرها الله أن تقوم فيهم فتنذرهم
بهذا الكلام ففعلت فرجع القوم عن بابه وقد علم الله منهم قبول
الموعظة والرد والنهي فجال عليهم الحول وما منهم فتنة نعمة

كان سلبها وتواترت عليهم الزيادات بجميل الصنع فاعترف الملك بالله
لفضل وقلد هذا الملك وجمع الرعية على الطاعة لله في المحبوب والمكروه
بصرا بفعل الله في اعدائه فقد شكره واعاد لهم من نعمه ما كان انتزع
وزادهم من فضله ما تضمنه كتب من وجده ويومئذ لو وصفت بيانا تنا
وصفت كتابه من ضمائرنا وقال الواقدي توفي رسول بعض الملوك بدمشق
في خلافة هشام فوجدوا في جيبه لوح من ذهب فيه مكتوب اذا ذهب
الوفاء نزل البلاء واذا مات الاعتصام عاش الانقطاع واذا ظهرت الخيا
نات استحقت البركات وقال الوضاحي وجه انوشروان رسولا
الى ملك فهو اجمع على محاربته وامره ان يتعرف سيرته في نفسه ورعيته
فرجع اليه وقال وجدت عنده الهزل اقوى من الجد والكذب اكثر
من الصدق والجور ارفع من العدل وقال انوشروان رزقت الظفر به
اليه وبكر عليه في محاربته بما هو عنده اضعف واقل واوضع فانه
منصور وهو مخذول فسار اليه فقتله واستولى على مملكته وقال
ابن جعفر الهزل ابن الجد والكذب عدو الصدق والجور مفسدة الملك
فاذا استعمل الملك الهزل ذهبت هيبته واذا استصحب الكذب [illegible]
استخف به واذا اظهر الجور فسد سلطانه وكان نقش خاتم هرمز وهو
هو احد ملوك الفرس يقول الهزل مبغضة والكذب منقصة والجور
مفسدة للملك وقال بعض اصحاب اسفنديار رجلا من الزهاد فاصاب
في عنقه لوحا من ذهب فيه مكتوب ابن الشدة التهيب وابن المنتهى
الحياء وابن كل شيء الكذب وقيل لبعض الحكماء ما قيمة الصدق
قال الخلود فيما قيمة الكذب قال موت عاجل فما قيمة العدل

قال ملك

قال ملك الابد قيل فما قيمة الجور قال ذل الابد قال ورأى ملك الهند
سكندر وقد دخل بلاده ما علامة الملك دولته قال الجد في كل الامور
قال فما علامة زواله قال الهزل فيه قال فما سرور الدنيا قال الرضى
بما رزقت قال فما غمها قال الحرص على ما لا ينال وقال ابن جعفر
ثلاث هن سرور الدنيا وثلاث هن غمها فاما السرور فهو الرضى بالـ
قسم والعمل بالطاعة في النعم ونفي الاهتمام بالرزق لغد واما الغم
فحرص مسرف وسؤال ملحف وتمني ما لا يلحق ومر بعض الملوك بغلام
يسوق حمارا غير منبعث وقد عنف عليه في السوق فقال يا غلام
ارفق فقال ايها الملك في الرفق به مضرة عليه قال وما مضرته قال يطول
طريقه ويشتد جوعه وفي العنف احسان اليه يخف حمله ويطول
اكله فاعجب الملك كلامه قال قد امرت لك بالف درهم قال رزق
مقدور وواهب ماجور قال وقد امرت لك باثبات اسمك في حشمي قال
كفيت مؤونته ورزقت معونته قال لولا انك حدث السن لاستوزرتك
قال لن يعدم الفضل من رزق العقل قال فهل تصلح لذلك قال انما
يكون المدح والذم بعد التجربة ولا يعرف الانسان نفسه حتى يبلوها
فاستوزره فوجد له ذا رأي صليب وفهم رحيب ومشورة تقع
موقع التوفيق قال وكتب الاسكندر الى ارسطاطاليس وقد رد
بعثت يده من المشرق والمغرب اكتب لي لفظة موجزة تنفع وتردع و
فكتب اليه اذا استوليت في السلامة فجدد ذكر العطب واذا هنئت
العافية فحدث نفسك بالبلاء واذا اطمأنت بك الامور فاستشعر الخوف
واذا بلغت غاية الامل فاذكر الموت وان احببت نفسك فلا تجعل لها

اللهم صل على سيدنا محمد وآله

في الشدائد ثم ليهما نصيبا قال وعظ بعض الحكماء ملكا فقال له ايها
الملك ان الدنيا دار عمل والآخرة دار ثواب ومن لم يقدم لا يجد بعض نعيمها
حلاوة عيشها بترك الاستسلام اليها واعلم ان زمام العافية بيد البلاء وان
السلامة تحت جناح العطب وباب الامن مستور بالخوف فلا تكونن فرحا
لشيء من هذه الثلاث غير متوقع لاضدادها ولا تجعل نفسك غرضا لسهام
الهلكة فان الدهر عدو ابن آدم فاحترس من عدوك بغاية الاستعداد
واذا فكرت في نفسك وعدوها استغنيت عن الوعظ قال وكتب الاسكندر
الاسكندر على باب الاسكندرية اجل قريب بيد غيرك وسوق
حثيث من الليل والنهار واذا انتهت المدة حيل بينك وبين القدرة فاحتمل
فعل المنع واكرم اجلك تحسن صحبة المنافقين واذا استطلت السلامة
فاستوحش العطب فانه الغاية واذا فرحت للعافية فاحزن للبلاء فانه
تكون الرجعة واذا انبسطت لامل فاقبض نفسك عنه بذكر الاجل فهو المرء
عدو اليه المورد قال ابن الاعرابي وجد في حرز او بين اصبهان وفارس حجر
مكتوب عليه العافية مقرونة بالبلاء والسلامة مقرونة بالعطب والامن
مقرون بالخوف ونقل ضرب انوشروان عنق ابن جمهر لما رغب عن دين
المجوسية وانتقل الى دين المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام ووجد في منطقته
كتابا فيه ثلاث كلمات اذا كان القدر حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر
في الناس طباعا فالثقة بكل احد عجز واذا كان الموت بكل انسان نازل
فالطمأنينة الى الدنيا حمق ونقل ان تاج النعل النبي سليمان عليه
ملكه كتب على كرسيه اذا تحت العافية نزل البلاء واذا انقضت السلامة نزل
العطب واذا انتهى الامن علا الخوف وحفر حمير في ركن من حصن لوح رخام

فيه

فيه اربعة اسطر محفورة في اولها ايها العافية ابشري بالبلاء والثاني ايها السالم
توقع العطب والثالث ايها الامن خذ اهبة الخوف والرابع ايها المتوقي
من يغير عنك القدر ونقل نزل ابو مسلم مدينة نسا فقدم اليه اشياخها
فقال ايها الملك ان في قعر هذا النهر حجرا مدفونا فيه ثلاثة اسطر وهي تجد
الكتاب ان سليمان بن داود بعث به من هذا الموضع ووجدت انا فيه
فاستخرجه وتعرف ما فيه فامر به فاخرج فاذا اول سطر منه العزم انتهاز
الفرصة وتوكيد الوثاق فيما يخاف عليه الفوت وفي السطر الثاني الريا منه لا
تتم الا بحسن السياسة والسطر الثالث لم يغفل الاباء من ترك الاشياء وفهم
يصيب من لم يخب وكان ابو مسلم يقول علم تحليل به تتم هذه الدولة ان
لم يزل الظفر بما يعرف بيننا وبين القدر حتى تزال ببستعمل الكلام الى ان قدم
العراق فاعمل الفكر عن الاستعانة بالعقل ونقل ان ابو مسلم قيل له
ان بالحيرة نصرانيا قد اتت عليه مائة سنة وعنده علم من العلم الاول فوجه
اليه فاتى به فلما نظر الشيخ الى ابي مسلم قال قد عشت بالكفاية و لم قال
في الغاية وفي بلغت النهاية احرقت نفسك لم تستبك حسبك وكان
قد عاينت ومهد فبكى ابو مسلم وقال لا اعلم بنوب من حزم ولا ثنى ولا من
راى ذا لب ولا من قد يبرد ابعد ولا من قبيح فالحج ولكن ما استجمع لاحد امله
الا استفرغ في تقريبه اجله فقال فما تراه مجوني فقال اذا انوطا تخليفنان
على امر كان والتقدير لا يرد من يتصل معه التعبير فلو رجعت الى خراسان لهلكت
وهيهات فاراد الرجوع فكتب اليه المنصور ما نقض ووجد اليه من بجنته
فلولا ان الحرص يعمي او نول القدر لكانت هذه دلالة توقع موقع العبرة
وتبعث على التيقظ في الحذر والاحتياط على ان لكل نفس غاية

ولكل امر نهاية. قيل لجالينوس الحكيم وهو رأس الطب وصاحبه
به وقد نهكته العلة الا تتعالج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء
واذا قدر الرب بطل حذر المربوب ونعم الدواء الاجل وبعض الداء الاجل وقال
بعض الغزاة فتحنا حصنا من بلاد الروم فرأينا فيه صورة الاسد في حجر عليه
مكتوب الحيلة خير من الشدة والتأني افضل من العجلة والجهل في الحرب
احزم من العقل والتفكر في العزيمة مادة الجزع وقال هرمز بن سهل وجه
ملك الروم الى هرون الرشيد بثلاث اشياء مع هدايا كثيرة على سيف
منها مكتوب اذا لم تصل ضربة سيفك فصلها بانقاء خوفك وعلى الثالث مكتوب
التأني فيما لا يخاف عليه الفوت افضل من العجلة الى ادراك الامل وقال العتبي
لابن عائشة رأيت بعمون رأس حجر مكتوب بالحميرية ايها المشتهي اعذر الحيلة ان
ايها المعجول خفف التأني ايها المحارب تأنس بالتفكر في العاقبة ايها الدهر
انه الى موجود الا ينقطع امله من يوم غد وكتب قيصر الى كسرى
اخبرني باربعة اشياء لم تجد من بعدها اخالها عندك اخبرني ما عداوة
الشدة قال وصوبك العجز ومدرج الامل ومفتاح العجز فكتب اليه الحيلة عدو
الشدة والضجر صديق العجز والتأني مدرج الامل والجور مفتاح العجز وقال
بعض الملوك لحكيم وقد اراد سفرا او وقف على اشياء من حكمته اعمل بها في سفري
فقال له اجعل لك امام عجلتك وحيلتك رسول شدتك وعفوك ملك قدرتك
وانا ضامن لك قلوب رعيتك ما لم تحرجهم بالشدة عليهم او تبطرهم بالاحسان
اليهم وقال الحسن بن علي قرات في كتاب هاونذ ان خيره اذا
ضعفت الحيلة انفع من اقوى الشدة واقل التأني اجدى من اكثر العجلة والدولة
رسول القضاء المبرم واذا استبد الانسان برأيه عميت عليه مراشده

ولن

اللهم صل على سيدنا محمد

وكان المحصون ابو بن جعفر خامل الفقه وضيع الحال ضعيف التحصيل فلما
اتى لابن جعفر خمس عشرة سنة حضر مجلس العلم وتعلق التوراة على كرا
فيها والعران يفرد في مجالسها وفي مجالس العلم ثم قال الحمد لله المامول نعمه
الموهوب نفسه انه الى عليه بالرغبة اليه الموهبة العلم سعود في العلم حين منع
فنانه وعكفي سلطانه وانا رب البلاد واعا نشر به العباد وفسر به في التوبيخ
وحول النقم من عار عليه بفضل نعمته وهما هنا المتعلمات واورد ها العقبات
وقاد هاعن سبق المتخير والفقه بالوقت والعين لما من الله تعالى عليه وتثبيتا لما
في يديه واستلها من رحله فيما النال ويخبرنه فيما انتزعاه ومن رفع قدر الجاه
السماء وتجبر ذكره فقد العلاء حتى لا يبقى ينتفع الدهر ويمتلق ويحوله هو انه
واستوهب له حيلة لا تنقص فيها وفقرة لا فنا وعنها ومكانا بوس فيه وعل
فيه تقويم بها البغاة فكتب له الشعراء وغزا يومئذ من الطلاب رجبا او فيجوم بلية النما
فانه موقى الخير ودافع الشر وامر العلم يحتسي فيه بتعميم الجوهر ولم تدع مع
هوانه تنتمع قبل كلامه ان تستوزره فقلت له خبره وشره فكان ازواج الخلق اخى
خاوج وقال عمر بن عبد العزيز ما انعم الله على العاقل نعمة بعد الاسلام افضل
من موالاته هذه الشعلة بالفهم والعقل ولو لم يكن هكذا لما عرف الله لا
بالعقل لا ترى ان الله خاطب اولي النهى وذوي الالباب وذوي البصائر و
ويجب على العليل ان يحمد الله على ما اتيته هذه الفضيلة بالعقول والافهام
كما تحمد على جميع النعم وقيل لمروان بن محمد اخر ملوك بني امية ما الذي
اطرد اليك هزله فقال الاستبداد براي بعد ما كثر علي كتب نصر بن سيار ان امده
بالرجال والاموال فقلت في نفسي مثل رجل مثله لا يستكثر من الاموال
والجنود فيما يظهر فلم امد منه دا والدولة فيه وهيبته عن التحير عنه

من خراسان

خراسان فانتقض ذلك لله قال الواقدي فلما الفضل بن سهل لما دعي للمأ
مون في كور خراسان ما لخلافة جاءه نصاحه ابا السلولي شرور المكائد من الخلافة
ووجه ملكا كلبيا لشيحا بقال له دوباز وكتب اليك كرالله وجهه بعهد به ليس
في الارض اشق منها ولا اروع ولا انبل فلت واي شيء دعمك قال واني يبقع ذلك
بين يديك وهو لك تجمع قبل المأمون بنوله وامرما نزله واكرامه وكتمان امرهما
اجمع على التوجه الى العراق لقتال الجند قال دوباز ماترى في التوجه الى العراق
قال راي وثيق وامر وثيق وحزم مصيب وملك قريب والتدبير ماض وماض ما انت
فاض قال لمن توجه قال له ابن الاعور الكاهر لانه ببصيرة لا يخشى فوت
مرهوب مقاتل في مغلوب قال وكم توجه معه من الجند قال اربعة الاف صوارم
الاسياف لا تنقص العدد ولا تحتاج الى المدد فوجه المأمون ووجه بطاهر الحسين
قال وفي اي وقت يخرج قال مع طلوع الفجر يجمع له الامر ويصير الى الشام ثم يرجع
وقتل في يوم ويعرف تلك الجموع والنصر له لا عليه ثم يرجع الملك اليك واليه يحكم
بخبر طاهر وكان النصر له وقتل علي بن عيسى وذبح الامين واستولى على عسكره وا
امواله فجاء الملك له وبان بهاية الغ خبرهم فلم يقبلها وقال ايها الملك ان ملكي
لم يوجهني اليك لا نقصا ما الا لجعل راي عنده قد نسخها وسأ فيها ما بقي
بهذا المال وبزية قال وما هو قال كتب توجد بالعراق فيه مكارم الاخلاق
وعلوم الافاق ومن كتب عظيم ابن فيه فيها من صنوف الاداب
ما ليس في كتاب عند عاقل لبيب ولا فحص اريب يوجد في خزائن تحت ايوان ما
لعداين فيقال باعوان اعين وسكه لها بوان لا ابطوها ولا انقصان وارجع المدر
واقطع الحجر فاذا وصلت الى الشاجة فاقلعها يجد الحاجة ولا تعرض لغيرها
فيلزم ما بمخبرها فاعرض المأمون الى ايوان كسرى فخبره وسكه فوجد ذلك

صفرونا

صنع وقام من جاء اليوم عليه فعل منه فحمل الى المأمون وقال هو والله
حمل بغيته فقال نعم ايها الملك فانخزله والضرب وتكلم بلسانه وبلغ به
الفعل فانفتح فاخرج منه خرقة ديباج فنشرها فخرجت منها اوراق فنحن
منها ما يتوفد ولم يخرج الصفحة من فتيق تحتها فاخذ الطوراف والتصرف الى
منزله قال الفضل بن سهل فجئته فسالته فقال هذا كتاب جاويدان خرد
تاليف قوم الملك انوشروان وكلفت منه شيئا فوقع في ورقة فنه في حينها
ابن الفضل في علم اخبرني المأمون فقال ما سئل في اوراق فلما قلناها البه فقراها
فقال هذا والله الكلام لا ما نحن عليه من علي الالسنة في مجونه الشعر فلولا
ان العهد جسيل برحمه الله تعالى وبعرفه بالحمد لا نفرد منه فصل من صحيح
رجمهر الفارسي قال نصحني النصحاء ووعظني الوعظاء شفقة ونصيحة و
تادبا فلم يعظني احد مثل الشيب ولا نصحني مثل فكري واستضات بنور
الشمس وضوء النهار فلم استضيء بشيء اضوى من نور قلبي وكنت عند
الاحرار والعبيد فلم يملكني احد ولا قهرني غير هوائي وعاداني الاعداء
فلم ار اعدا الي من نفسي اذا جهلت والحرامت نفسي من نفسي ومن ا
الخلق كلهم هذا راعيتها وشفقة فوجدتها الشوق الا نفس لنفسها
ورأيت انها لا يا تيها البقاء الا من قبلها هفتني المضايق فلم يزحمني
خلق سوء الخلق وقعت من بعد البعد والطول الطول فلم اقع في شيء احرق
من لساني ومشيت على الجمر ووطيت على الرمضا فلم ار نارا احر من غضبي اذا تمكن
مني وطلبني الطلاب فلم يدركني مثل اساءته ونظرت ما الداء العضال وما هي
فلم اجد شيئا من دعوته معصية ربه سبحانه والتمست الراحة لنفسي فلم اجد شيئا
اروح لها من ترك ما لا يعنيها وركبت البحار ورأيت الاهوال فلم ار اهول من

الوقوف على السلطان الجائر وتوحشت في البرية والجبال والقفار او حفر من الخوف
الشديد وعاينت السباع والضباع والذياب وعاشرتها بكليتها فلم يغني داعي
الخلق الشديد واكلت الخبيث وشربت المر وعاينت العصيان فلم اجد شيئا
اشد من العاجز ولا من توسكت الشياطين والجبال والسباع فلم اجد شيئا
انحف من الشوه واكلت الصبر وشربت المر فلم اجد شيئا امر من الفقر وشهدت الز
حوف ولقيت العتوه وباشرت الحروب وصرعت الاقران فلم ار قرنا اغلب من زوال
النعمة وعاينت العجايب ونطقت النطق فلم ار جهلا اقبح من يكون بين
يدي العدو ويطلب القوت ويضيع الشريعة فلم ار اذل من ذي ضرافة وحاجة ونفقت
بالنفقات ورجمت بالحجارة فلم ار انفع من الكلام السوء يخرج من فم رجل احمق
يستجنون شددت في الوثاق وضربت بعمود الحديد فلم يعمل مثل ما هو على الغم
والحزن واصطنعت الاخوان وانتخبت الاقوات للعزلة والشدة والنايبة فلم
ار شيئا خيرا من التكرم عند نعم وطلبت الغنا من وجوهه فلم ار اغنى من القنوع
وتصوفت بالاختيار فلم ار صدقة انفع من رد [illegible] الى هدى ورايت في الغربة
والوحدة العزلة فلم ار شيئا اطول من [illegible] والشوه وشهدت النبيل
عزبه واذكر فلم ار شيئا ارفع من اصطناع المعروف وبحثت الكتب التاخر
فلم ار خيرا مثل الصلاح وطلبت احسن الاشياء عند الناس فلم اجد شيئا احسن من
حسن الخلق وسرت بعصابة العلوم فلم ار شيئا اكثر من الخلاص من **فصل**
من حكم شان الزمان مدة السنة [illegible] فما بين الهند وبابها والهمائي عنوان الزما
الزمان وتغشي تسند الايام ونوم عند الدهر واعلم ان للعمال جزاء به تولعه
العوارف وللايام غدرات فكن على حذر ولا تدار [illegible] واستعد لها وللزمان
منقلب لواتي من حذره ... والكرامة [illegible] شكره ... ملامة

شرحه

دولته

دولته **واعلم** ان من لم يداو نفسه من نسلم الايام في ايام دولته فما اتعبه من الا
الشقاء في دار الدوا ولا بعد وضايع احوا له وما استعبرها فيما يقوم من خير
لنفسه بارفقه وكحم لبده من لم يصبه نفسه وهي واحده لم يصبه سوا
هم وهي خمس واذ لم يصبه سوا نفسه مع كثرتها وخشونة جانبها فكانت
عاملة الرعية في نواحي البلاد ما حكم اب المملكة ابعد من الضبط فينبغي ا
الملك بسلطانه على نفسه فليبس من عز واحوال بنيه الا بالعقل من نفسه ثم
يشرع في قهر سوا نفسه الخمس لان قوة الواحدة منهن على صواحبها فيه تدنى
على النفس القوية العاد له فكيف اذا اجتمعت خمس على نفس واحدة **واعلم**
ان لكل واحدة منهن شرها انيس للاخرى من فهمها اسلم من شرها وانها بهلاك
الحيوان بالشهوات الا ترى ان الفراش يطلب الشمس فيمسكن من حرها ويجيه
ضياء النار فيه فرامنها تحرقه والظبي على نفار قلبه وشدة خوفه لانصت له
لسماع الصوت الملهي فيتمكن القانص من نفسه وذباب الوحد والمنبع الخبيث
يطلب ما يعكر من انف العبل الخبيث الرايحة فاذا في بحبه رايحة العسل فيهيه
يحبب الشي عن الاحتراس وتحريك العبل فيذوق في واسطة ذنب فيقع
عليه ضربة الاذن فيقتله والسمك في الشبكة فيه لذة الطعام ان يبتلعه فيحصل له
الضارة في جوفه فيكون فيه هلاكه **فـصـل** وخصال معروفة فقف بالاحر
اه فيها ملوكا معروفين من تعين ما ان فيه بذلة الملك واما ما فيه في القفار
مان فيه فيكتب الملك واما ما في التكر ما ان فيه هلاك الملك وشدة الحرص
مان فيه مقرين الغضب العربي والطمع وابن العرج والكلاب واللعبة تونس
والشواء فهو نهوض **واخلق** خصال التلف ملوكا ان يجتنبها الملوك الرعية
تستكشف السلطة العادل والعدل الحق لجعل من اغنية من جمعه العيش ومن

خصال

معلوم وعدل العلماء على الدوام لا يتغير له وقت وفصل في العقد ان تشبه تشاريف تدبيرها
بطباع ثمانية الشبيهة منها الغيث والقمر والريح والنار والارض والماء والفلك
أما شبه الغيث فتواتره في اربعة اشهر من السنة وينتفع به جميع السنة كذلك ينبغي
للملك ان يعطي جنده واعوانه في اربعة اشهر تحديد النفقة السنة فيعطيهم
ويعظم وضعهم في العين الذي يستوجبونه بمنزلته كما يلبس العطر المستورين
كل ما حمة متشرفة وغايته فيستقبل ويعمر كلا من يأتيه على قدرها جملة ثم ينبغي
الملك في الثمانية الاشهر يتفقد من غلاتهم وخراجهم كما تجتني الشمس منها وجهة
تعطيها نحو اوائل الغيث في الاربعة الاشهر الامطار واما شبه الريح فان الريح تصعد
ابدا اخلاط فتتولج بواطن الابدان فينبغي للملك ان يكون له جواسيس فيتولج على
قلوب الناس بجواسيسه وعيونه لا تغيب عنه شيء حتى يعرف ما يأتمرون به في
بيوتهم واسواقهم كما ان القمر اذا استهل افعامه فاضاء واعتدل نوره على الخلق
الخلق ونسوة الناس بضوء به ينبغي ان يكون حجة الملك ورينته واشرافه في
مجلسه وابناسه رعيته في بشره فلا يخص نتى بعد دون وضيع بعدله وكذلك
رضي كتبهل الشيء والاحتمال والصبر والامانة وكالنار على اهل الزعارة و
والعناد وكما فيه العوت في الثواب والعقاب فيكون عقابه لا يقصر عن اقامة حده
ولا يتجاوزه وكالماء في لينه لمن لاينه وحده مع اليبوس والقلاعه الشهر جار به
واعلم ان العدو يكتب السلطان شرس يسرله اعوانه ضرر بتعسفه ان يحسن من
هو دونه عنده بالمجامعة لمن يخدم به مواصفة في الاسفار بنحو الاخبار
افسد كل حبيب من ليس له ادب افضل الخصال صيانة العرض في العالم من
ذي الجهال نحوه معقول فبس تجنب مثل البرد من جالس الجهال فليستعد
لقيل وقال ما جاء عنه اقتبا والشراقتناء ولا يقل عند النفقة مثل البرهان من ربيح

كالعون

ثمرة من العون غني بماله ولا فقير الا فاذا اذا اردت كهر دارك فعمر العوان
العقل ابقاء الفضل كفر النعمة لؤم وصحبة الاحمق شؤم ان من الكرم لين الشيم
ابدا الا والحقد يعد فانها خلق اللئيم امحض اخاك النصيحة حسنة كانت
او قبيحة رب شباب فهاجد عتاب اشد ودابة المقت سبب الحرمان التولة
من هال فوق قدرته استحق الحرمان من جهل قدره ومن نقص ازداد لا ترغب
فيمن يزهد فيك رب بعيد اقرب من قريب المزاح يورث الضغائن سل عن الرفيق
قبل الطريق وعن الجار قبل الدار خير من نصيحين غير من الحاجة العيبي
ادرك القليل استر عورة اخيك بما تعلم فيك لا تكثر المزاح فقد ذهب هيبتك
ولا من الخطر فتستخف بك من اكثر من شيء عرف به كما اعلم ناصرا
الهمة تهدم الصنيعة نعم الشيء الهدية في الحاجة ربما انتج غير الناس
صح ربما غش المستنصح الكلام فيما ينفعك خير من السكوت والسكوت
عما يضرك خير من الكلام لا تعرض من التجاهل اهانة ولا جوار والا فان بعض ما
تكون من النار اقرب ما تكون منها رفض الدنيا تزهو للطاعة فيحط
لعنة اهل الريبة على كل حال فانه ان يسلم دينك لم تسلم من هموه المقال
الكرم شكر البلاء واللؤم كفر النعمة الكرم الصنائع سلامة الصدور لمن
فعلم من الناس من يفي يستعملوا من عم ليس بارح الرواية فيعمل
العزل معسرة العقل مقصعة للحمولة كثرة النوم اماتة القلب تمهله
الحذر رجل على ضعف اليقين مجاهدة العقلاء والسفهاء تورث سوء الخلق
الدليل على العقول اعجاب المرء بنفسه من لم يستنفع العوث ارفع عنه سوء
تنه من حدث من لا يعقم كمن قدم مائدة الى اهل القبور من فتح عينه العوت
فلا تعمه فليبصر بصاحب ادب ومن عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب

لم يجز صدقه من وصل من يحسده فقوى عدوه وقص بنفسه :: اغتفر زلة صديقك
بقلة من غضب من غير شيء رضي من لا شيء من غضب على من لا يقدر عليه طال حز
نه :: الرجل عبد هواه :: لولا جهل الجاهل ما عرف عقل العاقل من خزن لسانه
كف ظلمه :: كفى بالمرء جهلا كذبه :: نتيجة الغنى فضيحته :: من تورع في كلامه اه
الحكم محموله :: كل شيء لا يوافق الاحمق فاعلم انه صواب :: اذا غلبتك امرا
تك على امر فجاهدها فانها عدوك :: من لم يجرب الخير من الشر فالحقه بالبهائم
من طلب ما عند البخيل فهو على ... جار الرجل الجواد كجار النهر لا يخاف العطش ملك
وجار البخيل في المعارة ... اذا لم تنتفع بمصادقة الاحباء فاتق اهل
الفجور من عاداك ومن جرى ابغضه من نعمته :: الرزق مقسوم والحرص محروم
من كثر كلامه على الغاية غش نفسه وابغضه الصحابة :: العلم زين ومنفعة
والجهل شين ومضرة :: العالم يمنع نفسه من النهي :: والجاهل يستطعم الشر
من لم يرى الغنا بيبس فهو نصيب من المروءة :: اذا كان له جار او صديق لا تنتفع
به فصورته في الغائب فانه زين للصاحب واخف للمؤنة :: العاقل يرغب في
الاداب والجاهل يهرب منه :: العاقل اذا اتاه الادب لزم الصمت لا تستنطق
من تكذبه العاقل من يتهم نفسه في رأيه :: والجاهل يقيم على جهله :: من لم
يكمل عقله لم ينفعه نفسه :: من الحكم محاسنه ومن ساواه يكمل عقله من غلبه
هواه افتضح ومن استشار عدوه فقد [illegible] بغير نفسه :: مصادقة الكرام
غنيمة :: ومصادقة اللئام ندامة :: لا تدخل على صديقك بعد التهمة فيرجع له غنيمة
من النصيحة اذا انقطع رجاؤه من صديقه فلا تعفه بمعروفك :: من طلب من
اصحاب الاخوان بغير وفاء فليصادق اهل الفجور :: العاقل من [illegible] صادقه
مخادعة :: زال من مال [illegible] تحريه :: وما ابدى الغضب الحليم العاقل

زال من ماله التحكم :: وما ابدى الحكم اذا جهل عليه الاحمق فليسر له صلاح الا
الرفق والصمت صديق كل امرئ عقله :: وعدو كل امرئ جهله :: ومن انزل
نفسه عاقلا انزله الناس جاهلا :: ومن فرح بكثرة الثناء عليه اكثر للناس
وقاعه :: السكوت عن الاحمق جوابه :: والسكوت يزين الاحمق والكلام
يفتنه من اشتكال عليه يطلبه وتحلى بعضه فلا كذبه [illegible] الملابس
الجواد :: والبخيل يبغض اذا اهلكت البخيل مرتة ابد التبغيض طبه
من وقع عنده متر [illegible] ضيع البخيل اثر من النعمة :: عدو الكريم
نفعه وعدو اللئيم نفعه :: الكريم يواسي اخوانه في حوائجه :: واللئيم
يقطعهم :: لا تخضع للئيم فانه لا يعطيك شيئا :: انما الصديق يبني الخ
ماله عند الحاجة :: اذا صادقت الوزير فلا تغش له امرا :: من لم ينصحك في
الصداقة فهو عدوك :: ومن عشا العداوة فلا تقدمه :: من كان الناس عنده
سواء لم يكن له صديق :: من طلب من الاخوان بلا عيب كان اوله [illegible]
لم يواس الاخوان بجوده [illegible] نكبته :: [illegible] في مودته
من يحسده فانه لا يقبل الخ :: ومن حسد على عمله لم ينفع حرثه ::
انما يفرح من لم [illegible] صوابه :: من بدا لجهله فكلا ببه يجهله
نعمه اول المروءة [illegible] الوجه والثانية التودد والثالثة العادة
العاجز لا يبالي ما قال وايراع [illegible] كلامه من شغل سمعه وقد
الحكم فقد :: ومن صبر على شغل [illegible] نظر الى محنة عينه :: من
لم يغلب الحزن بالتصبر طال [illegible] :: من اشتكال على الناس [illegible]
فليس على [illegible] لا تحقر اليتيم الشرى ولا ترغب في لعنى
الدون من تحشه بالشر وغالب عليه [illegible] فلا تكرمه ::

من ابغضته انكرته ومن عاينته على كيفيته. ومن تعرض لطلب اذية وليه
انقلب بهزيمة. من ضايع بعياله لم يحتشم من طلب حاجته. من طلب الدنيا
الكتاب تولوه. ومن عادا اهل انكروه. ومن شنع عليه بالبعد وهجر
ببصره ولم يدخل عليه بفضله فلتعز عليه نبيله الشيبه بقطع مودة
لم تزل ويكتسب عداوة لم تكن حمل الحروب نفعل من سالم الناس غنم
خذلان العار لوم. رجال البلا فيل الى احفظ اخوانك تذ الاعداء واح
اجمل الحر على ما لا يؤذي لامنه. المحروم من كان نصيبه وكذا لغير تشبه
قوى الاقوى من قوى على نفسه. ولا عاجزا عجز من عجز عنها. التعزي
بالاهله غريب. والشرف اهله قريب. ما اضعف قول من يطالب من لا يجيب

الباب الرابع والستون مشتمل على حكم منثورة واحاديث مشهورة

اعلم ايها المريد ان الله سبحانه يبتلي اولياءه واصفياءه باعداء يه
ويستخلص اولياءه واحباءه الى الاعداء ويجعله ونفي من اتى لبلية وتمحيص
لهفواته اولياء به وذخرا لهم عنده وزيادة لهم به قال الله تعالى تعزية
لنبيه عليه الصلاة والسلام تعظيم ما كان يلقاه من سفهاء اعدائه وكذ
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وقال سبحانه وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول
غرورا فيا محمد لا تستوحش من هذا ونحن في ... فيهم
نعبد ونعينا على البلاء على وجهين احدهما كفارة للذنوب والاخر رفع
درجة وخصوصا اجوره قد كان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون
ثم الامثل فالامثل فالبلاء بلاءان بلاء رحمة لتضعيف درجة وتمحيص

تبعة

نبيه وبلوغ فضيلة وعلو منزلة وبلاء عقوبة لانتهاك حرمة واتي
واقتراف معصية ومن علو البكارك ... رحمة بلا رغبة عملا نعم
الشبه منها الو لعيبته عنها طاعة فلا غنى عن نهي عنها وواعظ في
تنكبها فلا نغ ... كان جلوتها غضضت به امنه ووجب له بدا النعمة
وكان جعفر بن محمد اذا وقع به شيء يكرهه قال اللهم اجعله ادبا ولا تجعله
تبعله غضبا وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان المومن في
راس جبل لقيض الله له منافقا يوذيه فيا من ضاق صدره وخرج قلبه
وعاين خليقته من عدو اقلقه وما انه حسدوا له ... نفسا وقر
عينا وانعم عيشا بشهادة الرسول صلى الله عليه وسلم لك بالايمان
وعد ولا تبالي في جنب علتها اما لك في الانبياء اسوة اما لك في
الطيبين قدوة فلو لم ينفق الله تعالى من الحسنات الا بما افتقر للغيبة الا الله
تعالى فقراء من الحسنات ثقلا من السيئات قال الناظم رحمه الله

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ... ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

وقال بعض الحكماء الذي افلح ما غلب فيما تكرهه اكثر مما رايناه ما تحب
فيما تحب وقال علي رضي الله عنه ما هنا ذنب اعمالك ... على ...
كعدتك البعض فبورك احياؤه وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء
ما استعدا الناس من كان الفضل له وكان ... اصلا غلب على
اكثر بمن ... الشماتة لوم. عوام الناس عدوك ...
الفع ... من تعرض لشيء ... به ومن تخى من ...
والناس نهب المصائب. من اكرم الرجال ... افضل
ما في طلب الحيلة الخروج من الامتداد. حلت العقوبة على

نفسه أعظم جرما عليها من المعاقب له عليها :. فإنه يجر منفعة مليئة على
عظيمة :. النعمة فتنة تجافي التعففا ما كرهته من ثمرة **المحنة** تنو
بوب الحمل [illegible] لغة قوام التشبه :. فإنه لم يعقب في العادة يكمني يومين إلا
ازدحام الكلام مضلة للصواب :. تجملوا الغزلة قبل نسوه لا تطوا محاق التشبه في
أعجب ما في الإنسان قلبه وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها فإن سنح له
الرجاء أذله الطمع :. وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص :. وإن تملكه اليأس
يأس قتله الأسف :. وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ :. وإن أسعد بالرضى
نسي التحفظ :. وإن ناله الخوف شغله الحذر :. وإن اتسع له الأمر استلبته الغرة
:. وإن حدثت له النعمة أخذته العزة :. وإن مسته مصيبة فضحه الجزع :.
وإن أفاد مالا أطغاه الغنى :. وإن عضته فاقة شغله البلاء :. وإن جهد به الجوع
قعد به الضعف :. وإن أفرط في الشبع كظته البطنة :. فكل تقصير به مضر
وكل إفراط له مفسد :. **البصر** الغول بديهة أمور دون في مقاود
خوف :. أتقى الناس [illegible] يرى غيره في الموضع الذي هو أولى به
:. ما أخذ الله على أحد كافة إلا وقع عنده كافة :. من العجب أن تتوضع على
من يتغير وضاد :. وأعجب من ذلك أن تنكر عليه :. زهير لا تمد
بشبه صولته :. علامة نعم التعلم الإعراض عن العباد فهذا لا تعا
دوا حتى تروا :. لا تعجلوا حتى تعقلوا :. وكا تانعوا حتى تظلموا :. أوجه
الشغل مراودة الشاهد [illegible] عوا في الحاجة إليهم من يستنجع
كالعنقاء تكتنف الصدور [illegible] الصدور بحسب رأيته ويدوم
ويستدر وينتفع الصدور [illegible] فيقطعه وليكن في
مع بعضهم [illegible] لا يجترئ عليه فإن القمر يستضيء بطرفه ويضرب به لا في
الشمس

الشمس يستكمل منها ويسكن نحرها **وقالت** العرب في مثل هذا لا تكن
حلوا فتؤكل ولا مرا فتلفظ اجعل لكل طبقة من أعدائك شيئا تقهرهم من
أعوانك يقمعون شوكتهم فإنهم كالماء في إذا زكا حيلته في أطرافه أن
أرفق من الماء الذي هو في جنسه أخذا على وجه فإنما يستوعب ذنه
أحد فعسى ينتفع فإن الشيب الفاقل من جنس العرب الوافي :. لا
تطمعن في المكذوب والمطبوع على الشر أن يصفيها الإحسان فإنها
كالغرة كلما سمن بأصناف الحلاوة والدسم زاد أبوجهد فيها
فهو مرة كيف الجمع الواحد إذا كان غافلا كما يرد جرشه راع
إذا كان واقفا :. غاية أرمي النار إن يقتل بسهمه واحد والحكيم
غافل فهو يقتل الجيش بأسره :. الملك الشريف العاقل لا ينفع فيه
فوح أهل البغي فيمن انقطع إليه ولزمه كما تجوز المضمر بنورله
لا تطيعه عصوف الرياح :. من كان قابلا لما يورد عليه من نقله إلى
كل قول يسمعه كان كالسراج يصيبه ريح لينة ثم لا يلبث
أن عصفت الرياح أن يطفى **تدبير** الملك الحازم لمملكته كتعاهد
صاحب البستان يخرج ما هو عليه الآن ويقوم شجره بحيطه به على
ثمره وزرعه ليبعد من الشر والفساد كما ينبغي الملوك لأهل الله
الشجعية والسوقة فيجعلهم في أقاصيه وحدوده ردءا له
للمملكة **و**ليكن الملك أحذر ما يكون أمن ما يكون فقد قال **الشاعر**
:. أمنتم صروف الزمان فنمتم رب خوف مكمن في أمان :.
حزا فكان أن الملك أقامت الدولة على فراشه رجلا فلعل راع بفراشه
وثب عليه فقتله :. فسراج الملك قتلته امرأة بخلخال مسموم **رزق**

الملك فقلنه أمراة بعد يد خبا تتهاء عقاصها، واعلم ان العدو قد علم منك
مواضع الخلل وحالات الزمن والمواضع التي يكثر العدو ويكثر فيها الخذ حذرك
منها فصل قال غيره ينبغي ان لا يكون الملك ايامه معلومة يخرج فيها
فان في ذلك خصالا مذمومة منها انه قد يعرف ذلك اليوم فيغلق منها او يغر
من الكسل او نحو مغتنمة فيلزمه الخروج على كره ومنها انه اذا تخلف عن
الظهور في ذلك اليوم لامر نابه ولت اعتقاد الرعية وكثر كلامها وقالوا
مرض او مات او اصابته افة فيكسب العدو جرأة وسرورا ويكسب
اوليائه حزنا وجبنا ومنها انه قد اعد عدوه ليوم يغتنمه فيه ولا ينبغي
ان يكون الملك كثير التصرف عند فساد الزمان وخبث الرعية وعن هذا
قالت الحكماء اذا كان الحمل كثير الغز كان حصين الخدب فصل
ومن حكم اكثم بن صيفي من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء افضل
من السؤال ركوب الاهوال من حسد الناس بدا بمضرة نفسه
العديم من احتاج الى لئيم من لم يعتبر فقد خسر ما كل عثرة تقال
ولا كل فرصة تنال ولا فار بمن يسير به حياء قد يشفي السلاح من اخذه
في بعض المزاح من وفى بالعهد فاز بالحمد العون تدنوا الغير بيهوا
حول الغضب بوزن الوصف رب عنق اشر من رزق من اصطنع قوما
احتاج اليهم يوما ما الكذب يهن والتخفيف وقف من لم يكف الذال
لقي ما ساءه الحر يتقاضى نفسه والليم يستحقون تسويغه و
رهبه وليس بانسان من لزم الحجة وان استعانه لزمته الغبطة وانس لا
منه فضل الكلام الا من اعظمه اخرس ابحث بوضح الحق كما يورى الزناد
القدح ليس مع الحسد سرور ولا مع الحرص راحة ولا مع السخط غذاء

قال جعفر

قال جعفر الصادق عجبت ممن ابتلي باربع كيف يغفل عن اربع من ابتلي با
لضر كيف يذهب عنه ان يقول رب مسني الضر وانت ارحم الراحمين والله تعلى
يقول فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وعجبت لمن ابتلي بالغم كيف يذهب
عنه ان يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين والله تعلى يقول فا
ستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المومنين وعجبت لمن ابتلي بالخوف
كيف يذهب عنه ان يقول حسبي الله ونعم الوكيل والله تعلى يقول فانقلبوا
بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وعجبت لمن مكر به كيف يذهب عنه
ان يقول وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقيه الله سيئات ما
مكروا وعجبت لمن انعم الله عليه كيف يذهب عنه ان يقول ولولا اذ دخلت
جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك الحق سبحانه
فمن صدق قلبه في التجائه اليه ولم يتوكل في حفظه الا عليه اليمين مأثمة
او مندمة الدولة العوارض منحات من مشقة او قدوم غائب بعد ان حدث بالياس
من عنه الركائب واشد الصاد يحجر على فوته الصيعة بعد العز للمرؤة
فاصبر لحزوجب عليك وان خالفه هواك فيها المجلس الكثير المرء الرجل
النافع تنفس راحة وروح العمل النافع بالرجل الحد من تسبه اذا
التانون والقول بهان الفلوه ما انور الهدى ما اظلم العمى ما اكرم
التقوى ما اخدع الهوى ما اتعب النفس ما اسرع البلاء ما اجهل
الصبا الجود ان تعطي للروح حظ الجسد وان سراب ان تعطي له
للجسد حظ الروح والعدل ان تعطي كل واحد منهما حقه والتقى
ان تكف محظوظهما عنه عد وتجانب الله فيما يكره حرمه من توبه
بقاياه فيما يجب من النجاة ان تطلب في صحة كل علم ما ينفعك وتقبل العلم

الى الله تعالى من غير بحث عن محنته :: لا يرعك الباطل فقد ترويه وتكس
احذر ان يصدع عليك بالحق ويشهر عليك وجهك وعينك :: من يكن
وشاءه يكثر منحه :: الراغب فقير مقدر رغبته :: العفو يعفى ويصفح :: تجا
وز عن ذنب الناس تفتح عليهم :: واجتنب الذنوب لتقل جنايتهم عليك
الفراغ الفاضل على الحماء معصولة :: التحميد لعله انتقص العرف بنفي
المجد هاب العلية كلامك وسوء بينهم وبين الشبهات في احكام امور
في عز خير من حياة في ذل اذا كجاء من كل نعمة حبنا عون ما طاع امره
عرف قدر نفسه :: الدعة الهنية تكون بعد انقضاء العمل لن يعارف
الخير صاحبه حتى يعارفه :: خير الناس من تواضع عن رفعة وعفا عن قدرة
:: الحاسد يظهر وده في كلامه وبغضه في اسمه التصديق ومعناه العدو
:: والريا يفسد العلانية :: والعجب يفسد عمل الشي برلة :: اذا كثرت المقد
رات فقدت الشهوة :: من عرف قدره كفاه نفسه :: كفا بالظفر شفيعا للمذ
المذنب الى الحليم :: لسان الجاهل لين حتفه :: لا ظفر مع بغي ولا محمدة
مع فخر ولا ثناء مع كبر ولا صداقة مع خب :: من لم يعرف قدره فاكفه
نفسه احق ما رده ما خالف شهادة العقل قطع كفهم واقبح الدين
رجلان جاهل ناسك وعالم فاجر هذا يغوا الناس في جهله بنسكه
وهذا ينفر الناس عن علمه بفسقه :: من قوي هواه ضعف حزمه :: من كظم
غيظه ضعف كيده :: كفى بالظلم كادرا للنعمة وداعيا للنقمة ::
من قبل صلتك فقد باعك مروءته :: الهبة تفقأ عين الحكيم :: عفو الرأي
خير من استكراه الفكر :: ما التبس الصواب بمثل المشورة ولا اكتسب
النعم بمثل المواساة :: ومن لم يوعظ بالعذل فقد كفر :: من استغنى باسمه

اقتفو

١٩٥

اللهم صل على سيدنا

اقتفوا الناس اليه :: التقصير محدد عن الصواب :: الامراء يحمدون في
الخطا :: ثلاث خصال ما اجتمعن الا في كريم حسن الحضر و
واحتمال الزلة وقلة الملالة :: كفى مخبرا عما بقي ما مضى و
وكفى عبرا لذوي الالباب ما جربوا :: التهاون بالمطلوب اول
سبب حرمانه الشبهة ظلمة لن يضيع صواب العقل حتى يضيع جواب
العمل :: خير الامور ما حمدت عاجله وحسنت عاقبته :: لا قربة مع سوء الا
ادب ولا بر مع شح :: ولا اجتناب محرم مع حرص ولا محبة مع زهو ::
باجالة الفكر يستخرج الراي المصيب :: وبحسن الثناء ترد العطايا
وبالنعمة يكثر المواطون الفاحشة على زمانه وعفوه عمن الشماتة
تعف النعمة :: ومن يحقر التقوى قال الله تعالى انما تميز منكم كما تميزون
اذا فقد المتفضلون فلا تعطلوا بصلاة عزيت عن محبته وحز
حسنت من بعضها هما على غايب باد امر مكروه عن قلب :: اشر العالما
لا شفق منه :: افضل الاعمال ما صين به العرض :: وبالافضال تشرف الاقدار
الذنب يكون سبب فساد نفسه ادم من يحسن العدو والوا هلة :: لا تعون
ودنيه مالا :: الشهوة داء لحرص تعب يعجز عن الاحسان وعواهية
العبادة :: لا فقر اعظم من الاصلاح ولا حزم اعلى من التقوى ولا شفيع انجح
من التقوى :: اولى الناس بالامن حافظ عقيده :: الخير موضوع من ارادة ومولود التوبة
من عواقب الرغبة مفتاح التعب ومطية النصب :: الحرص داع الى الحرمان
التعلل بالحسنة تنفي السيئة العقابات بالسيئة دخول فيما البغي
سابق الى الحين :: صلاح الرعية خير من كثرة الجند :: خف العذم
فيب وخواتم حدوم المعونة :: من الجهل والحجر الكهار ... الحزون

١٩٣٦

يغفر عن الجرح ويشكر للمكتسب :. اعظم الناس قدرا من لم يجعل
الدنيا لنفسه قدرا :. ما احوج ان يحذر بدعة ما تزول انها تسنى :.
عن اتيم الامور خيارها وحمد ثانيها شرارها :. الملك يكسب من العارف
والعامة يعرفون من كسبهم :. من افنى عمره في جمع المال خوف العدم
فقد اسلم نفسه للعدم قال الشاعر
∴ ومن ينفق الساعات في جمع ماله :. مخافة فقر فالذي صنع الفقر ∴
ومن لم يقدر على جمع الفضائل فليتمسك بفضائل منه ترك الرذائل ازيم تكن
منها نصح ولا تكن جاهلا بنفسه :. استصلاح بعض العدو افضل من هلاكه :. الفقر
من سعادة الانسان يطول عمره ويرى في عدوه ما يسره :. الحر تكتب ماله
اذا اعطى فارتقى النظر فيه زاد حسنه ووقف على ضده نقل الاحسان
من اتسعت مروته وضاقت مقدرته استحي من الله بقدر قربه من غفلة
واعصه بقدر حاجتك اليه وحذر بقدر قدرته عليك واعصه بقدر صبرك
على النار واعمل للدنيا بقدر مقامك فيها واعمل للاخرة بقدر بقائك
فيها العلم ينفق بكسبه والعامة تكسب تنفق :. الطاعة بقدر القدرة
فقد يحمد زوال النعم اذا راى بعضها التحسن او نزل الامور به او حملها
عليه الدنيا العافية والشباب الصحة والسرور الامن :. اذا اقبل ربما
مرشدة واذا ادبر صدع :. اذا عدل السلطان ملك قلوب الرعية واذا جار
لم يملك منها الا الرياء والتصنع :. الصدقة من سعة وابدا بمن تعول
:. اذا اضرت النوافل بالفرائض فركت النوافل وفيه ثبت الفرائض قدر الرجل
على قدر همته وصدقه على قدر مروته وشجاعته على قدر انفته وعفته
على قدر غيرته :. من اطاع الواشي ضيع الصديق :. من جهل النفسه خفته

من حسن

من حسن الظن روح عن قلبه شر الذي ما اثم مكتسبه وحرمت منفعته
انفاقه :. رب مغبوط بليلة قامت بواكيه في اخرها :. لا ترجوا خير
من لا يرجو خيرك :. ولا تامن جانب من لا يامن جانبك :. قادة المطالب
تجرا ارجا لعودة من نالوا كثر خورا :. ثمرات الشهوات المخازي
الخصومة تمرض القلب :. اعمر الاشياء نفعا فقد الا تزارث من استكفا
الكفالة كفا الاعداء :. خير المال ما اعانك وخير منه ما فوّاد :. صولة
الكريم صيلخ :. ذنب الا سوء خير من اس كلب :. يعجبه البحر يعتد اهل
من العرم من استشد برايه خفف وكانه عن اعمه ابنه انما انه مزح لباحا
ما اصحت به منعوا له :. من امن الزمان خانه ومن تعظم عليه اهانه :. كما
يجب ان تكون المراة اضوا من المناغر فيها فكذلك يجب ان يكون
المودة افضل فعل ثوب من ترك العمل بما ينبغي عمل بما لا ينبغي :. لم
يبرح الشرا سوء وفي الخطا فوة :. لن تكون الله تعالى حتى تحب عدو
ولد اذا اطاع الله في عداوتك على عداوته وتنزع عما عادا من اجل عليه
وتعضو ابنك اذا عصى الله في موالاتك وتنزع عما والا الا عليه :. لا
تنكر على الا مساوة الا اقوى منك على الاحسان :. الشقي من جمع لغيره
وضيق على نفسه بخيله :. شر اخلاق الكريم ان يمنع خيره وخير اخلاق
اللئيم ان يكف شره :. من كانت الاخرة واهتماه كانت له الدنيا رجعه :.
ومن كانت الدنيا اهم ماله حذفت الاخرة خسارته :. افضل العلم وقوف
مخبوزة الرجل عند علمه افضل الاعمال ما اغضبت به العفوف :. البدع مخالفة
فجعلت عليها النالة ظاهرة :. وجهل العامة امنة على ضلال الذر
وجهل الخاصة يغير على ذمة :. القليل من العالم الكثير من العامة

وسؤاله فترة. اذا كذب السفير بطل التدبير. اخبث الازمنة زمان لا ينتهى فيه
بصواب. لا تعطوا في الفضول ما خفتم العجز عن الحقوق. الاخوان اصلاح
تودد القلوب فوا من نعمي. من احب ان يسعد اهله لم يبخص في عدله.
لا تنيل الجود من التوفيق. البلاء الجلاء. من عرض نفسه للتهم فلا يلومن
من اساء به الظن. العقل خير العلم. الدراسة اذكى للفهم. الغفلة
فتنة اهلها للعطب. استدم النعمة بالشكر. والقدرة بالعفو. والنظر
عند بالثناء والنصح بالتواصل والرحمة للخلق. استقلال الكثير يعرض
للتغيير. ثلاثة اشياء يستدل بها على عقل اربابها الكتاب يدل على عقل
كاتبه. والرسول على عقل مرسله. والهدية على عقل مهديها. لم يجن
على العقول عاقل كالعي. ولم يجنبها محكم كالتجربة. من عاب سفلة
فقد رفعه. ومن عاب شريفا فقد وضع نفسه. احق الناس بان يحرم على
انه يا اهل الاخوة [illegible] من حقت شرابه. ونفسه من شغفت بهواها
بالكلام يعرف فضل العقل كما بالوصول يعرف قدر [illegible] طلاسم
ابوكم انه من عصمتكم التقوى وزينتكم الادب. حصون اعراضكم
العلم. اذا اعطيت ما لا ترضى فارض بما اعطيت. كلما ازداد العلم
كثرة كان الخارج اعظم حسنة. وبقدر السمو في الرفعة تكون وقعة
الوجبة. الاتكال على العمل اشد من العمل. من التوفيق ترك الاعتراض في
التوقيع قوة [illegible] الحرمة والتزام سنة في المروءة. كما ان الزكاة فريضة في
الديانة لا تغتنم من اموال [illegible] فتكون عيبا لنفسه كذا ابا
على غيره لا تفرح بسقطة غيرك فانك لا تدري متى يحدث الزمان بك. من
اخطأ الكلام في امور الجسم من غير مشاورة. اكثر الناس [illegible] عن

بنفسه

لنفسه في امر جسده بعقل المحنة في امر مروته عقل الشهوة في امر
دينه عقل الشبهة. المصايب بغفلات. العاقل لمن راجع من الحمق
التجهيل. اشرف الصنائع ما لم تكن مكافاتها لعامر ولا رجاء لباق. ارض النم
فم حلمه والنص الملهى. لا اسمع منه لم تكن غواية ولا [illegible] ايه اما والبعد
سابق وعيبها ناكص. احسن الناس من لم يحرصه على العقابات واحسانه
الى المخطئ بعثه على معاودة الاساءة. ليس يعقل من ادب بان يكون فيه
عقلا يعيبه لما يغضب ان يكون تابا [illegible] من صنع خيرا فاضعفه لم يحط فلا
يجوز ان تكون شكله. الاشرار يتبعون مساوي الناس ويغفلون عن محاسنهم
كما يتبع الذباب المواضع الفاسدة من الجسم ويترك الصحيحة. الفكر كصل
وفطنة ما [illegible] عبارة مع [illegible]. فاذا اخلت الفطنة من التوفي
فصاحبها لا ينتفع به اهل المروءة. واذا اخلت الفطنة من العبارة
وفارقتها الاهة فصاحبها كسيب الحرب [illegible] كانت فطنته معها بعض
الا ستر لسان عن الالفاظ التي يرتفع عنها اهل الجلالة من المخلصين في
[illegible] الدنيا والعسكر [illegible] في ظاهر الحال. وسمعت الغالي ابا الحجاج
[illegible] بالبصرة يقول اول من تكلم بهذه الكلمة عمر بن الخطاب رضي الله
عنه [illegible] فقال [illegible] فلا [illegible] الذي
[illegible] البلا والا [illegible] والعيان ينبغي للعالم ان يتكامل الجاهل بقدر ما
وهبه الله عليه العقل اعجزه الحكمة [illegible] من الحسد الى الفطنة والتباب. الى
اعظم الناس غما من [illegible] نعمته [illegible] شهوته وضاقت [illegible]
فلذة العيال [illegible] عاجلة الموجود خير من الانتظار المفقود. من

عدم الحياء عنوان الفضيحة والنصح عنوان النصيحة تسهل عليه المعاصي
كلها العالم مثل السراج اقتبس منه من نفعه يحفظ النية نصره التوفيق
لن تكون لنا صاحبا حتى يجب ان يكون له عدو لم صديقا ::
مزاح الناس بلا سلطان كان مصيره الى الهوان ما جهلته يا ليس فيه
محا الحب نعيم بحوابه وتوابه بما فكان عنها :: الفكر والنجه يعذبه النار بجوابه
لا حد ان تنا من حلو من شانه يرتوي الجد :: العاكر البعيد والقوة هو
للعاد والمجهوك للعدو :: ومن غضب على من لا يقدر على غضبه عذب
نفسه واشتد غيظه :: اطلب ما يعنيك واترك ما لا يعنيك وفي ترك
ما لا يعنيك درك ما يعنيك :: من انكر الاشياء الى عد ولم تر ربها انه لا نعا
ذنبه :: كل ات قريب لا استغناء عن الشيء خير من الحاجة به :: من حيي
ان تسمع بمكروه لا تفخر بما يزول ولا تغني بما لا يبقى :: شر العيوب ما
كان مضيعا للعيوب :: شر الذنوب ما كان عند الله ذنوب :: ابلغ الرسل
الكتاب :: هاون الامور بالنصيحة وانا له زعيم بالظفر :: من اراد حمد الانام
تعهد الايام فليصحب المروءة والصيانة فهما نور الشرف :: رب امر
له ما بعده من سبق اليه كانت صفوته :: من شركه المروءة التقاعد من الضعيف
:: المروءة ترك الدنية :: يكاد استقطاد القوي على القوي ان يجري كما هو
ويكاد استبقاء الغني من الفقير ان يكون جورا :: الغرا ان كظاهره ابيضه
وما تحته عميق :: اوله عتم واخره علم :: التعاهد على الطعام من نزع
في الشهوة وتذهب العشقة وتزيل الانقباض :: لن تنال ما تحب حتى
تصبر على كثير ما تكره ولن تنجو مما تكره حتى تصبر عن كثير ما تحب :: ده

ذهاب

٢٧٨

ذهاب البصر خير من كثير من النظر :: لا تعد العزم عزما الا اذا ما وافق
عزما :: مع الرأي ارا ول الوهم :: النظر بعد النظرة تعقب لها
بعدها وقبل لها قبلها وتدبر لها بعدها :: ليس من مدح الرجل
بما فيه تزكيته :: انعم الناس من كفى امره نياله ولم يحيط
امر دينه :: الغريب من فقد اخوانه ونظراته وان كان في وطنه
الغريب من لا صديق له :: الغريب الاحمق :: الغريب الفقير :: الغريب
من لا ناصر له :: شيئان لا يستغني العاقل منهما العزيز وذو القرابة
الفقير من كانت الدنيا قبيب صلته فانها سبب فضيحته فاحذر
ان تجعلها وسيطا بينك وبين اخيك :: علامة الاشرار من خالطهم لا
يسلم منهم ومن تركهم لا يصرفون عنه شرهم واهل الاخيار فمن
خالطهم ربح عليهم ومن خالفهم ترك شدة :: اكبر ثلاثة الصوت في
الغضب والجود في العسرة والعفو عن المقدرة :: ومن عتب على الزمان
طال عتبته :: تشتاق الى ما انت لاق :: اذا صح الرأي تبادر للرشاد
وجب المراد :: ما عنواهل عن الذم من ملكه الجهل ولا يخفى بالغ
من احتمل ما في المعصية من الهوان ولا خرج عن الدناءة من صحبها جميع
عقله الى الدنيا :: احول الكفلاء مريب :: المقتلة اخرا لمكيسة
ما عند ومن اهل المجامين كان من اهل الهوى ولا كان من اهل التقوى
من هاد عن سبيل الهدى من دم ادني الاحسان لامتناع افضال المحمود
شيئا منه من دواعي الهلكة اذا عيت المعروف فيها عجبا لمن
يبني داره ويهدم جسمه ولم يرمم امور الله ينبوا مور نفسه

محل فال علي من ابي طالب رضي الله عنه من لم يكن معقلا كان
غليظا والشاكت اخو الراضي :: الكاتم للعلم كمن لا علم عنده او
هو خير والتوجيه بالصواب العلم بعلة المصيبة من الثواب
ينسي المصيبة :: شر من المصيبة سوء الخلف منها :: الحكمة روض
ربيع القلوب الخصومة تكشف العورة وتورث العلة :: بلاء الا
القوم من عاقبته كالنار يحرقها من يوقدها :: قد يكون الغنا من
ادراك الا كان الطمع مثلاكا :: من لم يرفع نفسه عن قدر ا
الجهل رفع الجاهل قدره عليه الذلة مع القلة خير من العزة مع
فاكل من تعد بها موت عاجل خير من ضر اجل الغضب عند المنازلة
منقبة للحجة لا اختصار انت المتكلم وابقي لها مع الكلب
في الخاصة ينبح للضيف ويدفع الزائر ويرد السائل والكلب في البا
دية يعرف الصاحب وينذر بالضيف ويدفع اللص ولا تغتر بقول
الجاهل لك ان في يدك لؤلؤة وانت تعلم انها بعرة :: مثل الصلوات
مع سائر العبادات مثل الشعبية مع جميع ما فيها ان يسلمن
سلم ما فيها الكل وان اصبت اصبت الكل الحب والبغض فتنة
طلب الطمع حزم :: اليأس عجز :: قل نصح المتكلف من عبايه :: اذا
فسد الزمان كسدت الفضائل وضرت ونفقت الرذائل ونفعت
وصار خوف القوم اكثر من خوف المفسد :: لعله اهل الحق عمارة
القلوب لا يصيد الكثير من لا يصيد الواحد :: بالعمل يحصل المنهى
بالقوة يتم العمل العكرة موداه :: من اعظم الناس محنة من قل ما

ملام

ماله وكثر جهله الادب مع العقل كالشجرة المثمرة :: والعقل
بلا ادب كالرجل العقيم انما البر من الفول والقلب الفاسي من الحجر
وقد يتفجر الماء في الحجر اذا كثر تحرزك عليه :: الشدة لا شيء هنا
الفاقة :: اوفى الناس بالرحمة عالم يجري عليه حكم جاهل لم يعجب
من شهرة ابه ولم يعرف بطن اثره ولم يعف من هلك عمله :: وقد
سبق العقل ليس بهالك من ترك مثل ما لك كما بنا فيصح اذا تركت
الخيل لحرب فيما حيث اردت دون ان تحرزها كذلك فيصح ان
مجري البدن بالنظر والعقل حيث ارتكبت من الشهوات :: الشق
الامور معرفة المرء بنفسه :: عاتب المجتمع عليه محجوج :: ليس
شيء من البر الا ودونه عقبة من الضرر وضرب الا بتقا وعار باق ودون
مطلوب قيل لحكيم هل للعقل مادة تحسمه قال نعم ان يعلم
الانسان انه ليس يجب ان يكون مطاعا ابدا ولا يجب ان يحتمل خطاه
ابدا ولا يجب ان يصر عليه ابدا ما فيه يضيع ويحرم ويحتمل الخطا
ويصبر على النوائب فاذا فعل ذلك لم يغضب واذا اغضب فقليلا ليس
الشقي من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه :: لا ينتفع بكثرة ال
العلم من لا يعمل كما لا يغني ضوء الشمس عينا لا تبصر :: رضي بالذل
من كشف ضره :: من ترك واردي نفسه استشعر بالطمع :: البدع
تخرج يستمرها زخرفة الكلام وخدع المقال :: الناس يحبالة نبا
بالاحوال وفي الاحوال بالاعمال اخص يبرا الرجل عقله وعقوه
حمقه :: من اجتمعت له النعمة اذ بعث له الرغبة بحفظ الا من
من كرهتم وانا من نفسه :: لا مال اجود ولا صدقة لا توفاه ولا وقد

الا بورع :. العليل الذي يشتهي الرجاء والصحيح الذي لا يشتهي :.
قلوب الرجال وحشية فمن تألفها اقبلت عليه :. اجعلوا بينكم وبين
الخلائق سترا من الحلال لقاء الرجال اخاء هسلات لذهم :. من لم يجمع
تدبير الله لم يصلح على تدبير نفسه :. الاحتلام فرح وهم كاذب
والعمل بها كالمعتمد على الظل الزائل الدنيا دول فما كان منها
لك اتاك وما كان عليك لم تدفعه :. العافية خير من الوافية
الكريم لا يستحي من اعطاء القليل العفاف زينة الفقر :. الكرم
حسن الطبيعة :. اللوم سوء الفعل من اختلاف كلام المرء دليل
قبل الهوى :. من حق النعمة ان يرى اثرها عليك :. من كان شبعه في الطعام
لم يزل جائعا :. من كان غناه في المال لم يزل فقيرا :. من قصد بحوائجه
الخلق لم يزل محروما :. من استعان في امره بغير الله لم يزل مخذولا :.
ومن خاف من فوقه خافه من دونه :. ما يحسد المرء ولا يعمل به يغرك
نعم لا تفوت وعليك بورك :. واعجبا لمن اختار الحمد له بطلب ما له
يعني على الغير طلب ما يبقى :. من حذر لم يكن بشره :. الشحيح جار
للمصائب :. اذا اقبلت الدنيا عليك فانفق فانها لا تفنى واذا
ادبرت عنك فانفق فانها لا تبقى وقال الشاعر

فانفق اذا ايسرت غير مقتر ... وانفق على ما خيلت حين تعسر
فلا الجود يفني المال والجد مقبل ... ولا البخل يبقي المال والجد مدبر
لا تخشى مع نيلها وهي مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسرف
وان تولت فاحرى ان تجود بها ... فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف

الغريب في كل مكان مظلوم :. من سلط الحداد من العثار بحر واكب

العضو

العضو عجبا :. اللئيم يستعمل الفقر الذي منه هرب ويفوته
الكريم الذي اياه طلب ويعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في
الاخرة حساب الاغنياء :. من كان دوبله كان وبله :. غشنا خير
من سعين عمرك :. ان احببت ان يعود ما تشتهي فاشتهي ما
يمكن :. من قصد السهل من صوب او عن الفضل احزم المجلع :.
تثبت السير العجلة :. بوة التوسط في الجبال لم تحلمه لا يقصر
عنك ولا تقلع عنك اقبح الشر من صدر غيرك تقلعه من صدرك
وازجر المسيء بالمكافئة المحسن لكي يرغب في الاحسان لم
يعلم من الدنيا وعظه :. الخلاف يهدم الراي :. خير الناس
نفع الغير هم لنفسه :. احسان الله مكفور عند من اصبح
مصرا على ذنب مستور :. يصير التخلق خلقا بالاجتهاد :. الحجر
المغصوب في البنيان رهن على الخراب :. وبها تشرف شارب
الماء قبل وديه :. رب راي انفع من مال وحزم اقوى من رجال :.
من استوعب الحلال تاقت نفسه الى الحرام :. من ذم الزمان لم
يعرف الاحوال وتقلب الاحوال علم جواهر الرجال :. من
عرف الزمان لم يضع الرجحان :. ومن عرف الايام لم يغفل عن
الاستعداد :. زمن السلطان عظيم :. الكلام عند غلبة الا
كباس عند تعرك الحيرة :. وكلما اشتد الظلام حسن
ضوء السراج :. [illegible] ما كثر من الاستخفاف ملول والتقصي
عن الاستخفاف عي وحسد :. اولى الناس بالرحمة من احتاج
اليها فحرمها :. من لم يحمد [illegible] الدنيا [illegible] اهلها كما

أدب النفس ترك ما كرهته من غيرك :: مجالسة الأحمق غرر والـ
والقيام عنه ظفر :: لا تشتغل عما لم يكن فإن الذي كان شغلا
البخل جامع لمساوي العيوب وهو زمام يقاد به إلى كل
سوء :: رب مغبوط بأول ليلة قامت بواكيه في آخرها ::
إذا صح القلب وصح العمل كان التوفيق :: أحرز العواقب
الاجتهاد :: الاجتهاد ربح بضاعة :: التوفيق خير قائد ::
كمال العمل التوفيق :: من تورط في استقصاء الحظ من البغية
أدرك وبلغ :: مقاربة الناس في أخلاقهم أمن من غوائلهم ::
لا تنظر إلى من هو بالموضع الذي رتبه فيه زمانه ولا كان النظر
إليه بقيمته في الحقيقة فإنه مكانه الطبيعي :: أبعد
الناس سفرا من سافر في طلب أخ صالح :: ليست البركة
من الكثرة ولكن الكثرة من البركة وقال داود عليه
السلام إن كان لا بد من الجهال بعضهم أتوا بكثرة
الجهل وبطول عقله :: وقيل لابن جريج ما لكم لا تعا
لجون الجهلة قال إنا لا نريد من العميان أن يبصروا ::
العشق مرض نفس فارغة لا همة لها :: إجالة الفكر
استخراج الفطنة :: تتبع الأصوات بالنوم وتتبع ا
النوم بالماء فلاح الأمر البراءة :: كثرة الضحك بالنوا
ضع :: أعم الأشياء نفعا نفع الأشرار :: من يزرع عدا
وة حصد ندامة :: التبسم للنساء ظلمة وللرجال
غفلة :: قال المسيح عليه السلام ما حلم من لم

يصبر عند الجهل وما قوي من لم يرد الغضب وما
عبادة من لم يتواضع للرب تعالى التمني في غير وقت
والعلوم من جوف الفم زاد أو نقص الضرورة ارتفعت
المشورة قيل لحكيم أخرج الهم من قلبك قال ليس
بإذني :: من أعظم نعمائه فضل في احتياله :: إياك وكره
وطلب الأمور من غير وجوهها فيعييكم طلبها ::
ولا تدركوا حظكم منها :: همة الزلل تورث الحرص
قيل لحكيم لم لا تتزوج قال لشيء تزوجت امرأة ذميمة وإن وسيمة
قال أخشى من شرافته :: وقيل لحكيم ما تقول في الزواج
قال لذة شهر وهم دهر :: فتنة عالم أن يتبعه حرص
عوائد الجهال تتمنى العواقب ولا تتمنى المعاذر
الموالاة في الإسلام بمنزلة الحلف في الجاهلية :: حسب
الجهال الحكماء تشريف لهم عند أهل الفضل كأن
الجاهل منسوب إلى فعله :: وكما أن الحكيم يتألم بحديث
الجاهل كذلك الجاهل يتألم بسماع الحكمة :: أغنى
الناس عن الحقد من عظم قدره عنه المجازات :: الكيس
الفطنة من الرجال من كان عيب المادح عنده :: الخف
من ملوك الكاتب أن كانت الحدود فيه الحرص فما
بال الحرص وإن كانت الأمور ليست بدائمة فما بال
السرور :: وإن كانت الدار غرارة فكيف الطمأنينة
وقال الشعبي رحمه الله ما رأيت الله سبحانه أعطى عبدا

اجل من العلم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عجبت
ممن لم يكن عنده ولا ترجيه لشيء من امر الدنيا والآخرة
من لم تعرف انه ثقة في ارومته وانه ما ثبت في خلقه
والكرم في طبعه والنبل في نفسه والتجافي عن عيوبه
قال ابو عبد الله بن حمدون كنت مع المتوكل لما
خرج الى دمشق فركب يوما الى رصافة هشام بن عبد
الملك فنظر الى قصورها ثم خرج فرأى ديرا هناك قديما
حسن البناء بين مزارع وانهار واشجار فدخله
فبينما هو يطوف به اذا ابصر رقعة قد الصقت
في صدره فامر بقلعها فاذا فيها هذه الابيات

ايا منزلا بالدير اصبح خاليا ... تلاعب فيه شمال ودبور
كانك لم يسكنك بيض نواعم ... ولم يتبختر في فنائك حور
وابناء املاك عباشم سادة ... صغيرهم عند الانام كبير
اذا لبسوا ادراعهم فعوابس ... وان لبسوا تيجانهم فبدور
على انهم يوم اللقاء ضراغم ... وانهم يوم النوال بحور
ليالي هشام بالرصافة قاطن ... وفيك ابنه يا دير وهو امير
اذا العيش غض والخلافة لدنة ... وانت طروب والزمان غرير
وروضك مرتاد ونورك مزهر ... وعيش بني مروان فيك نضير
بلى فسقاك الغيث صوب سحائب ... عليك لها بعد الرواح بكور
تذكرت قومي فيكما فبكيتهم ... بشجو ومثلي بالبكاء جدير
فعزيت نفسي وهي نفس اذا جرى ... لها ذكر قومي انة وزفير

لعلي

لعلي زمانا جار يوما عليهم ... لهم بالذي تهوى النفوس يدور
فيفرح محزون وينعم بائس ... ويطلق من ضيق الوثاق اسير
رويدك ان اليوم يتبعه غد ... وان صروف الدهر فيه تدور
فلما قرأها المتوكل ارتاع وتطير وقال اعوذ بالله من شر اقداره
ثم دعا صاحب الدير فسأله عمن كتبها فقال لا اعلم به
نحري واما الكتب وصفاتها فتجل عن بلوغ الوصف
وقد احسن ابن الجهم رحمه الله في قوله

سمير اذا جالسته كان مسليا ... فؤادك مما كان فيه من الوجد
يفيدك علما او يزيدك حكمة ... وغير حسود او مصر على حقد
ويحفظ ما استودعته غير غافل ... ولا هاتك عهدا على قدم العهد
زمان يعيد الزمان باسرار ... فيشبه روضا غبرة اجوا جعد

وانشد بعض اشياخنا رحمه الله

اذا ما خلا الناس في دورهم ... بخمر ندامى وخود كعاب
وانسهم حسان الغواني ... بحر الندامى وزهر الصحاب
خلوت وجيبي كتب العلوم ... وبنت عروسي بنت الكتاب
وزهر العلوم حيال العقول ... فدوروا على به اما الشراب
وما يجمع المرء في دهره ... سوى العلم يجمعه للتراب

ومن مدح ما يجمع ما ينشد في الدواوين والكتب

لذا ما خلوت من المؤنسين ... جعلت المؤانس لي دفتري
فلم اخل من شاعر منشد ... ومن عالم صالح منذر
ومن حكم بين اثنائها ... فوائد للناظر المفكر

وان ضاق صدري باسرارك   واودعته السر لم يخفه
فان ضاق الشعر ما سرحيبي   فلم افتشه ولم احضر
وان غصت من عجزه بالذي   وفي الخليقة ثم اعجم
ونعمت فيه كريم الغنيث   لما به خيب التخبير
فلذلك اري موثر ما حبيبي   عليه تد بعثنا الى المحشر

وانشد ابن حزم رحمه الله لبعض الادباء

ان عبنا الليوث تاهوا علينا   واستجعوا جهلا عن الجليس
او عبنا التجار عدنا الى الفرس   وصرنا الى عداد الفلوس
فلزمنا البيوت نستعمل الحبر   وفي به وجوه الطروس
ونبعنا بعار رفنا فصرنا   امراء على الملوك الرؤوس

زاد فيه ابن حزم عفا الله عنا وعنه

لو تركنا وذاك كنا ظعونا   من انا بينا بعلق نفيس
غير ان الزمان ادى تنبيه حسدونا على حياة النفوس
انبتت الى الثغرة طول عمري   فعالي في البرية من نفيس
فعلت مخاثي وندمي نفسي   وانسي فتريه في الجليس
قد استغنيت عن فرني بنعلي   اذا ما فرت او فعلت كيوس
ولي عرس جديد كل يوم   بكرم الهمم في امر العروس
فيكسو بمفرد والغرم جسمي   وهيئا في ابع او كيس
وبشر حيث ما ركني مساري   واهلي كل دعلى نفيس

وليس كان الناطقون وصعوا الجود واوفالوا فيه بلغوا فلقد قصدوا واوجلوا وحا واستنطق في موهد المنتهي

والشبز

والشبز به تفر بضد النخل وكيف والكتاب نعم الانيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل ونعم الوزير والنزيل وعاء ملي علما وظرف ملي ظرفا واناء ملي مزاحا وجدا وبستان يحمل في ردن وروضة تقلب في حجرها فسمعت بشجرة تؤتي اكلها بساعة باختلاف الالوان وطعوم متباينة هل سمعت بشجرة لا تذوي وزهر لا يذوي ومن لك بجليس يفيد الشيء وخلافه والجنس وضده وينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء ان غضبت عليه لم يغضب وان عربدت عليه لم يعربد اكتم من الارض وانم من الريح واهوى من الهوا واخدع من الغنا وامنع من الضحى وانطق من سحبان وابل واعيا من باقل هل سمعت بمعلم واحد تعدل كثيرة وجمع اوطارا عزيزة غريبة فارسي هندي سندي رومي نوما نبي ان وعظ اسمع وان الهى امتع وان ابكى ادمع وان ضرب اوجع يفيدك وينتقيك ويريدك وينشرك بما ازعجك وينشرك وان مزح فنزهة فيرد سرا وحرز الوح ابع فيه العلوم وينبوع المكارم الحكم ومعدن المكارم ومونس الانعام بفيد علم الاولين وخبر كثير عن كثير من ابناء الاخرين هل سمعت في الاولين والاخرين بملغ عز احد من الناس غير من جمع هذه الاوطار مع قلة

مؤونته وخفة محمله ولا يبرز ولا ينشأ من قبل العجم الذي فخر
والعقدة والمستغل والحرفة جليس لا يغريك ورفيق
لا يملك يطيعك بالليل كطاعته بالنهار ويطيعك في السفر
كطاعته في الحضر إن أدمت النظر إليه أطال إمتاعك
وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود بنانك وفخم ألفاظك
إن ألفته خلد الأيام ذكرك وإن درسته رفع الخلق
قدرك وإن حملته نوه عندهم باسمك يقعدك العبيد
في مقاعد السادة ويجلسك السوقة في مجالس الولاة
الملوك فأكرم به من صاحب وأعزز به من موافق
ووفق فلا فيه الأول

لنا جلساء لا نمل حديثهم ... أمينون مأمونون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم من مضى ... وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا
بلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة ... ولا نتقي منهم لسانا ولا يدا عشرة
فإن قلت أموات فما أنت كاذب ... وإن قلت أحياء فلست مفندا

فهذا ما أوردنا أن نعيد في هذا الكتاب فاكتبوا
إن شئتم الفائدة بالكلام الحرمية بكتب

كمل كتاب سراج الملوك بحمد الله وحسن عونه
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما
على يد عبيد الله تعالى المعترف أنا وذا وإنا نام إلى عفو
أرمولة علي بن أحمد بن علي بن قاص المنابهي ثم العلاكي تاب الله
عليه وكان الفراغ منه انتصاف ذي قعدة الحرام عام ١٢٢٠



الشاعر الم تران وشاة الرجال لا يتركون اديماً صحيحا ∴
∴ ولا تعجل برد اذا ابتدا فان لكل نصح نصيحا ∴ داخل
∴ ما كل مكتوم يباح به احفظ لسانك من عواقبه ∴
∴ فجوارح الكتمان احزم من مجاهر من عواقبه ∴
∴ لبئس الهوى ما كنت تعرفه ايام تعلقت به جوا نبه ∴
∴ هذا هوى توقد بحق به ضحا العشاق الى مضاربه ∴

تم السفر الاول من سراج الملوك بحمد الله
وحسن عونه وصلى الله على نبيه
ومولانا محمد وآله وذريته واخر
دعوانا ان الحمد لله رب
العالمين



لسبب ... السفر ثلاثا وانما ... منه الاول ... غ ... منه كله ثم ... الثاني ... مدة ... منه ... بحمد الله والصلاة على ... تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

السفر الثاني من سراج الملوك تأليف الفقيه
الفاضل الزاهد الورع الأكمل
أبي بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي رضي الله عنه ونفع به آمين

نفعنا الله به وغفر له ولسلفه ولجميع المسلمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه

الباب الرابع والثلاثون في بيان
الخصلة التي هي في سلطانهم غضارة وزعيمة

بالمزيد من النعماء وأمان من زوال الجلال والإكرام وهي الشكر قال الله سبحانه حكاية عن سليمان عليه السلام وقد آتاه الله ملك الدنيا والجن والإنس والطير والوحش والرياح تجري بأمره رخاء حيث أصاب فلما استوسق ملكه قال صلى الله عليه وسلم هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر فما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة من الله كما حسبتموها ملوك الأرض بل خاف أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم كما قال تعالى في أمة أراد هلاكهم سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين جاء في التفسير أسبغ عليهم النعم وأنسيهم الاستغفار وإنما الفرح بما أوتي من الدنيا والغبطة بزهرتها والاغترار بزخرفها من شعار الكفار ألا ترى أن قارون اللعين قال إنما أوتيته على علم عندي فكان جوابه ما قال الله تعالى فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة الآية ولما خاف سليمان عليه السلام أن يكون له استدراجا كان جوابه ما قال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك

بغير حساب

بغير حساب اعلم أرشدك الله أنه ليس الشكر حافظا للنعم فقط بل هو مع حفظها زعيم بزيادة النعم وأمان من حلول النقم والشكر على ثلاثة مراتب شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر بسائر الجوارح فأما الشكر الواجب على جميع الخلق فهو شكر القلب وهو أن تعلم أن النعمة من الله وحده وأن لا نعمة من الخلق من أهل السموات والأرض إلا ومبتدئها من الله تعالى حتى يكون الشكر لله تعالى على نفسك وعن غيرك لغيرك من نعم الله تعالى عليك وعلى غيرك وهذا النوع هو الذي يقال فيه إنه يجب على العبد شكر الله على نعمته أسديت إلى غيره والدليل على أن الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله أي أيقنوا أنها من الله عز وجل وإلى هذه الكلمة انتهى جميع ما قاله العلماء في الشكر والدليل عليه أيضا قوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون أي اتقوا معصيتي فإنه شكر نعمتي وخلق الله الحياة نعمة للعبد فقال الله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون والعبارة عنه أن يقال الشكر إقرار القلب بإنعام الرب سبحانه وتعالى على وجه الخضوع ويقال فيه الشكر الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة وقال أهل العلم الشكر معرفة العجز عن الشكر وروي أن داود عليه السلام قال إلهي كيف أشكرك وشكري لك نعمة من عندك فأوحى الله تعالى إليه الآن قد شكرتني وقال وهب بن منبه قال داود عليه السلام إلهي ابن آدم ليس فيه شعرة إلا وتحتها نعمة وفوقها نعمة فمن أين يكافئها فأوحى الله تعالى إليه يا داود

انما عطي الكثير وارضى باليسير فان شكرك له ان تعلم ان ما بك من
نعمة فمني وفي هذا يقال الشكر على الشكر اتم الشكر وذلك ان ترى شكرك له
بتوفيقه ويكون ذلك التوفيق من اجل النعم عليك فتشكره على الشكر لتوفيقه
ثم تشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر الى ما لا يتناهى وهذا الشكر
ايضا واجب ولمحمود الوراق

اذا كان شكري نعمة الله نعمة ... علي له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر الا بفضله ... وان طالت الايام واتصل العمر

اذا مس بالسراء عم سرورها ... وان مس بالضراء اعقبها الاجر

فما منهما الا له فيه نعمة ... تضيق بها الاوهام والسر والجهر

ومن افضل نعم الله واحسانه فقد اقر بتقصيره كله لانه لا يمكنه
ان يوازي بشكر نعم الله تعالى وفي مناجاة موسى عليه السلام الهي
خلقت آدم عليه السلام بيدك ونفخت فيه من روحك واسجدت
له ملائكتك وتوجته بتاج كرامتك واسكنته جنتك وزوجته حواء
امتك وفعلت فكيف شكرك فقال علم ان ذلك مني فكانت معرفته
بذلك شكرها لي فصل واما شكر اللسان فقد قال الله تعالى
فيه واما بنعمة ربك فحدث قيل يعني النبوة وقيل يعني القرآن
والاعم انه عام في جميع النعم وروى النعمان بن بشير ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس
لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر قال الله تعالى حكاية عن اهل
الجنة انهم قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال عمر رضي الله
عنه تذاكروا النعم فان ذكرها شكر وكتب ابن السماك الى عمر بن عبد

العزيز

اللهم صل على سيد محمد

٢٠٧

العزيز لما عمرت البصرة الخ يقال له فهو عمر الذي جعل لاهل البصرة
فهل اعذب لهم شربه وجاءت عليه امور الهم ولم ار لهم عهد الا شكرا
فان حدثت في فقعت عليهم ما انفقت فيه وكتب اليه عمر انه لا احسبها
لاهل البصرة خلدا من رجل فقال الحمد لله حين حفر هذا النهر وان الله
تعالى قد رضيها شكرا من جنته عمار ضرب بها شكرا من نعمه ذو السلام
وحقيقة الشكر في هذا القسم الثناء على المحسن بذكر احسانه
وعلى هذا القول يوصف الرب تعالى بانه شكور حقيقة فشكره
العباد ثناؤه عليهم وهذه اللفظة ماخوذة من قولهم دابة
شكور اذا ظهرت من السمن فوق ما تعطى من العلف وقيل وجه
شكورا اذا كان ممتلئ العطاء من ظاهرها وفي الحديث يقول الله
تعالى انا والجن والانس في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق
ويشكر غيري قال بعضهم انما اوتي الناس لانهم في موضع
وهم يحسبون انهم في موضع شكر فصل واما الشكر الذي
على الجوارح فقال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا فجعل العمل
شكرا وقال عطاء دخلت على عائشة مع عبد الله بن عمر فقال
لها عبد الله يا ام المؤمنين حدثينا باعجب ما رايته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأي شانه لم يكن عجبا انه
اتاني ليلة فدخل معي في فراشي حتى مس جلده جلدي ثم قال يا
بنت ابي بكر ذريني اتعبد لربي فقلت اني احب قربك فاذنت له
فقام الى قربة من ماء فتوضأ واكثر صب الماء ثم قام فصلى فبكى ثم
رفع راسه فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم رفع راسه فبكى

فلم يزل حتى جاءه بلال فآذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله
أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون
عبدا شكورا ولم لا أفعله وقد أنزل الله علي إن في خلق السموات
والأرض واختلاف الليل والنهار فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
الشكر بالعمل وبين به مراد الله في مراد الآيتين قال الله تعالى
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا
أي كل واحد منهما يخلف الآخر فمن فاته العمل في أحدهما عمله في
الآخر فجعل الأوراد والأعمال شكر الله وروي أن النبي صلى الله عليه
وسلم قام حتى تفطرت قدماه فقيل يا رسول الله تفعل هذا وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا
وقال أبو هارون دخلت على أبي حازم فقلت له يرحمك الله
ما شكر العينين قال إذا رأيت بهما خيرا أعلنته وإذا رأيت بهما
شرا سترته قلت فما شكر الأذنين قال إذا سمعت بهما خيرا وعيته
شرا نسيته قلت فما شكر اليدين قال لا تأخذ بهما ما ليس لك ولا
تمنع حقا لله فيهما قلت فما شكر البطن قال أن يكون أسفله
صبرا وأعلاه علما قلت فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذ
والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم
فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك أما الشاكر حقا وفي حكمة
آدم عليه السلام لم يستطع أحد أن يشكر الله تعالى على نعمه
فمثل الأنعام على خلقه يكون أفضل الخلق مثل ما صنع بي الخا
لوداه أثبت أن فعل الطاعات شكر وأن منها ما هو أفضل من

غيره

غيره في الطاعة به مواساة الفقراء أشكل بالشكر على الغنى من غيرها
لأنها من جنس النعمة وإذا أردت أن تعرف دوام نعم الله تعالى عليك فادم
مواساة الفقراء والطاعة في رفع نوبة الضعفة والعقول والمستنة بغير
معصية أشبه بالشكر على ما رفع السمع في رفع إلى التربية بالعمل والطاعة
في تعريض الفقراء وتلطيف أغنيتهم أشبه بالشكر على العافية من صبار
الطاعات عند الشيطان وفضله حول في أعرابه الشكر لله وأعمال من
قبل الطاعات تعد الشفاعات وعلى هذا القانون ينبغي أن يقابل سائر
نعم الله تعالى على العبد ومن العبارة الجامعة للشكر أن يقال الشكر معرفة
بالجنان وذكر باللسان وعمل بالجوارح فصل في الكلام على الزيا
دة قال الله سبحانه لئن شكرتم لأزيدنكم فقال قوم إنما خاطب الله
تعالى بهذا وبقوله ادعوني أستجب لكم قوما دون قوم والذي يدل عليه
أنا نرى من يشكر على الغنى ثم يبتلى بالفقر ومن يشكر على العافية ثم يبتلى
بالمرض والله تعالى لا يخلف وعده وقال قوم معناه لأزيدنكم نعم الآخرة
وقيل إنما تكون الزيادة من جنس المزيد فاختلف أن النعم الدنيوية
والأخروية إن تفاضلت واختلفت فإنها كلها فيها نسبة من حيث
إنها نعمة وقال قوم معناه لأزيدنكم خيرا والخير والصلاح قد يكون في
كثير من الأوقات بالمنع والتشفي ونحوها فإن من سأل الله تعالى أن يعطيه
مالا أو يصح جسمه وهو يعلم أنه إن وهبه المال أنفقه في المعاصي فإ
والمنع ها هنا نعمة من الله تعالى جزيلة وعن هذا قالت العلماء منع
الله عطاء وقال قوم يشكر نعمه ولا يستنشد فيها لئن شكرتم لأزيدنكم
لأن تعصوا فيما أنعم بالإجمال وأما معارفة كيفية لكم وهو أصلح

من اراد اغنائكم في الفطرة والناس لا يستغفرون من الذنوب ولو نهيتا الربع
يستغفروا من الذنوب لاورثت الزيادات وقال الله ولو انهم اقاموا
التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت
ارجلهم وقال استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا
ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل وقال الشيخ ان الله
قد وعد الزيادة ووعده الحق وقد جعل العبادة علامة يعرف بها
الشكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا انه لا يشكر فاذا راينا
الغني يشكر الله بلسانه وماله في نقصان علمنا انه لا يشكر فقد اخل
بالشكر الذي اخذ عليه اما ان لا يزكيه او يزكيه لغير اهله ويوخره
عن وقته او يمنع حقا واجبا عليه فيمن كسوة عريان او طعام جائع
وشبهه فيه خلل فقول النبي صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل ما
افلح راده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم اي اذا غيروا ما بهم من الطاعة غير الله تعالى ما عنده من
الاحسان اذا كان القوم في كل نعمة فيه فان الله تعالى لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا النعم ما بانفسهم فترك الاداب او اخلال بحق والمعاصي
في نعمه قال بعضهم ادب الشكر ان لا يعصي الله تعالى بنعمه فان
جوارحك كلها من نعم الله عليك فلا تعصه بها وتعتقد ان يكون معنى
الاية لئن شكرتم لازيدنكم ان شئنا الا ترى انه قال من كان يريد حرث
الدنيا نوته منها وكثير من الخلق يريدون حرث الدنيا ولا يوتونه
فيكون التقدير نوته منها ان نشاء بدليل قوله تعالى في الاية الاخرى من
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهذا قوله ادعوني استجب لكم

ثم

ثم كثير من الناس يدعو ولا يستجاب لهم ولكن معنى الاية ان شئت او من شئت
بدليل قوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وهذا من باب حمل المطلق على
المقيد قال الجنيد كنت بين يدي السري وانا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة
يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت ان لا تعصي الله بنعمه فقال يو
شك ان يكون حظك من الله لسانك فلا ازال ابكي على هذه الكلمة فان قيل ما
معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وما حصل من الا فعال في الوجود
يمكن احصاوه قلت نعم الله على نوعين دفع ومنع فالاول يمكن ا
احصاوه ودفع البلاء ما نعم لا يمكن العبد احصاوها فدفع الله عنه
مقاديره مقدورة من ذلك وما يدفع منها عن العبيد لا يحصى فصل
ثم عدنا الى قول العلماء والحكماء في الشكر قال بعض الحكماء موضع
الشكر من النعمة موضع القرى من الضيف ان وجد لم يقم وان عدم لم يقم
واجتمعت حكماء العرب والعجم على هذه الكلمة فقالوا راكبا على فرس
لا نوب مغرسا جو ثم قال العجمي لولا اني [illegible] هما لتدان نزع مني ملاه
اعطيتني وقال صدقت ابن عيينة فبينما داود عليه السلام في محرابه
اذ مرت به دودة فتفكر في خلقتها وقال ما يعبأ الله بخلق هذه ما
نطقها الله تعالى له فقالت يا داود انا على قدر ما اعطاني الله تعالى اذكر
لله تعالى واشكر منك بما اعطاك والحمد لله الرزاق

اللهم لك الحمد الذي انت اهله على نعم ما كنت لها اهلا
متى ازددت تقصيرا تزدني تفضلا كاني بالتقصير استوجب الفضلا

وكان بعضهم [illegible] سبب السلطان رسل الى صاحبه اشكر الله
تعالى [illegible] اليه فقال اشكر الله تعالى على [illegible]

مبطون فجعل حلقة في رجله وحلقة في رجل المجوسي فكان المجوسي يقوم
في الليل مرات وهذا يحتاج أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يفرغ فكتب
إلى صاحبه فقال اشكر الله تعالى فقال أي منّي أشكر الله تعالى وأي بلاء فوق
هذا فقال له صاحبه لو وضع الزنار الذي في وسطه في وسطك كيف
وضع القيد الذي في رجله في رجلك ماذا كنت تصنع ولبعضهم

ومن الرزية أن شكري صامت ∴ عما فعلت وأن برك ناطق ∴
أأرى الصنيعة منك ثم أسرها ∴ إني إذاً ليد الكريم لسارق ∴

وقال رجل لسهل بن عبد الله إن اللص دخل داري وأخذ متاعي فقال اشكر
الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك فأخذ التوحيد ما
ذا كنت تصنع ولما بشر إدريس عليه السلام بالمغفرة فقيل له فيه
فقال لا فكر فيه لأني كنت أعمل قبله للمغفرة فيشغله الحاجة عن
بعد إلى الاستغفار. وروي أن نبيا من الأنبياء عليهم السلام مر بحجر صغير
يخرج منه الماء الكثير فتعجب منه فأنطقه الله تعالى له فقال منذ سمعت
الله يقول وقودها الناس والحجارة فقال يا نبي الله ذلك
بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وروي أن الله تعالى أوحى
إلى موسى عليه السلام ارحم عبادي المبتلى والمعافى فقال إلهي
ما بال المعافى فقال لقلة شكرهم على عافيتي إياهم وأوحى رجل
أعرابيا بلاء حسنا فقال لا أبلاه الله بلاء يعجز عند صبره وأنعم عليه
نعمة يعجز عنها شكره ولبعضهم

فما شكري لأنها جازيت نعمة ∴ بشكر ولكن كي يقال له الشكر ∴
وأشكر أياما لدي اصطنعتها ∴ وذا آخر ما يبقى على الشاكر الشكر ∴

وقال
أولتني نعماء أبوح بشكرها ∴ وكفيتني كل الأمور بأسرها
فلأشكرنك ما حييت وإن أمت ∴ فلتشكرنك أعظمي في قبرها

ولبعض الأعراب

أيا رب قد أحسنت بدءاً وعودة ∴ إليّ فلم ينهض بإحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة ∴ فعذري إقراري بأن ليس لي عذر

وكان بعضهم يقول الشكر منك تكون النعمة وعليك تمامها وأنت تعين
على شكرها وعليك ثوابها وهذا باب عظيم من النعم على العباد قال
الله تعالى في الثناء على بعض عباده إنه كان عبدا شكورا وقال شاكرا
لأنعمه وكفى له شرفا أن أثنى الله على عباده ثم قال فمن شكر فإنما يشكر
لنفسه ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإن أحسنتم أحسنتم
لأنفسكم ليس لله تعالى بها فقر ولا كنه ما إنه أجل من أن ينال
الحظوظ وأجل أن يخفف ثناء مثل أو يكبر كل بر وقال الله تعالى يدعوكم ليغفر
لكم من ذنوبكم فوا عجبا أعطى ثم أثنى وقال بعض كفر النعمة داعية إلى
المقت ومن جاوز ذلك بالشكر فقد أعطاه حقا أخذه منه وحقيق بمن
أسديت إليه نعمة أو قضيت له حاجة أن يكافئ فإن لم يقدر فليشكر فإن
شكرها فقد أدى حقها قال الشاعر شعر

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد ∴ لكثرة مال أو علو مكان ∴
لما أمر الرحمن بالشكر خلقه ∴ فقال اشكروا لي أيها الثقلان ∴
لئن عجزت عن شكر بره قوتي ∴ وأقوى الورى عن شكر ربه أعجز ∴ وقال آخر
فإن أعتقني وكل عتق ∴ فلا أملك حملته مني أكثر ∴ تلاقى و

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي وقفت علينا امرأة فقالت يا قوم

تغير علينا الزمان اذ قل منا الشكر وقلت النعم وفي العقبة العقرير
رحم الله امرءا بهم بعقل واعطى من فضل وواسع من تجافى على عقباه

وقال بعض الشعراء

فلو كان للشكر شخص يرى ... اذا ما تأمله الناظرون
لمثلته لك حتى يرى ... فتعلم اني امرؤ شاكر
ولكنه ساكن في الضمير ... يحركه الكلم الساحر

وقيل للبحتري ما الشكر فقال الكفايات على قدر الكفاءة قيل
فما الكرم قال ترك الحزاز ولو بالشدة قيل وهل يكون احد مجبل
مغل بالشدة قال نعم من عاد به على الضيعة

الباب الخامس والثلاثون في بيان
السيرة التي يصلح عليها الامير والمامور

ويستدل بها الرجل والعرة ويسرور تسهل عليها محبة الخلائق
اجمعين مستخرجة من القرآن العظيم قال الله تعالى وما من دابة في الارض ولا
طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم فاثبت الله تعالى المماثلة بيننا وبين
سائر البهائم ومعلوم انهم ما تلو في خلقنا واشكالنا الا في عقولنا
وفيما يرى ما يتضح العين منهم ومنا فنبقى المماثلة في الاخلاق فلا احد من
الخلق الا وفيه خلق من خلق البهائم ولهذا تجد اخلاق الخلائق مختلفة
فاذا رايت من الانس خلقا خارجا عن الاعتدال فانظر ما يماثل ذلك
الخلق من خلائق البهائم سائر الحيوان فالحقه به وعامله بما كنت
تعامله فتستريح منه هذا زعتعم ويستريحون منه وتدوم الصحبة
والمحبة فاذا رايت الرجل الجاهل في اخلاقه الغليظ في طباعه الـ

الفوى في بدنه الذي لا يؤمن غضبته وانصرافه فالحقه بعالم الثور
والبقر تقول الجهل من نحو واذا رايته الثور معزة عنده ولم تخاصمه ولم تتشا
تمده فاسلك بالرجل كذلك واذا رايت الرجل الغالب على اخلاقه السفه
خفيه والنقل البارد على وجه الاستهزاء فقيا هذا بما تل عالم الجرادة
فدع ما منه وعاصفه كما تصع مع ذباب الجراد اذا افسد رحله
ثم اغتا وحيلة بما يصلح به فاذا رايت افسانا قحما ما على اعراض
الناس وثلبهم فتخوما ما على عالم الكلاب فاذا زد اب الكلب ان تجعوا من
لا يجعوه ويبتدئ بالاذى من لا يؤذيه فعامله بما كنت تعامل به
الكلب اذا نعقا السب تذهب في شانك ولا تخاصمه ولا تعمد فاوصل
بعد يهضم عرضا مثل ذلك واذا رايت الرجل فيه على الخلاف فلا تقل
لا فان نعم وان قلت نعم قال لا فالحقه بعالم الحمير فان دابه ان اراد ادنيته
تعثر واذا ابعدته قرب وانت تستمتع بالحمار ولا تنسبه ولا تفارقه
واذا رايت الرجل يطلب عثرات الناس وسقطاتهم ويتتبع الاذى فيهم
كشل الذباب فالحقه بعالم الذباب فان الذباب يقع على الجسد ويطلب المواضع
المعتلة منه وذوات الاذاة والدم والنجاسة واذا ابتليت بسلطان
هجيم على الاموال والازواج فالحقه بعالم الاسد وخذ حذرك منه
كما انك تحذر من الاسد ولتبعد ما استطعت منه كما قال النابغة
ولا قرار على زار من الاسد واذا ابتليت بانسان خبيث كثير الروغان
والمخاتلة فالحقه بعالم الثعالب واذا ابتليت بمن يغتني بالنمائم
ويفرق بين الاحبة فالحقه بعالم النضر لا زوجى ذو يتة صغيرة يقولون
انها عند تعرف الجماعة فهي بينهم طرا فتعرفوا وخاصية هذه

هجيم

اللهم صل على [illegible]

الخروبة اذا احاطت وسط الجماعة ان يفترقوا وكما ان الجماعة
اذا اقبلت نحوهم هذه الدويبة طردوها ومنعوها الدخول بينهم
كذلك ينبغي اخراج النمام من بين الجماعة فان لم يفعلوا يوشك ان يفرق
بينهم ويفسد قلوب بعضهم على بعض واذا رايت انسانا لا يسمع
العلم والحكمة وينفر من مجالس العلماء والحكماء ويالف سماع اخبار
الدنيا وسائر الخرافات وما يجري في مجالس العوام فالحقه بعالم الـ
الخنافس فانه يعجبه اكل العذرات ويالف روائح النجاسات فلا تراه
الا ملابسا للاخلية والمرحاضات وينفر من روائح المسك والورد واذا
طرح عليه المسك والورد مات واذا ابتليت برجل عليه الدماثة
والسكينة وقد نصب اشراكه لاقتناص الدنيا واكل اموال الودائع
والامانات والاموال والايتام فالحقه بعالم الذياب واحترز منه
كما يحترز من الذيب كما قال القائل

ذيب تراه مصليا ... فاذا مررت به ركع
يدعو وجل دعائه ... ما للفريسة لا تقع
عجل بها يا ذا العلا ... ان الفؤاد قد انقطع

واذا ابتليت بصحبة انسان كذاب فاعلم ان الانسان الكذاب كالميت
في الحكم لانه لا يقبل له خبر كما لا اجر للميت وكما لا تصحب الموتى لا تصحب
الكذابين وقد قيل في العقل كل شيء شيء وصحبة الكذاب لا
شيء ويجوز ان يلحق بعالم النعام فانه يدفن جميع بيضه تحت الرمل
ويترك واحدة على وجه الارض واخرى تحتها فاذا افرخ وسار ليصير في
فلاة الصحراء فاذا راها النعام فاخذ تلك البيضة وينصب او يكشف

الرمل

فعم

على وجه

على وجه الارض ويجعل الاخرى يكسر انه البيض ثم يمشي واخرو الجنين عند
بجيلة النعام اذا راى البيضة لا يزال يحضنها حتى يصل الى ما جنه ولا يعتني
بتلك البيضة كذلك الكذاب اذا سمعت منه خبرا لا تصدقه حتى تبلغ
الغاية في الكشف عنه واذا رايت رجلا انما دابه ان يصلح نفسه
كما تصنع العروس بفعلها يبيض ثيابه ويغسل عمامته ويتغافل ان يهمه
بنفسه شيء غيره وينظر في عطفيه ويطرح الغبار عن ثوبه ويبصر له
تهذيب الجسد الا نظره الى نفسه واصلاح ما اشتغل عن تهذيبه
وينظر بنفسه فالحقه بعالم الطاووس الذي هو صفته فانه يتعجب
محاسنه وينظر رجليه فيتغير الملون اذا تحسا لذلك واذا ابتليت
بانسان حقود لا ينسى الهفوات ويجازي بعد المدة على السقطات فا
لحقه بعالم الجمال وادفع شره فان احقد من الجمال وتجنب قرب الجمال
الحقود واذا ابتليت بانسان منافق يكثر الخلاف لما يظهر فالحقه
بعالم اليربوع يكون في البرية يحفر جحرا تحت الارض يقال له النافقاء
وله بابان يدخل من احدهما ويخرج من الاخرى ومنه اشتق اسم
المنافق فاذا اتى باخره دخل جحره وخرج من الباب الاخر فيحفر
الصياد فيبقى فلا يظفر بشيء وهكذا الرجل المنافق لا يحصل منه شيء
وعلى هذا التمثيل كن في صحبة الناس وسكنت نفسي وتركتهم عند
فلعمر الله ما اشتغلت في صحبة الناس وسكنت نفسي واشتغلت من
مكابدة احد الا فعلوا فيه [illegible] بهذه السيرة وقال البونجي
يا بني لا تامنن صغيرا ان تغضب عنه فاذا اخذت من الثعلب روغانه
ومن القرد حكايته ومن السنور ضرعه ومن الكلب نصحه وضراعة او [illegible]

نفسي في نفعهم

تحذرون

وقد تعلمت من الفهم قبولا ومن الشعر الظهور الحسن بعد الحمد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الباب السادس والثلاثون في بيان
كمال الخصلة التي هي غاية كمال السلطان في
وتشييد الصلح وسرور راحة القلوب وطيب النفوس

اعلم ايها الملك حتى كملت فيك الخصال المحمودة والاخلاق المشكورة والسير المستقيمة وملكت نفسك وقهرت هواك ووضعت الاشياء موضعها اثمرت الرعية اقتضت حفظ وجهلت قدرك ولم تنو قط فيمتد فبلغ منهم ما تيسر لك ورايت منهم ما لا يعجبك فاعلم انك لست بالله فلا تطمعن ان يصفو الملك منهم ما لا يصفو منهم لله الاحد وفصل الخطاب ان نعلم ان الله خلق الخلق اجمعين وانعم عليهم بانواع من النعم ما كمل حواسهم وخلق فيهم الشهوات ثم افاض عليهم نعمه وكملت لهم اللذات وبعد هذا ما قدروا الله حق قدره ولا عظموه حق عظمته فانوا فيه ما لا يليق به ووصفوه بما يستحيل عليه واضافوا اليه ما ينفي عنه وسلبوه ما يجب له من الاسماء الحسنى والصفات العلى فمنهم من قال هو ثالث ثلاثة ومنهم من قال له ابن ومنهم من قال له زوجة ومنهم من قال له البنات ومنهم من يجسمه ومنهم من يشبهه ومنهم من انكره اصلا وقال ما للخلق صانع كما حكاه الله تعالى عنهم بقوله نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وهو مع ذلك يحسبهم ويغنيهم ويصح اجسامهم ويحرسهم ويرزقهم وينعشهم ويقضي ماربهم واوطارهم وينفعهم فتعالى حلمه ويبلغهم امانيهم

في معظم ما يحتاجون اليه ويعافيهم البدء عنه وحرى الله عليهم نازلة كل يفعل على شاكلته ويليق فما عنده وكل ذي حال اولى بها وفي مناجاة موسى عليه السلام اللهم انت لا يقال فيه ما ليس فيه وهي الة البنية لا تنشيء ما فعلته بنفسي فكيف افعله بغيري هذه النسبة عنه لم اعتني وذكره بعين ولو كرم انه ان التمست رضى جميع الناس التمست ما لا يدرك وكيف في رضى المختلفين يا ايها الملك التي كنت عليه العلماء في العلم الفهم والزمان المشهور والامام المعدودة والانفاس المحصورة كيف اردت ان يصفو الذي الرعية ما لا يصفو منهم في الفهم وان فهم ومعيشتهم وتفهيمات هيهات بعيدا ما املت ومستحيلا ما طلبت فلا في البدا قدوة حسنة او ترضى منهم بعارض منهم في الفهم ونفيه فيهم مبلغ في الفهم الم تركيب احسن الساليب فرضى منهم ما تيسر من العمل واكثر النعم وكرما قواله والحقول ونظر كيف يستقر ذلك انه ويتغشيه فيما ندلو لا بعضه في خلو انه في هذا ما يجهر النفوس ويود في ذوب العقول ويهدي الى الصواب ويوضح طريق الرشاد وقد دعي عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقد كان واعيا لما يقولون عليه فانه روي عنه انه كان كتب الى عمرو بن العاص كن لرعيتك كما تحب ان يكون لك والسلام

الباب السابع والثلاثون في بيان
الخصلة التي هي ميزان الملوك عند نشوء الحروب
ومعقل السالكين عند اضطراب الامور وتغير الزمان

اضطراب

ايها الملك اذا اختلفت الامور في صدرك واضطربت عليك الفواعل

ومزجت بعقله وجوله الراي وشكرت عليه الفطارة واكثرهم لا
وجه للزمان وروايات اثار العجم فلا تغلبه خصلتان ان لم للناس في
بينهم ودنيا هم ونقد الامان في جوار الحوادث وما يأتي به الملوان
وقد روي ان انقاموق قال في ة اخرموا فوضع لخبيه الامين وقد
نفدت بيوت الاموال والحت الاجناد في طلب الارزاق فقال الحاد
مون بقيت لا في خصلة لو بعلها ملك موضع قدمي هاتين فقيل له
له وما هي فقال والله انه لا تخرجها على بعض فضلا عن غيره فلما ختم
له لم يسمع عن تلك الخصلة فقال لو ان الامين نادى في جميع بلاد الله
في هذه الخراجات ولوظايف السلطانية وقلة الجبايات عشرين
لعلك الامر عني ولكن الله غالب على امره ولقد خشي المامون انتقاض
بيعته من اهل خراسان فشتم اخيه الامين استشار الفضل بن سهل
الكاتب وكان وزيره فقال له الفضل قد قرات القرآن وحديث الرسول
صلى الله عليه وسلم والراي عندي ان تجمع الفقهاء وتدعوهم الى الحق
والعمل به واحياء السنن وسلك العدول والقعود على اللبود ونصر المظلوم
في المظالم وتكريم القواد والملوك وابناء الملوك وتعرفهم بالمواعيد الكريمة
والمراتب السنية والولايات والصلات كلها ففعل ذلك وحط عن اهل
خراسان ربع الخراج فعالت وجوه الخلايق وكانوا يقولون ان ابن
اختنا وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقادوا اليه وامر من له
امر ان تنفق عليه حكماء العرب والروم والفرس والهند وهو ان تصنع
وجوه كل قبيلة والتقدم بين مركل عشيرة فحسن الحمد العلم وهذا

التخريج

تأمل

الدجال رواه مسلم والنجة له وابو داود والنسائي وفي رواية مسلم وابي داود من اخر
سورة الكهف وفي رواية النسائي من قرأ العشر الاواخر من الكهف ومن حديث ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الكهف في ليلة الجمعة
اضاء له من النور ما بين الجمعتين رواه النسائي والبيهقي مرفوعا وموقوفا ايضا وقال صحيح
الاسناد ورواه الدارمي في مسنده موقوفا على ابي سعيد الخدري وفي لفظ قال من قرأ سورة الا
الكهف ليلة الجمعة اضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق وفي اسانيدهم كلها الا
الحاكم ابو هاشم يحيى بن دينار والاكثرون على توثيقه وبقية اهل الاسناد ثقات وفي
اسناد الحاكم الذي صححه نعيم بن حماد وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدميه
الى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين رواه ابو بكر بن مردويه
في تفسيره باسناد لا باس به وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك ورواه الترمذي والا
صبهاني وفي لفظه من صلى بسورة الدخان في ليلة بات يستغفر له سبعون الف ملك
رواه الطبراني والاصبهاني في ايضا من حديث ابي امامة وفي لفظهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة او يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة وروي عنه
ايضا انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يس في ليلة الجمعة غفر له
رواه الاصبهاني وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته
حتى تغيب الشمس رواه الطبراني في الاوسط والكبير وانهل الفضل الجزيل الوارد في
الصحاح اقتصر البيهقي رضي الله عنه وعن جميع مشايخنا عن التصريح بها الا انه قد روى
عن الخدري ان من صلى بها من السور نفسه ركعتين في جوف الليل كان خيرا له وافضل من قيام
الليل كله رواه بالصحاح رفعه الى النضر بن مالك كما في مسند احمد وغيره من الصحاح والله

رواتب النوافل وقد وردت عنه صلى الله عليه وسلم فيها احاديث جامعة للرواية منها ما
عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها
ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد صلاة العشاء ركعتين وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى
ينصرف فيصلي في بيته ركعتين قال واخبرتني حفصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
سكت المؤذن من الاذان لصلاة الصبح وبدا الصبح صلى ركعتين خفيفتين قبل ان تقام
الصلاة وانما صلاة الاوابين هي التي بين المغرب والعشاء ففي حديث كعب بن عجرة
عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من صلى بعد المغرب ركعتين قبل ان يتكلم رفعت صلاته في
عليين كذا يقرأ فيهما بقل هو الله احد والمعوذتين وفي رواية بالكافرون وقل هو الله
احد ومن حديث ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب
ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن بعبادة ثنتي عشرة سنة رواه ابن ماجه وابن
خزيمة في صحيحه والترمذي كلهم من حديث عمر بن ابي خثعم عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة
عنه ومن حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى بعد المغرب عشرين
ركعة بنى الله له بيتا في الجنة اخرجه الترمذي وابن ماجه من رواية يعقوب بن الوليد المدا
يني عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة وعن محمد بن عمار بن ياسر قال رايت عمار
ابن ياسر يصلي بعد المغرب ست ركعات فقلت له ما هذه الست الركعات التي رايتك
تواظب عليها بعد المغرب فقال قد رايت حبيبي صلى الله عليه وسلم يصلي بعد المغرب ست
ركعات ولست بتاركهن حتى القاه وقال من صلى بعد المغرب ست ركعات غفرت له ذنوبه
وان كانت مثل زبد البحر اخرجه الطبراني في الثلاثة وقال تفرد به صالح بن قطن البخاري و
وعن الاسود بن يزيد قال قال ~~رسول الله صلى الله عليه وسلم~~ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
نعم ساعة الغفلة يعني الصلاة فيما بين المغرب والعشاء رواه الطبراني في الكبير من رواية جابر
الجعفي ولم يرفعه وعن مكحول يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى بعد المغرب قبل ان
يتكلم ركعتين وفي رواية اربع ركعات رفعت صلاته في عليين ذكره رزين وعن انس رضي الله
عنه